دِيوانُ السُّليمانيات

(الجزء الثالث)

نحو شعر عربي أصيل وهادف وبناء وجاد ومحترم

يـــا فـــؤادي ، خانـــك الخِـــلُّ الكَـــذَوبْ ثـــم بـــاقي الأمـــر فـــي طَـــي الغُيـــوبْ

زلـــتِ الأقـــدامُ فـــي عـــز الصِّـــبا والأذى فـــي القلـــب يَكـــوي والخُطـــوب

بـــرزتْ للـــروح أشـــباحُ العَنـــا واللظـــى فـــي الـــنفس يفـــري واللهيـــب

لـــم أكـــن أختـــارُ صَـــحبي فـــي الـــورى بـــل ، ولمَّـــا أصـــطفِ الخِـــل الحبيـــب!

الطبعة الأولى

نحو شعر عربي أصيل هادف محترم جاد

دِيـــوانُ السّـليمـانِيـّات

(الجُزءُ الثالث)

سُـويعـاتُ الغـروب

شِعرُ

الفقير إلى عفو ربه تعالى أبي عبد الله

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

الشاعر السلفي المصري الصعيدي

راجعه الدكتور عدنان النحوي والأستاذ سالم النوبي

الطبعة الأولى

مُجمّعة من المجلات والصحف والدَوريات والجرائد

ومُراجعة ومُصحّحة ومُحَققة ومُنقحة ومَزيدة

ديوان السليمانيات

(الجزء الثالث)

سويعات الغروب

شعر

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

الطبعة الأولى

ابتهال

اللهم اجعل أفئدة من الناس تهوي إلى هذا الشعر ، قراءة ونقداً وتحليلاً. فقد بذلت في إخراجه وتنقيحه ما تعلم من الجهد والجود بالوقت والمال. اللهم يا رب العالمين انفع به كل من قرأه منصفاً قاصداً بحق أن ينتفع. اللهم عوّضني ما بذلت فيه من الجهد والمال والوقت. اللهم بما كتبت فيه من كلمة تمنيت بها وجهك ، ونصرت بها شريعتك ، وأمرت فيها بالمعروف ، ونهيت فيها عن المنكر ، قبلتها عني ، تعلم ذلك من نيتي فافرج عني ما أنا فيه ، واكتب لهذا الشعر القبول في الأرض. اللهم إني أبتهل إليك ابتهال من رغم لك أنفه ، وخضعت إليك ناصيته ، وذلت بين يديك نفسه ، أن تأجرني على هذا الديوان يوم ألقاك. اللهم إن الأمر أمرك ، والخلق خلقك ، ولا إله غيرك ، ولا رب سواك ، انفع بشعري هذا الناس. اللهم لا تجعله ملتبساً عليهم فيمقتوه. وكما ألنت ليَّ البيان ، ويسرت عليَّ كتابته وإنشاده وجعله في ديوان ، سهّله على الناس ، ويسّر فهمه عليهم ، وانفعهم بكل خير في شعري ، وجنبهم كل سوء سقط مني دون قصد. اللهم إني أعوذ بك من أن يكون جزاء ما أكتب من الشكر إنما هو شكر الناس ومدحهم ، وأعوذ بك أن يكون في شعري ما يخالف كتابك وسُنة نبيك محمد ـ صلى الله عليه وسلم – وأعوذ بك أن أكون ممن قلت فيهم ، وقولك الحق: (والشعراء يتبعهم الغاوون) ، بل اجعلني اللهم من الذين استثنيتهم بقولك ، (إلا الذين آمنو وعملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيراً ، وانتصروا من بعد ما ظلموا) ، كما أسألك لكل الذي كتبتُ من الحق أن تجعله في ميزاني وميزان من قرأه يوم نلقاك. وأسألك اللهم لكل شاعر مسلم مؤمن موحدٍ أن تبارك فيه وعليه. اللهم إنا نعوذ بك من شر أسماعنا ، ومن شر أبصارنا ، ومن شر ألسنتنا ، ومن شر أقلامنا ، ومن شر هواجسنا ، ومن شر قلوبنا ، ومن شر أهوائنا. اللهم عافنا في أبداننا ، وفي أسماعنا ، وفي أبصارنا ، اللهم إنا نعوذ بك من الفقر والكفر وأهل الكفر ، اللهم إنا نعوذ بك من عذاب القبر ، ربنا إنا نعوذ بك من علم لا ينفع ، وعمل لا يُرفع ، ودعاء لا يُسمع ، ومن عين لا تدمع. اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك ، وفجاءة نقمتك ، اللهم انفعنا بما علمتنا ، وعلمنا ما ينفعنا ، وزدنا علماً ، والحمد لله على كل حال ، ونعوذ بك اللهم من النار ، ومن حال أهل النار ، اللهم أغننا بالعلم ، وزينا بالحِلم ، وأكرمنا بالتقوى ، وجمّلنا بالعافيه ، اللهم إنا نسألك صحة في إيمان ، وإيماناً في حسن خلق ، وفوزاً ونجاحاً يتبعه فلاح ، ورحمة منك تغنينا بها عن رحمة من سواك ، وعافية ومغفرة منك ورضوانا. اللهم إنا نعوذ بوجهك الكريم ، واسمك العظيم ، من الكفر والفقر ، ربنا إنا نسألك رحمة من عندك ، تهدي قلوبنا وتجمع شملنا ، وتلم شعثنا ، وترد بها إلفنا ، وتصلح بها ديننا ، وتحفظ بها غائبنا ، وترفع بها شاهدنا ، وتزكي بها علمنا ، وتبيض بها وجوهنا ، وتلهمنا بها رشدنا ، وتزكي بها علمنا ، وتبيض بها وجوهنا ، وتثقل بها موازيننا ، وتعصمنا بها من كل سوء. اللهم إني أتوجه إليك بدعائي هذا ، فلا تردني خائباً خاسراً يا رب العالمين. اللهم إني أسألك العفو والعافية ، في ديني ودنياي ، وأهلى ومالي. اللهم استر عوراتي ، وآمن روعاتي ، اللهم احفظني من بين يدي ، ومن خلفي ، وعن يميني ، وعن شمالي ، ومن فوقي ، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي. اللهم عافني في بدني ، اللهم عافني في سمعي ، اللهم عافني في بصري ، لا إله إلا أنت. اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر ، ومن عذاب القبر ، لا إله إلا أنت. اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك ،

وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك عليّ ، وأبوء بذنبي ، فاغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. اللهم يا رب إني أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل ، ومن البخل والجبن ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال. اللهم اجعل أيامنا كلها صلاحاً وفلاحاً ونجاحاً ، واسألك اللهم خيري الدنيا والآخرة. اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء ، وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر إلى وجهك الكريم في جنات النعيم ، ولذة الشوق إلى لقائك ، في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة ، وأعوذ بك أن أظلم أو أظلم ، أو أعتدي أو يُعتدى عليَّ ، أو أكتسب خطيئة أو ذنباً لا تغفره. اللهم إني أعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر. اللهم اهدني لأحسن وأرشد أمور حياتي ، اللهم وسّع لي في داري ، وبارك لي في رزقي ، اللهم إني أعوذ بك من القسوة والغفلة ، والذلة والمسكنة ، وأعوذ بك من الفسوق والعصيان ، والشقاق والنفاق ، والسمعة والرياء. وأعوذ بك من الصمم والبكم ، والجذام وسيء الأسقام. اللهم آت نفسي تقواها ، وزكّها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها ، اللهم إني أعوذ بك من دعوة لا يُستجاب لها ، اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ، ومن شر ما لم أعمل ، وأعوذ بك من شر ما علمت ، ومن شر ما لا أعلم ، اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك وفجاءة نقمتك. رب أعوذ بك من جميع سخطك. اللهم إني أعوذ بك من الهدم والتردي ، ومن الغرق والحرق ، والكبَر والهرم ، وأعوذ بك مِن أن يتخبطني الشيطان عند الموت ، وأعوذ بك أن أموت لديغاً ، وأعوذ بك من طمع يهدي إلى جشع. اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء ، وأعوذ بك من شماتة الأعداء وقهر الطواغيت. اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي ، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير ، واجعل الموت راحة لي من كل شر. رب أعني ولا تعن علي ، وانصرني اللهم ولا تنصر علي ، واهدني ويسر الهدى لي. اللهم اجعلني لك ذكاراً ، لك شكاراً ، لك مِطواعاً ، لك مُخبتاً معترفاً بذنبه وتقصيره ، إليك أواهاً حليماً مُنيباً ، وتقبل توبتي ، واغسل حوبتي ، وأجب دعوتي ، وثبت حجتي ، واهد قلبي وسدد لساني وخطاي ، واسلل سخيمة صدري. اللهم إني أسألك يا رب شكر نعمتك ، وحسن عبادتك ، وأسألك قلباً سليماً ، ولساناً صادقاً ، وأسألك خير الذي تعلم ، وأستغفرك مما تعلم ، وأنت علام الغيوب. اللهم يا رحمن ألهم فؤادي رشده ، وقني شر هواجس نفسي. اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لي ، وترحمني ، وإذا أردت بعبادك فتنة فتوفني إليك منها غير مفتون. اللهم إني أسألك حبك ، وحب من يحبك ، وحب كل عمل يقربني إلى حبك. اللهم إني أسألك خير المسألة ، وخير الدعاء ، وخير النجاح ، وخير الفلاح ، وخير الثواب ، وثبتني اللهم على الحق ، وثقل موازيني ، وحقق إيماني ، وارفع درجتي ، وتقبل صلاتي ، واغفر خطيئاتي ، وأسألك الدرجات العلا من الجنة ، اللهم إني أسألك فواتح الخير ، وخواتمه وجوامعه ، وأوله وآخره ، وظاهره وباطنه ، والدرجات العُلا من الجنة ، اللهم إنى أسألك الخير كله في حياتى وتقبل حسناتي. اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وسوء القضاء. وأزل همّ ضميري ، اللهم يا مصرف القلوب والأبصار صرّف قلبى على طاعتك. اللهم زدنا ولا تنقصنا. وأكرمْنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا ومن عذاب الآخرة. اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهوّن به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا

وقواتنا ، أبداً ما أحييتنا ، واجعله الوراث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا ، اللهم إني أسالك موجباتِ رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل شر ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار. يا رب لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته ، ولا كرباً إلا فرّجته ، ولا دَيْناً الا قضيته ، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة هي لك رضاً ولنا فيها صلاحٌ إلا قضيتها ، برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم إنك تسمع كلامي ، وترى مكاني ، وتعلم سري وعلانيتي ، ولا يخفي عليك شئ من أمرى ، وأنا العبد البائس الفقير ، والمستغيث المستجير ، والوجل المشفق ، المقر المعترف إليك بالتقصير: أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير ، دعاء من خضعت لك رقبته ورغِم لك أنفه ، أن لا تجعل ثواب ما كتبتُ وألفتُ مدحَ الناس وثناءهم حتى لا يقال يوم القيامة (كتبتَ ليُقال كاتب وقد قيل...). اللهم وارزقنا (كاتباً وقراءً) إيماناً صادقاً ، ويقيناً في الحق ، ليس بعده كفر ، ورحمة ننال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة يا رب العالمين. اللهم إنا نسألك الفوز عند القضاء ، ومنازل الشهداء ، وعيش السعداء ، والنصر على الأعداء ، ومرافقة الأنبياء. اللهم ما قصّر عنه رأيُنا ، وضعف عنه علمنا وعملنا ، ولم تبلغه قط نيتنا وأمنيتنا ، من خير وعَدتَهُ أحداً من عبادك ، وخير أنت مُعطيه أحداً من خلقك ، فإنا نرغب فيه إليك ، ونسألكه يا رب العالمين!
اللهم ارزقنا (كاتباً وقارئين) هداية تشفي القلوب ، بذروف الدموع من خشيتك ، قبل أن تكون الدموع دماً والأضراس جمراً. إلهي اجعلنا هداة مهتدين ، غير ضالين ولا مضلين ، حرباً على أعدائك ، وسِلماً لأوليائك ، نحب بحبك المؤمنين من الناس ، ونعادي بعدواتك من خالفك وعصاك من خلقك. اللهم إنا نسألك الأمن يوم الوعيد ، من العذاب الشديد ، ونسألك الجنة دار الخلود ، مع المقربين الشهود ، والركع السجود ، والموفين بالعهود والوعود ، إنك غفور رءوف ودود. اللهم إنا نسألك باسمك الطاهر الطيب المبارك الأحب إليك ، الذي إذا دُعِيت به أجبت ، وإذا سُئلت به أعطيت ، وإذا استرحِمت به رحمت ، وإذا عبد استفرجك به فرجت: يا حي يا قيوم يا عليّ يا عظيم يا واحد يا أحد ، يا فرد يا صمد ، يا من لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ، يا ذا الجلال والإكرام: أن تفتح لدعائنا كله ـ في مستهل ديواننا هذا وفي غيره ـ باب القبول والإجابة ، وأن ترزقنا صدق التوبة وحسن الإنابة ، وأن تغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين. وسلامٌ على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

شعاع ضوء

الحمد لله العزيز الرحيم ، شرع لنا الدين العظيم القويم ، أحمد الله العظيم الجليل ، الذي فضلنا باللسان العربي ، والأمة العربية ، والنبي الأمي الذي آتاه جوامع الكلم ، وفضله على جميع الأنبياء والرسل ، وفضل أمته على جميع الأمم ، وجعل معجزته قائمة ، وآيته دائمة ، بعد أن بعثه عند تناهي الفصاحة ، وتكامل البلاغة ، (ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون)! بعثه – عز وجل - بالسيف القاهر والحجة البالغة – صلى الله عليه وسلم -. فلما تمت الحجة ، وقام أمر الملة ، سرعان ما انحرفت البشرية ، وعادت بعد هُدى ، ضالة مضلة ، إلا من رحم ربي – تعالى – وضاعت معالم الحنيفية السمحة من عالم المشهود ، وبقيت في عالم القراطيس ، فتشوهت معالمها التي كانت يوماً بارزة في العالم المشهود ، ووهن أهلها لدرجة عدم مقدرة أحدهم – في غالب الأحيان على إظهار ما يدين به ربه – تعالى – ، وكذلك وهن الحرف اللسان ، بعد أن هجم اللجاج والفساد عليه ، كما يقول العلامة اللغوي أبو حفص عمر بن خلف بن مكي الصقلي النحوي في مقدمة كتابه: تثقيف اللسان وتلقيح الجنان: (فتاه اللسان عن معالم العربية الأصيلة الفصحى ، ثم خالطت الإساءة الإحسان ، ودُخلت لغة العرب ، فلم تزل كل يوم تنهدم أركانها ، وتموت فرسانها ، حتى استبيح حريمها وهجن صميمها ، وعفت آثارها وطفئت أنوارها ، وصار كثير من العامة يصيبون وهم لا يشعرون ، فربما سخر المخطئ من المصيب ، وعنده أنه قد ظفر بأوفر نصيب ، وتساوى الناس في الخطأ واللحن والزلل إلا قليلاً ، وإنما يتميز أولئك القليل – على ما بهم من تقصير – عند المباحثة والمكاتبة وقراءة الكتب ومواضع التحقيق. فأما حالهم عند المخاطبة والمحاورة فإنهم لا يستطيعون مخالفة ما تدواله الجمهور واستعمله الجم الغفير. ثم لم يزل الغلط في اللغة ينتشر في الناس ويستطير ، حتى وقع بهم في تصحيف المشهور من كثير من حديث النبي – صلى الله عليه وسلم – واللحن في أكثر الواضح المتداول منه ، وتُعُمد الوقف في مواضع لا يجوز الوقوف عليها من كتاب الله عز وجل ، وتعمد تغيير أشعار العرب وتصحيفها ، بل وتصنيف متون الفقه وغيرها ملحونة ، تقرأ كذلك فلا يؤبه بالمرة إلى لحنها ، ولا يفطن إلى غلطها البتة ، بل إذا سمعوا الصواب فإذا بهم ينكرونه وينافرونه ، لطول ما ألفوا فقده وركبوا ضده).هـ. وإذا علمنا أن الأمر هكذا من أيام المكي اللغوى النحوي ، وهو من نحاة كان الواحد فيهم يفني عمره في خدمة معتقده ولغته ، من نحاة القرن الرابع الهجري ، حيث تُوفي سنة 501هـ ، فما بالنا بزماننا هذا؟ وقد علا شأن الطباعة وارتفعت أسلوبية النشر ، إلا أن زماننا لا يخلو من الذي أشار إليه المكي أبو حفص – عليه رحمة الله -. من هنا رحتُ ألتمس العربية في أصولها وقواعدها! وأخذ عليّ الكثيرون أن قصائدي تميل إلى القوة اللغوية التي يلجأ معها القارئ إلى المعاجم والقواميس لكي يقف تفكيره على المعنى الذي أريد. والحقيقة أنني ما قصدت أبداً تعنيف من يقرأ أشعاري ، بل حاولت إثراء العربية الحبيبة ، وإحياء ما مات من ألفاظها وإيحاءاتها هذي الحبيبة إلى النفوس. وإنني إذ أكتب (شعاع الضوء هذا) ، فإنني لا أريد به تبرير قوة الشعر وجزالته وميله إلى الطلاقة اللغوية ، ولكن أريد أن أسلط هذا الشعاع الضوئي على الذي كتبته شعراً ، نصب عيني كل قارئ ليكون ذلك الشعاع بمثابة المدخل للقصائد ، وليعلم القارئ الحبيب أن ديوان (سويعات الغروب) ، إنما هو بعض عمري أضعه بين يدي كل قارئ ، يحب الحنيفية وأهلها ويحب العربية

التي هي لغة القرآن وأهلها ، وإن المرء ليبصر باللغة العربية وهي تُغتال كل يوم مسموعة ومقروءة ، بل ومرئية: تطعن في عقر دارها! فقد عاش كثير من الأقوام لا يدركون هذا البعد ، وأذكر بيتاً من الشعر يشخص بعض واقعهم يقول صاحبه راثياً حال الإسلام والعروبة:

(أما الخيام ، فإنها كخيامهم ** لكن نساء الحي غير نسائها)

ويطيب لي أن أعيد صياغته لينطبق على الزمان الذي نعيش تماماً بتمام ، لأن صاحب البيت وهو شاعر قديم يعني زمانه الذي يعيش فيه ، فأقدم له وللتاريخ عُذري وأعيد صياغة البيت فأقول:

(أما الخيام ، فلم تعد كخيامهم ** وكذا نساء الحي غير نسائها)

فلم يعد الأقوام الذين حلوا محل الأجداد والأسلاف اليوم ، يحملون هوية أجدادهم وأسلافهم ، ولم يعودوا يُشبهونهم لا في الخيام ولا في النساء. تغيّر كل شئ تغييراً جذرياً. وقد التمسنا العذر بعد العذر للأمة ريثما تعود إلى رشدها ، ولكنها لا تعود! فقد كان دأب الصالحين الندم على ما يقع منهم من الهنات في جنب الله وفي حق المسلمين! وذلك من باب: (التمس لأخيك بضعاً وسبعين عذراً ، فإن لم تجد فلا تلومن إلا نفسك) ، وانتظرنا أن تخشع القلوب إلى ذكر الله وما نزل من الحق! وذلك من باب: (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون). فهذا أبو دجانة رضي الله عنه: دخلوا عليه في مرضه ووجهه يتهلل! فقالوا له: ما لوجهك يتهلل؟ فقال: (ما من عملٍ شيءٍ أوثق عندي من اثنتين: كنت لا أتكلَّم فيما لا يعنيني ، وكان قلبي للمسلمين سليمًا). وهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه: دخل عليه عمران بن طلحة بن عبيد الله بعد وقعة الجمل ـ وقد استشهد أبوه طلحة رضي الله عنه ؛ فرحّب به ، ثم أدناه ، ثم قال: (إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك ممن قال فيهم: {ونزعنا ما في صدورهم من غلٍ إخوانًا على سررٍ متقابلين}. ولقد سار العلماء الربانيون على هذا الهدي ، وتلك الطريقة ، من الصفح والعفو وسلامة الصدر: قال ابن القيم رحمه الله -: (وما رأيت أحدًا قطُّ أجمع لهذه الخصال من شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدّس الله روحه ونور الله ضريحه ـ ، وكان بعض أصحابه الأكابر يقولون: (وددنا أننا لأصحابنا مثله لأعدائه وخصومه! وما رأيته يدعو على أحدٍ منهم قطُّ ، وكان يدعو لهم). قال: (وجئت يومًا مبشّرًا له بموتِ أكبر أعداءه ، وأشدّهم عداوةً وأذىً له ، فنهرني ، وتنكّر لي واسترجع. ثم قام من فوره إلى أهل بيته ـ أي ذلك الخصم الذي مات – فعزّاهم ، وقال: (أنا لكم مكانه ، ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه)! فسُرّوا به ودعوا له ، وعظّموا هذه الحال منه ، فرحمه الله ورضي عنه). وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلّم إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه ، حتى أبدى عن ركبتيه! فقال النبي صلى الله عليه وسلّم: (أمّا صاحبكم فقد غامر!). فسلَّم ، وقال: يا رسول الله! إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء! فأسرعتُ إليه ثم ندمتُ! فسألته أنْ يغفر لي ، فأبى عليَّ! فأقبلتُ إليك. فقال: (يغفر الله لك يا أبا بكر ؛ ثلاثاً). ثم إنَّ عمر ندم ، فأتى منزل أبي بكر ، فسأل: أثَمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا. فأتى إلى النبي صلى الله عليه وسلّم فجعل وجهُ النبي صلى الله عليه وسلّم يتمعّر! حتى أشفق أبو بكر ، فجثا على ركبتيه! فقال: (يا رسول الله! والله أنا كنت أظلم) ؛ مرتين. فقال النبي صلى الله عليه وسلّم: (إنَّ الله بعثني إليكم ،

فقلتم: كذبتَ! وقال أبو بكر: صدق ، وواساني بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركو لي صاحبي)؟ مرتين! فما أُوذي بعدها. خرَّجه البخاري. وعن عائذ بن عمرو المزني رضي الله عنه أنَّ أبا سفيان أتى على سلمان ، وصهيب ، وبلال ، في نفرٍ ، فقالوا: (ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها). فقال أبو بكر رضي الله عنه: (أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟!) فأتى النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال: (يا أبا بكر! لعلك أغضبتهم؟ لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك!). فأتاهم فقال: (يا إخوتاه! آغضبتكم؟). قالوا: (لا ، يغفر الله لك يا أُخَيّ). وقال ابن عباس بعد أن شتمه رجل: (إنك لتشتمني وفيَّ ثلاثُ خصال: إني لآتي على الآية في كتاب الله عز وجل فلوددتُ أنّ جميع الناس يعلمون منها ما أعلم. وإني لأسمع بالحاكم من حكَّام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح به ، ولعلّي لا أُقاضي إليه أبدًا. وإني لأسمع أنّ الغيثَ قد أصاب بلدًا من بلدان المسلمين فأفرح به ، وما لي من سائمة!). وتحت عنوان: (إصلاح ذات البيْن) ينصحنا الأستاذ خالد بابطين بقوله: (اقبل الميسور من أخلاق الناس ، إنّ العقل والحكمة والمعرفة بطبائع الأمور تقتضي تقبُّل الميسور من أخلاق الناس ، والرضا بالظاهر من أحوالهم ، وعدم التقصّي على سرائرهم أو تتبع دخائلهم ، كما تقتضي قبول أعذارهم والغض عن هفواتهم ، وحملهم على السلامة وحسن النية. إذا وقعت هفوة أو حصلت زلة فليس من الأدب وليس من الخلق الحسن المسارعة إلى هتكها والتعجل في كشفها فضلاً عن التحدث بها وإفشائها. بل لقد قيل: اجتهدوا في سترة العصاة فإنّ ظهور معاصيهم عيب في أهل الإسلام. كيف يسوغ لمسلم أن يتشاغل بالبحث عن العيوب ورجم الناس بها؟ بل لعله قد يُخْفي ما يعلم من صالح القول والعمل. هل وظيفة المسلم أن يلوك أخطاء الناس ويتتبّع عثراتهم ، ويعمى أن يرى حسناتهم ، وكأنه لا يعرف ولا يرى إلا كفة السيئات. أليس في عيوبه ما يشغله عن عيوب الناس؟! إنَّ المسلم الناصح شفوق بإخوانه ، رفيق بهم ، يحب لهم الخير كما يحبه لنفسه ، ويجتهد لهم في النصح كما يجتهد لنفسه. أما الفظ القاسي ، صاحب القلب الغليظ ، فقد قضت سنة الله نفرة الناس منه ، فلا تقبل منه دعوة ، ولا يسمع منه توجيه ، ولا يرتاح له جليس: (فبما رحمةٍ من اللهِ لنتَ لهم ولو كنتَ فظًّا غليظَ القلبِ لانفضُّوا مِن حولك فاعفُ عنهم واستغفر لهم). وعلى قدر ما يمسك الإنسان نفسه ويكظم غيظه ويملك لسانه ، تَعْظُم منزلته عند الله وعند الناس. وعلى قدر ما يتجاوز عن الهفوات ويقيل من العثرات ، تدوم مودّته ، ويأنس الناس به. إنّكم لن تَسَعوا الناس بأموالكم ولكن تسعوهم بأخلاقكم ، يسعهم منكم بسط المحيّا وطلاقة الوجه. فلا ترى لنفسك فضلاً على غيرك ، إنّ المخلص في المودّة ، الصادق في المحبة ، لا يرى لنفسه فضلاً على غيره ، ولا يكون عوناً للشيطان على صاحبه. رُوي أنّ أبا الدرداء رضي الله عنه مرَّ على رجل قد أصاب ذنباً والناس يسبّونه فقال: أرأيتم لو وجدتموه في قليب - أي في بئر - ألم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا: بلى. قال: فلا تسبوا أخاكم واحمدوا الله الذي عافاكم).هـ. قال أبو بكر: بلغنا أن الله تعالى يأمر منادياً يوم القيامة فينادي من كان له عند الله شيء فليقم أهل العفو ، فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس. قال معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه -: عليكم بالحِلم والاحتمال ، حتى تمكنكم الفرصة ، فإذا أمكنتكم فعليكم بالصفح والإفضال. وقال: لو كان بيني وبين الناس شعرة ما قطعت إن جذبوها تبعتهم وإن جذبتها تبعوني لكي لا تنقطع. وهذا ابن مسعود (رضي الله عنه): ذهب ليشتري الطعام ، فلما أراد أن يدفع الثمن ، وجد أن الدراهم التي كانت معه قد سرقت ، فدعا الناس على السارق الذي سرقها ، فقال ابن مسعود: اللهم إن كان حمله على أخذها حاجة ، فبارك

له فيها ، وإن كان حملته جراءة على الذنوب فاجعله آخر ذنوبه. قال ابن القيم (رحمه الله): "يا ابن آدم إن بينك وبين الله خطايا وذنوب لا يعلمها إلا هو ، وإنك تحب أن يغفرها لك الله ، فإذا أحببت أن يغفرها لك فاغفر أنت لعباده – سبحانه وتعالى - ، وإن أحببت أن يعفو عنك فاعف أنت عن عباده ، فإنما الجزاء من جنس العمل". وهذا عمر الفاروق: يعفو عن الناس جميعاً ويقول: كل الناس مني في حِل. وهذا عمر بن عبد العزيز يقول: إنك إن تلقى الله ومظلمتك كما هي ، خير لك من أن تلقاه وقد اقتصصتها. [إن مما يشرف الله به النيات ويرفع به الدرجات ، أن تحلم على من جهل عليك ، وتعفو عمن ظلمك ، وتعطي من حرمك ، وتصل من قطعـــــك]. قال أنس: في قوله تعالى" ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم" ، قال: هو الرجل يشتم الرجل فيقول له إن كنت كاذباً فغفر الله لك ، وإن كنت صادقاً غفر الله لي. وهذا حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) المتفق عليه ، قال: قال رسول الله - (صلى الله عليه وسلم): "ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب. قال ابن عثيمين (رحمه الله): "لأن الغضب جمرة يلقيها الشيطان في قلب ابن آدم فيفور دمه ، فإن كان قوياً ملك نفسه ، وإن كان ضعيفاً غلبه الغضب. وهذا الإنسان الذي لا يملك نفسه عند الغضب يكون قلبه به الكثير من الغل والحقد والحسد وروح العدوان وإيذاء الآخرين. وقال (صلى الله عليه وسلم): "من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فيخيره من الحور العين ما شاء". وقال أيضاً: "حرام على النار كل قريب لين سهل قريب من الناس". وهل هناك عفو مثل عفو النبي (صلى الله عليه وسلم) عن الأعرابي الذي جاء والنبي نائم تحت شجرة وسيفه معلق بها فأخذ السيف واستيقظ النبي والسيف في يده وهو يقول: من يمنعك مني يا محمد؟ فقال النبي: ربي ، فسقط السيف من يده فأخذه النبي وقال: ومن يمنعك مني؟ فقال: كن خير آخذ يا محمد! فعفا عنه وهو الذي أراد قتله! فرجع إلى قومه يقول لهم: جئتكم من عند خير الناس. فأي عفو أعظم من هذا؟ ولأهمية العفو نجد أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يدعو بهذا الدعاء وخاصة في ليلة القدر: "اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني". وأدعوك يا ربي أن تعفو عني وتغفر زلات شعري ومثالبه وعيوبه كلها! وأهيب بالقراء الأعزاء أن ينصحوا لي ويرشدوني ويبينوا كل عيب في شعري لنتحاشاه في طبعاتنا القادمة إن شاء الله تعالى! وليدركوا المعاني التي أريدها من وراء الشعر ، ولا يقفوا بالنص عند ظاهره فقط! وما ديوان: (سويعات الغروب) إلا صورة حية لكل هذا المعاني الواقعية التي نعيش ، فهو بمثابة شاهد على هذا العصر بما فيه ومن فيه. ويعفو ويصفح ويسامح إن وجدت دواعي العفو والصفح والتسامح! ويعرض الوقائع التي تعيشها الأمة بكل أسىً وحزن ، في شفافية لا تنقصها الصراحة! وإنا لنسأل الله تعالى أن ينقشع كل غروب أصاب شمس حنيفيتنا ولغتنا العربية وشعرنا العربي الأصيل ومسلمينا العرب وغير العرب ، والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل.

موضوع الغلاف

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستهديه ونستغفره ، ونؤمن به إيمان الواثق به وبقدره ، ونتوب إليه توبة نصوحاً ، ليس بعدها عودة إلى المعاصي أبداً ، ونتوكل عليه ، ونرجو رحمته عز وجل ، ونخشى عذابه ، إن عذابه الجد بالكفار ملحق. ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يُضلل فلا هادى له ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ، ومن يُهنْ الله فما له من مُكرِم ، (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً ، كأنما يصّعد في- السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون). الحمد لله بجميع محامده كلها ، ما علمنا منها وما لم نعلم ، نحمده على جميع نعمه وآلائه كلها ، ما علمنا منها وما لم نعلم ، يا ربنا لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك ربنا ، سبحانك لا نحصي ثناء عليك: أنت كما أثنيت على نفسك ، يا ربنا لك الحمد حتى ترضى ، ولك الحمد إذا رضيت ، ولك الحمد بعد الرضا ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت الحق ، ووعدك الحق ، وقولك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنبيون حق ، ومحمد صلى الله عليه وسلم حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمتُ وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت إلهي ، لا إله إلا أنت. اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت ، أنت ربي وأنا عبدك ، ظلمتُ نفسي واعترفت بذنبي ، فاغفر لي ذنوبي جميعاً ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، واهدني لأحسن الأخلاق ، لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عني سيئها ، لا يصرف عني سيئها إلا أنت ، لبيك وسعديك والخيرُ كله في يديك ، والشر ليس إليك ، أنا بك وإليك ، تباركت وتعاليت ، أستغفرك وأتوب إليك. اللهم ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون: اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم. أحمدك اللهم ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما ، وملء ما شئت من شئ بعد ، أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد ، وكلنا لك عبد ، اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد ، وأشهد أن لا إله الا الله ، وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده ، لا شئ قبله ولا شئ بعده. خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ، يخرج الحي من الميت ، ويُخرج الميت من الحي ، ويُحيي الأرض بعد موتها ، ويرزق من يشاء بغير حساب ، لا شئ مثله ، ولا شئ قط يعجزه ، ولا إله غيره ، أولٌ بلا ابتداء ، وآخر بلا انتهاء ، لا يَفنى ولا يبيد ، ولا يكون إلا ما يريد ، لا تبلغه الأوهام ، ولا تدركه الأفهام ، ولا يشبه الأنام ، حيٌ لا يموت ، قيومٌ لا ينام. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وصفيه من خلقه وحبيبه ، خير نبى أرسله. أرسله الله إلى العالمين كافة ، هادياً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، نشهدَ أنه بلغ رسالة ربه كاملة على خير وجه ، وأدى الأمانة بغير نقصان ، ونصح الأمة ، ومحا الظلمة على خير وجه يكون ، وأزال الله به الغمة ، وأخرج الناس بإذن ربه – تبارك وتعالى – من الظلمات إلى النور ،

ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، ومن جور الملل والنحل والأديان إلى عدل وسماحة الاسلام ، ومن عبودية العباد إلى عبادة رب العباد تبارك وتعالى. فجزاه الله عنا خير ما يُجزى به نبي عن أمته ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين – أما بعد فالحقيقة التي ينبغي أن نسجلها هنا حول موضوع الغلاف ، تلك التي تشغل كل مؤلف وكاتب وشاعر ، كانت محيّرة جداً بالنسبة لي! فموضوع غلاف ديواننا: (سويعات الغروب) يبدأ من إعجابي بالطبيعة المخلوقة التي تنطق بعظمة الخالق القدير المبدع الخلاق العليم عز وجل. وما أحلى الغروب ساعة رحيل الشمس! وإنني آثرت أن لا أضع غلافاً فيه صورة وتجسيم لما خلق الله تعالى من الطيور أو الحيوانات أو الآدميين ، (على عادة الشعراء الذين يعشقون التصاوير) ، فإن هذا محرمٌ في شريعتنا لعموم قوله – صلى الله عليه وسلم -: (لعن الله المصورين)! بل كان غلافنا من الطبيعة وإليها من أشجار وأنهار وسماء وفضاء وما شابه ذلك. ومن هنا رحت أتخير ما يناسب سويعات غروب الشمس من الصور الحلوة الجميلة المعبرة الموحية! وإن كان الغروب يعني في ظاهر أمره غروب الشمس ، ولكنني هنا عنيت غروب شمس العمر الذي يسابقني! نعم ، إنني منذ جئتُ إلى هذه الحياة وأنا في سباق مرير مع العمر! والطموحات والله أكبر بكثير من العمر! ويطاردني شعور دائم بأن العمر سينقضي ، وستعود روحي إلى خالقها ، وأنا لم أنجز الشئ الكثير من الطموحات والتطلعات والآمال! وذات يوم سوف يقرأ هذا النص عني ابن أو ابنة أو حفيد أو محب ، وساعتئذٍ سيدركون جميعاً ما أريد تسجيله اليوم من النصحية الغالية التي تحث على إدراك قيمة الوقت! وتحت عنوان: (قيمة الوقت وواجب المسلم نحوه) يقول الأستاذ عادل عبد الله هندي ما نصه بتصرف يسير: (إن الزمن الذي نعيش زمنٍ فرّط فيه العقلاء في أوقاتهم ، وضيّع كثيرٌ من شبابنا أعمارهم في لا شيء ، سوى الشهوات والملذّات ، مع أنّ الوقت كان ولا يزال عاملاً رئيسيًّا في تقدّم الأُمم ؛ لا سيّما في حياة الأمم التي اتخذت لها شعار: «الوقت هو الحياة». الوقت هو الحياة ، وأوْقاتنا هي رأس مالنا في هذه الدنيا ، ومن فرّط في وقته وعمُره فقد فرّط في خير كبير ، والحقيقة أنّ أيّام الله تعالى تتسارع ، والأزمنة تتلاحق ، فبينما كان الصالحون يتنادوْنَ: «هيّا بنا نؤمن ساعة» ، نجد في زماننا وفي أغلب أوقاتنا هذه ، نجد من شياطين الإنس من يقول لصاحبِه: «هيّا بنا نُضَيّع ساعة». ويتدارك الزمان عقب الزمان ، وتتسابق الأيام تلو الأيام ، وتلك سُنّة الله في كونه ، أنّ أيام العمر تمضي سريعًا ، وقد صرنا أقرب ما يكون إلى قيام السّاعة ، لا سيّما وقد أخبر المصطفي الحبيب ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأنّ من علامات الساعة تسارع الزمان! نسأل الله حُسْن الخاتمة. وقد تنوّع النّاس في التعامل مع الزمان ؛ فمن النّاس من يضيع عمره في البحث عن شهوة زائلة فانية ، ومن الناس من يضيع عمره ووقته في مجالس اللعب والهو والغيبة والنميمة ، ومن الناس من يعرف قيمة وقته فحدَّد هدفه ، وقام يبذل في وقته كل ما يستطيع من عمل يحقق له هدفه ، ولو كان هدفًا دنيويًّا كرجال الأعمال والتجارة! وأيضاً أعداء الإسلام من الذين يدركون قيمة الوقت منهم ، فقد قاموا يحاربون الإسلام ، ويتقدمون بعلومهم لإظهار عزتهم على عزة المسلمين ، وصنف آخر يعرف قيمة الوقت فقام يعمل عملاً صالحًا يلقى الله به يوم القيامة. ولقد اهتمّ الإسلام بالوقت وبيَّن أهميته ، وذلك من خلال آيات من القرآن وأحاديث من السنة ، كما جاءت كثير من العبادات لتنظيم وقت المسلم ، وذلك على النّحو التالي: * أولاً: الوقت

نعمة من نعم الله على عباده ، يقول الله تعالى: (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ) ، ويقول أكرم الأكرمين: (وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَار) ، ويروي لنا البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ» ، فالخاسر في وقته إنما هو مغبون كالذي يبيع سلعته بأقل مما تستحق ، أو يشتريها بأكثر مما تستحق. وليس يتحسر أهل الجنة على شيء ، إلا على ساعة مرّت بهم لم يذكروا الله عز وجل فيها. * ثانيًا: القسم بالوقت في القرآن الكريم ، والعظيم إذا أقسم بشيء ، دلّ على عظمته وضرورة العناية به ، قال تعالى: (والفجر) ، وقال أيضًا: (والعصر) ، وقال بعض العلماء: في إقسامه – سبحانه ـ بالعصر تنبيه لعباده المؤمنين على المحافظة على الوقت ، وأن نصيبك أيها الإنسان من هذه الحياة هو هذا الوقت وهذا الزمن ، فتشغله بهذه الأربع ، وإلا كنت من الخاسرين ، وأقسم سبحانه بالليل والنهار فقال: (والليل إذا يغشى ، والنهار إذا تجلّى) ، وقال عزّ وجلّ: (والضحى ، والليل إذا سجى). هذا هو الزمن ، وهذا هو الوقت! في كل جزء من أجزائه ، وفي كل ساعة من ساعاته ، وفي كل لحظة من لحظاته ، فيه وظيفة عبادة يتعبد الناس فيها إلى الله جل وعلا ، فمنها وظيفة يجتمع الناس فيها ، ومنها وظيفة تختلف بحسب قدرات الناس ومنازلهم ودرجاتهم وعلمهم ومكانتهم. * ثالثًا: الوقت له صفاته وسماته ، والتي منها: أنه ينقضي سريعًا ، ولا يعود إذا ذهب ، كما أنه لا يُباع ولا يُشترى ، وهو أنفس ما يملكه الإنسان ، وهو سكن الإنسان في نومه ويقظته. ولذا ينبغي الاهتمام بشأنه ، وعدم التراخي في استغلاله. * رابعًا: من أول ما يُسْأل عنه العبد يوم القيامة ، قال صلى الله عليه وسلّم: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ....» [رواه الترمذي في سننه ، بإسناد حسن صحيح]. * خامسًا: التأكيد على ضرورة اغتنام الوقت قبل فواته ، قال عليه الصلاة والسلام: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ» رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ، وقال عنه: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ». * سادسًا: الدعوة إلى المبادرة الدائمة في استغلال الأوقات والأعمار ؛ ولقد أمر نبينا صلى الله عليه وسلم بالمبادرة إلى الأعمال قبل حلول العواقب ، قال صلى الله عليه وسلم: «بادروا بالأعمال سبعاً ، هل تنتظرون إلا غنىً مُطغياً ، أو فقراً مُنسياً ، أو مرضاً مُفسداً ، أو هرماً مُفنداً ، أو موتاً مجهزاً ، أو الدجال فشر غائب ينتظر ، أو الساعة ، فالساعة أدهِيَ وأمر»..... وقد قيل لملك زال عنه ملكه يومًا: ما الذي سلبك ملكك؟ فردّ قائلاً: تأخيري عمل اليوم إلى الغد. وتلك حكمة كنا نراها قديمًا ونحن صغار على الكراسات: "لا تؤجِّل عمل اليوم إلى الغد". وقد أدركنا قيمتها في الكبر مع تقدم العمر! وعالِم مجتهد هو ابن عقيل الحنبلي رحمه الله كان يقول: أنا أحب سف الكعك على أكل الخبز ؛ لأن سف الكعك لا يأخذ وقتاً ، وأكل الخبز أنتظر حتى أقطع وأغمس وغير ذلك ، فتذهب الأعمار في الأكل. وابن عقيل يقول عنه الذهبي: إنه استطاع أن يؤلف أكبر مصنف في الدنيا ، وهو كتاب (الفُنُون) ، أي: فنون اللغة ، وفنون التفسير ، وفنون المناظرات ، وفنون الكلام ، وفنون الفلسفة وغير ذلك ، فكل العلوم التي تتخيلها في كتاب الفنون ، فهو (800) مجلد ،... وكان ابن عقيل رحمه الله يقول: إنه لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري. وانظُر إلى نظرته إلى الوقت ، فالقضية عنده ليست قضية فضل ، فهو يرى أن تضييع الوقت حرام ، يقول: إنه لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري ، حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة ومناظرة ، وبصري عن

مطالعة ، أعملت فكري في حال راحتي وأنا مستطرح على السرير ، وإني لأجد من حرصي على العلم وأنا في الثمانين أشد مما كنت أجد وأنا في العشرين. إنّنا بحاجة ماسة إلى أن يتعلّم شبابنا وفتياتنا كيف يديرون أوقاتهم ، وكيف يستغلون كل لحظة في خدمة أهداف دينهم وأهداف دنياهم ، بما يخدم الأمة المسلمة ، ينبغي أن نربيهم على الهمّة العالية ، والصحبة النقية ، ومرافقة الصالحين إن لم يكن باللقيا ، فبالقراءة في سيرهم ، والتعلّم منهم.).هـ. وعن قيمة الوقت بين الواقع المعاش والمأمول المنتظر يقول الدكتور خالد بدير ما نصه: (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنه: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ ، الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ). [البخاري] ومعنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ) أيْ أن الذي يُوَفَّقُ لذلك قليلٌ! فقد يكون الإنسانُ صحيحاً ، ولا يكون متفرِّغاً لشغله بالمعاش ، وقد يكون مستغنيًا ، ولا يكون صحيحاً! فإذا اجتمعا – الصحةُ والفراغُ – فغَلَبَ على الإنسان الكسلُ عن الطاعة فهو المغبونُ ، والغبنُ أنْ تشتريَ بأضعافِ الثمنِ ، وأنْ تبيعَ بأقَلّ مِن ثمنِ المِثْلِ. فالحديث يشير إلى أهمية الوقت في حياة المسلم ؛ لذلك فلا بد من الحفاظ عليه وعدم تضييعه في أعمال قد تجلب لنا الشر وتبعدنا عن طريق الخير ، فالوقت يمضي ولا يعود مرة أخرى. إن الإنسان إذا عرف قيمة شيءٍ ما وأهميته حرص عليه وعزَّ عليه ضياعه وفواته ، وهذا شيء بديهي للغاية ، فالمسلم إذا أدرك قيمة وقته وأهميته ، كان أكثر حرصاً على حفظه واغتنامه فيما يقربه من ربه ، وها هو الإمام ابن القيم رحمه الله يبين هذه الحقيقة بقوله: (وقت الإنسان هو عمره في الحقيقة ، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم ، ومادة معيشته الضنك في العذاب الأليم ، وهو يمر مرَّ السحاب ، فمن كان وقته لله وبالله فهو حياته وعمره ، وغير ذلك ليس محسوباً من حياته.... فإذا قطع وقته في الغفلة والسهو والأماني الباطلة وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة ، فموت هذا خير من حياته). ويقول ابن الجوزي: (ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه وقدر وقته ، فلا يضيع منه لحظة في غير قربة ، ويقدم فيه الأفضل فالأفضل من القول والعمل ، ولتكن نيته في الخير قائمة من غير فتور بما لا يعجز عنه البدن من العمل.).هـ. قال الحسن البصري: (يا ابن آدم ، إنما أنت أيام ، إذا ذهب يوم ذهب بعضك). وقال: (يا ابن آدم ، نهارك ضيفك فأحسِن إليه ، فإنك إن أحسنت إليه ارتحل بحمدك ، وإن أسأت إليه ارتحل بذمِّك ، وكذلك ليلتك). وقال: (الدنيا ثلاثة أيام: أما الأمس فقد ذهب بما فيه ، وأما غداً فلعلّك لا تدركه ، وأما اليوم فلك فاعمل فيه). لذلك كانوا لا يندمون إلا على فوات الوقت الذي لم يرفعهم درجة ، قال ابن مسعود: (ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه ، نقص فيه أجلي ، ولم يزدد فيه عملي). وقال ابن القيم: (إضاعة الوقت أشد من الموت ؛ لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة ، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها). وقال السري بن المفلس: (إن اغتممت بما ينقص من مالك ، فابكِ على ما ينقص من عمرك). وإيماناً مني بما نصحنا به علماؤنا الأجلاء وسلفنا الأعزاء ، رحتُ أضرب على ذات الوتر ، فمضيت أغتنم العمر والوقت ، وأحقق فيه ولو بعض ما أصبو إليه وأتطلع! ومن هنا رحت أحرص كل الحرص على كل ثانية من حياتي! فكان العنوان: (سويعات الغروب) هو الرمز الذي يضمن ما أريد سرده هنا!

مقدمة

الحمد لله خلق الإنسان ، علمه البيان ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، واحد في ألوهيته وواحد في ربوبيته ، وواحد في أسمائه وصفاته ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أدى الأمانة وقام بالرسالة ، ونصح لهذه الأمة ، وكشف الله تعالى به الغمة ، ومحا الله به الظلمة ، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين وبعد. فإن ديوان (سويعات الغروب) يعتبر انطلاقة شعرية نحو الشعر الهادف ، المستغرق في التعبير عن تجربتي الذاتية ، متناولاً عبرها التجربة العامة التي تعيشها أمتي من هذه الطائفة المنصورة ، والتي نسأل الله القدير أن يكتبنا عنده من أهلها ، ويتوفانا على ذلك ، عن جابر بن عبد الله ، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة» ، قال: "فينزل عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم ، فيقول أميرهم: تعال صل لنا ، فيقول: لا ، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة". وعن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، ولا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم ، إلى يوم القيامة». وعن عمران بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم ، حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال». وعن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين ، لا يضرهم من يخذلهم حتى يأتي أمر الله». وعن المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين ، حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون». وعن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة). وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين على من يغزوهم ، قاهرين ، لا يضرهم من ناوأهم ، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك ، قيل: يا رسول الله! وأين هم؟ قال: ببيت المقدس). وعن زيد بن أرقم عن النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين). وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي قوامة على أمر الله لا يضرها من خالفها). وعنه أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حولها ، وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله ، لا يضرهم خذلان من خذلهم ، ظاهرين إلى يوم القيامة). وعن قرة بن إياس عن النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم خذلان من خذلهم حتى تقوم الساعة). وعن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم ، لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك) ، وفي رواية أخرى (لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على الحق ، لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك). وكل هذه الروايات صحيحة ثابتة. تلك الطائفة التي قال الأستاذ محمد المنجد: وتحت عنوان: (صفات الطائفة المنصورة أهل السنّة والجماعة) ما نصه: (لقد ورد في شأنها عدة أحاديث صحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم منها: عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك) ، وعن

عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة) ، وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لا يزال من أمتي قوم ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمر الله) ، وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ، ظاهرين على من ناوأهم ، حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال). ويؤخذ من هذه الأحاديث عدة أمور: الأول: قول النبي صلى الله عليه وسلم (لا تزال طائفة من أمتي). فيه دليل على أنّها فئـة من الأمّة ، وليست كل الأمّة ، وفيه إيماءة إلى أن هناك فئاتٍ أخرى ، وطوائف أخرى. الثاني: قول النبي صلى الله عليه وسلم (لا يضرهم من خالفهم) . يدلّ على أن هناك فرقاً أخرى تخالف الطائفة المنصورة فيما هم عليه من أمر الدين ، وهذا كذلك يوافق مدلول حديث الافتراق حيث إن الفرق الثنتين والسبعين تخالف الفرقة الناجية فيما هم عليه من الحق. الثالث: كلا الحديثين يحمل البشرى لأهل الحق ، فحديث الطائفة المنصورة يبشّرهم بالظفر والنصر والظهور في الدنيا. الرابع: والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم (حتى يأتي أمر الله) أي الريح التي تأتي فتأخذ روح كل مؤمن ومؤمنة. ولا ينافي هذا حديث: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة. لأن معنى هذا أنهم لا يزالون على الحق حتى تقبضهم هذه الريح اللينة قرب القيامة وعند تظاهر أشراطها. ويؤخذ من مجموع الأحاديث المتقدمة والروايات الأخرى الصفات التالية للطائفة المنصورة: 1- أنها على الحق: فجاء الحديث بأنهم (على الحق). وأنهم (على أمر الله). وأنهم (على هذا الأمر). وأنهم (على الدين). وهذه الألفاظ تجتمع في الدلالة على استقامتهم على الدين الصحيح الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم. ومادامو كذلك فقد باتوا لا يعبأون بما عند سواهم فلم يجاروهم قط! 2 - أنها قائمة بأمر الله: وقيامهم بأمر الله يعني: أ ـ أنهم تميزوا عن سائر الناس بحمل راية الدعوة إلى الله. ب ـ وأنهم قائمون بمهمة فذة جليلة هي: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر). 3 - أنها ظاهرة إلى قيام الساعة: وقد وصفت الأحاديث هذه الطائفة بكونهم: (لا يزالون ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون) ، وبكونهم (ظاهرين على الحق) أو (على الحق ظاهرين). أو (ظاهرين إلى يوم القيامة). أو (ظاهرين على من ناوأهم). وهذا الظهور يشمل: - الوضوح والبيان وعدم الاستتار فهم معروفون بارزون مستعلون. - ثباتهم على ما هم عليه من الحق والدين والاستقامة والقيام بأمر الله وجهاد أعدائه. - الظهور أي الغلبة التي لا تجعل لأحد سلطاناً عليهم! 4 - أنها صابرة مصابرة: عن أبي ثعلبة الخشني - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن من ورائكم أيام الصبر ، الصبر فيه مثل قبض على الجمر). فمن هم أهل الطائفة المنصورة؟ قال البخاري: (هم أهل العلم). وذكر كثير من العلماء أن المقصود بالطائفة المنصورة هم: (أهل الحديث) ، وقال النووي: (ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين: منهم شجعان مقاتلون ، ومنهم فقهاء ، ومنهم محدّثون ، ومنهم زهّاد ، وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر ومنهم أنواع أخرى من الخير.) ، وقال أيضاً: (يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين ، ما بين شجاع وبصير بالحرب وفقيه ومحدّث ومفسّر وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وزاهد وعابد). وقال ابن حجر رحمه الله - مفصّلاً القول في المسألة: (ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد وافتراقهم في أقطار الأرض ، ويجوز أن يجتمعوا في البلد الواحد وأن يكونوا في بعض منه دون

بعض ، ويجوز إخلاء الأرض كلها من بعضهم أولاً فأولاً ، إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد فإذا انقرضوا جاء أمر الله).هـ. وكلام العلماء يدور على أن هذه الطائفة ليست محصورة في فئة معينة من الناس كما أنـها ليست محددة ببلد معين ، وإن كان آخرها يكون بالشام ، وتقاتل الدجال كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم. ولا شك أن المشتغلين بعلم الشريعة ـ عـقيدة وفقهاً وحديثاً وتفسيراً وتعلماً وتعليماً ودعوة وتطبيقاً ـ هم أولى القوم بصفة الطائـفة المنصورة ، وهم الأولى بالدعوة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والرد على أهل البدع! إذ أن ذلك كله لا بد أن يُقترن بالعلم الصحيح المأخوذ من الوحي. وأما الزيادة المذكورة في الحديث وهي: (فقيل: من هم يا رسول الله؟ قال : هم في بيت المقدس) ، فهذه الزيادة رواها الإمام أحمد في المسند عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ) ، وضعّفه الألباني في السلسلة الضعيفة. وعلى فرض صحة هذه الرواية فالمراد بذلك: أنها تكون بالشام في بعض الأزمنة ، كما سيكون ذلك في آخر الزمان. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "والْمُرَاد بِالَّذِينَ يَكُونُونَ بِبَيْتِ الْمَقْدِس: الَّذِينَ يَحْصُرهُمْ الدَّجَّال إِذَا خَرَجَ ، فَيَنْزِل عِيسَى إِلَيْهِمْ فَيَقْتُل الدَّجَّال" انتهِيَ من "فتح الباري". وقال الشيخ حمود التويجري رحمه الله: وقد اختلف في مكانها [يعني: الطائفة المنصورة]: فقال ابن بطال: إنها تكون في بيت المقدس ، كما رواه الطبراني من حديث أبي أمامة رضي الله عنه: (قيل: يا رسول الله ! أين هم؟ قال: ببيت المقدس) ، وقال معاذ رضي الله عنه: (هم بالشام) ، وفي كلام الطبري ما يدل على أنه لا يجب أن تكون في الشام أو في بيت المقدس دائماً ، بل قد تكون في موضع آخر في بعض الأزمنة. قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى: "ويشهد له الواقع ، وحال أهل الشام وأهل بيت المقدس من أزمنة طويلة ، لا يعرف فيهم من قام بهذا الأمر بعد شيخ الإسلام ابن تيمية وأصحابه في القرن السابع وأول الثامن ؛ فإنهم في زمانهم على الحق ؛ يدعون إليه ، ويناظرعليه ، ويجاهدون فيه ، وقد يجيء من أمثالهم بعد بالشام من يقوم مقامهم بالدعوة إلى الحق ، والتمسك بالسنة ، والله على كل شيء قدير. ومما يؤيد هذا: أن أهل الحق والسنة في زمن الأئمة الأربعة وتوافر العلماء في ذلك الزمان وقبله وبعده لم يكونوا أبداً في محل واحد ، بل هم في غالب الأمصار ؛ في الشام منهم أئمة وفي الحجاز ، وفي مصر ، وفي العراق ، وفي اليمن ، وكلهم على الحق ؛ يناضلون ويجاهدون أهل البدع ، ولهم المصنفات التي صارت أعلاماً لأهل السنة وحجة على كل مبتدع. فعلى هذا ؛ فهذه الطائفة قد تجتمع وقد تفترق ، وقد تكون في الشام وقد تكون في غيره ؛ فإن حديث أبي أمامة وقول معاذ لا يفيد حصرها بالشام ، وإنما يفيد أنها تكون في الشام في بعض الأزمان لا في كلها". قلت: الظاهر من حديث أبي أمامة وقول معاذ أن ذلك إشارة إلى محل هذه الطائفة في آخر الزمان عند خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام. ويدل على ذلك ما تقدم ذكره من حديث أبي أمامة الذي رواه ابن ماجه ، وفيه: "فقالت أم شريك: يا رسول الله! فأين العرب يومئذ؟ قال: هم قليل ، وجُلهم يومئذ ببيت المقدس ، وإمامهم رجل صالح"....الحديث. ففي هذه الأحاديث دليل على أن جُل الطائفة المنصورة يكون بالشام في آخر الزمان ، حيث تكون الخلافة هناك ، ولا يزالون هناك ظاهرين على الحق ، حتى يرسل الله الريح الطيبة ، فتقبض كل من في قلبه إيمان ؛

كما تقدم في الأحاديث الصحيحة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك). وقال معاذ: (وهم بالشام). فأما في زماننا وما قبله ؛ فهذه الطائفة متفرقة في أقطار الأرض كما يشهد له الواقع من حال هذه الأمة منذ فتحت الأمصار في عهد الخلفاء الراشدين إلى اليوم ، وتكثر في بعض الأماكن أحياناً ، ويعظم شأنها ، ويظهر أمرها ؛ ببركة الدعوة إلى الله تعالى وتجديد الدين). "انتهِيَ من"إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة" (332/1) للشيخ حمود التويجري رحمه الله. وعن صفات الطائفة المنصورة ، قال الأستاذ حامد شاكر العاني ما نصه بتصرف زهيد: (ولا بد لهذه الأصناف من أهل الطائفة المنصورة من التفقه في الدين كي يكون عملها موافقاً لما جاء به الكتاب والسنة ، أما حصرها بمسميات معينة محددة ، فهذا لا ينبغي! إذ لا يستقيم أمر الأمة ، ولا يحصل لها الثبات ، ولا النصر ولا الاستخلاف ولا التمكين ، إلاَّ مع الفقه في عموم الدين ، كلٌ بحسبه ، ومن كمال الفقه في الدين رسوخ الإيمان مع العلم والعمل ، فالعلم والعمل بلا إيمان وصدق ، فهو محض نفاق ، وضعف الإيمان لا يكون معه ثبات البتة عند خذلان الناس ، وعلم بلا عمل وجوده وعدمه سواء ، بل لا يكون نصر ولا غيره بلا عمل ، وهذا كله شامل لكل أنواع الخير التي ذكرها الإمام النووي ، إذ الفقه في الدين ليس خاصاً بعلم الفقه الذي هو العلم بالفروع ، فالأمة بحاجة إلى طبيب مسلم ، ومهندس مسلم ، وعالم ذرة مسلم ، وزراعي مسلم ، وصناعي مسلم ، وسياسي مسلم ، واقتصادي مسلم. وهكذا ، حتى تكتمل الدائرة ، ويكون للمسلمين دور في صناعة الحياة أو تحكيمه ليتحقق الخير والعدل ، ومن أحسن من دين الله ديناً. فيكون ترتيب الحوادث كالآتي: قتال الدجال هو آخر قتال فاصل بين الإسلام والكفر ، ثم ينتهي بموت يأجوج ومأجوج طغيان الباطل وظهوره ، ثم ظهور عالمي للإسلام ، ثم يأتي أمر الله وهو الريح الطيبة ، ثم تقوم الساعة على شرار الخلق ، والله أعلم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ؟) ، وفي رواية (وَأَمَّكُمْ) ، ورواية ثالثة (فَأَمَّكُمْ مِنْكُمْ) ، فقلت لابن أبي ذئب: إن الأوزاعي رحمه الله حدثنا عن الزهري ، عن نافع ، عن أبي هريرة (وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ) ، قال ابن أبي ذئب: (تدري ما أمَّكم منكم؟) ، قلت: تخبرني ، قال: (فأمَّكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم). وهذا الحديث واضح المعنى والدلالة على أن عيسى عليه السلام سيكون حاكماً بين يدي الساعة بكتاب الله عز وجل وسنة محمد صلى الله عليه وسلم ، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم صلى الله عليه وسلم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد). قال النووي معلقاً عليه: (حكماً) أي ينزل حاكماً بهذه الشريعة ، لا ينزل نبياً برسالة مستقلة وشريعة ناسخة بل هو حاكم من حكام هذه الأمة ، والمقسط العادل).هـ. وأنا أقدم ديواني هذا ، فإنني أقدمه لكل واحد من أفراد الطائفة المنصورة تلك! وأجعله بمثابة النصيحة لهم ، راجياً منها الدعاء ، كما أقدمه لكل موحد قانتٍ أحب الله ورسوله والإسلام وعاش للقيم والدين بشيراً ونذيراً. إن للشعر الإسلامي دوره ولا شك في تقويم وتقييم سلوكيات وأقوال وأفعال الطائفة المؤمنة المنصورة ، كما كان له دوره في صدر الإسلام! أسأل الله ـ تعالى ـ أن يجعلني والقارئين منهم!

الافتتاحية

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) ، (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيراُ ونساءً ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيباً) ، (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ، يصلح لكم أعمالكم ، ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً). أما بعد فإننا نسأل الله العلي القدير أن يجعل كل قصائد ديوان (سويعات الغروب) وغيرها من القصائد التي كتبناها في الدواوين الأخرى في صحيفة أعمالنا يوم نلقاه سبحانه وتعالى ، هو ولي ذلك والقادر عليه. والحقيقة أنني كنت قد آثرت إخراج هذا الديوان على أولويات كثيرة. فلقد كانت ظروف إخراجه للنور صعبة للغاية. واستعذبت الإيثار ومصلحة القراء في مطالعة نصوص شعرية جيدة على نفسي وأهلي وولدي! تقول الأستاذة سحر يسري تحت عنوان: (الإيثار خلق النفوس الكبيرة) ما نصه: (إذا كنت ممن يسهل عليهم العطاء ولا يؤلمهم البذل فأنت سَخِي ، وإن كنت ممن يعطون الأكثر ويُبقون لأنفسهم الأقل ؛ فأنت جواد. أما إن كنت ممن يعطون الآخرين مع حاجتك إلى ما أعطيت ، لكنك قدمت غيرك على نفسك ؛ فقد وصلت إلى مرتبة الإيثار ، خلق النفوس الكبيرة! وإذن فالإيثار هو أن يقدم الإنسان حاجة غيره من الناس على حاجته ، برغم احتياجه لما يبذله ، فقد يجوع ليُشبع غيره ، ويعطش ليَروي سواه. تقول أُمِّنا عائشة رضي الله عنها: "ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا ، ولو شئنا لشبعنا ، ولكننا كنا نؤثر على أنفسنا". وعندما هاجر المسلمون من مكة إلى المدينة ، كانوا لا يحملون من متاع الحياة سوى ثيابهم البالية ، وأجسادهم المنهكة ، وثقتهم بموعود الله ، فوقف الرسول صلى الله عليه وسلم محدثًا الأنصار قائلًا لهم: "إخوانكم تركوا الأموال والأولاد ، وجاؤوكم لا يعرفون الزراعة ؛ فهلا قاسمتموهم ؟ قالوا: نعم ، يا رسول الله! نقسم الأموال بيننا وبينهم بالسوية ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: أوَ غير ذلك؟ قالوا: وما غير ذلك يا رسول الله؟ قال: تقاسمونهم الثمر ، قالوا: نعم يا رسول الله ، بم؟ قال: "بأن لكم الجنة". [صححه الألباني]. وفيهم نزل قول الله تعالى: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}. ولو لم يكن من فضائل الإيثار إلا أنه دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام ورفعة الأخلاق لكفي ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير). [صحيح الجامع للألباني]. ومن جميل ما يروى في الإيثار عن سلفنا الصالح ، عن أبي الحسن الأنطاكي أنه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلًا لهم أرغفة معدودة لا تكفيهم شبعًا ، فكسروها وأطفأوا السراج ، وجلسوا للأكل ، فلما رفعت السفرة ؛ فإذا الأرغفة محلها لم ينقص منها شيء ، لأن أحدًا منهم لم يأكل ، إيثارًا للآخرين على نفسه حتى يأكلوا جميعًا! وأما "الأثرة" فلست منها في شيء! والأثرة هي الصفة المقابلة للإيثار ، وهي من الصفات السلبية والأخلاق السيئة ، يقول الشيخ الغزالي رحمه الله: (إن الأثرة الغالبة آفة الإنسان ، وغول فضائله إذا سيطرت نزعتها على امريء محقت خيره ، ونمّت شره ، وحصرته في نطاق ضيق خسيس ، لا يعرف فيه إلا شخصه ، ولا يهتاج بالفرح أو

الحزن إلا بما يمسه هو من خير أو شر. أما الدنيا العريضة والألوف المؤلفة من البشر ؛ فهو لا يعرفهم إلا في حدود ما يصل إليه عن طريقهم ليحقق آماله أو يثير مخاوفه. ولقد حارب الإسلام هذه الأنانية الظالمة بالأخوة العادلة ، وأفهم الإنسان أن الحياة ليست له وحده ، وأنها لا تصلح به وحده ، فليعلم أن هناك أناسًا مثله ، إن ذكر حقه عليهم ، ومصلحته عندهم ، فليذكر حقوقهم عليه ، ومصالحهم عنده. وعندئذ ينخلع المرء من أثرته ويحمله على الشعور بغيره. كتاب [الشخصية الساحرة ، كريم الشاذلي]. ولن تستطيع الإيثار إلا النفس المؤمنة! أن تحب للناس ما تحبه لنفسك ، حقًا إنه لشيء رائع وخلق جميل ، وهو مطلب أكدت عليه الدراسات الحديثة في علوم التنمية البشرية وفنون التعامل مع الناس ، غير أن التعامل معهم من منطلق الإيثار وتقديم مصالحهم على مصالحك إن تعارض الإثنان. فهذا الخلق لم تعرفه أمة من الأمم ، ولم توص به دراسة من الدراسات ، إنه خلقٌ احتكره الإسلام. يصعب أن يقتنع به أو يمارسه أي شخص لا يؤمن بالله واليوم الآخر! وبقدر درجة الإيمان تكون قوة الإيثار ، حتى ليؤثر المؤمن بنفسه من أجل دينه ، ويقدم حياة نبيه صلى الله عليه وسلم على حياته ، ففي غزوة أحد حمى أبو دجانة جسد النبي صلى الله عليه وسلم بجسده ، وارتضى أن تصيبه السهام بدلًا من أن تصيب النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى إن أبا بكر رضي الله عنه يقول واصفًا هذا المشهد: (نظرت إلى ظهر أبي دجانة ؛ فإذا ظهره كالقنفذ من السهام!) وفي نفس الغزوة تقف امرأة عظيمة من الأنصار تفدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسها وتقاتل قتال الأسود ، إنها أم عمارة نسيبة بنت كعب الأنصارية ، يقول عنها المصطفي صلى الله عليه وسلم: (ما التفتُّ يمينًا ولا شمالًا إلا وأنا أراها تقاتل دوني)! [طبقات ابن سعد (303/8)]. والإيثار تدريب على أفعال النفوس العظيمة! لأن الرغبة في التحلي بمكارم الأخلاق ، والتنزه عن رديئها ، لا تأتي بالتمني ولكن لا بد من حمل النفس على أفعال الكرام وأمجادهم ، وهو دليل الإيمان أيضًا ، إذ بحسب صدق اليقين فيما عند الله تعالى يكون إيثار المرء. وهو تخليص للنفس من الشُّحِّ ، فمن أبغض الشُّحَّ علم أن لا خلاص له منه إلا بالجود والإيثار. وتوطين النفس على تحمل الشدائد والصعاب ، فإن ذلك مما يعين على الإيثار. وتعظيم الحقوق ، فمتى عظمت الحقوق عند امرئٍ قام بحقها وأيقن أنه إن لم يبلغ رتبة الإيثار لم يؤد الحقوق كما ينبغي فيحتاط لذلك بالإيثار. والإيثار درجات أولها وأعلاها: إيثارُ رضا الله على رضا غيره وإن عظمت فيه المحن وثقلت فيه المؤن. وإيثار رضا الله عز وجل على غيره ، هو أن يريد ويفعل ما فيه مرضاته ، ولو أغضب الخلْق ، قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ}. ثم تُؤْثِر الخلقَ على نفسك فيما لا يفسد عليك دِينًا ، ولا يقطع عليك طريقًا ، يعني أن تُقدمهم على نفسك في مصالحهم. قال تعالى: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}. أما كلُّ سببٍ يعود عليك بصلاح قلبك ووقتك وحالك مع الله فلا تؤثِر به أحدًا ، فإن آثرت به فإنما تُؤْثِر الشيطان على الله وأنت لا تعلم ، فلا تؤثر أصدقاءك مثلًا بوقتك وقد حضر وقت الصلاة المفروضة ، أو وقت تلاوتك لوِرْد القرآن ، أو إنهاء أعمال المنزل معاونةً لأمك أو زوجك وبرًّا بها ، أو وقت المذاكرة والدراسة. وهكذا ، فهذه أولويات مرتبة يسألك الله عنها يوم القيامة ، وتأثم إن أخللت بها).هـ. وأشكر للكاتبة سحر يسري هذا الجهد ، وأعتذر أنني قمت بتحويل صيغة الخطاب من المؤنث للمذكر ، لإتمام الفائدة ولتعميم النفع! إذ المقال كان للنساء! وأسأل الله أن يأجرنا وإياها على ما نقدم نثراً وشعراً لخدمة الأدب العربي ومحبيه!

إهداء

الحمد لله وكفي ، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفي وبعده. فإن هذا الديوان (سويعات الغروب) إن هو إلا بعض عمري ، أضعه بين أيدي القراء على اختلاف الأذواق والفهوم والنظرات والتصورات ، أضعه بين أيديهم شاهداً على العصر والجيل ، وإنني لأعتذر أنني تناولت فيه معظم القضايا التي تأثرت بها ، وقد كان تأثري بهذه القضايا طريقاً إلى التعبير عن فحواها ، وتقديمها للناس في كل مكان وزمان ، لعلهم يجدون فيها الذي يُعينهم على فهم الحياة وطبيعة بني آدم ، خيّرهم وغير الخيّر منهم. والغروب الذي أعني هو غروب شمس الحق والعدل ، ولعل القارئ الحبيب يدرك ما أعني من خلال مطالعته لقصيدتي التي تحمل ذات العنوان (سويعات الغروب) ، وآمل أن ينال إعجاب القراء. وأن يحقق الله غايتي من إنشاده وكتابته ، ألا وهي بيان الحق والحقيقة ، والله المستعان. ومجموعة قصائد الديوان كانت قد نشر معظمها في بعض الجرائد والكتب والدوريات والمجلات ، وجريدة الوحدة العربية كان لها النصيب الأكبر. وذلك في فترة التسعينات من القرن العشرين! وأهدي الديوان بصفة خاصة لأهلي وعشيرتي الأقربين ، ثم أهديه للمعتصمين بالله من أهل الإيمان والتوحيد. ويجدر بي هنا أن أورد تحليلاً لصفات هؤلاء قال به الأستاذ ربيع بن هادي في محاضرته الفريدة: (الثبات على السنة) ، فقد قال ما نصه: (إنَّ الله يأمر بالاعتصام بحبله المتين:(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا * وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً * وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ). وإذن فالاعتصام معناه الثبات ، اثبُتوا واستمسكوا ، ويُساعدكم الله على هذا الثبات على الإسلام الذي أوصانا الله أن نحتفظ به ونُحافظ عليه إلى الممات. يقول الله تعالى: (اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ). ويقول: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ). هذا ثناء من الله تبارك وتعالى على الذين استقاموا على دينه. والاستقامة هي الثبات على ما جاء به محمد صلَّى الله عليه وسلَّم ، بل على ما جاء جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من عقيدة ومنهج ، فلهم منزلة عند الله تبارك وتعالى بثباتهم على هذا الدِّين الحقِّ. قالوا: (ربنا الله): آمنوا بالله سبحانه وتعالى حقَّ الإيمان بأسمائه وصفاته وربوبيته وأنَّه هو المعبود الحقُّ فلا يعبدون سواه. - يُثبتون لله الربوبية: وأنَّه هو خالق هذا الكون ومدبِّره ومنظِّمه وهو الخالق الرأزق المُحيِي المميت إلى آخر صفات الربوبية. - وأسمائه الحسنى: اللائقة بجلاله وعظمته وربوبيته سبحانه وتعالى ، تلك التي وردت في القرآن وفي السنَّة ، نُؤمن بها كما جاءت. وهي داخلة في هذه الاستقامة. - والإيمان بأنَّه لا إله إلا هو: لا معبود بحقٍّ إلاَّ هو سبحانه وتعالى ، فلا نعبد إلاَّ إيَّاه نُخلص له الدِّين سبحانه وتعالى ، نحبُّه غاية الحبِّ ، ونخافه ونخشاه غاية الخوف والخشية ، ونرجوه ونطمع فيما عنده في الدنيا والآخرة سبحانه وتعالى ، ونصلي له ونسجد ونَخْفِد ونزكي ونصوم ونذكر ونقرأ القرآن. كلُّ ذلك تقرُّباً إليه سبحانه وتعالى. وهذه كلُّها من أسباب الاستقامة. ومن دلائل الاستقامة إذا نحن حافظنا على هذه الشعائر وهذه الشرائع. وهذه من

الدلائل أنَّ الله قد وفّقك للاعتقاد الصحيح وللعمل الصواب ، وأنَّك من المستقيمين الذين يستحقُّون من الله سبحانه وتعالى هذا الثناء ، ويستحقون من الله هذا الوعد وهذه العناية الربَّانية: (تتنزَّل عليهم الملائكة ألاَّ تخافوا ولا تحزنوا)! ومتى يكون هذا التنـزُّل؟ عندما يحتضر العبد ، عندما يُوشك على مفارقة هذه الدنيا وتوديعها ، والرحلة إلى الدار الآخرة يُنزِّلُ الله الملائكة يُبشِّرونهم ويُثبِّتونهم ويُسدِّدونهم ، ويُذهبون عنهم المخاوف (ألاَّ تخافوا ولا تحزنوا). لا تخافوا من المستقبل: مما أمامكم ؛ فما أمامكم إلاَّ الجنَّة ورضوان الله عزَّ وجلَّ. - ولا تحزنوا على ما خلَّفتم من المال والولد وغير ذلك. هذه بشائر تأتي الثابتين على دين الله الحقِّ في هذا الظرف العصيب ، فهذه مرحلة خطيرة جداً ، فبعضهم قد تسوء خاتمته – والعياذ بالله - نسأل الله أن يُثبِّتنا وإيَّاكم على الحق. كما جاء في الحديث (إنَّ الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة. وإنَّ الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار) متفق عليه. هذا الحديث الذي نخاف منه الخوف الشديد من نهاية المطاف وخاتمة الحياة. فلا بُدَّ للعبد أن يضرع إلى الله سبحانه وتعالى دائماً أن يُثبِّته على دينه ، وأن يتوفَّانا وهو راضٍ عنَّا. وفي الحديث الآخر: (من أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله لقاءَه ، ومن كَرِه لقاء الله كَرِه الله لقاءه) حدَّث بهذا الحديث أبو هريرة وحدَّثت به عائشة - رضي الله عنهما - قالوا: (يا رسول الله كلنا يكره الموت. فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: قال ليس ذاك (أي ليس ذلكم ما تفهمون) ، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشر برضوان الله وكرامته ، فليس شيء أحب إليه مما أمامه ، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه. وإن الكافر إذا حضر بُشر بعذاب الله وعقوبته ، فليس شيء أكره إليه مما أمامه ، فكره لقاء الله وكره الله لقاءه) متفق عليه. فنسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا ممن يشتاق إلى لقائه ويُحبُّ لقاءه تبارك وتعالى ، وأن يُكرمنا في هذه الظروف العصيبة بحسن الخاتمة ، وأن يُتحفنا بالبشائر الطيِّبة ، وهذا ثمرة للثبات على دين الله والاستقامة التي يرجع الفضل فيها إلى الله سبحانه وتعالى ، لا إلى قلبك ولا عضلاتك ولا إلى شيء من هذا . وإنَّما يرجع إلى رحمة الله وفضله ولطفه. فنسأله أن يلطُف بنا وأن يُثبِّت قلوبنا على الحقِّ. (وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ). الجنَّة وعدها الله الذين آمنوا واستقاموا في آيات كثيرة في السور المكية والمدنية: قال تعالى: (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً * حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً * وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً * وَكَأْساً دِهَاقاً * لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا كِذَّاباً). وقال سبحانه وتعالى: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ). فالوعد بالجنَّة مذكور في كثير من السور والآيات. الجنَّة التي كنتَ تُوعد بها في القرآن وعلى لسان النبي محمد صلَّى الله عليه وسلَّم ، بسبب الثبات على الإسلام ، بسبب الاستقامة عليه أبشر بها. فنسأل الله أن يُثبِّتنا وإيَّاكم على الهدى ، وأن يرزقنا وإيَّاكم الاستقامة. والله سبحانه وتعالى قال: (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ). أمرٌ بالاستقامة. وقال سبحانه وتعالى: (وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ). هذا أمرٌ من الله سبحانه وتعالى لرسوله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وأتباعه المؤمنين الذين تابوا إلى الله وأنابوا إليه ، والتزموا صراطه المستقيم وثبتوا على دينه: أمرهم بالاستقامة عليه. والاستقامة هي الثبات كما أمرك الله: تلتزم بالعقيدة التي أمرك الله بالتزامها ، تلتزم بالأوامر كلِّها ، تلك التي أمرك الله

تعالى بها ، وتجتنب النَّواهي التي نهاك الله عنها وحرَّمها عليك. فالقرآن فيه جوامع: الكلمة الواحدة تحتها معانٍ ، وهذه الآية منها وتلك الآيات منها.).هـ. يقول الأستاذ محمد المنجد في محاضرته: (الثبات على الحق) ما نصه: (التربية الإيمانية العلمية الواعية المتدرجة عامل أساسي من عوامل الثبات. التربية الإيمانية: التي تحيي القلب والضمير بالخوف والرجاء والمحبة ، المنافية للجفاف الناتج من البعد عن نصوص القرآن والسنة ، والعكوف على أقاويل الرجال. والتربية العلمية: القائمة على الدليل الصحيح المنافية للتقليد والإمعية الذميمة. والتربية الواعية: التي لا تعرف سبيل المجرمين ، وتدرس خطط أعداء الإسلام ، وتحيط بالواقع علماً ، وبالأحداث فهماً وتقويماً ، المنافية للانغلاق والتقوقع على البيئات الصغيرة المحدودة. والتربية المتدرجة: التي تسير بالمسلم شيئاً فشيئاً ، ترتقي به في مدارج كماله بتخطيط موزون ، والمنافية للارتجال والتسرع والقفزات المحطمة. ولكي ندرك أهمية هذا العنصر من عناصر الثبات ، فلنعد إلى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسائل أنفسنا: ما هو مصدر ثبات صحابة النبي صلى الله عليه وسلم في مكة ، إبان فترة الاضطهاد؟ كيف ثبت بلال وخباب ومصعب وآل ياسر وغيرهم من المستضعفين ، وحتى كبار الصحابة في حصار الشعب وغيره؟ هل يمكن أن يكون ثباتهم بغير تربية عميقة من مشكاة النبوة ، صقلت شخصياتهم؟ لنأخذ رجلاً صحابياً مثل خباب بن الأرت رضي الله عنه ، الذي كانت مولاته تحمي أسياخ الحديد حتى تحمر ، ثم تطرحه عليها عاري الظهر ، فلا يطفئها إلا ودك - أي شحم - ظهره حين يسيل عليها ، ما الذي جعله يصبر على هذا كله؟ وبلال تحت الصخرة في الرمضاء ، وسُمية في الأغلال والسلاسل. وسؤال منبثق من موقف آخر في العهد المدني ، من الذين ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في حُنين ، لما انهزم أكثر المسلمين؟ هل هم حديثو العهد بالإسلام ، ومُسلِمة الفتح الذين لم يتربوا وقتاً كافياً في مدرسة النبوة ، والذين خرج كثير منهم طلباً للغنائم؟ كلا. إن غالب من ثبت هم أولئك الصفوة المؤمنة التي تلقت قدراً عظيماً من التربية على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم. لو لم تكن هناك تربية ترى هل كان سيثبت هؤلاء؟ ولا شك أنه كلما ازدادت الثقة بالطريق الذي يسلكه المسلم ، كان ثباته عليه أكبر. ولهذا وسائل منها: * استشعار أن الصراط المستقيم الذي تسلكه يا أخي ، ليس جديداً عليك ، ولا وليد قرنك وزمانك ، وإنما هو طريق عتيق (وعتيق هنا صفة مدح) قد سار فيه من قبلك الأنبياء والصديقون والعلماء والشهداء والصالحون ، فتزول غربتك ، وتتبدل وحشتك أنساً ، وكآبتك فرحاً وسروراً ، لأنك تشعر بأن أولئك كلهم أخوة لك في الطريق والمنهج. * الشعور بالاصطفاء ، قال الله عز وجل: {قل الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى}. وقال: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا}. وقال: {وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ}. وكما أن الله اصطفي الأنبياء ، فللصالحين نصيب من ذلك الاصطفاء ، وهو ما ورثوه من علوم الأنبياء. ماذا يكون شعورك لو أن الله خلقك جماداً ، أو دابة ، أو كافراً ملحداً ، أو داعياً إلى بدعة ، أو فاسقاً ، أو مسلماً غير داعية لإسلامه ، أو داعية في طريق متعدد الأخطاء؟ ألا ترى أن شعورك باصطفاء الله لك ، وأنْ جعلك داعية من أهل السنة والجماعة ، من عوامل ثباتك على منهجك وطريق. والنفس إن لم تتحرك تأسن ، وإن لم تنطلق تتعفن ، ومن أعظم مجالات انطلاق النفس: الدعوة إلى الله ، فهي وظيفة الرسل ، ومخلصة النفس من العذاب ؛ فيها تتفجر الطاقات ، وتنجز المهمات {فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ}. وليس يصح شيء يقال فيه "فلان لا يتقدم ولا يتأخر" فإن النفس إن لم

تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية ، والإيمان يزيد وينقص. والدعوة إلى المنهج الصحيح تكون ببذل الوقت ، وكدّ الفكر ، وسعي الجسد ، وانطلاق اللسان ، بحيث تصبح الدعوة هم المسلم وشغله الشاغل ، وإن هذا كله يقطع الطريق على محاولات الشيطان بالإضلال والفتنة ، زد على ذلك ما يحدث في نفس الداعية من الشعور بالتحدي تجاه العوائق ، والمعاندين ، وأهل الباطل ، وهو يسير في مشواره الدعوي ، فيرتقي إيمانه ، وتقوى أركانه. فتكون الدعوة بالإضافة لما فيها من الأجر العظيم وسيلة من وسائل الثبات ، والحماية من التراجع والتردي والتقهقر ، لأن الذي يُهاجم لا يحتاج للدفاع ، إذ هو قد تخطى هذه المرحلة ، والله مع الدعاة يثبتهم ويسدد خطاهم! والداعية كالطبيب يحارب المرض بخبرته وعلمه ، وبمحاربته في الآخرين فهو أبعد من غيره عن الوقوع فيه. وتجب لذلك ملازمة أهل الحق والخير ، تلك الطائفة التي من صفاتها ما أخبرنا به عليه الصلاة والسلام: «إن من الناس ناساً مفاتيح للخير مغاليق للشر» (حسن رواه ابن ماجة عن أنس مرفوعاً وابن أبي عاصم في كتاب السنة 127/1 وانظر السلسلة الصحيحة 1332). فالبحث عن العلماء والصالحين والدعاة المؤمنين ، والالتفاف حولهم معين كبير على الثبات. وقد حدثت في التاريخ الإسلامي فتن ثبت الله فيها المسلمين برجال. ومن ذلك: ما قاله علي بن المديني رحمه الله تعالى: "أعز الله الدين بالصدّيق يوم الردة ، وبأحمد يوم المحنة". وتأمل ما قاله ابن القيم رحمه الله عن دور شيخه شيخ الإسلام في التثبيت: "وكنا إذا اشتد بنا الخوف ، وساءت بنا الظنون ، وضاقت بنا الأرض أتيناه ، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله عنا ، وينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً وطمأنينة ، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه وفتح لهم أبوابها في دار العمل ، وآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها". (الوابل الصيب ص 97). وهنا تبرز الأخوة الإسلامية كمصدر أساسي للتثبيت ، فإخوانك الصالحون والقدوات والمربون هم العون لك في الطريق ، والركن الشديد الذي تأوي إليه ، فيثبتونك بما معهم من آيات الله والحكمة. الزمهم وعش في أكنافهم ، وإياك والوحدة فتتخطفك الشياطين ، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية. ونحن على هذا الطريق نحتاج إلى الثبات كثيراً عند تأخر النصر ، حتى لا تزل قدم بعد ثبوتها ، قال تعالى: {وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ، فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ، وَمَا ضَعُفُواْ ، وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ. وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ، وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ، وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ. فَآتَاهُمُ اللّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}. ولما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يثبت أصحابه المعذبين أخبرهم بأن المستقبل للإسلام في أوقات التعذيب والمحن! فماذا قال؟ جاء في حديث خباب مرفوعاً عند البخاري: «وليُتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه» (رواه البخاري). فعرض أحاديث البشارة بأن المستقبل للإسلام على الناشئة مهم في تربيتهم على الثبات.).هـ. وأشكر للشيخ الأستاذ العلامة محمد المنجد ما نفحنا به من الدرر التي لا غنى لمسلم مؤمن موحد قانت عنها! والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون. ولله الفضل والمنة. وأسأل الله أن يجلي ديواني (سويعات الغروب) غياهب الطريق ودياجير الظلام للطائفة المؤمنة الموحدة المنصورة! هو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه!

القلنسوة

(كل شاعر له عالمه الذي يزخر بالمعاني والتصورات والمفاهيم والرؤى ، تلك التي لا يكاد يدركها إلا هذا الشاعر. وقلّ - من الشعراء - من لم يمتدح نفسه في شعره. وما تمخض هذا المدح إلا عن العالم الذي يصوغه الشعرُ لصاحبه. والشاعر في الناس من أشدهم كراهية ومقتاً للظلم والظالمين ، الذين يسلبون إنسانية الإنسان ، بدون حق لهم في ذلك أبداً. والشاعر عندما يتقي الله عز وجل ، يُسَخّر شعره في سبيل نصرة الحق وأهله ، مهما كلفه ذلك من أثمان. فماذا عن قصيدة (القلنسوة)؟ إنني لم أرتَد القلنسوةَ طِيلَةَ حياتي ، ثمَّ دفعتني المقاديرُ دفعاً لأن أرتديَها إلى حين ، وكم كان لارتدائي لَهَا كبيرُ الأثرِ في نفسي وتصوُّري ، الأمرُ الذي جَعَلني أستاءُ لبعض الوقت ، ثمّ ما لبثتُ أنَ استسغتها ، وانخرطتُ أعمَلُ مرتدياً إياها ، غيرَ آبهٍ بِمَا قد يَفهمهُ البعضُ ويتصورُهُ عن هذي القلنسُوة ، وخاصة أنَّهَا ليسَت مِن زِيِّ المُوحدين ، ولا من زِيِّ الأعارب ، إذ هِيَ مِن زِيِّ الأعاجم – بل والهازلينَ التافهين منهم – نَعم لقد كان تحت هذهِ القلنسوة من المَعاني ، مَا يَعجز اليَراعُ عَن وصفه بالمَّرة ، مَعَ أن مرتديها جَسُورٌ لا يَهاب ، ولكن غلبتهُ المَعاني والمشاعرُ والعواطفُ والظروف والمقادير التي راحت تفرِضُ ثِقَلَها على عالمِ القريض والقوافي!)

يَـــــا قَلْـــــبُ عَجِّـــــل بالقصـــــيدْ ... وانثـــــرْ عَلَـــــى الـــــذِكْرَى الـــــوُرُدْ

واقطِـــــف رَيَـــــاحين الهَـــــوى ... يَـــــا قَلْـــــبُ مـــــن روض القَصِـــــيد

وابـــــذُرْ قَرِيضـــــك فـــــي الـــــدُّنَا ... وانشـــــرْ تَـــــرَانيم الصُّـــــمود

واطـــــرحْ هُمُومـــــك جَانِبـــــاً ... واكـــــبَحْ أراجيـــــفَ العَبِيـــــد

دع عَنـــــكَ كُـــــلَّ سَـــــآمَةٍ ... ودع الكَآبَـــــةَ ، والوَجِيـــــد

أنـــــتَ العَظِـــــيمُ إذا اتقَيـــــ ... ـــــت اللهَ فِـــــي هَـــــذا الوُجُـــــود

واللهُ مُطّلِـــــعٌ عَلَيـــــ ... ـــــكَ ، فـــــلاَ تَخـــــفَ قَصـــــفَ الرُّعُـــــود

والحـــــقُ مُنتصـــــرٌ ، فـــــلا ... تَـــــكُ فِـــــي هَوَاجِسِـــــكَ الوَئِيـــــدْ

أنَـــــا عَاتـــــبٌ دَومـــــاً عَلَيـــــ ... ـــــكَ ، إلَـــــى مَتَـــــى هَـــــذا الخُمُـــــود؟

إنَّ الـــــدُّمُوع ثمِينَـــــةٌ ... ومِـــــن الأســـــى شَـــــابَ الوَلِيـــــد

يـــــا قَلـــــبُ ، عِـــــش فَـــــوقَ الثـــــرىَ واخلَـــــــــع (قلنَســـــــــوَةَ) الشُّـــــــــرُود

حَتَّـــــــى مَتَـــــــى تَبكِـــــــي الأصَـــــــاَ لـــــــــة – بَعـــــــدُ - والمَجـــــــدَ التَلِيـــــــد؟

أتُطالـــــــــــــبُ الجَـــــــــــــرذانَ أنْ يستبســـــــــــلوا مِثـــــــــلَ الأسُـــــــــود؟

يَـــــــا قَلـــــــبُ ، إنّـــــــك واهِـــــــمٌ! هُـــــــــم لِلشـــــــــياطينِ الجنـــــــــود

هُـــــــــم يَحلُمُـــــــــون بِمـــــــــالهم والـــــــــزوج ، والقَصـــــــــرِ المَشِـــــــــيد

يَـــــــا ويحهُـــــــم ، هَرِمـــــــوا علَـــــــى مَـــــــا كـــــــان رسَّـــــــخَهُ الجُـــــــدُود

فَتَلَوَّثـــــــوا ، ولهـــــــم بِحَـــــــر ب الحَـــــــقَّ بَـــــــأسٌ ، كَالحَديـــــــد

والمـــــــال أعمـــــــاهم ، فهـــــــل تُجـــــــدي- مـــــــع العَمَـــــــه – النّقُـــــــود؟

يَـــــا قلـــــبُ دَعهُـــــم فِـــــي الشَّـــــقَا واعمـــــــل لِجنـــــــاتِ الخُلُـــــــود

إنِّـــــــي عَلِمتـــــــكَ حَافِظـــــــاً - رغـــــــم الدهاقنـــــــة - العُهُـــــــود

فَاصـــــــمُد ، ولا تَـــــــكُ عَابِثـــــــاً واحلـــــــمْ بمـــــــاضِ لا يَعُـــــــود

لَـــــن تنفـــــعَ الأوهَـــــامُ مثـــــ ـــــــلَكَ ، والأمـــــــاني لا تَسُـــــــود

إن كَـــــــان غَيـــــــرُك هَـــــــازلاً فـــــــأراكَ - بـــــــالتِّقوى - السَّـــــــعِيد

فاصـــــــدُق ، فِـــــــدَاؤكَ مهجتـــــــي فَالصـــــــدقُ عُقبَـــــــاهُ المَزِيـــــــد

لَـــــكَ مَـــــا تشـــــاءُ بِجَنّـــــةِ فيهـــــا المَزِيـــــدُ لَـــــدَى المَجِيـــــد

الجبال من القضيض

(عاب عليّ بعضهم هذه اللهجة الحزينة في شعري ، وهذا القالب الجنائزي الذي أصبُّ فيه القريض صباً. وهذه النبرة الحزينة التي أنشد بها قصائدي! وباتت هذه خصلة عُرفتُ بها في عالم الشعراء وفي دنيا القريض. ولامني الأستاذ الزميل عصام الشيمي ، معلم التربية الإسلامية بالمدرسة الراشدية بعجمان ، أي في ذات المدرسة التي أعمل بها ، وأخذتُ أسأل صاحبي هذا وغيره وأقول: ما الذي يبعث على الفرحة والسرور في عالمنا الذي نعيش؟ مقدسات المسلمين لا تزال في أيدي أعدائهم ، ولا حدود لله تطبق ، ولا قيم إسلامية أصيلة تطغى على حياة أغلب الناس الذين نحيا بينهم ، بل تسود قيم الجاهلية. وأهلُ الحق معادون ، وأهل السوء مقربون معززون مكرمون. وإذن فالأحزان تذيب القلوب. وتلك الأحزانَ عندما تتراكمُ وتَزدحمُ وتجتمع على القلب ، ويَعدمُ صاحبُ هذا القلب الأصحابَ والخلانَ والأصدقاءَ والصحبَ ، فإنّ هذه الأحزانَ تكونُ بمثابة الخناجر في الأحشاء ، والسِّهام في الضمير والعاطفة والإحساس ، ولقد يُخيَّل إلى كثيرين أنّ الحُزن يَزيدُ مِن مَدَى التجربة وصَدَى الدُربة والمران في حياة الإنسان ، إلا أنَّي أرَى أنّ الحُزن فوق الحزن ، والهَم فوق الهم ، والكربَ فوق الكرب ، والألمَ فوقَ الألم ، والإحنة فوق الإحنة ، والضنك فوق الضنك ، يزيد من الدربة والقدرة على المواجهة ، فضلاً عن جعل ابن الثلاثين ابنَ ثمانين! نعم إنّ الأحزانَ تُذيبُ العُمر والشباب والفحولة والصبا ، كشرارة النار تبدأ صغيرة ثم تكبر شيئاً فشيئاً ، حتى لا تبقِي من الخير حَبَّةِ خردلِ ، والعبقري مَن عَلِمَ أنَّ الجِبالَ مِنَ القضيض.)

حَطـــــــمْ تَعـــــــابيرَ الجَـــــــوَى ... يـــــا قلـــــبُ ، فِـــــي ليـــــلِ الهَـــــوَى

فـــــــالوَهمُ عَـــــــاتٍ غَـــــــادِرٌ ... والوَجـــــــدُ قـــــــاسٍ ، والنّـــــــوَى

فَاضـــــــرِبْ بِسَـــــــهمكَ ، لا تَخـــــــفْ ... واحمِـــــــل يَرَاعـــــــكَ ، واللّـــــــوا

لا تَـــــــركَنَنَّ إلَـــــــى الـــــــوَرَى ... واطـــــــرح غوايـــــــةَ مَـــــــن غَـــــــوى

أسَـــــــداً أراكَ ، فكيـــــــف تخـــــــ ... ـــــــشى الكَلـــــــبَ – يومـــــــاً - إن عَـــــــوَى؟

والصَّـــــــمت إذ يَعـــــــوِى الكِـــــــلا ... بُ - إذا عَلِمـــــــت - هُـــــــوَ الـــــــدَّوا

ولِكُـــــــلِّ نَـــــــذلٌ سَـــــــاعَةٌ ... ولســـــــوف ينـــــــدحر الجَـــــــوَى

وقَـــــــوى الضَّـــــــلالِ رَهِيبَـــــــةٌ ... ولسَـــــــوف تَنتحِـــــــرُ القُـــــــوى

يَومـــــــاً سَـــــــيَظْهرُ كُـــــــلُ حـــــــ ... ـــــــق بـــــــالعذاباتِ اكتـــــــوى

بالمـــــــــالِ لا يُشـــــــــرى الوفـــــــا! لا يَنصُـــــــــرُ الحَـــــــــقَ الخُـــــــــوا

والـــــــــدَّمْعُ لَـــــــــيْسَ بِهـــــــــيِّن كـــــــــمْ ذا اشـــــــــتَكَى ، وكَـــــــــذَاَ رَوَى!

إنَّ الجِبَـــــــــال مِـــــــــنَ القضيـــــــــ ـــــــــض ، وجُـــــــــرحُ أســـــــــئِلَتي اســـــــــتَوَى

والقَـــــــــومُ فِـــــــــي قَـــــــــيحِ الخنـــــــــا! وأنَـــــــــا لأحَزَانـــــــــي شِـــــــــوَا

والـــــــــرُّوحُ تَبكِـــــــــي فـــــــــي الـــــــــدُّجى والقلـــــــــبُ ضَـــــــــجَّ بِمـــــــــا حـــــــــوى

سَـــــــــحَقتهُ كُـــــــــلُ بَلِيـــــــــةٍ وعلـــــــــى كَوارِثِـــــــــه انْطَـــــــــوَى

شَـــــــــغَلَتهُ كُـــــــــلُ مُصـــــــــيبَةٍ وعَـــــــــنِ المَخـــــــــاليق انّـــــــــزَوى

يَـــــــــا قَلـــــــــبُ ، رِفقـــــــــاً إنّنـــــــــي أحيـــــــــا بـــــــــأدنى مُســـــــــتَوَى

لكِنمـــــــــا قَـــــــــدَري ، ولَســـــــــ ـــــــــتُ أمُـــــــــجّ يَومـــــــــاً مـــــــــا احتَـــــــــوَى

إن السَّـــــــــراب عَلَـــــــــى جِـــــــــرَا حـــــــــي جَـــــــــاثِمٌ ، منهـــــــــا ارتـــــــــوى

كَيـــــــــفَ السَّـــــــــبيلُ ، ولـــــــــيسَ مـــــــــن بُحبوحـــــــــةٍ تُـــــــــردي الجَـــــــــوَى؟

اللهُ أكبـــــــــــــرُ ، إنّنـــــــــــــي أسْـــــــــــرفتُ ، يَـــــــــا رَب القُـــــــــوَى

فَـــــــــاغفرْ ، وَوَفِّـــــــــقْ ، وانتصـــــــــرْ لِـــــــــى مِـــــــــن جِرَاحَـــــــــاتِ النّـــــــــوَى

هشيم الخديعة

(إنه لمن المفترض في الصاحب الوفي المخلص لصاحبه ، أن يكون أكثر الناس ثباتاً وأكثرهم حكمة عند الوشاية بصاحبه. ولذا فمن المتصور منه أن يذود ويدافع عن صاحبه مرتين: الأولى متساوياً فيها مع المسلمين ، والثانية متفرداً بالصحبة والمعرفة عن قرب لصاحبه هذا. وإذن فالدفاع - على هذه القاعدة - دفاعان: الأول هو الدفاع العام ، والثاني هو الدفاع الخاص. والعام يضمّنه قول ربنا – تبارك وتعالى -: (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين) ، وقوله – عزوجل -: (إذ تَلقَونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم. وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم. ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا ، سبحانك هذا بهتان عظيم). إنني حزين على صاحبي الذي انحدر إلى هذا المستوى المنحط في الخذلان والخديعة. فلقد كان هذا الصاحب لا يعرفُ النفاق ولا المنافقين ، ولا الخداعَ والمخادعين ، بل هو عُمَرٌ وأحسِبُه كعُمَر ، عاشَ بعُجْمةٍ كانَ يُعاني منها ، لكن سُرعانَ ما تغلب عليها ، ورزقه الله لساناً عربياً مبيناً ، أحبَ الخيرَ وأهلَه ، وعملَ للخير وأهلِه. وذاتَ يَوم طُعنَ أحدُ أصفيائه في مقتل ، وبرر القاتلُ طعناتِه. وصدَّقه الناسُ ، وخفي الدليلُ على براءة الثاني (المجني عليه) لغلبة أنصارِ الجاني. وإذا بالصاحب الصَّديق يُصدِّقُ الوشاية ، وينجرف مع تيار الغش والتدليس والخداع والنفاق ، ويصبح في حالٍ يُمكن معها بكل سُهولة أن يَسحر عقله بريقُ سِحْرِ السَّامريّ وخداعه اللولبي الخاطف ، فإذا بالصديق الشاعر يَطلب إلى صديقه الذي خُدع فيه أن يَعود إلى ما كان عليه ولا يغترَّ بهشيم الخديعة لأنه يوماً سوف تذروه رياحُ الحق ، يوماً سيقال للأرض التي تقله: ابلعي ماءك ، ويقال للسماء التي تظله وتمده بالماء الذي به يحيا: يا سماء أقلعي ، ويغاض عنه ماء الحياة ويتلاشى ، وساعتها يكون أمره قد قضي. وتستوي سفينة الحق والحقيقة على جودي الصدق والواقع ، ويقال: بُعداً للقوم الظالمين! ولا يبقى إلا الحق والعدل – طال الزمان أم قصُر – والقضية قضية وقتٍ لا أكثر ولا أقل. وتلك سُنة من سُنن الله في خلقه ودنيا الناس! (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، ولكم الويل مما تصفون) ، (إننا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد). وإذن فالمخذول المتقاعس عن نصرة الحق هو الخاسر في نهاية المطاف ، طال الزمان أم قصر. ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين! ولا عذر للمتخاذل حيث قيل له ولأزواجه غير مرة: أصلح ولا تتبع سبيل المفسدين! فآثر التردي وتصديق الوشاة! وقيل له ولأشباهه ونظرائه غير مرة: اركب معنا على متن سفينة الحق والعدل والخير ، ولا تكن مع الكافرين ، فآثر أن يأويَ إلى جبل الوهم ليعصمه من عُباب موج الحق ، وقيل له في نهاية المشهد لا عاصم اليوم من أمر الله تعالى فارجع وتب وابك واندم والحق بالركب ولا تضيّع الوقت! فكان من المغرقين غير مأسوف عليه! ونجا أهل الإيمان الثابتون على الحق والخير والعدل!)

مـــــــاذا حَـــــــدا بِـــــــكَ للشـــــــرَكْ حتَّـــــــى دخلـــــــتَ المُعتـــــــرَكْ؟

قـــــــد كنـــــــت فِينـــــــا شـــــــامخاً تَرنـــــــو إلـــــــى ذاتِ الحُبُـــــــك

وتـــــــــــداعبُ الأقمـــــــــــارَ ، لا تخشـــــــــى الضَّـــــــبابَ المـــــــــؤتَرِك

وتُمـــــــــازح الأفـــــــــلاكَ حَتَّـــــــــ ـــــــى يســـــــتجيش بِهَـــــا الضَّـــــحِك

وتُحبّـــــــــر الترتيـــــــلَ تَحـــــــــ ـــــــبيراً يزيـــــــدُ سَـــــــنَا النُسُـــــــكْ

وتُحـــــــــبُّ كُـــــــلَّ مُوَحِّـــــــدٍ مـــــا كنـــــت إنســـــاً ، بَـــــل مَلَـــــك

وتُخَبـــــــئُ الأســـــــرار فِـــــــي جَـــــــوفِ الحَنَايَـــــــا ، والحَنَـــــــك

والآنَ مـــــــاذا قـــــــد جَـــــــرى حتـــــــى تَضـــــــلَّ ، وترتبـــــــك؟

يـــــا صـــــاحِ ، قَلهـــــا ، لا تخـــــفْ فـــــالخوفُ يَـــــأتي بِالهَلَـــــك

أطـــــــوَاكَ سِـــــــحرُ السَّـــــــامر ي وحِزبـــــــه عَبـــــــرَ الحَلَـــــــك؟

أم أن شِـــــــــرذمةَ النَّفـــــــــا ق عَلَيـــــك قَـــــد رَمـــــتِ الشَّـــــبَك؟

مـــــا أســـــهل الكّـــــذبَ الصُّـــــرَا ح - اليَـــــومَ - فـــــي دُنيـــــا الحَمَـــــك!

إنِّـــــــي عَرفتـــــــك ناصـــــــحاً مـــــا أنـــــت بِالرجُـــــلِ الربـــــك

فَتَحَـــــرَّ فِيمـــــا قـــــد سَمعـــــ ـــــتَ ، وكـــــن عزيـــــزاً ، كَالفلَـــــك

إن النِّفـــــــاق عليـــــــكَ تـــــــأ ثـــــي نَـــــارُهُ ، فهـــــي الشَّـــــرك

وأنـــــا الضـــــحيةَ ، لـــــم أجـــــدْ لـــــي ناصـــــراً عبـــــر الحَسَـــــك

قـــــد كنـــــتُ يومـــــاً فـــــي الســـــما ءِ ، وكـــــان غيـــــري فـــــي البِـــــرَك!

واليـــــــوم حَبـــــــلٌ بيننـــــــا أحـــــــرى بـــــــأنْ لا ينبتـــــــك

فَـــــارفَقْ بِنَـــــا ، وأنـــــا دعـــــو تُ اللهَ بالتيســـــــــــــــير لَـــــــــــك

ليس الخير كالمعاينة

(إن الفرق بين صاحب الضمير الحي وصاحب الضمير الميت ، كالفرق بين السماء والأرض. إن صاحب الضمير الحي إنسان حي حياة ضميره الذي ينبض ويحس ويشعر. على حين نجد أن صاحب الضمير الميت قد مات فيه كل شئ. لأنه بموت الضمير يكون كل شئ فيه قد تحلل. فلا قيمة يخفّ إليها، ولا غاية يعيش من أجل تحقيقها ، ولا هدف يسعى له. بل يركض في غابة هذه الحياة ركض الوحوش في البرية. وكم عانيت من أصحاب الضمائر الميتة من الوشاة ومن يُصَدّقون الوشاة. وكان الأحرى التثبت والتبين والتحقق قبل تصديق الخبر. وإذن فليس الخبر عند من يسمع كالمعاينة عندما يرى. ولم أكن أعرفُ دلالة قول النبي – صلى الله عليه وسلم -: (ليس الخبر كالمعاينة) ، حتى ابتليت بتجربة مريرة عاتية. حيث كنت أعيش بقلبي وجوارحي ، أعطى الأمان لكل من هبّ ودبّ مِنَ الأصحاب والمعارف ، وفجأة علمتُ بيقين جازم قاطع ، أن الخبر لا يمكن بحال من الأحوال أن يكون مثل المعاينة ، وإن تشابه الخبر في بعض الأمور ، إلا أن الفوارق بين كل منهما تظل شاشعة للغاية. وأن يخون الصديق أصدقاءه أمرٌ لا يدور بخيال عاقل يعرف كُنه الصداقة وما يجب للصديق. والحق أحب إلى قلب المسلم المؤمن المُوحد مِنَ الصديق والدنيا بأسرها. وبعض الناس يعرفون هذه الحقيقة ، لكنهم يمارون في الحق بعدما تبين كعادة الأكثرية الساحقة منهم ، والتثبتُ مِن الوشاية والإشاعات أولى به كلُّ عاقلٍ نحرير يُبرئُ ساحته ويُخلي سبيله ويُنقي ضميره. ولقد خانني يوماً أحدُ أصفيائي فعمدت إلى التثبت والتحقق - رغم الإدانة الكافية وصدق النقلةِ للأخبار عنه - ، ولمّا لم يُبَرِّر الجاني فعلته ووشايته ، كتبت هذي القصيدة لأقولَ له: ليسَ الخبرُ كالمعاينة. والأصل أن يعاتب الصديق صديقه ، وأن يراجع الأخ أخاه ، أما رفع الأمر إلى الطواغيت الذين هم أعداء كل منهما ، فهذا أمر لا ينبغي أن يكون البتة!)

بيـــــعَ الضَّـــــميرُ كَمَـــــا الرّقيـــــقْ والمـــــــــرءُ يَحيَـــــــا كَـــــــالغَرِيقْ

عُمْـــــــــرٌ يَغُـــــــص بحُرقَـــــــــةٍ فـــــي القلـــــب مِـــــن فِعـــــلِ الصَّـــــديق

والصَّـــــــوت مَجنـــــــوزُ الصـــــــدى مِـــــــن بعـــــــد أن غـــــــدر الشَّـــــــقيق

والـــــــــدمعُ دامٍ فـــــــي الحنـــــــا يـــــــا ، لا يَجِـــــــفُّ ، ولا يُفيـــــــق

والصـــــدق تحـــــت مطـــــارقِ الـــــ ـــــــتخوين ، لَـــــيسَ لـــــه شُـــــرُوق

والحـــــق - فـــــي الأغـــــلال – يشـــــ ـــــــكو غِلظـــــةَ القيـــــد الوثيـــــق

خنـــــت الصَّـــــديق أيـــــا فتـــــى حَمّلتـــــــه مـــــــا لا يُطيـــــــق

واليـــــــوم تُكـــــــرِمُ صَـــــــاحباً ... وتُعيـــــــره مِنـــــــك العُـــــــرُوق

وتَحُوطـــــــــــه بعِنايـــــــــــةٍ ... وتجـــــــود بـــــــالكرم الوريـــــــق

وتَـــــــذود عنـــــــهُ ، وإن أبـــــــى ... وتكـــــــون كالخِـــــــل الشَّـــــــفيق

فَتَـــــــراهُ ســـــــاعة يَغتنـــــــي ... يَطغـــــــى ، ويُشـــــــعل فـــــــي الحريـــــــق

وتَكـــــــون أَنـــــــتَ ضَـــــــحية ... وتعـــــــيش فـــــــي أســـــــفٍ وضِـــــــيق

ويُـــــــذيقك الأحـــــــزان تتـــــــ ... ـــــــلو بَعضـــــــها بَـــــــدَلَ الرَّحيـــــــق

ويُـــــــذيع سِـــــــركَ فـــــــي الـــــــورى ... ويلـــــــوكُ عِرضـــــــك كَالسَّـــــــويق

مـــــــن أجـــــــل ذلـــــــك لا تُصـــــــا ... حـــــــبْ هـــــــازلاً ، ودعَ البَريـــــــق

دعَ عَنـــــــك كُـــــــلَّ مُزخـــــــرفٍ! ... فـــــــي الهـــــــزل ثرثـــــــارٌ أنيـــــــق

إنَّ السَّـــــــفيه يبيـــــــعُ كُـــــــ ... ـــــــل صـــــــداقةٍ بيـــــــعَ الرَّقيـــــــق

وتَـــــــراه يحـــــــزن إن أتـــــــتْ ... لـــــــكَ فرجـــــــةٌ ، بِـــــــئسَ الرَّفيـــــــق!

جَربـــــــتُ أهـــــــل زَماننـــــــا ... فـــــــإذا أمُـــــــورٌ لا تليـــــــق

فوجـــــــدتُ أكثـــــــرهم يَميـــــــ ... ـــــــل إلـــــــى الأذى العـــــــاتي العميـــــــق

فَتَـــــــرَكتُهُم وفِعـــــــالَهُم ... ومضـــــــيت وحـــــــدي فـــــــي الطريـــــــق

وصـــــــببتُ تجربتـــــــي بشِعـــــــ ... ـــــــر نـــــــابض الفحـــــــوى رشـــــــيق

أريج الأحلام

(كانت تحلم بالزواج منه. فلما تزوجته ، وجدت الزواج أعباء وتكاليف ورسالة ، فتقاعست عن هذا كله. وقد انقلب أريج الحلم إلى عذاب وجحيم وشقاء. فرُحتُ أصور طرفاً من هذا بالقلم شعراً. وأبين حقيقة الزواج ورسالته. وأهمس في أذن كل مؤمنة عاشقة لزوجها أن تعلم أن الزواج أعباء وتكاليف وأبناء ومسؤوليات وواجبات ، يعد التقاعس عنها خيانة لله ورسوله قبل أن تكون خيانة للزوج المسكين! وأظن أنه قد آن الأوان لأن تدرك المؤمناتُ الفرقَ بين الحياة والمسلسل! ولئن حلق المسلسل في أجواء الخيال والفجور معاً ، فإن الواقع ينبغي أن تهيمن عليه الشريعة!)

احلمـــي مـــا شـــئتِ ، والواقـــع أنقـــى! وافقهـــي العِيشـــة ، والمعـــروفُ أبقـــى!

رُبَّ عـــيش طـــاب للنـــاس زمانـــاً! وهْـــو - فـــي الميـــزان – يـــا أختـــاه أشـــقى

ومعاصـــــي الله تُـــــزري بالبرايـــــا فيكونـــــون ببحـــــر الخِـــــزي غرقـــــى

قلـــتِ: أحببـــتُ ، فزُوِّجتيـــه ، لكـــنْ قـــد خنقـــتِ الحـــب بـــالتيئيس خنقـــا

زوجـــةَ عصـــماءُ مَـــن تحيـــا بفقـــهٍ والتـــي تحيـــا - علـــى الأهـــواء - حمقـــا

لا تظنـــي العـــيش حُلمـــاً أو خيـــالاً إن - بـــين الحـــق والأوهـــام - فرقـــا

إنمـــا الـــدنيا ســـرورٌ واكتئـــابٌ لُغزهـــا ينشـــد - فـــي التفكيـــر - عُمقـــا

فـــارحمي الـــزوج ، ولا تكـــوي الأمـــاني بســـعير الضـــيق ، أرجـــو منـــك رفقـــا

لـــيس فـــي الـــزوج ولا الأولاد عيـــبٌ شـــأنهم - والله - ممـــا قلـــتِ أرقـــى

هـــذه الـــدنيا كتـــابٌ فاقرئيـــهِ! فهمُـــه يحتـــاج آمـــاداً وأفقـــا

إنمـــا الزوجـــاتُ فـــي هـــذا ســـواءٌ وأرى الفقـــه مِـــن الـــرحمن رزقـــا

وإذ طَبَّقـــتِ كـــان الأجـــر ذخـــراً! لـــيكنْ عيشُـــكِ للتشـــريع وفقـــا

واطرحـــي عنـــك زبـــالاتِ عقـــول رأت العـــيش ترانيمـــاً وعِشـــقا

إن مَـــن تفهـــم هـــذا - صـــدقيني - تشـــنق العمـــر ومَـــن تهـــواه شـــنقا

أنين الذكريات

(في مقتبل شبابه أوغل في إسلامه بعمق ، فلم ينقطع عن قيام الليل وقراءة القرآن والدعوة إلى الله. ولما داهمه الشيبُ وأعجزته أعباءُ الحياة تقاعس وكان لماضيه أنين شديد الوقع.)

الحاضـــرُ اليـــومَ عـــن ماضـــيكَ يختلـــفُ ... فـــالعز أيـــن؟ وأيـــن المجـــدُ والشـــرفُ؟

تغيُّـــــرٌ لا أرى شـــــيئاً يُبـــــرّرُهُ ... ومُنحنـــى سَـــقطاتٍ مـــا لهـــا هـــدف

قيـــامُ ليلـــكَ أيـــن اليـــوم نضـــرته؟ ... اليـــومَ يبكـــي عليـــهِ الحـــزنُ والأســـف!

لـــمَ انجرفـــتَ مـــع التيـــار مغتبطـــاً ... حتـــى قـــلاكَ الهُـــدى والنّـــورُ والصّـــحف؟

أيـــن الليـــالي شـــذى القـــرآن يُتحفُهـــا ... والعمـــرُ مِـــن زُبَـــد القـــرآن يَغتـــرف؟

أيـــن (الظـــلال)؟ لمـــاذا لا تُطالعـــه؟ ... أم أنـــكَ الآن عـــن هُـــداه تنحـــرف؟

ودعـــوةُ النـــاس هـــل ودّعـــت منهجهـــا ... حتـــى ســـمعتُك بالخُـــذلان تعتـــرف؟

فعُـــدْ إلـــى الله ، واعمـــلْ وفـــق شـــرعته ... وانـــدم كثيـــراً علـــى مـــا كنـــت تقتـــرف

وأخلـــص التـــوبَ ، إن الله مطلـــعٌ! ... تـــرَ الـــدغاول - إن صـــدقتَ - تنكشـــف

الـــذكرياتُ أنـــينٌ فـــاض مَدمعُـــه ... لأنهـــا بـــانحراف اليـــوم تلتحـــف

أمـــلاكَ ربُّـــك ، والإمـــلاءُ موعظـــة ... لقـــد يـــردك عـــن أهوئـــك الحنـــف

أواه كـــم تقتـــلُ المغـــرور صـــولته! ... وكـــم يُحطـــم - مزهـــواً بـــه – الصَـــلَف!

والمُتقـــون خيـــارُ الخلـــق قاطبـــة ... أمـــا العُـــتاة فهُـــم - بـــين الـــورى - جِيَـــف

فكـــن تقيـــاً هُـــدى القـــرآن مَـــوردُه ... ولا تكـــن فـــاجراً يَعصـــي ويَعتســـف

إن التقـــيَ جنـــانُ الخلـــد موعـــدُهُ ... والنـــارُ موعـــدُ مَـــن عـــن الهُـــدى صـــدِفوا

تعس عبد الدينار!

(لم يكن من فراغ أن يدعو النبى – صلى الله عليه وسلم – على عبيد الدراهم والدنانير. إذ إن مثل هذه النوعية من بنى الإنسان تدنس طهر الحياة ، ليس هذا فقط ، بل تشوّه جمال العلاقات بين الخلق بعضهم ببعض. والحديث واضح في الدعاء على عبيد المال هؤلاء: (تعس عبد الدينار والدرهم ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش). ذلك أن العبودية الحقة التي ترفع الإنسان وتليق به ، وجئ به في هذه الحياة من أجلها ، هي عبوديةُ الله – عز وجل –. يقول ربى – عز وجل: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق ، وما أريد أن يطعمون). والإنسان ميت لا محالة. وليس هو بأكرم على ربه تعالى من أنبيائه ورسله. نعم ليس أكرم على الله من عبده ورسوله محمد - صلى الله عليه وسلم -: "وما جعلنا لبشر من قبلك الخُلد. أفإن مِتَّ ، فهم الخالدون؟ كل نفس ذائقة الموت" – "إنك ميتٌ وإنهم ميتون" – أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً". وإذا كان ذلك كذلك ، فلماذا يعيش الإنسان للدينار والدرهم؟ والحقيقة أن كثيرين اليَوم يتصورون أن عبادة هذا الدرهم أو الدينار تعني الصلاة أو الزكاة أو الصيام للدينار أو الدرهم ، أقول: لا ، ثم لا. إنما عبادةُ المال تتمثل في أن يُبتغى من الحرام والشر ، ويُنفق كذلك في الحرام والشر. والحال هكذا يُصبح الدينارُ هو السيد الذي يخضع له طالبه الذي أراق آدميته في سبيل الحصول عليه! وعن عبادة المال يقول الأستاذ محمد عبد الكريم ما نصه: (والرسول – صلى الله عليه وسلم - يخبرنا عن شَرَه ابن آدم للمال ، ويؤيد هذا قوله تعالى: {وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ} ، يقول صلى الله عليه وسلم: «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثًا ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب» (رواه ابن حبان). لو كان لابن آدم واديان من ذهب ممتلئان بصنوف الجواهر والحلي لابتغي لهما ثالثًا. لو كان له مليونا ريال لابتغى ثلاثًة ، ولو كان له ثلاثًة لابتغى أربعة ، لو كانت له عمارة لابتغى عمارتين ، ولو كان له ثلاثٌ لابتغى أربعًا ، ولا يملأ (جوف – فاه – بطن) ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب. يحتاج ابن آدم إلى أن يتوب إلى الله عز وجل من الانهماك في الدنيا ، ومن الشرَه في الأموال ، والتوبة بالفعل كما هي بالقول ، فيخرج حق الله عز وجل ، ويتوب بأن يُرجِع المظالم إلى أهلها ، والله لو تفكَّر الطامع في عاقبة الدنيا لقنع ، ولو تذكَّر جائعٌ في فضول مآلها لشبع ، لو تفكَّر العاقل في عاقبة الدنيا وفي سكرات الموت لكان من القانعين ، ولو تذكَّر الجائع ما يؤول إليه الطعام اللذيذ ، الطعام الذي يوضع بأبهِيَ الأشكال والألوان ، ما يؤول إليه من الرائحة والنتن والله لشبع).هـ. ولكنْ تصْرفه الدنيا بزخرفها ولعبها ولهوها وزينتها عن مجرد التفكر في شئ من ذلك!)

قـــــد كـــــان يكفيـــــكَ الفَتـــــاتْ مُنـــــذ الـــــولادةِ للممـــــاتْ

أبَـــــداً ، ولا تغـــــدو هُنـــــا لِـــــك فـــــي ســـــراديب المَـــــوات

كـــــن مســـــلماً ، وإذا ظمئـــــ ـــــتَ شـــــربتَ مـــــن مَـــــاءِ الثبـــــات

ولـــــــــــكَ الأمـــــــــــاني زورقٌ ... يجـــــــــري ، ويُطربُـــــــــهَ الفَـــــــــرات

وتعـــــــــيشُ للهَـــــــــدْي الـــــــــذي ... هُـــــــــوَ دِيـــــــــن ربُ الكائنـــــــــات

لا تعبُـــــــــــد الـــــــــــدِّينارَ ، إنّ ... بَرِيقـــــــــــه يُغـــــــــري الشَّـــــــــتات

وإن اتقيـــــــــتَ فـــــــــإن تقـــــــــ ... ـــــــــوى اللهِ مـــــــــن خيـــــــــر الهِبـــــــــات

وكـــــــذا اتِّبـــــــاعُ الحَـــــــقِّ والفرقـــــــان ... مِـــــــن خيـــــــر الصـــــــفات

والمـــــــوت أدهِـــــــيَ واعـــــــظٍ ... إن كـــــــان تنفعُـــــــك العِظـــــــات

وامهـــــــد لنفســـــــك ، واعتبـــــــرْ ... إنْ فـــــــي النهـــــــار ، أوِ البيـــــــات

حلّـــــــقْ بروحـــــــك فـــــــي السَّـــــــما! ... يـــــــا صـــــــاح ، أضـــــــناكَ السُـــــــبات

وانشُـــــــد لِنفســـــــك حقهـــــــا ... كـــــــم ثـــــــائر بَـــــــين الرُفـــــــات!

إن الحقيقـــــــة أســـــــفرتْ ... مـــــــا عـــــــاد يُرعبهـــــــا الشِـــــــمات

لا تنثَـــــــر الـــــــدُّر المُعـــــــ ... ـــــــطر بالهُـــــــدى ، بـــــــين المـــــــوات

مـــــا شـــــئتَ مـــــن حـــــق فـــــلا ... تســـــكت ، فمـــــا أشـــــقى الســـــكات!

بالجـــــــد فاحيـــــــا دائمـــــــاً ... والقـــــــوم غرقـــــــى فـــــــي النِكـــــــات

واصـــــــمت إذا نَـــــــزل القضـــــــا ... كـــــــم عـــــــذَّبَ النـــــــاس الحَتَـــــــات!

والحـــــــقْ بركْـــــــب الصالحيـــــــ ... ـــــــن ، وخـــــــفْ أراجيـــــــف الفـــــــوات

والمـــــــوتُ يـــــــأتي بغتـــــــة ... ولقـــــــد يُعرقِلُـــــــك الفِـــــــلاَت

أنَـــــــتَ الـــــــذكيّ العبقـــــــر ... يّ ، فـــــــلاَ يَغُرنْـــــــكَ الهَفـــــــات

نعمَ الإدامُ الخل!

(إن الإنسان ليُبصر بأغلب أصحاب المال والثروات في زماننا هذا ، وقد غرتهم الحياة الدنيا ، وضحك عليهم إبليس واستزلهم ، فمنعوا حقوق الفقراء في أموالهم ، وراحوا يجدون في الزكاة مَغرماً. وأصبح المال في أيديهم نقمة ووبالاً عليهم ، لا نعمة يستعينون بها على طاعة ربهم والتوسعة على إخوانهم من الفقراء ، الذين شرع الله لهم نصيباً في أموال هؤلاء الأغنياء. فالأغنياء لا يُعطون الفقراء تفضلاً منهم ، بل هو (حق معلوم) على حد تعبير القرآن الكريم ، لمن: (للسائل والمحروم). وإذا ابتلي فقراءُ المسلمين بأغنياء ميسورين هذا هو شأنهم وديدنهم وهذه طبيعتهم وتلك جبلتهم ، فالفقر إذن دواء وغنم ، ونعم الإدام الخل ، ونعم الرداءُ الفقر. وعموماً الجوعُ والفقر ليس كلاهما عيباً ، كلا ثم كلا ، بل العيبُ والضياع أن يأكل المرء بمعتقده وتصوره. والمثل العربى الكريم يقول: تجُوعُ الحُرة ، ولا تأكل بثدييها! وإذا لم يكن أمام المرء إلا أن يضحّي بالمعتقد في سبيل أن يأكل ويشرب ، قدّم نفسهُ وروحه وقلبه وما يملكُ ، قرباناً للعقيدة والتصور. ذلك أنه بالعقيدة إنسانٌ بكل ما تعنيه الكلمة من معان ، وإن جاع وعطشَ وافتقر ، على حِين أنه ليس بالمال والعقار والممتلكات – بدون عقيدة – ليس قطُ بالإنسان ، ولا حتى يُساوي النُقطة التي تشترطها العربية فوق حرفِ النون في كلمة إنسان! عن أبي هريرة – رضي الله عنه - قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم أو ليلة ، فإذا هو بأبي بكر وعمر – رضي الله عنهما - ، فقال: (ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟) ، قالا: الجوع يا رسول الله. قال: (وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما ، قوما! فقاما معه ، فأتى رجلًا من الأنصار ، فإذا هو ليس في بيته! فلما رأته امرأته قالت: مرحبًا وأهلًا. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أين فلان؟) ، قالت: ذهب يستعذب لنا الماء. إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ، ثم قال: الحمد لله ، ما أحد اليوم أكرم أضيافًا مني. فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب ، فقال: كلوا. وأخذ المُدية ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إياك والحلوب) ، فذبح لهم ، فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق ، وشربوا ، فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر: (والذي نفسي بيده ، لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة ، أخرجكم من بيوتكم الجوع ، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم!) إنني أصدر مقدمة هذه القصيدة بهذا الحديث العظيم لأقول لفقراء المسلمين: (استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين!) ولأقول لأغنياء المسلمين الذين أتخمت بطونهم بالطعام وامتلأت مبرداتهم به ، إن الله سائلكم عن المال المعلوم الذي هو للسائل والمحروم! وأزيدهم من الشعر بيتاً أو من الأحاديث حديثاً هو قول النبي عليه السلام: (والله لا يؤمن (ثلاثاً): من مات شبعان وجاره جائع!)

اصـــــبر علـــــى مُـــــرَّ التـــــرَةْ إنـــــا لفـــــي دُنيـــــا الشـــــرَهْ

وامـــــشِ الهُـــــوينى فـــــي الـــــدنا دنيـــــاكَ هَـــــذي مُـــــدبرة

واصـــــمدْ لكـــــلَّ بليـــــةٍ واصـــــبرْ بَـــــروح مُبصـــــرة

والجُـــــــوعُ خَيـــــــرٌ كُلّـــــــه ... ولـــــــــه مزايـــــــا مُثمـــــــرة

والجـــــــوعُ نـــــــورٌ للفتـــــــى ... وليـــــــاليْ جُوعِـــــــك مُقمـــــــرة

وتُطـــــــل مِـــــــن علیائِهـــــــا ... تُزكـــــــي النفـــــــوسَ الخَيـــــــرة

والـــــــنفسُ إن جاعـــــــتْ ستغـــــــ ... ـــــــدو عـــــــن هواهـــــــا مُـــــــدبرة

رغـــــــم اعـــــــتلاجِ الضـــــــيق فـــــــي ... أشـــــــــــلائها المتبعثـــــــــــرة

فـــــــالجوعُ حـــــــاطمُ كِبرهـــــــا ... بِعصـــــــاه تلـــــــك المُشـــــــهَرَة

والـــــــنفسُ إن شـــــــبعتْ تُدَمّـــــــ ... ـــــــر كـــــــل رُوحِ نيّـــــــرة

وتُجفَـــــــفُ الأخـــــــلاقُ فِيـــــــ ... ـــــــها والطَيُـــــــوفُ المزهِـــــــرَة

وتُحـــــــوّلُ المخلـــــــوق وحـــــــ ... ـــــــشاً كاســـــــراً، يهـــــــوَى الشـــــــره

يـــــــا نفـــــــسُ كَـــــــم خَمشـــــــ ... ـــــــتِ عزمـــــــة باسِـــــــلِ مُتَبَصَـــــــرة!

(نِعـــــــمَ الإدامُ الخَـــــــل)! ، جُـــــــو ... عـــــــي كـــــــي تكـــــــوني جَـــــــوهرة

لا تَـــــــأكلي بَالهَـــــــدي ، إنـــــــ ... ـــــــكِ فـــــــي طريـــــــقِ المَقبـــــــرة

وحُطـــــــامُ دُنيـــــــاكِ البَغيـــــــ ... ـــــــضة مُوقَـــــــدٌ كالمِســـــــجرة

فـــــــيمَ التحَيُّـــــــر فـــــــي الـــــــدنا؟ ... يـــــــا نفـــــــسُ فـــــــارجي المَغفـــــــرة

يـــــــا نفـــــــسُ تُـــــــوبي واستقيـــــــ ... ـــــــمي ، فالمعاصـــــــي مِجمـــــــرة

وأرى الخُطـــــــوب عليـــــــكِ تتـــــــ ... ـــــــرَى ، والرَّزايـــــــا مِجهَـــــــرة

ومَخَالـــــــبُ الأوهـــــــام أدْ ... مَـــــــتْ آهتِـــــــي المُتـــــــأثرة

عبيد المال

(أحيانا يُخيّل إليّ أن المال لم يُعْبد في أي زمان مضى ، مثلما عُبد في زماننا. إن كثيراً من الناس قد عبدوه. والفرق جدُّ كبير بين جلوس الإنسان إلى قوم - الآيةُ والحديثُ وهمُّ المسلمين والإسلام - شغلٌ شاغل لهم ، لا يبرح حديثهم ، ولا يهجر مجالسهم ، حتى لقد عُرفوا بهذا ، وبين جلوس الإنسان إلى قوم - الدينارُ والدرهم ، والمكسب والخسارة ، والطعام والشراب - حديثهم الذي لا ينقضي ، وشغلُهم الذي لا ينقطع. إن الفرق الذي بين الفريقين يكاد يكون كالفرق الذي بين السماء والأرض ، وبين الأبيض والأسود ، وبين العذب الفرات والملح الأجاج ، وبين الظل والحرور ، وبين الثرى والثريا. إن الفريق الأول إن وجد فيك عيباً قوّمه وشدّ على عاتقك ، فتجاوزت الخلل وتداركت العيب وأزلت العوار. ولكن الفريق الثاني سرعان ما يصيبُك جلوسُك إليه بالحزن والأسى ، والضنك والهوان ، والمحن والإحن. فهو لا يتكلم إلا فيما يخص الدنيا والمال ، شأنه في ذلك شأن المرتزقة ، الذين إن حزنوا فعلى فقدان بعض المال ، وإن سعدوا فعلى إقبال المال. ولقد ابتُليت هنا بشراذم من عبيد المال ، فسطرتُ لهم هذه القصيدة. نعم هم حِفنة مِن المُرتزقة ، لا حديثَ لهُم إلا في المَال. وكم مِن مَرَّةٍ نصحت لهم ، ولكنهمُ ازدادوا عُتُواً ونفوراً واستكباراً ، وأكثروا حديثهم فِي المَال والأرض والطين والوحل! وباتُوا لا يحبون إلاّ في المال ، ولا يُعادون إلاّ فيه. وحقيقةً المَالُ مُقومٌ من مقومات الحياة ، ولكنَّ المُقوّمَ الأُم لَها هُوَ مُقَوِّمُ العقيدة. وإذا فَقَد المَرءُ المُقوّمَ الأم هذا فنسأل: مَا قِيمةُ الحَياة؟ بل مَا قيمة المَالِ والحَياةِ معاً بِدُون عَقِيدة؟)

يَـــا عَبِيـــد المَـــال ، مَـــا هَـــذا الجُمُـــودْ؟ كيـــفَ يَحلُـــو العَـــيشُ فِـــي ظِـــلِّ القُيـــودْ؟

كَيـــفَ صَـــارَ المَـــالُ مَعبـــوداً لَكُـــم؟ كيـــفَ بَـــاتَ القلـــبُ عَبـــداً للنّقُـــود؟

هَـــذِهِ الأرواحُ بَاتَـــت كَـــلأً لســـراب الـــدِّرهَمِ العَـــاتِي الوَئِيـــد

وكـــذا الألبـــابُ أعْمَاهـــا الكَـــرَى والـــدنانيرُ علَـــى هَـــذا شُـــهُودْ

دِرْهـــمٌ فِـــي كُـــلِّ عَـــين مَاثـــلٌ يَركُـــلُ الإنســـانَ فِـــي هـــذا الوُجُـــود

وكـــذا فِـــي القَلـــبِ يَجثُـــو دِرهـــمٌ يَلفـــظَ التَّوحيـــدَ فِـــي كُـــلِّ صَـــعيد

وإذا فِـــي الـــنّفسِ أيضـــاً دِرْهَـــمٌ يهـــدر الإيمـــانَ ، والـــذِكرَ المَجِيـــد

وعلَـــى الـــرُّوحِ تَمَطّـــى دِرهَـــمٌ يَـــرفُضُ التَّـــذكِيرَ ، حَتَّـــى بِـــاللّحُود

وإذا فِـــي كُـــل شِـــدقِ دِرهَـــمٌ طَـــاعِنُ الإعْـــراضِ ، جَبّـــارٌ عَنِيـــد

وإذا فَـــــوقَ المطايـــــا درهَـــــمٌ ظـــــالمُ الصَّـــــدعِ ، رَهِيـــــبٌ كالحَدِيـــــد

وكـــــذا بَـــــينَ الحَنَايَـــــا دِرهَـــــمٌ ضـــــارِبٌ فـــــي الجَـــــذب ، لَمَّـــــاح القَصِـــــيد

وكنَيـــــفُ الـــــدَّار يَـــــأوِي دِرهمـــــاً ظـــــالمُ الوســـــواس شَـــــيطَانٌ مَرِيـــــدْ

فَـــــوْقَ سَـــــطْحِ الـــــدَّارِ غَنّـــــى دِرهـــــمٌ وصَـــــدَى الألحـــــانِ آتٍ مِـــــنْ بَعِيـــــد

يَجْـــــذبُ الجُعـــــلاَنَ مِـــــنْ قَعْـــــر الثَّـــــرى ولُهـــــم - فـــــي الـــــذل - لَـــــون كَالعَبِيـــــد

وإذا فِـــــي كُـــــلِّ كَـــــفٍّ دِرَّهَـــــمٌ يعبـــــد الغُـــــل ، ويـــــأوي للقُيُـــــود

يَـــــا قـــــوارِين الـــــوَرَى، تعســـــاً لكـــــم! اقـــــرَأوا التَّـــــاريخَ مُـــــذْ كَـــــانَ الجُـــــدُود

عِنـــــدمَا قَـــــارون - فـــــي القـــــوم - بَغَـــــى غَـــــرَّهُ الـــــدينارُ ، فاجتَـــــازَ الحُـــــدُود

وتَعَـــــامى ، وتناســـــى أصـــــلَه فأطـــــال الفَخـــــرَ ، والعُجـــــبَ البَلِيـــــد

لَـــــوْ تَزَكـــــى - صَـــــدِّقوني – مـــــا طَغَـــــى ولَمـــــا كَانَـــــت زُيُـــــوفٌ ، أَوْ رُعُـــــود

أوتِـــــي الأمـــــوالَ تَتـــــرى ، والغِنَـــــى مثلمـــــا فِرعـــــونُ قَـــــد صـــــف الجُنُـــــود

أكمِـــــلَ الثَّـــــالُوثُ فِـــــي هَـــــذي الـــــدنَا وإذا بـــــالقومِ يُهـــــدُون الـــــوُرُود

وإذا بِـــــالكِبرِ يَجتَـــــاحُ الـــــوَرَى مِـــــن لَظَـــــى قَـــــارونَ قَـــــد شَـــــابَ الوَلِيـــــد

قَـــــالَ أهـــــل العلـــــمِ: لا تفـــــرَحْ أيـــــا مَـــــن بِهـــــذا المَـــــال يُغرِيـــــكَ الصُّـــــعُودْ

إنَّ رَبَّ النّـــــاسِ لا يَرضـــــى إذَن عَـــــن عبِيـــــدِ غـــــرَّهم ذَاكَ الحَصِـــــيد

وابتـــــغِ الجَنّـــــاتِ ، واعمـــــل تُعطَهَـــــا ثـــــمَّ لا تهمِـــــل هُنـــــا القَصـــــرَ الرَّصِـــــيد

ثـــــمَّ أحســـــنْ ، إنّمَـــــا التَّقـــــوى الغِنـــــى! مِثلمـــــا أعطـــــاكَ مَولانـــــا الحَمِيـــــد

أعـــطِ مَـــن يَرجُـــوكَ خيـــراً عَـــاجلاً ... إن مَـــن يُعطـــي الـــوَرَى بَـــاتَ السَّـــعِيد

ثَـــمَّ لا تنشُـــدْ فســـاداً فَـــي الـــدُنا ... لَـــيسَ يَرضَـــى اللهُ عَـــن عَبـــدِ كَنُـــود

يَكنِـــزُ المَـــالَ ، ويطـــوي خَيـــرَهُ ... وإذا الإنفـــاقُ نَـــادى ، فالصُّـــدُود

قَـــالَ قَـــارُونُ ، بـــأنَّ المَـــالَ لِـــي ... وتعَـــامى ، وتَمـــادَى فِـــي الجُحُـــود

وإذا الحمقـــى حيـــارى خَلفـــهُ ... وتَمنـــوْا عنـــدهُ الخَيـــر المَدِيـــد

وإذا بَـــالعِلمِ ، يَعلُـــو صَـــوتُهُ ... وزئيـــر الحَـــقُّ ، قـــد فـــاق الأسُـــود

ويلَكُـــم ، مَـــا عِنـــدَ مَولانـــا الغِنـــى! ... تُســـعِد الإنســـان جَنـــاتُ الخُلُـــود

ثَـــمَّ كَـــانَ الخَســـفُ لَلقـــارون لَـــم ... يُنقـــذِ القَـــارونَ مَـــالٌ ، أو يُفِيـــد

يـــا قـــوارين الـــدُّنَا ، هَـــل عِبـــرَةٌ؟ ... هَـــذه أســـوتُكم ، بِـــئسَ الوُفـــود!

فَـــاركُلُوا بِالنّعـــلِ أشـــقَى قَـــدوةٍ ... وارجمـــوا بالصَّـــخرِ هَـــا ذَاكَ الطَرِيـــد

وخـــذوا التوحيـــد نهجـــاً ، واصـــدقوا ... إنمـــا الصِّـــدقُ هُـــوَ الفـــوز السَـــدِيد

واحزنـــوا للهَـــدْي مِمَّـــا نِالَـــهُ ... لا تُطيلُـــوا فِـــي دُجَـــى المَـــالِ الوَجِيـــد

إنّمـــا المَـــالُ سَـــرَابٌ زَائـــلٌ ... فامهـــدُوا للـــنّفسِ فـــي يَـــومِ الوَعِيـــد

واقهَـــرُوا الـــنّفسَ عَلَـــى حـــبِّ الهُـــدَى ... لـــيسَ يـــومٌ مَـــرّ مِـــن عُمـــرِ يَعُـــود

أهداب النصيحة

(ذات يوم كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يجلس إلى أصحابه فقال: (الدين النصيحة ، الدين النصيحة ، الدين النصيحة. قالوا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم). رواه مسلم. وإذن فديننا يضع النصيحة في المكان اللائق بها ، كما فهمنا ضمنا من الحديث آنف الذكر. والذكي العبقري من تخوّل منصوحه النصيحة متخيراً الوقت المناسب والمكان المناسب والظرف المناسب والطريقة المناسبة والكلمات المناسبة. ثم هو يبذلها بين يديه مبتغياً بذلك وجه الله تعالى. كأنه حامل قنديل وسط قوم يتخبطون لا يدرون عن حقيقة وجودهم شيئاً. وإنما هم يخبطون في الحياة خبط عشواء ، ويتيهون في الأرض. وإذن فحامل القنديل الواعي الناصح يعرف دوره. إن حامل القنديل يتعين عليه أن ينير دروب قوم غفاة. مهما كلفه ثمن ذلك العطاء. وذات يوم نكص هذا الذي يحمل القنديل عن عطائه ، وذلك ليلة إصابته على خلفية حادث مروري. ومن هنا رحت أنصحه على الفور ، وجعلت لنصيحتي أهداباً. وأوصيته أن لا يكف عن النصيحة طرفة عين ولا أقل من ذلك. يقول الدكتور عبد الكريم زيدان في كتابه: (السنن الإلهية) ما نصه: (إن أساليب الدعوة كثيرة جداً ، وقد يكون من أسلمها وأنفعها دائماً الدعوة الفردية الصامتة بالقول والفعل والسلوك ، وإشاعة الوعي الإسلامي في الناس وتعميقه في نفوسهم وتبصيرهم بحقائق الإسلام وبواجبهم نحوه ، ولا تبدأ بمهاجمة الطواغيت فإن آخر ما تفعله مهاجمتهم ، وأمامها سوح العمل للإسلام الميسرة المفتوحة كثيرة فلتبدأ بها ، حتى إذا ما شاع الوعي الإسلامي وانتشر في المجتمع وصار مسلماً حقاً فإن الحكومة المسلمة ستنبثق منه ، لأن انبثاقها من الشعب المسلم شيء طبيعي كخروج الثمرة من الشجرة ، والشعب المسلم هو الذي يشيع فيه الوعي الإسلامي الصحيح وتكون طليعته الجماعة المسلمة المستنيرة المخلصة التي ينجذب إليها الطيبون المؤمنون الصادقون دون طلب منها إلى هذا الانجذاب ، كما ينجذب الحديد إلى المغناطيس).هـ. جزا الله خيراً الدكتور زيدان!)

كفكفْ شِكاياتِ الحياةْ ... واتركْ أباطيلَ الغُواةْ

واهجرْ ترانيم الجوى ... وابرحْ أهازيج الحُداة

إن شئت أن تحيا هنا ... كفكفْ تعاويذ الشفاة

واضرعْ لربك ، واصطبر ... واعمَدْ إلى أنس الصلاة

بلواكَ هذي سهلة ... فاصبر لها صبر التقاة

كم محنةٍ حلت ، ولم ... تحلم بشيء من نجاة!

ثم استحالت فرجة ... والكيدُ أودى بالجُناة

صدّقْ فؤادي ، لا تكن ... في زمرة القوم الغفاة

إن الـــــــذي يهـــــــذي يهـــــــنْ! والحـــــــرّ مَـــــــن يعطـــــــي الحيـــــــاة

يعطـــــــي الهُـــــــدى ، يعطـــــــي التقـــــــى! يســـــــعى إلـــــــى درب الهُـــــــداة

يســـــــمو إلـــــــى عطـــــــر المُنـــــــى يشـــــــدو بتصـــــــويب الكُمـــــــاة

يهـــــــوى الحيـــــــا ، يهـــــــوى الســـــــنا! فـــــــي أي هـــــــزل لا تـــــــراه

لـــــــيس الـــــــذي يغتـــــــابُ ، لا! بـــــــل فـــــــوق تضـــــــليل الوشـــــــاة

قِـــــــط علـــــــى إخوانـــــــه صـــــــقرٌ إذا نيـــــــل الأبـــــــاء

مَـــــــن يبـــــــذرون الفجـــــــر فـــــــي كـــــــل الـــــــدنا ، نعـــــــم الحُمـــــــاة!

لا تنهـــــــزمْ ، يـــــــا صـــــــاح ، كـــــــنْ مسترشـــــــداً ، فيـــــــكَ الأنـــــــاة

والأرض عطشـــــــي ، والـــــــورى يرجـــــــون إحســـــــان الســـــــقاة

أعـــــــطِ الـــــــورى ، أعـــــــط الـــــــدنا مِـــــــن صـــــــدق مـــــــا قـــــــال الـــــــرواة

ابـــــــذلْ ، ولا تخـــــــش الأذى حطـــــــمْ عراقيـــــــل العُتـــــــاة

الحـــــــقّ أنـــــــتم ، والضـــــــيا! دمّـــــــرْ عقابيـــــــل الطغـــــــاة

أنـــــــتَ الرقـــــــى ، والمرتقـــــــى! فـــــــازرع يواقيـــــــت البُنـــــــاة

أنـــــــتَ المثـــــــالُ المُحتـــــــذى فـــــــارفع لمـــــــن مـــــــاتوا الجبـــــــاه

خـــــــلّ الخزايـــــــا ، وانـــــــتفضْ والحـــــــقْ بـــــــأقوام سُـــــــراة

وادعُ الأنـــــــام إلـــــــى الهُـــــــدى واجتـــــــز ديـــــــاجير الفـــــــلاة

واكســـــــرْ قيـــــــود الأســـــــر ، بـــــــل وامحـــــــقْ ثآليـــــــل النعـــــــاة

قـــــــل كـــــــل حـــــــق ، لا تخـــــــفْ واردمْ ســـــــراديب الجُفـــــــاة

قـــــــمْ ، وادعُ ديـــــــان الـــــــورى فـــــــالله هـــــــادي مَـــــــن دعـــــــاه

هواجس الأطياف

(ذات يوم أنشد أستاذي الفاضل / رمضان متولي الدنجاوي ، معلم اللغة الإنجليزية في صفوفي الثلاثة الثانوية: (يمر عليّ طيف حبيبي ** وكلما مر عليّ يحلو) ، فأعجبني. والأستاذ الدنجاوي كم أتحفنا بأبيات يتمثلها ، أو بقصص حكيت له في طفولته ، أو بأمثال سمعها أو قرأها. وكم كانت تستهوي الإنسان نظرة الشباب عندما كان ينظر إلى نفسه شباباً. حتى إذا خط الشيب رأسه ولحيته زهد في الدنيا ورخص عنده ثمن الحياة ، ورأى من حقيقة الدنيا في مشيبه ما لم يدركه في شبابه. إن طيف الشباب يراود المرء في ما بين الشباب والمشيب. وكم يعجبني قول من قال:

ألا ليـــت الشـــباب يعـــود يومـــاً فـــأخبره بمـــا فعـــل المشـــيبُ

ويعجبني أكثر قول الثاني كأنه يرد على الأول ويجيب سؤاله في صراحة وإباء وواقعية:

ذهـــب الشـــبابُ ، فمـــا لـــه مـــن دعـــوة وأتـــى المشـــيب فـــأين منـــه المهـــربُ؟!

وكنت قابلت ـ رجلاً أشيب ، فقرأت معاني الشيب في صحن وجهه ، وطالعت تجاعيد السنين التي علت جبينه ، وكان قد حدثني بلهجة لا أعرفها ولا تعرفني ، غير أني كنت أفهم من قسمات وجهه ماذا يريد أن يقول. وقلت في نفسي: إنني يوماً سوف أصير مثل هذا الأشيب إن كان في العمر بقية. فتأثرت لذكر المشيب وأهواله ، وتذكرت كذا موقف العرض على رب العالمين. وأكاد أقطع أن هذا الرجل ما عرفت مثله في مثل سِنه من محافظة على القيم والأخلاق في حياتي. وإنني أهدي هذه الأطياف له من قلبي. وكان أحد الشياب وهو الأستاذ عبد الحفيظ ، من أبناء فلسطين ، وكان يعمل معلماً في إحدى مدارس التربية والتعليم ، وكان يحرص أشد الحرص على الصلوات الخمس في جماعة وفي المسجد ، ومن الذين لهم مكانٌ محددٌ بعينه في الصف الأول عن يمينه! فإذا ما افتقدناه فإما مسافرٌ وإما مريض! وكان يستفتي إذا جهل الحكم ، ويسأل إذا غاب الدليل! وكان كثيراً ما يدعو ويلح في الدعاء ، بكليمات ـ لم أقرأها في كتاب ، وما سمعتها من داع قط ـ قائلاً بحُرقة: (اللهم يا عالم الغيبْ ، اغفر الذنبْ ، واستر العيبْ ، وارحم الشيبْ ، وابعد الريبْ ، واملأ الجيبْ!) فكنت أتعجب من هذا الأشيب كيف فطن إلى هذا السجع المبارك الذي ما ترك باباً من أبواب الخير إلا طرقه متوسلاً إلى ربه سبحانه وتعالى؟!)

الطيـــــــفُ يلهـــــــو بـــــــالألمْ والشـــــــوقُ يضـــــــربُ فـــــــي العـــــــدمْ

والشـــــــيبُ قـــــــد نثـــــــر الجَـــــــوى فـــــــوق الجبـــــــين المُحتـــــــرم

فـــــــي العـــــــين دمـــــــعٌ صـــــــامتٌ أمســـــــى يُعرقلـــــــه الـــــــبَكَم

فـــــــي نورهـــــــا جُرحـــــــتْ ، ولـــــــم تبـــــــرا الجـــــــراحُ وتلتـــــــئم

والعمـــــــر أضـــــــحى راحـــــــلاً وكـــــــذاك قَـــــــدرتِ القِسَـــــــم

وقـــــرأتُ فـــــي عينيـــــه مِـــــن ماضـــــــي الزمـــــــان المنـــــــبهم

وقـــــرأت فـــــي صـــــفحات أمـــــ ـــــــس مســـــــتريب منصـــــــرم

عينـــــــان غائرتـــــــان فـــــــي صـــــحن الجبـــــين ، كمـــــا الأكَـــــم

عينـــــــان ذابلتـــــــان فـــــــي وجـــــــهٍ تمـــــــرّغ فـــــي الكـــــــرم

فـــــي كـــــل عـــــين نفحـــــة زهـــــــراءُ عـــــــاطرة الـــــــنغم

كـــــــرمٌ تمـــــــادى للـــــــذرى وأصـــــــالة تمحـــــــو الســـــــأم

وبـــــــــداوة قرشـــــــــية تُضـــــفِي الســـــرور علـــــى الـــــنغم

وعَراقـــــــــــة قبليـــــــــة والبـــــــدو أصـــــــحاب القِـــــــيم

قـــــيمٌ بـــــلا عـــــز هَـــــوا! وبـــــــلا رجـــــــالاتٍ سَـــــــقم

بـــــــدتِ الأنامـــــــلُ كـــــــالثرى والكـــــــف أضـــــــناها الألـــــــم

وأظـــــــافرٌ نشـــــــوى بهـــــــا وأصـــــــابعٌ فيهـــــــا صـــــــمم

والظهـــــــــر أحنـــــــــاه الأذى مـــــــا عـــــــاد تحملـــــــه القـــــــدم

والجيـــــــدُ مضـــــــمورُ القفـــــــا قـــــــد كـــــــان يومـــــــاً فـــــــي القمـــــــم

وفـــــــمٌ بـــــــلا سِـــــــن ولا ضـــــــرس لـــــــيطحن مـــــــا الـــــــتقم!

لكنـــــــه فـــــــي صـــــــحوةٍ وبهـــــــا يجـــــــود ويبتســـــــم

والأذنُ ، لا ســـــــــمعٌ بهـــــــا وتصـــــــيخُ إن كانـــــــت حِكَـــــــم

والشَـــــــعر صـــــــوفٌ مُقفـــــــرٌ أودى برونقـــــــه الهِـــــــرَم

والـــــــرأسُ مثـــــــل ثغامـــــــةٍ بـــــــالأمس كانـــــــت كـــــــالظلم

أمـــــــا الـــــــذراع فســـــــعفة كـــــــم ذا أطاحـــــــت مـــــــن عِمـــــــم!

وكـــــــذا اللســـــــان حروفـــــــه هُـــــــوجٌ كألحـــــــان العجـــــــم

والخلـــــــــق يفنـــــــى كلـــــــه ... والمُلـــــــــــــك لله الحكـــــــــــم

الشـــــيب مـــــا فـــــي الشـــــيب مِـــــن ... عيـــــــب ، ولا أدنـــــــى تهـــــم

فالشـــــــيب مدرســـــــة الـــــــورى ... كـــــم فيـــــه مـــــن عـــــذب الكلِـــــم!

ولكَـــــم حـــــوى مـــــن عِبـــــرةٍ ... مِـــــن ذكرهـــــا اعتبـــــرَ الصـــــنم

كـــــم نعمـــــةٍ وُهبـــــتْ لنـــــا! ... والشـــــيبُ مـــــن هـــــذي الـــــنعم

فهـــــو النـــــذير إلـــــى الفنـــــا ... كـــــم فيـــــه مـــــن عِبـــــرٍ وكَـــــم!

فلقـــــد قـــــرأتُ صـــــنيعه ... فـــــي وجـــــه صـــــاحبنا الهَـــــرم

وشـــــربت قهوتـــــه ، وقـــــد ... ســـــطرت شـــــعراً بـــــالقلم

وســـــألت نفســـــي فجـــــاة ... أأشـــــيب جســـــماً ، والحُلـــــم؟

أيبـــــدلُ الشـــــيبُ الصـــــبا ... وكـــــذا الشـــــبابَ المرتســـــم؟

هـــــل يـــــذبل الزهـــــر الـــــذي ... إرواؤه عطـــــــــــــــــــرٌ ودم؟

هـــــل يـــــذهب العقـــــل الـــــذي ... أثـــــرى يـــــواقيتي ، وتـــــم؟

يـــــا ليـــــت أنـــــي لـــــم أكـــــن ... شـــــيئاً ، ولا كـــــان النـــــدم!

أطيـــــافُ عمـــــري ، والـــــرؤى ... فـــــي القلـــــب ، باتـــــت تضـــــطرم

وإلـــــى لقـــــاء مهـــــيمن ... فـــــي موقـــــفٍ ســـــام عمـــــم

والمـــــرءُ فيـــــه ففـــــائزٌ ... برضـــــا الإلـــــه ، بـــــه اعتصـــــم

أو خاســـــر أخـــــرى ، ولا ... تلقـــــــــاه إلا المنهـــــــــزم

مَـــــن كـــــان يرجـــــو جنـــــة ... فليتّبـــــــــع ، وليســـــــتقم

(من الأقوال العظيمة التى تُنسب إلى على بن أبى طالب – رضى الله عنه – قوله: (إن أخوف ما أخاف عليكم اتباعُ الهوى وطول الأمل ، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق ، وأما طول الأمل فيُنسي الآخرة. ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة ، ألا وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة ، ولكل واحدة منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل.)هـ ، وكثير من الناس يَروى هذا الأثر العَلَوي العظيم على أنه حديث للنبي – صلى الله عليه وسلم – وليس الأمر كذلك. والشاهد الذي يرتسم لقصيدتنا من قول علي هو (ألا إن الدنيا قد ترحلت مدبرة ، ألا إن الآخرة قد ترحلت مقبلة). إذ إن كل غريب في غربته يعيش المعنى هذا فيُقبل على آخرته. والحقيقة أن للغربة لهيباً لا يشعر به إلا من اغترب وارتحل. ولكن ما أحلاها عندما تكونُ في الله ، وعندما يَطعن الأعداء غريباً ما – وهو بَينَ أحبابه وأصدقائه – يَهُون أمرُ الغربة! ولكن عندما يُطعن مغترب بيد مَن كان يزعم أنهم أحبابه ، وليس معه من يُعين على الغربة فإن اللهيبَ يكون على أشده ، وعندما يَكون أعداء الإنسان مِن أبناء جلدته وممن يتكلمون بلسانه تكونُ المحنةُ أشد وأنكى ، ويكون لهيبُ الغربة كالسمِّ الزعاف أو كالسيف الماضي أو كالشبح المُطوّقِ عُنق الإنسان والذي بدوره يَقوده إلى المجهول! عن خالد بن عمرو العدوي قال: خطبنا عتبة بن غزوان ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: أما بعد. فإن الدنيا آذنت بصرم ، وولت حذاء ، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء يتصابها صاحبها ، وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها! فانتقلوا بخير ما بحضرتكم ، ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لنا طعام إلا ورق الشجر ، حتى قرحت أشداقنا ، فالتقطت بردة فشققتها بيني وبين سعد بن مالك ، فاتجرت بنصفها ، واتجر سعد بنصفها ، فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح أميرًا على مصر من الأمصار ، وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيمًا ، وعند الله صغيرًا. وعن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه - قال: أخرجت لنا عائشة – رضي الله عنها - كساء وإزارًا غليظًا ، فقالت: قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين. وعن سعد بن أبي وقاص قال: إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله ، ولقد كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لنا طعام إلا ورق الحُبَلَة ، وهذا السمُر ، حتى إن كان أحدنا ليضع كما تضع الشاة ، ما له خِلْط. متفق عليه. وعن أبي هريرة – رضي الله عنه - قال: والله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع ، ولقد قعدت يومًا على طريقهم الذي يخرجون منه ، فمر النبي صلى الله عليه وسلم فتبسم حين رآني ، وعرف منا بوجهي وما في نفسي ، ثم قال: (يا أبا هر) ، قلت: لبيك يا رسول الله. قال: (الحق) ، ومضى ، فاتبعته ، فدخل فاستأذن فأذن لي ، فدخلت ، فوجد لبنًا في قدح ، فقال: (من أين هذا اللبن؟) قالوا: أهداه لك فلان أو فلانة. قال: (أبا هر) ، قلت: لبيك يا رسول الله. قال: (الحق إلى أهل الصفة ، فادعهم لي) ، قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام ، لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد ، وكان إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئًا ، وإذا أتته هدية أرسل إليهم ، فساءني ذلك ، فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة؟ كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها ، فإذا جاءوا أمرني فكنت أنا أعطيهم ، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن؟...الحديث. وعن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: لقد

رأيتني وإني لآخر فيما بين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حجرة عائشة مغشيًا عليّ ، فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي ، ويرى أني مجنون ، وما بي من جنون ، وما بي إلا الجوع. وعن أبي هريرة – رضي الله عنه - قال: لقد رأيت سبعين من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء ، إما إزار وإما كساء ، قد ربطوا في أعناقهم ، ومنها ما يبلغ نصف الساقين ، ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أن تُرى عورته. وعن ابن عمر قال: كنا جلوسًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ جاء رجل من الأنصار... فقام وقمنا معه ، ونحن بضعة عشر ما علينا نعال ولا خفاف ولا قلانس ولا قمص ، نمشي في تلك السباخ ، حتى جئنا ، فاستأخر قومه من حوله حتى دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين معه. وعن أبي سعيد المقبري ، عن أبي هريرة – رضي الله عنه -: أنه مر بقوم بين أيديهم شاة مصلية ، فدعوه فأبى أن يأكل ، وقال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير. وعن أنس – رضي الله عنه - قال: لم يأكل النبي صلى الله عليه وسلم على خوان حتى مات ، وما أكل خبزًا مرققًا حتى مات. وعن النعمان بن بشير – رضي الله عنه - قال: لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم وما يجد من الدَّقَل ما يملًا بطنه. والدَّقَل تمر رديء. وعن سهل بن سعد – رضي الله عنه - قال: ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقي من حين ابتعثه حتى قبضه. فقيل له: هل كان لكم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مناخل؟ قال: ما رأى رسول الله منخلًا من حين ابتعث حتى قبض. فقيل له: كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول؟ قال: كنا نطحنه ، وننفخه ، فيطير ما طار ، وما بقي ثريناه.)

كَرِهـــــتُ المُقـــــامَ بـــــأرضِ العَـــــذابْ ... وصِـــــحتُ بـــــأن لـــــيس إلا اغتـــــرابْ

ومزقـــــتُ نَفســـــي بكُـــــل الأســـــى ... وأمضـــــيت عُمـــــري - هنـــــا- فـــــي الســـــراب

وصُـــــغت الحيـــــاة التـــــي أفلَتَـــــت ... مِـــــنَ الهَـــــدي - جَهـــــراً - بِكـــــلِّ انتحـــــاب

قصـــــــيداً أليمـــــــاً (بِرَائِيتِـــــــي) ... تَـــــذوبُ الجِبـــــال لـــــه ، والهضـــــاب

وسِـــــرتُ الهُـــــوينى ، وذُقـــــتُ الثـــــرى ... وعَشـــــتُ الـــــذليل الـــــذي لا يَهَـــــاب

ولـــــيس المَـــــرَار الـــــذي هَـــــالَني ... سِـــــوى قطـــــرةٍ مـــــن نقيـــــع العَـــــذاب

فسُـــــقيا لعهـــــد العُـــــلا ، والوفـــــا ... لقـــــد يَرتـــــوي - مـــــن دمـــــائي - الـــــذئاب

تعـــــاورني كُـــــلُّ ذِئـــــب عـــــوى ... وأصـــــبحتُ قَوتـــــاً لِكـــــل الكِـــــلاب

ونـــــال الخلائـــــقُ مِـــــن ســـــيرتي ... وأضـــــحى الوفـــــا كـــــالجحيم المُـــــذاب

ولـــم يرحمـــوا - فـــي الـــورى - أســـرَتي وكـــالوا الأســـى واللّظـــى والسِّـــباب

لقـــد بـــالغوا فـــي تعـــديهمُ بِكـــلِّ التعنـــتِ ، والإرتيـــاب

وليســـت تُعَـــد هُـــراءاتهم وليســـتْ يضـــم صـــداها كِتـــاب

وليـــت العِـــدا كفكفُـــوا دَمعتـــى علـــى دِيـــن رَبـــي وعَفـــو الصِّـــحاب

ولمَّـــا رأيـــت الوَفـــاءَ انقضـــى نَكـــرتُ الشُّـــخُوص ، وعِبـــت الشَّـــباب

ورحـــتُ أفـــتش عَـــن خُلتِـــي فألفيتهـــا فـــي أتـــون الضَّـــباب

طواهـــا النفـــاقُ ، فلانـــتْ لـــه وصـــارت مَحطـــاً لكـــل الـــذباب

زعمـــتُ الـــذي هُـــم رَمَـــوْني بِـــه ســـيُرجعُهُم ، ويُقيـــلُ السَّـــحاب

فضـــاعت - مَـــعَ الـــزَّعمِ - أمنيتِـــي وضـــاعت - سُـــدىً - أمســـياتي العِـــذاب

وخَابـــت - مـــع الـــوهم - تغريـــدتي ويـــا ليتنـــي مَـــا كَشـــفتُ النِقـــاب

فيـــا أيهـــا الـــدَّمعُ ، دعنـــي هُنـــا أذكّـــر نفســـي بيـــوم الحِســـاب

لقـــد جِيـــت أهـــدي إليـــكَ المُنـــى وأصـــبغ أطروحتَـــي بالتحـــاب

أمَـــا والفـــؤادُ ارتضـــى شـــقوتي فلـــيس بمُجـــدٍ تحـــدي العُبـــاب

وأســـأل أيـــن الوفـــا بيننـــا؟ ولـــم أدرِ يـــا دمـــع مـــاذا الجَـــواب؟

لعـــل الجـــوابَ ضـــياعُ السَّـــنا بغـــيمِ الكآبـــةِ ، والإنســـحاب

فمرحـــى برحمـــةِ رَبِّـــي إذن هِـــي الـــزادُ والمُلتقـــى والشَّـــراب

ومرحـــى بلطـــف مليـــك الـــورى ومِـــن فضـــله نســـتمد الصـــواب

ولمّـــا ظمئـــتُ - هنـــا- لـــم أجـــدْ سِـــوى الهَـــدي نُـــوراً يُبيـــدُ المُصـــاب

هـــو الصَّـــبر يـــا قلـــبُ لا ترتجـــفْ عســـى اللهُ يَكشـــف هَـــذي الصـــعاب

وإنـــي علـــى ثِقـــةٍ أننـــي بربـــي قَـــويٌ ، ولســـتُ أعـــاب

يمينـــاً ، شـــربت الأمَـــرّين مِـــن جَهـــالات جَمـــع هَزيـــلِ الرِّكـــاب

بِضـــاعتهُ الهَـــزلُ فـــي جـــدهِ ولـــيس يَخـــفُ لـــبعض انقـــلاب

يُـــداري الفضـــيحَةَ فـــي هزلـــه وحتمـــاً سَـــيَلقى الجَـــزا والعقـــاب

ويلعـــبُ بِالنـــارُ ، مـــن جهلـــه ويأكـــل بـــالحق! شـــئٌ عُجـــاب!

وتَحِرقـــه النّـــارُ ، لا يرعـــوِي ألا إنمـــا ، كيـــده فـــي تَبَـــاب

يُخـــادعُ رَبَّ الســـما عُمـــرَه ويُمســـك للنـــاس أعتـــى الحِـــراب

فتحـــتُ الفَـــؤاد لِمـــن كَبَّلُـــو هُ ، وعشـــتُ الحيـــاةَ أطيـــلُ ارتقـــاب

وأعطيـــتُ رُوحـــي لَمَـــن أحرقـــوا يواقيتهـــا ، فـــي أتُـــون اليَبـــاب

فصـــاحبت ناســـاً أرى أنّهـــم تُـــؤرقهم - فـــي الـــديار - القِبـــاب

ووالله مـــا عنـــدهم غيرُهـــا فليســـوا يَـــرون لِهَـــدي غِيـــاب

فَوَيـــلٌ لقـــومٍ هُـــمُ هَـــؤلا ءِ مِـــنَ الله ، يـــومَ اللقـــا والمَـــآب

وبُعـــداً ليـــوم اللقـــاء بهـــم وحمـــداً لربـــي علـــى ذا المَتَـــاب

رأيـــت بِهـــم مَربحـــاً وافِـــراً وخابـــت ظَنـــونِيَ فـــي الاكتســـاب

وأرخصـــت سِـــعرَ الوَفَـــاء الـــذي لَـــهُ ثَمَـــرٌ مُغـــدقٌ يُســـتطاب

وعُـــدتُ الغريـــب الـــذي لـــم يـــذق ثِمـــار القرابـــة ، والإنتســـاب

وما كنتُ أدرى بأن الذي ... يُخاطر بالنفس يُزري الإهاب

فأحرقت نَفسي بنار الوَفا ... وغَرَّد - فوق رفاتي - الغُراب

وقَلتُ سأجزى بخير الجَزا ... ولكنني قد حُرمتُ الثَواب

سَكبتُ الدُّموع عَلَى سُمعتي ... كذاك الدِّماءُ هُنا في انسكاب

أرى الرَّمل يضحك مِن خيبتي ... وخبّأ شمسَ الخُسُوف الحِجاب

تَوراتْ حَياءً من المُلتقى ... وقد أرَّقتْها النُجُومُ الغِضاب

وقد حَطمتْ في الدُّجى بَسمةً ... لَكَم حرّقتها رِياحُ العِتاب

وطفلاي نامَا عَلَى آهتي ... وجَرَّحني منهما الانتحاب

وسِرتُ بجُرحي ببحر العنا ... ولم تَبكني - في الأنام - الشِعاب

وسرتُ إلى منتهِيَ خيبتي ... فعَرقل سيري ضميرُ الإياب

وخمشني الوَهمُ في مِشيتي ... وزيّن ليْ الوَهمُ معنى الذَهاب

وأغمضت عيني على شِقوتي ... وأفقدني الكربُ فصلَ الخِطاب

وخِفتُ الخلائق في وحشتي ... ونَاح بقلبي أسى الاكتئاب

وذقتُ العَذابَ بلا رحمةٍ ... على يدِ مَن يلبسُون الجِبَاب

عمائمُ قد طوعتْ هَديَها ... لذل الدنانير ، ليست تُعاب!

وتقطعُ في الحق شُريانهُ ... وتُعطي لشيطانها الاكتتاب

وقد خبَّأتْ في القُلُوب الهوى! ... قُلُوبُ الخزايا ، ووجهُ الحُباب

وقد يظهرون على شاشةٍ ... ويُحرم منها الذي لا يَهاب

علـــــى الجَاهِليَّـــــةِ قِـــــطَ وديـــــــ ـــــعٌ ، وســـــكينُ غـــــدرِ تَحـــــزَّ الرِّقـــــاب

رقـــــابَ الأماجـــــدِ مَـــــن أســـــلموا فيـــا ســـعد مَـــن ـ فـــي إلا لـــهِ – يُصـــاب!

ويـــــا ضَـــــيعة المُســـــتبد بهـــــا أمـــــا يســـــتحي مِـــــن حَـــــرام ارتكـــــاب؟

هُنـــــــاك يُسِـــــــرُّ لأســـــــيادهِ يُقَبِّـــــــلُ أعتـــــــابهم ، والجِـــــــراب

ويمســـــح جُوخـــــاً علـــــى جلـــــدهم أمـــــا يســـــتحي مـــــن صـــــنيع القِحـــــاب؟

ألـــــيس يخـــــاف انتقـــــامَ الإلـــــــ ـــــهِ؟ ألـــــيس يخـــــاف ألـــــيم العـــــذاب؟

ولكنهـــــا فِتنـــــةً فـــــي الـــــورى تعـــــدَّتْ حُـــــدود الفنـــــا والخـــــراب

وقـــــد عَمَّـــــتِ المُوبقـــــاتُ الـــــدُّنا وقـــــد أحرقـــــتْ قِشـــــرَها واللّبـــــاب

وقـــــد صُـــــبَّ بـــــأسُ العَزيـــــز القـــــو ي عتَّـــــيَ المِـــــراس ، وأىُّ انصـــــباب؟!

فيـــــا حســـــرةً ، ثـــــم يـــــا حســـــرةً علـــــى الخَلـــــق مِـــــن باقيـــــات العِقـــــاب!

أصـــــابِعُهُم بالخَنَـــــا لُطخـــــتْ وإن الأباطيـــــل أنكـــــى خِضـــــاب!

مســـــاكنُهُم بالغنـــــا دُنســـــتْ وبالمُفســـــداتِ أراهـــــا الكِعـــــاب

وقـــــد عَظَمـــــتْ كُـــــلَّ نِســـــوانها فَوَيـــــلٌ لأرضٍ تُـــــوَلي الكِعـــــاب

نواهـــــدُ فـــــي كُـــــل صُـــــقعٍ بهـــــا وتَصـــــنعُ بـــــالنفس صُـــــنع العُقـــــاب

وقـــــام النّـــــذير ، وقـــــال: كَفـــــي وعُـــــودوا لـــــربِّ جليـــــل الثّـــــواب

فـــــراحَ العَميـــــل لشـــــيطانِهِ وأســـــكتَ صَـــــوتاً شَـــــهِيَ الرِّضـــــاب

فيـــــا رَبِّ أنـــــت علـــــى مَـــــن بَغَـــــى فأرســـــل جُنـــــودَكَ تُجلـــــي المُصـــــاب

وخز الضمير

(فرقُ ما بين الضمير الحي والضمير الميت كبير للغاية. إن كل مظلوم تثور بداخله عاطفة الانتقام والتشفي من الظالم الذي ظلمه ، وينفعل بهذه العاطفة الثائرة نحو سلوك: قد يكون قد أشفي الغليل وقد يكون غير ذلك ، إلا أن العاطفة لا تزال بالمظلوم حتى يَغلبها أو تغلبه. والحق يقال: إن الظلم عاقبته وخيمة دنيا وأخرى ، ولكن المظلوم الموحد يختلف عن غيره في غير أهل ملته ، حيث إنه إن أحس بالظلم ـ وقد غاب من يرد له حقه ، ويمحو له مظلمته ، وينصره من ظالمه ـ فإنه يصبر ويحتسب ، ويشكو مصابه ومظلمته لربه تبارك وتعالى ، ولا يفكر أبداً في أن يرد مظلمته بطريق يجعله خارج تخوم دائرة ما يدين الله به كما فعل غريمه ، من الاستعانة بالطواغيت والظالمين على أخيه المؤمن! وتحت عنوان: (الظلم ظلمات يوم القيامة) يقول الدكتور عمر بن عبد الله المقبل ما نصه: (ألا إن من أعظم ما يوعظ به الظالِمُ تذكيرُه بالله ، وبعظيم قدرته عليه ، ولهذا يؤثر عن معاوية رضي الله عنه أنه قال: أخوف ما أخاف من رجل لا يجد له ناصراً إلا الله! إن الظلم لا يكاد يسلم منه أحدٌ منا! فمنا المسترسل معه ، ومنا المجاهد نفسه على تركه ؛ ذلك أن الله تعالى وصف الإنسان بأنه: ظلوم جهول! لكن السؤال: ما هو الموقف الشرعي الذي يقفه المسلم من أخيه الظالم؟ لقد أجاب النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك بأبلغ كلام وأوجز عبارة فقال: "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً! فقال رجل: يا رسول الله! أنصره إذا كان مظلوماً ، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم ، فإن ذلك نصره". "ومعناه: أنه إذا نهاه ووعظه فقد نصره على شيطانه ونفسه الأمارة بالسوء ، حتى غلبه ذلك". ومِن معانيه ما أشار له البيهقي فقال: "أن الظالم مظلوم في نفسه ، فيدخل فيه ردع المرء عن ظلمه لنفسه حساً ومعنىً ، فلو رأى إنساناً يريد أن يَجُبّ نفسَه لِظَنّه أن ذلك يزيل مفسدة طلبه الزنا مثلاً! منعه من ذلك وكان ذلك نصراً له". ومما يجلي معنى هذا الحديث أكثر أن يقال: إنك إذا "تركتَه على ظلمه ، ولم تكفّه عنه أذاه ذلك إلى أن يُقتص منه ؛ فمنعك له مما يوجب عليه القصاص نصرُه ، وهذا يدل من باب الحكم للشيء وتسميته بما يؤول إليه ، وهو من عجيب الفصاحة ، ووجيز البلاغة". ومن لطائف هذا الحديث أن فيه "إشعاراً بالحث على المحافظة على الصديق والاهتمام بشأنه ، ومِن ثَم قيل: حافظ على الصديق ولو على الحريق". "إياك إياك أن تظلم من لا ينتصر عليك إلا بالله ؛ فإنه تعالى إذا علم التجاء عبدٍ إليه بصدق واضطرار انتصر له فوراً". أوَما قرأت قوله تعالى: (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ). إن نور العدل شمس تضيء لأصحابها دروب الحياة ، ولا يفارقهم نورُها حتى يبهر أبصارَهم نورُ الجنة التي إليها سيُساق العادلون! العادلون في أقوالهم ، وأفعالهم ، وتفكيرهم، وأحكامهم ، ومعاملتهم مع الكبير والصغير ، والقريب والبعيد ، المنصفون الناسَ حتى من أنفسهم ، إنهم على نور يمشون به بين الناس. وأما الظالمون فهم في ظلمات لا يبصرون غير أنفسهم ، ولا يشعرون إلا بذواتهم. إن الظلم لا يُترك منه قدر أنملة ، فإذا رأيت ظالماً قد سطا ؛ فربما بات فأخَذَت جنبَه من الليل نملة ـ أي قروح في الجسد ـ").هـ. والآن لنقرأ النص!)

علـــى صـــرختي ، راح يأســـى الضـــميرْ ويُعلـــــن ـ فـــــي الخـــــافقين ـ النـــــذيرْ

وفجّـــر - فـــي الـــنفس - بركانهـــا وأوقـــد نـــاراً بقلبـــي الكســـير

وأدمـــى الفـــؤادَ ، بآهاتـــه وزلـــزلَ وهْـــمَ الشـــحوب الخطيـــر

وشـــيّد صـــرح الأســـى فـــي النهِـــى وحطـــم فـــي الجـــوف حتـــى الزفيـــر

ودمـــدم - فـــوق الـــرؤوس - الـــدنا وهشّـــم - فـــي الـــروح - بـــأسَ الضـــمير

وشـــوّه معنـــى الغـــرور الـــذي يُغذيـــه زيـــفُ العَـــوار المَريـــر

وقطـــعَ ألويـــه المعتـــدي ومـــزّق فحـــوى الجفـــاء العســـير

وقـــال الضـــمير: تأهـــبْ وقـــمْ وزايـــلْ نواحَـــك هـــذا الضـــرير

وإن الموحـــــد لا يرعـــــوي وفـــوق المصـــائب - شـــهماً - يســـير

ويحيـــا يُسَـــلّم أمـــر الحيـــا ةِ وأمـــر الممـــات لـــرب قـــدير

ولا يعبـــأنْ بصـــنيع الـــورى فقلـــبُ الموحـــد قلـــبٌ كبيـــر

وإن الموحـــد يخشـــى الإلـــ ـــه ، بتقـــوى المليـــك حـــري جـــدير

وفـــي النائبـــات قـــويٌ صـــبو رٌ ، ولـــيس يخـــور لأمـــر عســـير

ألا يـــا موحـــد أنـــت المُنـــى وصـــوتك - فـــي الحـــق - صـــوتٌ جهيـــر

فأنـــت الجســـور الـــذي لا يهـــا ب ، فكيـــف يهـــزك أمـــرٌ صـــغير؟

عهـــدتُك ليثـــاً تحـــب الصـــعا ب ، وكنـــت لصـــحبك نعـــم الظهيـــر!

تـــذود عـــن العِـــرض ، والمَكرمـــا تِ ، وحبـــك للخيـــر حـــبٌ وفيـــر

وتســـمو بعِرضـــك عـــن زلـــةٍ وعـــن كـــل فعـــل وضـــيع حســـير

فراجـــعْ فعالـــك ، لا تنفعـــل فعُقبـــى التســـرّع داءٌ مريـــر

تأمـــلْ تـــر القـــوم قـــد جُنـــدلوا وأنـــــت بنصـــــر الإلـــــه قريـــــر

وخـــافَ الأشـــاوسُ مِـــن نصـــرتي لتشويشـــــهم ، والنفـــــاق الكثيـــــر

وقـــد خـــانني الكـــل ، لـــم ينصـــفوا ووجهـــيَ قـــد شـــع منـــه النميـــر

وإنـــي الصـــريحُ الـــذي لـــم أخـــف وقـــد قلـــتُ حقـــاً بـــدار تمـــور

وأمـــــرُ براذينهـــــا هـــــالني تمـــــجّ اللجـــــامَ لفقـــــد الشـــــعير

ويقتلهـــــا الغـــــم إن غَيبـــــتْ عـــن المـــاء ، أو عـــن فـــراش وثيـــر

تـــردتْ - هنـــا - أســـفل السافليـــ ـــن ، وإنـــي - بفعـــل المطايـــا - بصـــير

ســـلوني ، أجـــبكم عـــن الأرذليـــ ـــن ومـــن يعبـــدون ســـراب الأميـــر

ســـلوني أجـــبكم ، فلســـت الـــذي يخـــاف الســـياط ، ويخشـــى الصـــفير

وليســـت تـــؤثر فـــيّ الخطـــو ب ، فـــإني - بفضـــل الإلـــه - النصـــير

قـــويٌ عليهـــا ، وجَلـــدٌ بهـــا ولـــو نـــال منـــي غبـــارُ النفيـــر

وإن أرّقتنـــــي تـــــلالُ الهشيـــــ ـــم فـــإني - هنـــا عنـــد ربـــي - أجيـــر

ولســـتُ أرانـــي الوحيـــدَ بهـــا كـــذلك لســـتُ أرانـــي الأخيـــر

فـــإني إذا عشـــت لســـتُ الـــذي ســـيَعدم قوتـــاً بـــوادي البعيـــر

وإنـــي إذا مِـــتُ لســـتُ الـــذي ســـيعدم قبـــراً بـــأرض القبـــور

ولكـــن إذا عشـــت لا أستكيـــ ـــن لهـــذي الشـــياطين كالمســـتجير

أعـــرّيهمُ دائمـــاً ، مـــا حييـــ ـــتُ ، أشـــدّد - فـــوق الخزايـــا - النكيـــر

وأعلِـــــنُ كرهـــــي لأذنـــــابهم ... وأبـــئسْ بقـــوم هـــمُ مِـــن عشـــير!

وإنـــي نـــذرتُ لهـــديي دمـــي ... ولـــن أرتضـــي ـ قـــط ـ عـــيش الأســـير

حيـــاة العبيـــد تـــذلُ الجبـــا ... هَ ، وتُزهـــق روح الخطيـــب الجهيـــر

خلقـــتُ لأعبـــد رب الـــورى ... ولـــيس لكنـــز المتـــاع الحقيـــر

وعـــاد الضـــميرُ إلـــى خيمتـــي ... يُســـائلني عـــن رُهـــيطٍ أجيـــر

رهـــيطٍ يغـــش البرايـــا ، فـــلا ... يكـــفّ عـــن النـــبح عبـــر الأثيـــر

يخـــادع بالهَـــدي بعـــض الـــورى ... يـــراه الجميـــعُ الفصـــيحَ الشـــهير

ومظهـــرُه مظهـــرُ المتقّـــيْ! ... وفـــي الســـحْر لـــيس لـــه مِـــن نظيـــر

يـــرجّ المنـــابر ، يبكـــي أســـىً ... علـــى حالنـــا البـــائس المســـتطير

لـــه صـــوتُ ســـحر يـــرجّ القلـــو ... بَ ، ولـــيس الـــذي يكتفـــي بـــالنعير

ولكـــن يزمجـــرُ فـــوق الـــرؤو ... س ، يهـــز بآهاتـــه كالهـــدير

وإن تســـألونيَ عـــن حالـــه ... فـــإني بحـــال العميـــل خبيـــر

يضـــحّي بأقرانـــه لقمـــة ... لأعدائـــه بعـــد مـــوت الضـــمير

كـــأني بـــه طـــوْعّ شَـــيطانه ... وإن نِيـــلَ شـــيطانُهُ يَســـتجير

وأعطيتُـــهُ الأمـــن حَتـــى أتـــى ... علـــىَ خَيمتـــي بالمَنَايَـــا يُغيـــر

وقُلـــتُ: سَـــيرجع عـــن غَيِّـــه ... وأمـــرُ العَمـــالات أمـــرٌ يســـير

فمـــا تـــاب عـــن فعـــل نّـــذلِ عميـــ ... ـــل ، ولكنمـــا الأمـــرُ حَقـــاً وعيـــر

إذِ القلـــبُ ردَّ الهُـــدى والتقـــى ... تناســـى المَنَـــابرَ ، بـــل والزَّئيـــر

تناســـى (ابـــن قَطـــبٍ) بـــأنوراه ... تعـــامى (ابـــن تَيمِيَـــةَ) المُســـتنير

تعـــامى عـــنِ الحـــقِّ ، لـــم يســـتجبْ ... تناســـى الليـــاليْ ، تناســـى الصـــرير

فيـــا للأســـى ، إنهـــا لعنـــة ... تصـــيب القلـــوب بنـــار الهجيـــر!

وحتمـــاً ســـيأتي الزمـــان الـــذي ... تنـــادي الـــورى ، وبهـــم تســـتجير

سَـــيَعلو صُـــراخُكَ فـــي العالميـــ ... ـــن ، ويَنهـــالُ سُـــخط عَلَيـــك غَزِيـــر

ولَـــن يُرجـــع الحُـــزنُ مـــا قـــد مَضَـــى ... ويَـــومُ القيامـــة سُـــوءُ المَصـــير

ومـــا ضـــرَّ مِثلِـــى صَـــنيعُ العَميـــ ... ـــل ، ومـــا ضـــاع مِنِّـــي الفَـــؤادُ النّضـــير

فـــإنِّي بربـــي قـــويٌ جَســـو ... رٌ ، ومنِّـــي - علـــى نائبـــاتي - بَشـــير

ســـأحملُ طِفلـــيَّ فـــوقَ الجَـــوى ... وقلبـــي علـــى عائـــداتي ســـمير

وأهـــلاً بِكِســـرة خُبـــز لذيـــ ... ـــذٍ ، ومَرحـــى بعهـــد الفِـــراشِ الحصـــير

بَرِئـــتُ مِـــنَ الفاســـقين العُتـــا ... ةِ ، فلســـتُ المُضـــلَّ ، ولســـتُ الضَّـــرير

دنـــانيرُهم تحـــت خُفـــي ثـــرىً ... وسُـــقيا لِعهـــدِ الزَّمـــان المَطيـــر

وداعـــاً لِبَـــردِ عَطـــاءاتهم ... ومَرحـــى بصـــوت الرُّبـــا والخريـــر

ســـأرفع ســـيفي علـــى ســـاعدي ... وسُـــقيا لعهـــد الفـــراش الحَريـــر

سأكســـرُ قَيـــدي ، بأنشـــودتي ... وإنـــي عليـــه قـــويٌ قـــدير

بـــإذن الإلـــهِ أفَـــلِ القُيـــو ... دَ ، وأجبُـــرُ كســـرَ الفُـــؤاد الكســـير

وأعلـــن حقـــي بـــدار العبيـــ ... ـــدِ ، وأطـــرحُ وهمـــي العتـــيَ الحســـير

ونصـــــرُ الإلـــــهِ وشـــــيكُ الحلـــــو ... لِ ، لكُـــــلِّ تقـــــي بـــــه يســـــتجير

يمينـــــاً ســـــأقفلُ بـــــابي هُنـــــا ... وأحظـــــى بكـــــلِّ صـــــفاءٍ قريـــــر

وأطـــــرح كَربـــــاً شَـــــقيتُ بـــــهِ ... علـــــى يـــــدِ مَـــــن بـــــاع فيـــــه الضـــــمير

ومَظلمتـــــي عنـــــد ربـــــي هُنـــــا ... كَ ، قِيـــــامُ القيامـــــة وقـــــتٌ قصـــــير

فـــــربُّ البرايـــــا عزيـــــزٌ قديـــــ ... ـــــرٌ ، وربـــــى - بكـــــل الأنـــــام - بصـــــير

إذا كُنـــــتُ – صـــــدقاً - ولـــــيَ الإلـــــ ... ـــــهِ سينصـــــرني الله ، نِعـــــمَ النصـــــير!

لـــــيَ النّصـــــر ، ثـــــم البلايـــــا لكـــــم ... وربـــــي علـــــى كـــــل شـــــئ قـــــدير

وأنـــــتم عبيـــــدُ الطـــــواغي إذن ... وإن لـــــم تتوبـــــوا ، فنـــــارُ الســـــعير

وإنـــــي تفرســـــتُ فـــــي أمـــــركم ... فلـــــم ألـــــق عُـــــذراً لفعـــــلِ حقيـــــر

وقـــــد أدهشـــــتني عمـــــالاتُكُم ... فـــــأمرُ الخِيانـــــاتِ – حقـــــاً - مُثيـــــر

لقـــــد خُنـــــتُمُ ربنـــــا والنبـــــ ... ـــــيَ ، وكـــــم ذدتُمـــــا عنهمـــــا بـــــالكثير!

أراكـــــم تَـــــرَاجعتمُ القهقـــــرى ... فـــــأفٍ لكـــــم فـــــي التَـــــرَدي الخطيـــــر!

وأســـــأل ربِّـــــيَ أنْ لا أعـــــو ... دَ لصُـــــحبتكم والهَـــــوَان المَريـــــر

فـــــإني أعـــــاديكمُ فـــــي الإلـــــ ... ـــــهِ ، وأنـــــتم زرعـــــتُم بُـــــذور الهَجيـــــر

وحَمـــــدُ المليـــــك خِتَـــــام القصيـــــ ... ـــــد ، فَرَّبـــــي بكـــــل الثَنـــــاء جَـــــدير

(سُوَيعاتُ الغُرُوب)

(الخيانة طابعٌ حقير ، وإذا خان الخليل خليله كانت كارثة لا يعلم إلا الله مَدَاها وأبعادها. والخيانة في عالم الشُعراء والأدباء ، تعني غُروب شمس الصلة والمودة. وإن خان الحبيبَ مائة حبيب وحبيب ، فعسى الله أن يرزقه بغيرهم ممن يحفظ الوُد ، ويُحافظ على الصحبة ، ويرعى حقوق الرفقة ، وينصح في سِر ويمدح ، في جَهر ، في غيرِ ما إسرافِ ولا إقتار! ألا وإن كل خائن خذول غادر لا يضر إلا نفسه في نهاية المطاف. فالغادر الأثيم ما يلبث أن يجد نفسه وحيداً في الناس ، يجتر علوك الخزي والندامة والخذلان. وليس ينفعه الندم شيئاً ساعتئذ. والمرء بصاحبه يُعرف. والغادر ليس له أصحاب إلا الغادرون أمثاله. وليس هو على مغالبة هوى نفسه ولا الواقع بقادر على ما تتطلبه مصاحبة الأخيار الأبرار الأوفياء المخلصين من واجبات وتكاليف. إن الوفاء له بذله وضريبته التي يدفعها المخلصون الأوفياء لأصدقائهم وأحبابهم. تلك التي تتقاصر عنها همم الخائنين والغادرين. ولقد تعددت أقوالُ الأدباء والمفكرين والكُتاب عن الغروب! وكذلك تنوعت القصائد الشعرية التي أنشدها الشعراء في الغروب! وكثرت حكم ذوي الحكمة عن الغروب وإيحاءاته ودلالاته! وأستشهد بالبعض لئلا يُقال بأنني أستأثر بالوصف وحدي! تقول الأستاذة الأديبة العبقرية حلا مرعي عن الغروب ، محددة إياه في وصف دقيق بكلمات هي من قبيل السهل الممتنع ، وإن كانت العبارات قصيرة خاطفة ، إلا أنها كانت سريعة الإيحاء قوية الدلالة: (إن غروب الشمس من أجمل المناظر الطبيعيّة ، وهو يُعدّ مصدر إلهام للكثيرِ من البشر ، خاصةً الأدباء والشعراء. وقد قيل الكثير من القصائد في جمال الغروب ، كما اختاره الكثير من العُشاق وقتاً ليُعلنوا فيهِ عن حبِّهم. وكأنه عند الغروب تُقلّب الهموم ، وتحبَس الدموع ، وتفتَّح الذِكريات ، وتسكَب العبرات ، من اشتياقٍ طال ، وحنينٍ زاد ، وفراقٍ حال ، وجرحٍ غار ، وحبٍ ضاع. غروب الشمس ليست نهايةِ الحياة ، بل هي نهايةِ يومٍ وبدايةِ أملٍ جديد. فلا تكن أيها الإنسان ممن يتوهم أنه يمكن له أن يأذن للشمس أن تغيب ولا تشرق ، أو أن تعود بإشراقةٍ أكثر ، وحياةٍ أفضل ، وروح تتجدد. بل كن واقعياً ، وتفاءلْ أن يدركك بعد الغروب يومٌ سعيد به الآمالُ والإشراقات ، يوم انكسر فيه موج البحر ، والشمس مالت للغروب ، واللون الأحمر القاني قام يسجد لربه – تعالى - في طرفِ محرابها ، وقد استرسلت ريحُ الشتاء ، وأصبح المِلحُ عياً لا يذوب ، وتغنت طيور البحر بأزكى لحونِ أسرابِها ، وقِفْ وقفة مؤمن يعد الخطايا والذنوب ، ويراجع ما فات من أعماله ، أكبر ذنوبِه فوتُ سُنةٍ ، أو نقص فرضٍ ، أو طول ثوبٍ. وأصغر ذنوبِه قُرب ناسٍ لا تعز أصحابِها ، ولسان حاله يقول: يا ليتني قبل أن أختلط بالناس كنت قد فتشتُ ما في القلوب ، وعرفتُ ما تخفي وراء جدرانها وأبوابها ، حيث إنني لم أكن أعلم بأن المظاهر تستر عيوباً ، وتبيّن لك عيوباً كم زَيَّنتها الثياب ، ناسٌ شابتْ ثيابها سواد في لمحةِ بياضٍ ، وفرقٌ واضحٌ ومحسوب بدا واضحاً للعيان ألا وهو سوادُ نيتها على هامش بياض ظاهرها. حاولْ أن تتأمل الشمس وقت الغروب ، وأنت على شاطئ بحرٍ جميل ، لماذا ينتابك السكون ، ويغمرك الصمت؟ إنها نهاية رحلة الشمس بكل عنفوانه نحو الغرَق في مياهِ البحر الهادئ! أو هو الخوف من اقترابِ موعد الرحيل الذي لا بد منه ، هل هي حيرةٍ من سؤالٍ شَغَل عقولِنا طويلاً؟ ماذا بعد الغروب؟ هل لأننا نتذكر ما كان منا تحت شمس النهار الساطعة! أيها الإنسان ، بم تشعر وأنت ترى الشمس تنغمس في حُمرةِ الشفق

المعتمة والليل يرخي سدوله السوداء؟ ماذا تعني لك الشمس؟ أهيَ حقيقية؟ الحياة ، النور ، الحق ، الضوء ، النهار ، أم لا شيء من ذلك كله؟ ماذا يا تُرى؟ هل ستأتي الشمس في اليوم التالي؟ عفواً ، الشمس ستأتي بإذن ربها ، ولكن هل سترى أنت الشمس من جديد؟ هل جربت أن تُحَدّث نفسك بما قدمته في ذاك اليوم المُشمِس؟ حاول أن تتأمل وتتفكر وتتذكر ، ماذا سيدور بداخلك؟ أم ماذا سيحرك قلبك ويهز وجدانك؟ هل ستنهمر عيناك بسيلٍ من الدموع النادمة التي لا ساحل لها؟ هل ستمسك قلمك ، وتخط بهِ كلماتك المناسبة من قلبك؟ أم ستحمل ريشتك ، وتقف على صخرة عالية وتلَوّن لوحتك بألوان الغروب؟ هل ستتدبّر المنظر ، وترى نفسك التي هي لا محالة غائبة مثل غروب الشمس. تذكَّر أيها الإنسان ، تدَبّر ماذا قدمتَ في يومك ذاك ، وزنه بميزان محبتك لخالقك سبحانه وتعالى؟ ميزان التقوى ، ميزان الأعمال الصالحة ، ميزان الثواب والعقاب ، هل أنت قريبٌ من ربّك ، بعيدٌ عن معصيته ، كَم قدّمت صالحاً ، أقرّرت حقاً ، وأنكرت باطلاً؟ يا لجهلنا ، ويا لجمالِ تلك اللحظات. قِف متأملاً ، فما أجمل أن تنَقّي نفسك في مثل تلك اللحظات! ونفسك بالطبع هادئة مطمئنة لصفاءِ ذاك المنظر الرائع ، فتلك لحظات غالية جداً ، دعها واقترب من ربك – عز وجل – لأنه قريب من عباده ، لطيف رؤوف بهم. ولقد حملتُ أوراقي ، واتجهت إلى البحر ، اتجهتُ هناك لأرى ذلك المنظر ، الذي لطالما ملأ القلوب بمشاعرٍ تختلط عند رؤيته ، وتهمسُ العيون بما في الخواطر من جنون لأجله. إنهُ موعد غروب الشمس. وقفت أمام ذلك البحر فكانت أجواؤه لطيفة ، وألطفُ ما هناك صوت الأمواج ، وهناك شعرتُ بأنني في صفاءٍ بعيدٍ عن الهموم ، ونظرتُ حولي ورأيتُ المنظر الجميل ، والبحر والشمس يتهامسان ، وقوارب الصيد الصغيرة التي تذكرني بالماضي الجميل. وانتظرتُ غروبك أيتها الشمس لأرى ذلك الإشعاع الهزيل الذي يودع البحر ، وتلك القوارب توَدّع يوماً مضى من حياتي ، انتظرتُ ذلك المنظر لأبقى لحظات مع نفسي ، أتأملُ الشفّق الأحمر ، وهو يحتضن التل وداعاً حانياً ، انتظرتُ ذلك المنظر العجيب الذي يحوّل البحر والجو إلى مكانٍ آخر ، مكان لن تنساه العين! فتذكره وتخيله معي أيها الإنسان ، حيث إنه ينسيك الهموم والأحزان التي تكتم أنفاسك ، ويودعك بغروبٍ يملأ القلوب بمشاعرٍ عذبةٍ. بدأ ذلك البحر يمتلئ بخيوطِ غروب وأصواتٍ هادرة ، تلك الأمواج التي تغرسُ الشوق في قلبي ، نعم إنّه شوق الرؤية إلى السماء ، والشمس تغرب في لحظة غروبك! أيتها الشمس وأنتِ تاركة لنا منظراً بديعاً متألقاً ترِقُ به المشاعر وتلين. إنه بحق منظرٌ رائعٌ ، يسحر عيون كثير من الناسِ ، منظر يحيي القلوب البائسة اليائسة ، إنهُ ذلك اللون البرتقالي ، لون الغروب ، ذلك اللون الذي طوى صفحاتِ الأمس ، وبثَّ الحياة في النفس ، وملأ الأرجاء بعطرهِ ، وغمر المشاعر بروعتهِ ، إنه لون غروبك أيتها الشمس! وأنا لا أستطيع التعبير عنه ، ولو ملأت صفحاتي بوصفهِ والتغزل بسحرهِ الخلاب. ففي كل خطوةٍ من خطواتي حنينٌ لرؤيةِ الشمس تودعُ البحر الحزين ، وأمواجه الهدارة ، تلك التي تتدفق صوب الشطآن ولها أنين ، ولسان حالي يقول متسائلاً: أتتركيني مع حباتِ الرمل الصغيرة وأصدافها البراقة وتذهبين؟ فتقول الشمس: أتودّ أن يقاسيَ القمر في جُبِ الظلام وحيداً؟ ونجومهِ متناثرةٍ كأجراسٍ علقت على أبوابِ القريةِ ولقهرها أصوات ، تسمعها كان لها رنين ، والغيمة الحانية تهبط لتواسي وتقول: ما لكِ تبكين؟ فيقول القمر عاتباً: يا ليتك لا تعلمين ، مدت صديقتي الشمسُ خيوط شعاعها الذهبي ، وتركتني في السماءِ كأنها صياد ، وأنا الذي وقع في الكمين ، وهي وأنا من خلق الرحيم ، بل كلّنا لم نكن إلا بقدرةِ العزيزِ العظيم. أوَتتركيني أرحل؟ فلن أكون

للقمر مهيناً ، اذهبي ولتصحبك السلامة ، ولكن عِديني بأن ترجعي ، فنحن شريكان في لوحةٍ أخاذةٍ كما في خيالِ المبدعين. وفي وقت الغروب ـ عندما تغرب الشمس ويظهر القمر ـ عند شاطئ البحر! هُناك أنا أتأمل الشمس عندما تذهب ، والقمر عندما يأتي ، ويأتي بينهما الغروب الصامت ، الذي في رئتيه تتجمّد الكلمات ، ويهدأ البحر وتبدأ الموجات في سرد لغزٍ محيّر ، هُناك أتأمل جمال الطبيعة الخلابة ، وسحر الغروب المذهل ، وإبداع الخالق سبحانه وتعالى ، حيث تُغازل الموجات غروب الشمس ، وطلوع القمر. هناك تتبعثر الحروف ، وتأتي الطيور كي ترقص على موجاتِ البحر ، ورمال شاطئ البحر الحانية تغني على مُوجاتِ البحر الهادئ ، ألا إن ذلك اللون الجميل عند الغروب ، والقارب الصغيرالذي يبحر عند غروب الشمس ، ليُذكرانِنِي بالماضي والحاضر والمستقبل معاً! ألا ما أروع الجمال والسحر الخلاب في الغروب! أتأمل وأتأمل وأتأمل ، فأردد: سبحانك ربي المعبود ، إنك جميلٌ تحب الجمال).هـ. وإذا تأملنا الغروب جغرافياً ، فإنه يعني الوقت الذي تختفي فيه الشمس تحت خط الأفق في جهة الغرب من نصف الأرض المرئي الذي ننتمي إليه إلى النصف الغير مرئي ، كنتيجة طبيعية لحركة الجرم السماوي الذي هو الشمس. ويختلف الغروب عن الغسق الذي هو وقت دخول الظلام ، حيث يختفي الشفق الأحمر. فإن علم الفلك يقول بأنه كلما اقتربت الشمس من الأفق عند الغروب نجد أن قرص الشمس يزداد احمراراً ، والسماء تزداد زرقة ، وفي السماء الصافية ـ وبمجرد اختفاء حافة قرص الشمس ـ نرى أولاً قبة مستديرة من الضوء تحيط بنقطة الغروب ، ويحيط بهذه القبة سماءٌ زرقاء لامعة ، وتنتج هذه القبة الضوئية من ضوء الشمس الذي يضيء الغلاف الجوي ، والذي يتلون من الأصفر إلى الأحمر تبعاً لدرجة الغبار والضباب المنتشرة في الهواء. وتكون درجة لون الوهج الأحمر داكنة ، وينتشر على طول الأفق كلما انخفضت الشمس ، وتضيء طبقات الغلاف الجوي العلوية كلما زاد الانخفاض تحت الأفق. وطبعاً هذه كلها تحليلات وتأويلات واستنتاجات علماء الجغرافيا والفلك! والله وحده سبحانه يعلم مدي صحتها! إنما نحن نوردها هنا من باب الاستشهاد بما توصل له العلم التجريبي من نظريات! ولقد وردت كلمة الغروب بمشتقاتها في القرآن الكريم بعدة تصاريف: (الغروب ومغرب والمغرب ومغارب وغربت وتغرب وغربية والغربي والمغربين) وذلك في سور عديدة ، ففي سورة البقرة وردت (4) مرات في الآيات (115 - 142 - 177 - 258) ، ومرتين في سورة الكهف في الآيتين (17 و86) ، وفي سورة الأعراف في الآية رقم (137) ، وفي سورة طه في الآية رقم (130) ، وفي سورة النور في الآية (35) ، وفي سورة الشعراء في الآية رقم (28) ، وفي سورة القصص في الآية رقم (44) ، وفي سورة ق في الآية رقم (39) ، وفي سورة الرحمن في الآية رقم (17) ، وفي سورة المعارج في الآية رقم (40) ، وفي سورة المزمل في الآية رقم (9). ألا وإن الشمس المشرقة لتغيب على استحياءٍ ، مودعةً الأفق الجميل ، تودعه بلهفةٍ وخجل ، وكأنها تريد أن تقول له بلسان الحال والمقال معاً ، بأنها لا تطيق الوداع ، فتنتشي السماء بحمرة الخجل ، وتخبرنا خطوط الشفق الأحمر بمقدار الشوق الذي في قلب الشمس ، وكأنها تختصر في لحظة الغروب ، كل الشوق الذي في قلوب البشر ، فينسحبُ النورُ معها ، وتبدأ خطوط الظلام في التسلل نحو الدنيا. تتشوه الألوان ، وتصبح كلها بلونٍ واحدٍ ، ووحده لون الغروب يبقى الأنقى والأقرب والأصدق ، وحده اللون الذي لم يتغير ، ولم يبهت ، ولم تطله أية ألوانٍ أخرى ، لأنه لونٌ بديع ، صاغته يد الرحمن. ولطالما كان غروب الشمس ملهماً لجميع البشر ، خصوصاً الشعراء والأدباء

والكُتاب ، وكم قيلت فيه القصائد! وكم اختاره العُشاق ليُعلنوا الحب ويعترفوا به في لحظته! وكم من لحظاتٍ رومانسيةٍ ، وأوقاتٍ جميلةٍ كللها غروب الشمس! ففيه تنعكس اللحظات الوجدانية ، وتصبح كلها هادئة ، ساكنة ، وادعة ، تليق بهيبة الشمس وجمالها ، وكأنها عروسٌ قد خضبتْ يداها بالحناء ، ثم توارت خلف حجابها. تنبئنا لحظات الغروب ، بأن النهايات أكثر حرارةً من البدايات ، وأن ساعات الوداع أكثر حرقةً من ساعات التهليل والاستقبال ، فبرودة الشروق بلونه الأصفر ، لا تصل لحرارة الغروب الأحمر ، ورغم أن الشروق ينبئ بيومٍ جيد ، إلا أنّ الغروب يمنحنا السكينة ، ويجعلنا نختم اليوم بلحظةٍ ساحرة ، خصوصاً إن تزينتِ السماء وقتها ببعض الغيوم المتناثرة هنا وهناك ، لتتلون بلون الشفق ، وترتسم على الأفق أجمل وأروع وأعظم اللوحات الربانية. الرائع والملفت في عذوبة جمال غروب الشمس ، إن لكلّ مكانٍ يشهد الغروب خصوصية ينفرد بها عن غيره من الأماكن الأخرى ، فغروب الشمس على البحر ، يعكس اللون الأحمر على صفحة الماء ، وتظهر فيه الشمس وكأنها تغرق في عرض البحر ، وغروب الشمس بين الجبال ، يجعل الشمس تظهر كملكة متوجة ، تجر ثوبها الجميل الأحمر وراءها ، وكأنها تذهب للنوم. أما غروب الشمس في الصحراء ، فحكايةٌ أخرى من حكايات الجمال ، حيث تنعكس في أنوار الغروب على رمال الصحراء ، وتجعلها كالذهب الجذاب ، فيشعر الناظر وكأن كنزاً عظيماً منثوراً في المدى الواسع. فمن أراد أن يشحن روحه ، ويثير الأشجان والعواطف والأحاسيس في قلبه ، فليقف متأملاً لحظة الغروب ، وليحاول أن يمعن النظر فيها ، وهي تلوح بالوداع ، وليودعها أسرار قلبه وروحه ، ففي هذه اللحظات بالذات ، لا بد وأنه سيلتمس مقدار الإلهام الكبير في قلبه ، وربما جرت على لسانه كلمات الشعر والغزل ، وأصبح متدفق الإحساس ، ومرهف العواطف. وعن وصف غروب الشمس! تقول الأستاذة عاتكة البوريني: (إن غروب الشمس ، من أروع وأجمل المظاهر الربانية ، التي لا تمسها يد البشر أبداً ، ولا تلوثها أي تدخلاتٍ من أي كائنٍ حي ، إنّه منظرٌ ربانيٌ خالص ، تبرز فيه العظمة والسحر والجمال ، فما إن تغيب الشمس على استحياءٍ وخجل ، مودعةً مكانها الأزلي في الأفق الجميل ، لتعلن عن غيابها المؤقت الذي يكتسي بحُمرة الخجل ، وكأنها تبكي من حرقة الوداع ، فتنعكس ألوان الشفق على صفحة السماء لترتسم خطوط الشفق الأحمر ، هذه الخطوط التي تتزين بالسحر والجمال ، حيث تتجلّى عظمة الله سبحانه وتعالى وإبداعه في خلقه ، ليظهر هذا الكمّ الهائل من الجمال والجاذبية. بعد أن كانت الشمس تنير الأرض وتشرق في كل مكان ، ها هي تجرّ ثوبها الجميل ، وتلملم نورها ، وتمشي نحو الأفق البعيد ، لتعلن انتهاء وجودها في لحظة غيابٍ قسريّة ، لكن الشمس لا تخلف موعدها أبداً ، وما من أحدٍ في الكون كلّه يستطيع أن يجبرها على البقاء ، فهي تختار الرحيل في كل يومٍ ، لكنها تملك من الوفاء ما يجعلها تعود مرةً أخرى لتشرق من جديد. وغياب الشمس ليس مجرّد ظاهرةٍ طبيعيةٍ نراها في كل يوم ، بل هو درسٌ يبيّن لنا أنّ لكل شيءٍ نهاية ، وأن كل بدايةٍ مقرونةٍ بنهاية ، وإن كانت الشمس عند مغيبها تكتسي بالأحمر ، فلأنها تهيئ السماء لاستقبال العتمة وظلام الليل ، فما إن يبدأ قرصُها الأصفر الجميل بالسير باتجاه الأفق الذي ستغيب منه ، حتى تبدأ السماء بتغيير لونها ، لتصبح حمراء الوجنتين ، ومن هنا فلنعلم أن في غروب الشمس آلافا من الدروس والعبر ، التي تعلمنا أن الصدق موجود في قاموس الشمس ، ففي خطوط الشفق الأحمر من الصدق الشئ الكثير. وصدق من قال بأنه في لحظة الغروب ، تتجلى المشاعر الجميلة الممزوجة بالهدوء والحب ،

والرومانسية الكبيرة ، فكمٌ من شاعرٍ ألهمه منظر الغروب الساحر إيحاءاتٍ لم تكن له على بال! وكم من رسامٍ شحنه غروب الشمس بالطاقة والإبداع! وإذن فغروب الشمس هو أجمل النهايات وأعمقها وأسماها ، وهو دليل ولادةٍ متجددةٍ للشمس ، وكأنها تغرب من مكانٍ لتشرق في آخر ، لأنها خُلقت لتعطي. ومن أراد أن يشعر بالحب والحنين معاً ، فليجلس ليراقب غروب الشمس ، وليتأمّل هذا المنظر الساحر ، ويسبح الله سبحانه وتعالى ، الذي أودع سره في هذا المنظر الرائع ، الذي ينعكس على كلّ شيءٍ ويتركه أجمل وأجمل ، ورغم أنّه انعكاسٌ مؤقت ، إلا أنّه يدوم سحره في القلب والعينين والروح ، فليس من العجب أبداً أن يكون الغروب ملاذاً للكثير من الأدباء ليتغنوا به ؛ فالغروب الذي تصنعه الشمس هو ذات الشروق الذي يمنح الروح الحياة).هـ. وتحت عنوان (ما أجمل الغروب!) تقول الأديبة آلاء صلاح ما نصه: (لطالما تغنى الشعراء بالغروب ، فهو يعطي حالة من الإلهام والرومنسية ، فذاك القرص الدائري الحار الذهبي اللون الذي نراه صباحاً ، يبدأ بالتلاشي تدريجياً بين الغيوم ويبدأ بإعطاء ذاك اللون الناري الأحمر ، ويبدأ بالامتزاج مع ألوان السماء ، فاللون الأصفر يتخفي وراء اللون الأحمر ، ويبدأ اللون الأحمر بالتلاشي بين اللون البنفسجي واللون الأزرق الغامق ، تختفي هذه الشمس الجميلة ، لتعود فتطل علينا مجدداً في اليوم التالي. تعطي لحظة غروب الشمس الإنسان إحساساً بالدفء والراحة ، وتبعث في النفس ـ الحائرة الشاردة الذاهلة ـ الطمانينة ، وهو شعورٌ لا مثيل له ، وذلك أن هذه الشمس تغلق هذا اليوم بما حدث فيه وما مضى منه ، لتعود وتطل من جديد ، في يوم جديد وليد ، لتمحو معها من الأحزان والآلام التي جلبها الماضي ، ولتعطيك فرصة جديدة في يوم جديد لتعيشه. عندما تعود لمنزلك بعد يومٍ مُضنٍ ، وبعد الأعمال المُهلكة والشاقة ، وبعد ما مررت به من الضجيج والتوتر والإزعاج ، اصنع لنفسك كوباً من الشاي الدافئ واجلس في الشرفة وانظر للشمس عند الغروب ، أغلق عينيك اشتم الرائحة المنبعثة من كوب الشاي وارشف بعضاً منه ، استرخ قليلاً وارم حملك الثقيل ، وتخيل ولو للحظة بأن الزمن قد توقف ، وأن كل شيء قد تجمد ، وأنك أنت وحدك في هذا الكون ، وافتح عينك وانظر إلى إبداع الخالق ، ودع يومك بما فيه من هموم ومشاكل ، وانظر فقط إلى الأمام حيث الغروب ، استمتع بالهدوء ، وانظر فقط للأمام حيث الغروب. أجمل لحظات الغروب هي تلك التي يكون في السماء بعض الغيوم ، وتختفي وراءها بعض أشعة الشمس ، والتي تتلون بلون الشمس الأحمر في وقت الغروب ، ومن أجمل مناظر الغروب تلك التي تبدأ الشمس فيه بالاختفاء وراء التلال والجبال ، فتبدو لك وكأن شعلة من النار بتدرجات ألوانها ، تبرز من وراء التل وتملأ السماء بألوان ليس لها مثيل ، فسبحان الذي أعطاها البهاء والجمال! فهذا إبداع الخالق الذي خلق كل شيء فصوره وأبدع في تصويره ، فسبحانك يا الله).هـ. وإذن فالغروب في حقيقته يبعث في النفس التفاؤل والأمل! فلا تدع اليأس يستولي عليك ولو للحظة ، وانظر إلى حيث تشرق الشمس كل فجر جديد ، وذلك لتتعلم الدرس الذي أراد الله للناس جميعاً أن يتعلموه! والحقيقة أن غروب الشمس ليس يحول دون شروق مرة أخرى! وفي كل صبح جديد يكون هناك شروق ، وفي مساء ذلك اليوم يكون هناك غروب. وإنه ليمكن للإنسان أن يعيش بلا بصر ولكنه لا يمكن أن يعيش بلا أمل ، فكم من عُميان وهم متفائلون مبتسمون للحياة! والمتفائل يقول جازماً بلسان الحال: إن كأسي مملوءة إلى نصفها. ولكن المتشائم يقول: إن نصف كأسي فارغ. ويقول ونستون تشرشل: (يرى المتشائم الصعوبة والاستحالة في كل فرصة ، أما المتفائل فيرى الفرصة في كل صعوبة واستحالة). ويقول:

(لا أحد يستطيع العودة إلى الوراء ، ويبدأ بداية جديدة ، لكن أي شخص يستطيع أن يبدأ من الآن ويصنع حياة جديدة.) ولو شعرت أيها الإنسان ببعد الناس عنك أو بوحشة تنتابك أو بغربة تعتورك فتذكر قربك من الله. (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب). تذكر أن الأمل شئ جيد ، والأشياء الجيدة لا تموت أبداً. وكل عسير إذا استعنت بالله – عز وجل - فهو يسير. والأمل في حقيقته هو تلك النافذة الصغيرة ، التي مهما صغر حجمُها ، إلا أنها تفتح آفاقاً واسعة في الحياة. وقد قال جيروم: (من الأفضل دائماً أن نتطلع للأمام بدلاً من النظر إلى الخلف). وأجمل وأروع هندسة في العالم يمكن لها أن تبني جسراً من الأمل على نهر من اليأس. وهناك أشخاص في حياتنا هم الأملُ بذاته. وقد يتحول كل شي في الحياة ضدك ويبقى الله معك ، فكن مع الله يكن كل شي معك. وقال بيرون: (المتشائمُ أحمق ، يرى الضوء أمام عينيه ، لكنه لا يصدق). وهذا توماس إديسون يقول: (الأمل أغلى ما يملكه العاقل. فإذا فقدت مالك فقد ضاع منك شئ له قيمة ، وإذا فقدت شرفك فقد ضاع منك شئ لا يقدر بقيمة ، وإذا فقدت الأمل فقد ضاع منك كل شئ. ولذا فإن الآمال العظيمة تصنع الأشخاص العظماء). ومصطفي السباعي يقول: (إذا نظرت بعين التفاؤل إلى الوجود ، لرأيت الجمال شائعاً في كل ذراته. وأحياناً يغلق الله سبحانه وتعالى أمامنا باباً لكي يفتح لنا باباً آخر أفضل منه ، ولكن معظم الناس يضيّع تركيزه ووقته وطاقته في النظر إلى الباب الذي أغلق ، بدلاً من النظر إلى باب الأمل الذي انفتح أمامه على مصراعيه). ويقول الأستاذ إبراهيم الفقي: (لماذا الخوف ، والشمس لا تظلم في ناحية إلا وتضيء في ناحية أخرى؟ فالعقل القوي دائم الأمل ، ولديه دائماً ما يبعث على الأمل). وتوماس كارليل يقول: (المؤمن الواثق كالورقة الخضراء ، لا تسقط مهما هبتِ العواصف. إذ ليس المهم ما يحدث لك ، بل المهم ما الذي ستفعله بما يحدث لك). وروبرت شولر يقول: (لولا الأمل في الغد لما عاش المظلوم حتى اليوم. ولذا فيجب أن يكون إحساسك إيجابياً مهما كانت الظروف ، ومهما كانت التحديات ، ومهما كان المؤثر الخارجي). ويقول إبراهيم الفقي: (قد تتحمل الألم ساعاتٍ ، لكن لا ترض باليأس لحظة فلا تيأس ، فعادة ما يكون آخر مفتاح في مجموعة المفاتيح هو المناسب لفتح الباب). وأما نورمان فنسنت بيل فيقول: (هناك من يتذمر لأن للورد شوكاً يحميه ويحيط به ، وهناك من يتفاءل لأن فوق الشوك وردة). ويقول مصطفي كامل: (لا يأس مع الحياة ، ولا حياة مع اليأس). ويقول جون ناريمور: (يصبح الإنسان عجوزاً حين تحل الأعذار محل الأمل). ويقول الفيلسوف روبرت ليجتون: (الزهرة التي تتبع الشمس تفعل ذلك حتى في اليوم المليء بالغيوم). فيا أيها الإنسان استعن بالله ولا تعجز. ويقول بورمان: (التفاؤل يمنحك هدوء الأعصاب في أحرج الأوقات). ويقول ألبير ساميه: (إذا شعرت بالتشائم ، فتأمل الوردة). ويقول ستيفن كوفي: (سيكون يومك مشابهاً للتعبير المرتسم على وجهك ، سواء كان ذلك ابتساماً أو عبوساً). ويقول علي أدهم: (الفرق بين نظرة الإسلام والنظرة التشاؤمية ، هو أن الإسلام ينظر للحياة كما ينبغي أن تكون ، أما التشاؤم فإنه ينظر للحياة كما هي). ويقول أنطونيو جرامسكي: (أنا متشائم بسبب الذكاء ، ولكني متفائل بسبب العزيمة). وتقول الأستاذة يمان السباعي: (الإنسان دون أمل كنبات دون ماء ، ودون ابتسامة كوردة دون رائحة ، ودون إيمان بالله وحش في قطيع لا يرحم). ويقول الأديب الشاعر مصطفي صادق الرافعي: (في القلب حزنٌ لا يُذهبه إلا السرور بمعرفة الله. والثقة بالله أزكى أمل ، والتوكل عليه أوفي عمل). وإذن فالناس معادن. تصدأ بالملل ، وتتمدد بالأمل ، وتنكمش بالألم. وإذا هي حوصرتَ بالأوهام

والوساوس والقلق والمخاوف ، فاجعل لسانك رطباً بذكر الله. واعلم بأن الغروب لا يحول دون شروق جديد. عن تميم الداري - رضي الله عنه - قال: سمعتُ رسول الله – صلى الله عليه وسلم - يقول: «ليبلُغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل. عزًّا يُعز الله به الإسلام ، وذُلاً يُذِل الله به الشرك». (أخرجه أحمد). وعن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم - قال: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكًا عاضًّا ، فيكون ما شاء الله أن يكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكًا جبريًّا ، فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة». (أخرجه أحمد). وعن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم - قال: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك» (رواه مسلم). ومن هنا كتبت قصيدة (سويعات الغروب) لأضرب على ذات الوتر! ولأمنح الأمل الكبير من أن الحق منتصر لا محالة!)

يـــا فـــؤادي ، خانـــك الخِـــلُّ الكَـــذُوبْ ... ثـــم بـــاقي الأمـــر فـــي طَـــي الغُيـــوبْ

زلـــتِ الأقـــدامُ فـــي عـــز الصِّـــبا ... والأذى فـــي القلـــب يَكـــوي ، والخُطـــوب

بـــرزتْ للـــروح أشـــباحُ العَنـــا ... واللظـــى فـــي الـــنفس يفـــري واللهيـــب

لـــم أكـــن أختـــارُ صَـــحبي فـــي الـــورى ... بـــل ، ولمَّـــا أصـــطفِ الخِـــل الحبيـــب

إنمـــا كُـــلُ البرايـــا صُـــحبتي ... سِـــرتُ فـــي كـــلّ المَهـــاوي والـــدُّروب

كـــل مـــن أظهـــر حُبـــي صـــاحبي ... والـــذي يُجـــزلُ نُصـــحي فالغريـــب!

ثَـــم ، كانـــت بـــين قـــومي زلتـــي ... واســـتغاثتْ فـــوقَ قِرطاســـي الـــذُنوب

وإذا الخـــلان وحـــشٌ كاسِـــرٌ ... وريـــاحُ الغـــدر غالـــت فـــي الهُبـــوب

وهشـــيم الحُـــبِّ أذراه الصِّـــبا ... وشُـــمِوس العـــز أدماهـــا الغُـــروب

ثـــم عانـــت مـــن جراحـــي عزمتـــي ... واحتـــواني الخـــوفُ مِـــن بَـــأس الكُـــروب

خانـــك الأصـــحاب ، يـــا قلبـــي الخَلـــي! ... إن غَـــدرَ الصَـــحب فـــي الـــدنيا نصـــيب

لـــم أكـــن أذنبـــت ، إلا أننـــي ... لـــم أكـــن فـــي حُـــب أصـــحابي اللبيـــب

إنمـــــا أحببـــــتُ أعـــــدائي ، ولـــــم أنتـــــق الخِـــــلان فـــــي الجِيـــــلِ العَطيـــــب

ثـــــم كـــــان الخِـــــلُّ حربـــــاً وأســـــىً! ونِفـــــاقُ الخِـــــلِّ مِـــــن أعتـــــى الحـــــروب

نـــــافقُوني فـــــي الـــــورى ، لـــــم ينصـــــحوا واســـــتباحوا العِـــــرضَ ، واجتـــــاحوا القُلـــــوب

صـــــاحبٌ يُخـــــربُ بيتـــــاً عَـــــامراً وصَـــــديقٌ يحـــــرق الغُصـــــنَ الرَطيـــــب

ورفيـــــقٌ يخْمـــــش الجُـــــرح ضُـــــحىً كـــــي يرانـــــي فـــــي متاهـــــات الوَجيـــــب

ويَـــــدك الصَـــــرحَ فـــــي قعـــــر الثَـــــرى ويَـــــذْرُ الزيـــــفَ فـــــي الـــــوادي الجـــــديب

يقتـــــل العُمـــــر ، ويلهـــــو بالهُـــــدى ثـــــم يُزجـــــي الـــــوَهمَ فـــــي قـــــيْح المَشـــــيب

أيـــــن أيَّـــــامُ الصِّـــــبا؟ أيـــــن الوَفـــــا؟ إنمـــــا الغَـــــدر مِـــــنَ الصَّـــــحب ضُـــــروب

وسُـــــويعاتُ الهَنَـــــا تَشـــــوي النُهِـــــيَ وطَيـــــوفُ الـــــنفسِ فـــــي أمـــــرِ مُريـــــب

تـــــذبحُ الإحســـــاسَ فـــــي قلبـــــي أســـــىً ولهـــــا فـــــي الـــــروح تـــــأثيرٌ عجيـــــب

أيـــــن مِـــــن قلبـــــي خليـــــلٌ صـــــادقٌ مُســـــلم الفِطـــــرة مِـــــن رُوحـــــي قريـــــب

وافـــــرُ الصَـــــفح إذا كـــــان الخَطـــــا وظريـــــف العَفـــــو فـــــي الحـــــال العَصـــــيب

وجَـــــوادُ الـــــنّفس ، مِقـــــدامُ العَطـــــا وصـــــدوقُ القـــــول ، مـــــا كـــــان الكَـــــذوب

يرفـــــعُ المَـــــرء عَلَـــــى مَـــــتن الصـــــفا عبقـــــريُ الفكـــــر ، فـــــي البلـــــوى طبيـــــب

يبـــــذلُ الخَيـــــرَ علـــــى طَـــــول المَـــــدى ثابـــــتُ القلـــــب ، وذو عَـــــز مَهيـــــب

مُخلـــــصُ الـــــروح ، عزيـــــزُ المُرتقـــــى رابـــــط الجـــــأش ، لـــــه نفـــــحُ الأديـــــب؟

يـــــا إلـــــه الكـــــون ، فارزقنـــــا بـــــه أنـــــت ربُّ النـــــاس عَـــــلامُ الغيـــــوب

المزاد والذمم

(إن المزاد الذي تباع فيه الضمائر ، هو في حقيقته مزاد ملعون! ألا وإن كل مزاد من شأنه أن تباع فيه الأشياء بما يغلو في القيمة المنطقية لها ، نظراً لتنافس القوم الشديد على السلعة المَعروضة ، ولكن عندما تُباع الذممُ والضمائر والعواطف والمشاعر والقيمُ والأحاسيس ، فهذا دليلٌ قطعي على هُزال الصلة التي تربط هذه الذمم وتلك الضمائر والمشاعر والأحاسيس بأصحابها. ولذا فإن المزاد ساعة ينفض يُهرع كلٌ إلى ضميره وعاطفته وحسه وشعوره ، فلا يجد شيئاً مِن ذلك كائناً في مكانه الطبيعي ، لأن المزاد كان قد أكل كل هذه الأشياء. والذكي العبقري من قاطع ذلك المزاد وسِلعَه وبضائعه وأصحابه ، فلا هو بالذي يبيع ، ولا هو بالذي يشتري ، حتى لا يؤدي ضريبة الذل التي يؤديها غيره من الحمقى. واسمعوا لِـ (ابن كثير) وغيره من أهل السِّيَر ، وهم يقولون: «في ضُحى يوم الجمعة سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة للهجرة. دخل ألف ألف مقاتل! بيت المقدس فصنعوا فيه ما لا تصنعه وحوش الغاب. وارتكبوا فيه من المجازر ما لا ترتكب أكثر منه الشياطين. لبثوا فيه أسبوعًا يقتلون المسلمين حتى بلغ عدد القتلى أكثر من (60) ألفًا. فيهم الأئمة والعلماء والمتعبدون. وكانوا يجبرون المسلمين على إلقاء أنفسهم من أعالي البيوت. لأنهم يُشعلون النار عليهم وهم فيها! جاسوا خلال الديار. وتبروا ما علوا تتبيرًا. وأخذوا أطنان الذهب والفضة والدنانير. ثم وُضعت الصلبان على بيت المقدس. وأُدخلت فيه الخنازير ، ونوديّ من على مآذن لطالما أطلق التوحيد من عليها (أن الله ثالث ثلاثة). جل الله وتعالى عما يقولون علوًّا كبيرًا. وظن اليائسون حينها أن لا عودة لبيت المقدس أبدًا إلى حوزة المسلمين. ويمضي الزمن. ويُعد الرجال)!هـ. وفي سنة (ثلاث وثمانين وخمسمائة للهجرة). أعد (صلاح الدين جيشًا لاسترداد بيت المقدس ، وتأديب الصليبيين على مبدئهم هم: «إن القوي بكل أرض يُتقى». وإذن فالمزاد وأهله تجب مقاطعتهم لسلامة الدين والدنيا والآخرة! وعمر الدنيا قصير ، والآخرة هي دار الخلود!)

نُصِبَ المزادُ على الهممْ ... والدُّور بيعتْ والذممْ

والجُرحُ - في القلب - اكتوى ... بلظى المصير المُذْلَهم

والحُزنُ قاسٍ والجوى ... وأذل أقوامي الصَّنم

والذل يحرقُ عِزنا ... ويبيد رفعتنا الألم

أما المزادُ فَصارمٌ ... عاتٍ ، يُمزّق في القِيَم

وتبعثرتْ كُلُّ الدُمى ... وتدهورتْ ريحُ القمم

والآهُ حيرى في الورى ... كلمى ، يُعرقلها العدم

والروحُ لهفي تشتكي ... ويَقض مضجعها الألم

وضـــــــــمائرُ الأشـــــــــراف بيـــــــــ ـــــــــعتْ فـــــــي المـــــــزاد المـــــــرتطم

وضـــــــــريبة الـــــــــذل الرهيـــــــــ ـــــــــبة ســـــــوف يـــــــدفعها الغـــــــنم

والحـــــــــق فـــــــــي الأوراق يـــــــــأ كـــــــــل بعضـــــــــه ، يـــــــا للقِسَـــــــم!

أمـــــــــا النفـــــــــاقُ فكـــــــــالحٌ بـــــــــالأمس أخرســـــــــه الـــــــــبَكَم

واليـــــــــوم ينضـــــــــحُ بـــــــــاللظى وضـــــــــلاله أمســـــــــى الحكَـــــــــم!

ويعبّـــــــــئ التريـــــــــاق فـــــــــي ألفاظـــــــــه ، يُزْكـــــــــي الـــــــــرمم

وثعالـــــــــبٌ تصـــــــــغي إليـــــــــ ـــــــــه ، وتســـــــــتجيب وتنســـــــــجم!

تعـــــــــسَ النفـــــــــاقُ وحزبُـــــــــه! لـــــــــيس النفـــــــــاق بمحتـــــــــرم!

قسَـــــــــماً ســـــــــينفض المـــــــــزا دُ ، وســـــــــوف تنقشـــــــــع الحُمـــــــــم!

وســـــــــيندم العمـــــــــلاءُ يـــــــــو مـــــــــاً ، حيـــــــــث لا يُجـــــــــدي النـــــــــدم

شـــــــــرَكُ المـــــــــزاد يصـــــــــيد مَـــــــــو ءودي البصـــــــــائر والهمـــــــــم

لا تنطلـــــــــي حِيَـــــــــلُ المَـــــــــزاد علـــــــــى المُوحـــــــــد ذي الكَـــــــــرم

كـــــــــرمُ العقيـــــــــدة والهُـــــــــدى يـــــــــا للقداســـــــــةِ ، والشِـــــــــيَم!

صـــــــــرعى المَـــــــــزاد عبيـــــــــدُهُ! ولهـــــــــم بحانتـــــــــه نَغَـــــــــم

أمـــــــــا الأعـــــــــزة فـــــــــي البـــــــــرا يـــــــــا لا تـــــــــزل بهـــــــــم قَـــــــــدَم

وتـــــــــراهمُ مُترفعيـــــــــ ـــــــــن عـــــــــن الـــــــــدنايا والـــــــــتُهم

فـــــــــوق النّخاســـــــــة والرقيـــــــــ ـــــــــق ، وهُـــــــــمُ – إذن - خيـــــــــرُ الأمـــــــــم

لوعة الرحيل

(إن هذه القصيدة تعتبر أطول ثاني قصيدة كنتُ كتبتها في حياتي الشعرية كلها. تلك التي امتدت على مدى ثلاثة عشر عاماً حتى تاريخ كتابتها. وطول القصيدة يدل على عظيم قدرمن كتبت فيه ، كما يدل على جليل المناسبة التي من أجلها كتبت ، كما هو معلوم بالبديهة. فأما أطول قصيدة فهي (من وحْي الذكريات). وكنت جعلتها في تأبين صاحب المعالم والظلال ، ليس من باب كونه مصرياً صعيدياً مثلي فقط ، ولكن لكثرة ما رأيت وقرأت عن الرجل هنا في أوائل التسعينات. من كتب أهل الأغراض الذين يأكلون لحوم العلماء. وعلمت أنه مظلوم برئ مفترىً عليه. فهداني ربي بعد دراسة عميقة لأنْ أنذر قلمي وشعري للدفاع عنه في عالم الخذلان الذي أرى. وكانت القصيدة التي أنشدتها في تأبينه والانتصار له ، قد بلغت الألف والنصف ميمية القافية من البحر الكامل. وأما (لوعة الرحيل) فأهديها لأم عبد الله ، زوجي التى تزوجتها على كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم - ، وقد فاقت الستمائة بيت لامية القافية من الكامل كذلك. وكنت قد تناولت فيها جانباً كبيراً من حياتي. وكان الداعي لتأليفها لواعجُ الفراق وكربات الرحيل. وبذلت فيها أقصى ما يبذل محب لحبيب ، راجياً من الله العلى القدير أن ينفع بها من أنشدت لها ولهم من أولادنا. وتكون نبراساً لكل من يحب في الله. والحقيقة أنه قد تحتم رحيل أحبابي عني ورغم أنفي ، وعلى غير ميعاد أو ترتيب أو تخطيطٍ لهذا الرحيل. وأنني لم أستعد نفسيا لآلام الفراق. وحاولت أن أكتب في هذي المناسبة المُرة ، ورحت أستعرض التاريخ كله ، وتذكرت معه سالفات الأيام بما حوت من أفراح وأتراح. وتمشيت على جسر الماضي المختبئ في تلافيف العُمر. وكان ميلاد لم يسبق له مثيلٌ لقصيدة من هي أحب الناس إلى قلبي بعد والديّ ، وأسميتها لوعة الرحيل ، أسلي بها خاطري وأعزي بها حالي ، وأبكي فراق أحبتي الثلاثة – الزوج والوليدين – عبد الله وعبد الرحمن. ألا وإن لكل رحيل لوعةً لا يدركها إلا من عصفتْ به أحزان الفراق ولواعج الرحيل!)

مـــــا للقـــــريض يـــــئن كالمتجنـــــدلِ؟! مـــــا للكـــــلام يصـــــول صـــــول الجحفـــــلِ؟!

مـــــا للمشـــــاعر بُعثـــــرتْ مَلَكاتهـــــا؟! مـــــا للأحاســـــيس انـــــزوتْ بتعجـــــل؟

يـــــا أم عبـــــد الله إنـــــي بـــــاخعٌ نفســـي ، ومـــا لـــي - فـــي الأســـي - مـــن مَعْـــدل

تبكـــــي عليـــــكِ جـــــوانحي وســـــريرتي والـــــدمعُ - فـــــي عينـــــيَّ - لـــــم يتزلـــــزل

جُـــــدرانُ بيتـــــكِ لـــــم تـــــزل ملتاعـــــة ورنـــــينُ صـــــوتكِ - فـــــي الـــــدنا - لـــــم يرحـــــل

حتـــــى النســـــيمُ العـــــذبُ فـــــي أرجائهـــــا إن يـــــذكُر الأيـــــام دومـــــاً يســـــأل

والأمســـــياتُ بغيـــــرِ جمعكُـــــمُ لظـــــىً والصُـــــبحُ جـــــاثٍ فـــــوق هَامَـــــة مِشـــــعلي

والتلـــةَ الصـــهباءُ فـــي ليـــلِ الـــدُجى ... لكـــز اللهيـــب رمالهـــا فـــي مَقتـــل

والبـــابُ موصـــدُ ليلَـــه ، ونهـــاره ... يبكـــي الفِـــراق بلوعـــةٍ ، وتعلـــل

والسَّـــقف قـــد فطـــر العويـــلُ شـــقوقه ... يشـــكو الرحيـــل بكـــل دمـــع مُثقـــل

يـــا ليـــت شِـــعري إن مخـــدع نـــومكم ... ثـــاوٍ ، وإن يـــذكرْكمُ يتجنـــدل

ونوافـــذ البيـــت الكئيـــب تصـــايحتْ ... تهجـــو المســـاء بهيبـــةِ المتســـلل

والمطـــبخ المقهـــور مـــن فئرانـــه ... يـــا للكســـير المُســـتباح الأعـــزل!

والصَّـــحن صـــحنُ البيـــت داعبـــه الهـــوى ... فاشـــتاق للخـــلان شـــوقَ العُطبُـــل

والمجلـــس المِســـكين شـــط بـــه النـــوى ... يرثـــو الضـــيوف بآهـــةٍ وتبتَّـــل

يـــا ليـــت شِـــعري كيـــفَ غـــاص البيـــت فـــي ... آلامـــه ، والشـــوق لـــم يترهـــل؟

يـــا دارنـــا عنـــد (المـــرور) اخشوشـــني ... إن الفـــراق ينـــال منـــكِ ، فـــأجملي

وعِمـــي صـــباحاً يـــا عشـــيقةَ خـــاطري ... وإليـــكِ شـــوقي رغـــم أنـــفِ المُيَّـــل

قـــرآنُ ربـــي مـــلءُ أذنـــكِ ، فاســـمعي ... وحـــديث (أحمـــدَ) - فـــي الـــورى - لـــم يعمـــل

صـــوتَ الرضـــيعِ ، بكـــاؤه ، ضـــحكاته ... بـــل حيثمـــا يـــأتِ الرحيـــل يُحـــوّل

سُـــننُ المليـــك بـــأن نُفـــارق ســـاعةً ... أواهُ مـــن هـــذا المتـــاع المِكســـل!

رَحَـــلَ الجميـــع ، وعشعشـــت فيـــكِ العنـــا ... كِـــبُ ، وانـــزوت بســـماتُ ليـــل أليـــل

يـــا ســـعدَ ســـعدِ الشـــامتين جمـــيعهم ... فرحـــوا لكـــربٍ غائـــل مُتعجِّـــل

يـــا أمَّ عبـــدِ اللهِ دمعَـــكِ فاحـــذري ... وتماســـكي ، فـــالحق صـــعبُ المَحمـــل

عـــــارٌ عليـــــكِ الـــــدمعُ بعـــــد بليـــــةٍ فالـــــدمعُ يُشـــــمت فيـــــكِ كـــــلَّ العُـــــذّل

إن الحـــــروف علـــــى قراطيســـــي أســـــيً وأرى القـــــريض يـــــردُّ كـــــفَّ المُرمِـــــل

مِزقـــــتِ فـــــيّ العـــــزم عـــــزم قريحـــــةٍ وبُليـــــتُ بـــــالنجم البليـــــدِ الأمْيَـــــل

وأديـــــمُ أرضـــــي مـــــن دمـــــائي مرتـــــوٍ وأنـــــا المُعنـــــى فـــــي العُبـــــاب المُمحـــــل

والبـــــؤس دهـــــده لاهيـــــاً حُلـــــو المُنـــــى والفـــــرح فـــــارقني بحُـــــزن أوتـــــل

وطعـــــامُ صِـــــبيتنا السَّـــــراب وظلـــــه لنـــــزيح كـــــدّ المُســـــتهين المُبطِـــــل

وشـــــرابُهم مـــــن أمســـــيات شـــــقائنا وأرى بكفيـــــه العنـــــا كالمُنصُـــــل

يـــــا أم عبـــــد الله طـــــالَ فراقنـــــا غيبـــــتِ عنـــــا فـــــي الفـــــلاة الهَوجَـــــل

كيـــــف اللقـــــاء؟ تكلمـــــي وترفقـــــي إنـــــي أعـــــيشُ - عـــــن الجميـــــع - بمعـــــزل

والـــــوهم خمَّـــــش بالأظـــــافر مُهجتـــــي وعـــــلا الفـــــؤادَ بمِخـــــذمٍ وبمِعـــــول

إن غبـــــتِ عنـــــا ، ثـــــم طالـــــت غَربتـــــي يـــــا أم عبـــــد الله ســـــيفكِ ، فـــــاحملي

فالشـــــامتون هنـــــاك مَـــــلءُ دروبنـــــا آهٍ لجمـــــع - فـــــي الأذى - كالنّهشـــــل

هـــــم ينســـــجون عـــــذابنا بشِـــــماتهم أواه مِـــــن فِعـــــل القبـــــيح الأهـــــزل!

ويُـــــذل أعنـــــاقَ الجميـــــع غـــــرورُهم وفســـــوقهم ، والعـــــزَّ صـــــعب المَنـــــزِل

والـــــذلُّ كـــــأسٌ مُفجـــــعٌ ومُـــــروعٌ وأنـــــا أفضّـــــلُ عنـــــه كـــــأسَ الحنظـــــلِ

وكتابنـــــا القـــــرآنُ علمنـــــا بـــــأنْ نـــــدَع التـــــدنيَ ، رغـــــم مَـــــن لـــــم يعقـــــل

والمســـــلم المَغـــــوار ديدنُـــــه المضـــــا إن عـــــاش عـــــن درب الإبـــــا لـــــم يَعْـــــدل

بـــــل هكـــــذا القـــــرآن يرشـــــد أهلـــــه لـــــذرى الكرامـــــة والرشـــــاد الأكمـــــل

كـــم فـــي ريـــاض الحـــق تســـطع آيـــةً ... وبهـــا يُحقـــق كـــلُّ خيـــرٍ مِكمَـــل!

يـــا أم عبـــد اللهِ ، دينـــكِ فـــالزمي ... فلـــزومُ دينـــك فيـــه عـــذبُ المنهـــل

أنـــت الغريبـــةَ فـــي البقـــاع ، فحـــاذري ... وخـــذي الحيـــاة بعِفـــةٍ وتجمُّـــل

أنـــت الضـــحية إن كشـــفتِ مَســـرةً ... فعليـــكِ بالكتمـــان ، لا تتنصَّـــلي

وعليـــكِ بـــالقرآن ، ليلـــك والضـــحى ... ودعـــي مقالـــة مُســـتريب مِجْهـــل

وتحلمـــي إن جـــار كلـــبٌ أو عـــوى ... وزنـــي فعالـــك دائمـــاً ، وتمهلـــي

ولـــداكِ جوهرتـــان ، ليســـا دُميـــةً ... فضـــعيهما فـــي العـــين كـــيلا تُهمِلـــي

قَـــومي مـــن الليـــل المطلســـم ركعـــةً ... واجفـــي الفِـــراش رضـــية ، وتنفلـــي

وترفعـــي عـــن غِيبـــةٍ عَفويـــةٍ ... وذري المصـــاطب ، أنـــتِ لـــم تتقـــولي

فلـــم اصـــطناعُ القـــول منـــكِ عزيزتـــي؟ ... إن اصـــطناع القـــول طبـــعُ الأرذل

إنـــي - علـــى الولـــدين - أســـكب عَبرتـــي ... وأنـــا العزيـــز ، فلســـتُ بالمُتطفـــل

لكنمـــا قـــدرُ إلا لـــه ، ولـــيس شيـــ ... ـــئٌ غيـــره ، والعبـــدُ فليتحمـــل

ولـــئن تـــرَيْ شـــيئاً مـــن الأوهـــ ... ـــام مـــلء قصـــيدتي ، هـــو بعـــض حـــالي المُثكـــل

ذاك الـــذي يئـــدُ التصـــور فـــي صميـــ ... ـــم قريحتـــي ، ويعـــوق كـــل تبســـلي

يـــا أمَّ عَبـــدِ اللهِ قـــد جـــار النـــوى ... حتـــى كـــوى دم عاشـــق فـــي الأكحـــل

ولكـــم ذكـــرتُ حليلتـــي فـــي غربتـــي ... عبْـــر المســـاء المســـتريب الأليـــل!

فـــوددتُ تحريـــق الكـــلام لأنـــه ... وهـــمٌ تســـربل بالربـــاب المُثقـــل

ووددتُ تمزيـــــق القـــــريض لأنـــــهُ غمـــــر المشـــــاعر بالســـــراب المُبطـــــل

ووددتُ تحطـــــيم اليـــــراع لأنـــــه صـــــاغ الخـــــواطر بالمِـــــداد المُخجـــــل

ووددتُ تـــــذويب الحُـــــرُوف لأنهـــــا نفـــــرت كمثـــــل الأخطبـــــوطِ المُقبـــــل

ووددت تـــــدمير القـــــوافي أنهـــــا قـــــد راوغـــــت كـــــالأفعوان الأهـــــزل

يـــــا أم عبـــــدِ اللهِ ، تلـــــك رســـــالتي وســـــطورها عانـــــت كـــــوردٍ مُثعـــــل

لكنمـــــا وجمـــــتْ وُجـــــوم حَجـــــارةٍ صَـــــمّاءَ مثـــــلِ الصـــــمت ، لـــــم تتحـــــول

ولكـــــم ذكرتـــــك عَبَرهـــــا برويـــــةٍ وفزعـــــتُ مِـــــن هـــــولِ المُصـــــاب المُعضـــــل!

فســـــألت رب النـــــاس نصـــــراً عـــــاجلاً يجتـــــث مـــــا أدمـــــاه فعـــــلُ الحَيقـــــل

ولكـــــم ذكـــــرتُ صـــــلاتنا وســـــماعنا وقـــــراءةً حيويـــــةَ ، بِتَهَلّـــــل!

وســـــماعَ تـــــدليل الصِّـــــغار برقـــــةٍ وزيـــــارة البحـــــر العجيـــــب المُـــــذهل

وهنـــــاك يُرســـــل مَوجـــــه متأرجحـــــاً ويمُـــــدّ كـــــفَّ البـــــائس المُتســـــول

والشـــــمسُ تبعـــــثُ بســـــمةً ذهبيـــــةً نلهـــــو بهـــــا مـــــع أغنيـــــاتِ البُلبُـــــل

معنـــــا رضـــــيعٌ نـــــائمٌ وأخُـــــوهُ يلـــــ ـــــعبُ بالهـــــدير ، بفرحـــــةٍ وتغـــــزل

ويُجمّـــــع الأصـــــدافَ ينثرهـــــا علـــــى وجـــــه الميـــــاهِ ببســـــمةِ المُتغـــــزل

يضـــــعُ المَحَـــــار علـــــى الرمـــــال كأنهـــــا بيـــــتُ العناكـــــب فـــــي ثنايـــــا الجـــــدول

ولقـــــد تُحدثـــــه القواقـــــع خِلســـــةً وهـــــو الـــــذي - مـــــن لحنهـــــا - لـــــم يُـــــذهل

حتـــــى إذا شـــــعر الصـــــغير بنـــــا نتـــــا بعـــــه توقـــــفَ عـــــن حـــــديثِ أشـــــمل

وأخـــوه فـــي نـــومِ يغـــطَ ولـــيس يســـ ـــألُ فـــي الـــدنا ، شـــبلان بـــين الأشـــبل

درسَ الحيـــاة ، فلـــم يجـــد ثمنـــاً لهـــا هـــــيَ قِبلـــــة المتبطـــــر المُتبـــــذل

لـــم تلتصـــقْ هـــذي الحيـــاة بقلبـــه ودمائـــــه ، أو عِرقـــــه أو مِفصـــــل

لـــم يـــدخل الـــدينار يومـــاً قلبـــهُ أنعـــم بصـــاحبِ عِـــزةٍ وتفضُّـــل!

مِـــن أجـــل ذلـــك نـــام عنـــد الشـــط ، لـــم يَقلـــق لـــدنياهُ ، ولـــم يتململـــل

مـــا ذلـــك الشـــرفُ الرفيـــعُ أيـــا فتـــىً؟ شـــهماً أراك ، ولســـتَ بالمُتمحّـــل

واليـــوم قـــد رحـــل الجميـــع ، فـــلا أرى فـــي غربتـــي غيـــر العميـــل الأرذل

مـــا مـــن صـــديق ، أرتـــوي بلقائـــه ويُحبنـــي ، وأحبـــهُ بتَفَضُّـــل

مـــا مـــن خليـــل يرفـــعُ الأحـــزانَ عنّـــ ـــي ســـاعةً ، واهـــاً لكـــربٍ مُهْـــول

إلا أخـــاً فـــي الله قـــد أحببتـــه يبكـــي علـــى ألمـــي بكـــاءَ الثَّكـــل

رحـــل الأحبـــةَ عـــن ديـــار مشـــردٍ خنقـــوه بـــين المفتـــري والأيبـــل

تركـــوه - فـــي نـــارِ الخيانـــة - يكتـــوي وهـــو البـــرئُ ، مـــن الصـــنيع الأســـفل

يـــا أم عبـــد الله هـــذي قصـــتي ســـطرتُها بـــدم المَصـــيرِ الأشـــهل

أيـــن الصِّـــغار بصُـــنعهم وصـــنيعهم؟ ولمـــن عتـــابي بعـــدهم ، وتـــدللي؟

غـــابوا عـــن العـــين التـــي دمعـــتْ لهـــم يـــا قلـــبُ حَولـــقْ فـــي المُصـــاب ، وحَوقـــل

لكنمـــا عـــن قلبـــيَ المَجـــروح لـــم ترحـــلْ حقيقـــتهم ، ولـــم تتحـــوّل

إنـــي - علـــى المأســـاة - أشـــرب دمعتـــي أســـفي علـــى مُســـترجعٍ ، ومُحمـــدل

أمـــا القـــريض ، فهـــل يُعيـــدُ نضـــارتي؟ أنـــا فـــي ريَـــاضِ الشـــعر لـــم أتجـــولِ

لكنمـــا هـــي عـــادتي ، وطريقتـــي فـــإذا بُليـــتُ فلـــي رســـوخُ الأجبُـــل

هـــو ديـــدني عِنـــدَ المُصـــاب هُـــو الكتـــا بُ ، وثَـــم تـــذكيرٌ بمولانـــا العلـــي

ثـــمَّ التصـــبّر ، والصـــلاة بذلـــةٍ والقلـــبُ فيهـــا كالصـــفاة الجيهـــل

ثَـــمَّ القـــريض أبثـــه شـــكوى المُصـــا ب بـــلا هـــوىً ، وبـــدون أي تَجَعُّـــل

وأطيـــلُ ذِكـــرَ الله فيـــه مُـــردّداً سُـــبحان ربِّ مُـــنعم مُتفضـــل!

مُســـترجعاً ، ومحولقـــاً ، ومحـــوقلاً واللهُ ينصـــر ضـــعفَ كـــل مُبســـمل

يـــا أم عبـــدِ الله آلمنـــي الفِـــرا قُ ، وهزنـــي طـــولُ العنـــا والـــدَّهكل

كـــم كنـــتُ ألعـــب بـــالنعيم وبـــالثرا ورأيـــتِ لـــي - فـــي النـــاس - عـــذبَ المَنهـــل!

واليـــومَ مَقلُـــوبٌ لنـــا ظهـــرُ المِجَـــنّ ، كأننـــا فـــي عزنـــا لـــم نَـــدخل

زلّـــت بنـــا أقـــدامُنا لمّـــا غفلـــنا ، عـــن عبـــادةِ ربنـــا بِتـــذلّل

وقـــد احترقنـــا عِنـــدما عبثـــتْ أنـــا مِلَنـــا بنـــارِ نفاقنـــا المُستأصـــل

إنـــا عرفنـــا الحـــقَّ فعـــلاً ، غيـــر أنّـــا قـــد تبعنـــا غيـــره ، بترسُّـــل

واليـــومَ نســـتجدي الرغِيـــفَ المُـــر مـــن أعـــدائنا ، أبـــئس بـــذلُ النّهضُـــل!

وتـــرينهم بَخِلـــوا بشـــئ مـــن قمـــا مـــة بيـــتهم ، يرمونـــه بالمزبـــل

بـــالأمس كـــانوا يَمرحـــون ببيتنـــا تبـــاً لهـــم ، أقـــبحْ بشـــر أراذل!

يـــا أمَّ عبـــدِ اللهِ عانـــت أمتـــي مـــن قاصـــماتِ مُـــرةِ لـــم تَعـــدِل

سُـــحقت جميـــعُ ديارِهـــا ، واليـــوم فـــي ذيـــلِ الشـــعوب ، ورهـــن أمـــر الأيبُلـــي

سِـــــيقتْ بغيـــــر هـــــوادةٍ ، وكأنهـــــا إبـــــلٌ تمُـــــرُّ سُـــــدىً ، فلـــــم تُتأبَّـــــل

أخِـــــذتْ إلـــــى الشـــــيطان يأكلهـــــا ويشـــــ ـــــــربُها ، فويـــــلٌ للأكـــــول الأوتـــــل

وأقـــــام مَجـــــدَ الآل فـــــوقَ رِقابهـــــا بـــــالله يَـــــومُ الفـــــتحِ لـــــم يُتَأثـــــل

ونـــــراهُ أوصـــــى بـــــالأذى أعوانـــــه فلكفـــــر إبلـــــيسٍ مَضـــــى بتأسُّـــــل

وأذلَّ شـــــعباً ، واســـــتباح وديعـــــةً وقـــــد اقتفـــــي أثـــــر الهَـــــوَى بِتأصُّـــــل

والقـــــومُ فـــــي دَركِ الضـــــلالةِ نـــــافقوا وبنـــــوْا سُـــــقوط ضـــــلالهم بتأفُّـــــل

وتنكـــــر الشـــــيطان للجمـــــع الذليـــــ ـــــل ، ومَـــــن يعـــــش يُرضـــــي العِـــــدا يُســـــتأكل

يَمـــــتصُّ مِـــــن دَمِ قومـــــه مـــــا يشـــــتهي ويَهـــــيج فـــــي الـــــدنيا هِيـــــاجَ الزَّعبَـــــل

مأكولُـــــه خِرفـــــان جمـــــعِ مُعـــــرضٍ كيـــــفَ الطريـــــقُ إلـــــى التهـــــامِ الخيعـــــل؟

ولقـــــد نظـــــرتُ إلـــــى الحَميـــــرِ فمـــــا وجـــــدْ تُ مزمجـــــراً ، فهتفـــــتُ: لا تتأمـــــل

إن الحميـــــر تـــــزِفُّ للشـــــيطان أجـــــ ـــــمل غـــــادةٍ ، أتـــــراهُ لـــــم يَتَأهَّـــــل؟

وإذا تمعَّـــــر وجـــــهُ أي مُوحـــــدٍ متميـــــز ، والجمـــــعُ لـــــم يستبســـــل

ليُحـــــق حقـــــاً ، أو ليُبطـــــل بـــــاطلاً فالسُّـــــحقُ والتشـــــريدُ للمتبســـــل

وإذا بـــــه عنـــــد الطَـــــواغى دافعـــــاً ثمَـــــنَ الشـــــجَاعةِ والكـــــلام الأمثـــــل

هـــــو وحـــــدهُ فـــــي النائبـــــات منافحـــــاً عـــــن دينـــــه ، وتـــــراهُ لـــــمْ يتغافـــــل

هـــــو لـــــيس يعبـــــأ بالعـــــذاب وبـــــالأذى فلـــــه اصـــــطبارٌ كاصـــــطبار الـــــدعبل

هـــــو لـــــيس يخشـــــى المـــــوت وثـــــاب الخُطـــــا هـــــو جلمـــــدٌ فـــــي الحـــــقِّ مثـــــل الأجـــــدلي

هـــو عطـــرُ هاتيـــك الحيـــاة وروحهـــا ... هـــو بـــاذلٌ للمـــاءِ بَـــذلَ الجـــدول

لكنمـــا هـــذي القلـــوبُ حجـــارةٌ ... هـــي صَـــلدةٌ بأناسِـــهَا كـــالجَرول

تحيـــا لتُشـــبع شـــهوتيْ بطـــن وفـــر ... جٍ ، كـــالغراب المُســـتميتِ الأحجـــلِ

لـــو أنهـــا أخِـــذتْ مِـــن الشـــهوات تلـــ ... ـــمحُ خيلهـــا قَـــدُماً تَمَـــرُّ كجحفـــل

بـــالأمسِ كانـــت فـــي الـــذرى دنيـــا وأخـــ ... ـــرى ، لا تَـــذِل لمجـــرمِ أو بُهصُـــل

تحيـــا لتعبـــدَ ربَّهـــا ، وشـــؤونُها ... فـــي القـــوم - فـــوق الأرضِ - لـــم تتبلبـــل

بـــالأمس كانـــت أمَـــةَ تحيـــا لديـــ ... ـــن قـــيَّم ، جـــمِّ الشـــمائل مِكمـــل

هـــي فـــوق كـــل الخلـــقِ نـــورٌ يزدهـــي ... هـــي فـــي الـــدنا كالمـــارد المُتبَلـــل

وطعامهـــا خيـــرُ الطعـــام وللمُحـــا ... ربِ سَـــيفُها ، ويُبـــادُ خلـــفَ الجَنـــدل

أعـــداؤها فـــي الـــذيل ليســـوا يـــأكلو ... ن سِـــوى بقايـــا مِـــن نقيـــع الحُتفَـــل

ولهـــا المَقامـــاتُ العُـــلا ، ولغيرهـــا ... مِـــن كـــل شـــئ بائِـــداتُ الحِســـفِل

مَـــن نـــال مِنهـــا أدبتـــهُ ليوثَهـــا ... إذ كيـــف تعبـــثُ نملـــةٌ بالمُرمـــل؟

مـــن قـــال فيهـــا قولـــةً مكذوبـــةً ... فـــي ظهـــرهِ الجَـــلاّد لـــم يتغّـــزل

لكـــنْ يَـــردُّ الحـــقَّ ممـــن قـــد بغـــى ... والســـيف تِريـــاقُ الـــدنئ الأرذل

كانـــت لنـــا ذخـــراً ، وكانـــت مَعقـــلاً ... للـــدين والإيمـــان خَيـــر المَعقـــل

كانـــت لنـــا نُـــورَ الـــدُّروب ونجـــدةً ... أكـــرمْ بأيـــامِ الجُـــدُود العُسَّـــل!

واليـــوم فـــي قـــاع التَّـــردي ترتـــدي ... ثـــوبَ الضـــلالة ثـــوبَ كُـــل مُضـــلل

السَّـــــيد المِغـــــوار بـــــات مُســـــيّداً أعـــــداءَه ، ويـــــزورهم بتجمـــــل

بَعـــثَ الصـــليبُ هشـــيمه فـــي أرضـــنا والحـــق ضـــاع ، ترينـــه لـــم يعمـــل

يـــا أمَّ عبـــدِ اللهِ ضـــاعت بَيضـــةَ وتقلـــدَ الشـــيطان بـــأسَ الصـــيقل

والجمـــعُ لاهٍ فـــي تَـــرَدِّي عُهـــره والفِطـــرةُ انتكســـتْ سُـــدىً بتبـــذل

ورياحنـــا ذهبـــتْ ، وضـــاع إباؤنـــا وتـــرين مَـــن يقـــل الهُـــدى يُســـتبدل

فـــالكون منـــتظمٌ ، ويعبـــد ربـــه والجمـــع فـــي الغمـــرات ، لـــم يتعـــدل

وإذا بـــدت فـــي الـــدار نبتـــة صـــحوة تســـمو بقنـــو النخلـــة المتعثكـــل

وتريـــد خيـــراً للحميـــر ومرتعـــاً وتعيـــد أمـــن الواجـــف المتخلخـــل

وتعيـــد هَـــديَ الله فـــي الأرض التـــي بـــالأمس كانـــت فـــي الجنـــاح الأمثـــل

دَفعـــتْ مقابـــل دينهـــا أجيالهـــا وتجرعـــتْ دمهـــا بنصـــل الصـــيقل

وتشـــرّبتْ بـــالموت أصـــقاعُ الحمـــى للهـــمّ لطفـــك بالنســـاء الثكـــل!

بـــالأمس كانـــت مـــن ديـــار المسلميـــ ـــن ولايـــة ، فـــي حِضـــنها المتجمـــل

وعلـــى رؤس القـــوم (عمـــروٌ) ينثنـــي تيهـــاً ، يجـــوبُ رياضـــها بتنقـــل

هـــو قـــد أقـــام الـــدين فـــيهم جهـــرة وبـــرغم أنـــف المُشـــرك المُتمحـــل

زالـــت عـــن الأرض الســـليبة سُـــلطة وَثنيـــة ، يـــا للعُتـــاة العُـــزل

والمشـــركون بكَـــوْا أصـــيل (حضـــارة) شـــركيةٍ ، مَـــن لـــم يَلـــمْ لـــم يعـــذل

لمَّـــا رأوا بـــأس الأبـــاة الفاتحيـــ ـــن تروّعـــوا ، حسِـــبوا حســـاب الصـــيقل

وأزال (عمـــــــروٌ) أمـــــــة وثنيـــــــة وأقـــــام صـــــرح المســـــلم المُتعقـــــل

سُـــــقيا لعهـــــدك يـــــا أميـــــر ديارنـــــا أواه مـــــن دمعـــــي الغزيـــــر المُرْســـــل!

أبكـــــي غيـــــاب الـــــدين وحـــــدي ســـــيدي متحيـــــراً فـــــي شـــــغل نفســـــي المُمْحـــــل

النعـــلُ فـــي قـــدميك أشـــرف مـــن وجـــو هِ شـــــياهنا ، سُـــــقيا لعـــــز الأنبـــــل!

والريـــــق فـــــي فيـــــك الطهـــــور تمجّـــــه أنقـــــى وأطهـــــر مـــــن قطيـــــع الـــــدوبل

وســـــلا الجـــــزور بأرضـــــكم يـــــا ســـــيدي وبُعـــــيض شـــــيء مـــــن تـــــراب الخشـــــبل

أنقـــــى مـــــن المتـــــألهين عُتاتنـــــا ومـــــن الشـــــباب الفاســـــق المُترهـــــل

مَـــــن بـــــدلوا هـــــدْي الإلـــــه وشـــــرعه وفـــــق المـــــزاج المســـــتهين الأوحـــــل

أمـــــا العُتـــــاة فبـــــدّلوا ، وكـــــذا الشـــــبا ب تصـــــاموا ، والكـــــل لـــــم يتهيـــــل

شـــــبّتْ علـــــى هـــــذا الضـــــلال شِـــــياهُنا وعليـــــه تقضـــــي عمرهـــــا بتكهـــــل

والأمـــــر أمـــــر عقيـــــدة يـــــا ســـــيدي فـــــاز الـــــذي عـــــن علمـــــه لـــــم يعْـــــدل

مَـــــن كـــــان يجهـــــل أصـــــل ديـــــن ينتمـــــي فرضـــــاً لـــــه ، وتـــــراه لمّـــــا يســـــأل

هـــــو لـــــم يـــــزل فـــــي زيفـــــه لا ديننـــــا أفتـــــى بهـــــذا القطـــــع هَـــــدْيُ الكُمّـــــل

هـــــي بعـــــض مـــــا تـــــرك الأوائـــــل حِســـــبة هـــــي رهْـــــن أمـــــر المســـــتفيد المُقبـــــل

مَـــــن كـــــان مســـــتنداً عليـــــه بمـــــن مضـــــى ومعيـــــنُهم عنـــــدي رطيـــــبُ المَنهـــــل

يـــــا أم عبـــــد الله آذانـــــي الجـــــوى وتوشـــــح الليـــــلُ العبـــــوسُ بمِنجـــــل

وأقامـــــتِ الأوهـــــامُ عنـــــدي مأتمـــــاً وتضـــــرمت فـــــي القلـــــب نـــــار الـــــدهكل

والأمنيـــــاتُ تبعثـــــرتْ عبـــــر الـــــدجى والخـــــل أمســـــى كـــــالبعير الأخـــــزل

وتفصـــــدتْ منـــــي العيـــــونُ تحجـــــراً تبكـــــي الفـــــراق ، كأنهـــــا فـــــي مِرجـــــل

أنـــــى اتجهـــــتُ أراكـــــمُ فـــــي واقعـــــي فـــــي فكرتـــــي ، فـــــي مشـــــربي ، فـــــي مـــــأكلي

وأظـــــــل أرمقكـــــــم بكـــــــل طـــــــويّتي وبنـــــــور طيـــــــفٍ عبقـــــــري أفكـــــــل

وتمـــــــر أنســـــــام الحيـــــــاة رهيفـــــــة تحنـــــــو علـــــــى قلبـــــــي الـــــــذبيح المُقفـــــــل

ويحـــــين وقـــــت رحيلهـــــا ، فتشـــــير لـــــي فـــــأقول: يـــــا أنســـــام لا تتعجلـــــي

ويعِـــــنّ طيـــــف عِيالنـــــا فـــــي حجرتـــــي مـــــا بـــــين زاهٍ لونـــــه ، أو كربـــــل

ويظـــــل ينشـــــر عطـــــره فـــــي واحتـــــي مـــــا بـــــين ميمنـــــةٍ ، وأخـــــرى شـــــمأل

ويقـــــول شـــــعراً فـــــي النســـــيم ، كأنـــــه بـــــالرمز ، لـــــم يقطـــــعْ ، ولمّـــــا يفصـــــل

هـــــو راكـــــبٌ مـــــتن العبيرمغـــــرّداً وأحـــــسّ وقـــــع مســـــيره بترجـــــل

يـــــا أم عبـــــد الله أيـــــن جـــــواركم؟ كُبّلـــــتُ بعـــــد رحـــــيلكم بـــــالغرزل

حتـــــامَ يرحمنـــــي وصـــــالُ حليلـــــةٍ واكـــــرب قلبـــــي مـــــن حبيـــــب مقـــــول!

هـــــو حـــــافظ حـــــق الوصـــــال ، وعنـــــده لقيـــــا حبيـــــب القلـــــب أغلـــــى مأمـــــل

هـــــا ناوليـــــه العـــــزم ، يومـــــاً وانظـــــري ســـــيكون فـــــي الهيجـــــاء مثـــــل القفصـــــل

أو صـــــــدقيني ، إنـــــــه مترفـــــــعٌ وعلـــــــى المهـــــــيمن فـــــــي الأمـــــــور تـــــــوكلي

هـــــو لـــــيس يحســـــب للخطـــــوب حســـــابها فســـــلاحُه التوحيـــــدُ قبـــــل المنصـــــل

يـــــا أم عبـــــد الله إن العـــــين تـــــد مـــــعُ مـــــن ألـــــيم فـــــراقكم ، بتهمـــــل

والقلـــــب عنفـــــه الكـــــرى بســـــياطه وعتـــــاب طيـــــفٍ نـــــاعسٍ ومُجَمـــــل

ولواهنـــــاتِ الـــــدمع طـــــرفٌ باســـــمٌ يرنـــــو بشـــــوق ســـــاطع ومُـــــذيل

أعنـــــي دمـــــوع طـــــويتي وعـــــواطفي هـــــي فـــــي الشـــــجون كمـــــا النبـــــات المُبقـــــل

أنـــا لســـت مـــن يُخفـــي المشـــاعر لحظـــة أنـــا ثـــائر ، أنـــا لســـت بالمترهـــل

والـــدمع فـــي عينـــي شـــديد وخـــذه لكنمـــا فـــي الحـــق مثـــلُ النهضـــل

وكتائـــب الضُـــلال أزبـــدتِ العَـــدا وتفننـــت فـــي ضـــربة المتقـــول

وتقولـــتْ ، وتحللـــتْ ، وتكبـــرتْ وتظـــاهرت بمحبـــة ، وتكمـــل

كتبـــت إلـــى الشـــيطان تشـــكو مـــا تـــرى وتنصـــلتْ مـــن كـــل حـــق مُخضـــل

كتبـــتْ إليـــه تـــؤزه ، وكـــذاك قـــد ذهبـــتْ إليـــه بلوعـــة المتبتـــل

لتدلـــه فعـــلاً علـــى جنـــد الإلـــه وحزبـــه ، بكـــلام زيـــفٍ مبطـــل

نســـي البغـــاث بـــأن رب النـــاس فـــو ق رؤوســـهم يـــا للعظـــيم المبتلـــي!

هـــو يبتلـــي أحبابـــه وجنـــوده قبـــل اللقـــاء بســـاح يـــوم فيصـــل

هـــو كهفهـــم ، هـــو نصـــرهم ، هـــو قصْـــدُهم ســـبحانه مـــن قـــاهر متفضـــل!

هـــو يقصـــف الفرعـــون يمحـــو كفـــره ويُحيلـــه هـــدراً وبعـــضَ تبكـــل

يـــا أم عبـــد الله أوهـــامٌ بـــدتْ فـــي خـــاطري ، ثـــم انتهـــتْ بتحـــول

ودنـــا الخيـــال وقـــال لـــي: لا تنفعـــلْ وإذا الهـــواجسُ فـــوق جســـم مرطـــل

تنهـــال فـــوق عظامـــه بســـيوفها وتحطـــم المســـكين دون تولـــول

والحـــزن ســـامرني ، وبـــدد وحشـــتي مـــن يفعـــل الســـوآى يهـــنْ ويُغربـــل

أمـــا الوشـــاة ففـــيّ بـــاعوا واشـــتروْا قسّـــمتْ بـــين مُبـــددٍ ومُغفـــل

أنـــا فـــي العيـــون وضـــعتهم ، وعزلـــتُ نفـــ ـــــسي عـــــن دويّ مكائـــــدٍ وتزحـــــل

أنـــا مـــا اعتـــديت علـــى الوشـــاة لحيظـــة أنـــــا لســـــت للـــــدنيا هنـــــا بـــــالمِرول

أكـــــرمتهم يومـــــاً ، ولـــــم أكُ حـــــاذراً لـــــيس الكـــــريم علـــــى الرفـــــاق بحيقـــــل

آثـــــرتهم عـــــن أهـــــل بيتـــــي بالـــــذي ملكـــــتْ يـــــدايَ بكـــــل حـــــب أكمـــــل

أعطيـــــتهم كـــــل الأمـــــان ، ولـــــم أخـــــنْ أنـــــا لـــــم أعرّضـــــهم لصـــــولة غشـــــفل

صـــــارحتهم ، ودفعـــــتُ سِـــــري عنـــــدهم أنـــــا لـــــم أســـــلمهم لمِخلـــــب غيطـــــل

ومنحـــــتهم وقتـــــي ، ولـــــم أكُ نادمـــــاً إن الجـــــواد بوقتـــــه لـــــم يبخـــــل

ودفعـــــتُ طفلـــــي بـــــين أيـــــديهم ليعـــــ ـــــرف صـــــحبه ، ويُســـــر بعـــــد تـــــدلل

وأمِنـــــتهم فـــــي كـــــل قـــــول قلتـــــه مـــــن خـــــاف بـــــأس النـــــاس لمّـــــا يُجـــــزل

ودفعـــــت طعمـــــة أهـــــل بيتـــــي عنـــــدهم وأكلـــــتُ مـــــا اســـــتبقيتُ لـــــي مـــــن حتفـــــل

فـــي يـــوم عُرســـك قـــد عَصـــرتُ مـــدامعي وتُركـــــتُ فـــــي المَيـــــدان تـــــرك المُهمـــــلِ

فَرضـــــتْ علـــــيَّ تنـــــازُلاتٌ جَمـــــةً فـــــزأرتُ: أنـــــي لســـــتُ بالمُترهـــــل

وتركـــــتُ مســـــجدهم ، وســـــرتُ بمفـــــردي وسِـــــتارُ بيتـــــي حولـــــه لـــــم يُســـــدل

والمســـــــرحيةَ أحكمـــــــتْ حَلَقاتُهـــــــا والعَـــــذلُ لاهٍ فـــــي خِـــــداعِ المَحفـــــل

وصُـــــويحباتُكِ قـــــد ملأنـــــكِ فرحـــــةً بـــــــدُفوفِهن ، ودنـــــــدناتِ البُلبُـــــل

أنشـــــدن رغـــــم صـــــيامهن ، وقـــــد مـــــلأ ن الجَـــــو شـــــعراً كالنســـــيم الشلشـــــل

وسَـــــعدتِ فِعـــــلاً بـــــين أنقـــــى صُـــــحبةٍ وبقيـــــتُ - وحـــــدي - صـــــامتاً كالهَيكـــــل

وأخـــــذتُ يُمنـــــى زوجتـــــي بطـــــلاوةٍ ودخلـــــتُ بيتـــــي ، والهنـــــا لـــــم يُقبِـــــل

فهتفـــــتُ أن لا يـــــدخُلنْ بَعـــــدي الهَـــــوا ءُ ، ففـــــارقوا ، والعُـــــذرَ لـــــم أتقبَّـــــل

صَـــــليتُ بـــــالزَّوج العِشـــــاء ببيتنـــــا وتلـــــوتُ آي الـــــذكر فـــــي الـــــرُّكن الخَلـــــي

ومكثـــــتُ – دهـــــراً – فـــــي (المخـــــيم) هانئـــــاً ورأيـــــتُ زرعـــــاً يانعـــــاً فـــــي المَشـــــتل

فـــي الصُـــبح أذهـــب كـــي أعيـــذك مـــن طَـــوىً وكـــذاك مِـــن ثـــوب رثيـــثٍ مِبـــذَل

وأعـــود - بعـــدَ الظّهـــر - مُرتاحـــاً ، وطَعـــ ـــمة بيتنـــا خجلـــى تُضـــئُ تَفضـــلي

عامـــانِ فـــي كنـــفِ المُـــروج ، وحِضـــنِ أحـــ ـــلام الشـــتاء قضـــيتها ، لـــم أحفـــل

يـــأتي الشـــتاءُ نحبّـــه ، ويحبنـــا إن الشـــتاءَ بأرضـــكم لـــم يختـــل

أمـــا الطيـــور ، فقـــد بنـــتْ أعشاشـــها وتجمعـــتْ ، مرحـــى بأنـــدى جَحفـــل!

وكـــذلك الحَقـــلُ الفَخـــورُ يُحبُّنـــا لـــكِ قـــد تمطـــى أمســـه ، واليـــوم لـــي

والمـــاءُ مُنســـابٌ يلـــي قنواتـــه بـــالخير جـــادَ ، وبالهنـــاءِ المُجـــزل

ودجـــاجُ أمّـــكِ فـــي الروابـــى باحِـــثٌ عـــن قوتـــه ، إنْ فـــي الـــذرى أو مَعـــزل

وأرانـــبُ المَطـــر المُســـجى ترتـــوي فعلـــى مَســـاعيها العَنـــا لا ينطلـــي

والَـــبطَ قـــد عبـــثَ الغَـــرَامُ بريشـــه فـــإذا بـــه - فـــي الأرض - لـــم يترسَّـــل

بـــل غـــاص فـــي أعمـــاق نهـــرِ باســـم والـــريشُ ملتـــفٌ كصـــوف المِغـــزَل

والزَّهـــرُ فـــوق الزهـــر ، يُقـــري ضـــيفه حتـــى السَّـــحاب ، يُظلنـــا بِتطَفـــل

والـــوَردُ تِلـــوَ الـــورد يأســـرُ حبنـــا والعِطـــرُ مـــن جـــوفِ الربـــا لـــم ينســـل

ونســـائمُ الغـــيمِ المُغنّـــي تنتشـــي طربـــاً ، وتـــأتي مـــن أعـــالي الأجبُـــل

ومفـــــاتنُ الفـــــرح المُغـــــردِ تنثنـــــي تِيهـــــاً ، وتصـــــدحُ بالغِنـــــا كالبلبـــــل

بعثـــــتْ رســـــائلها لنـــــا مَربوطـــــةً بخُيوطهـــــا ، أعلـــــى جنـــــاحِ الجـــــوزل

والشـــمسُ تُرســـلُ - فـــي الضـــحى - إشـــراقها وتـــــرينَ شمســـــك باللقـــــا لـــــم تعـــــدل

والليـــــلُ لمّـــــاحُ السَّـــــنا مُتعطـــــرٌ فـــــي ســـــرعة ، مـــــا إن يَحـــــلَّ فيرحـــــل

والأفـــقُ مـــاضٍ فـــي مُغازلـــةِ الرُّبـــا ويبيـــــتُ يُظهـــــرُ نَشـــــوةَ المُتهـــــول

حتـــــى الطَريـــــق يُحـــــبُّ فينـــــا حُبنـــــا مـــــا إن نَسِـــــرْ فـــــوق البِطـــــاح فيَخجـــــل

هـــــل كُـــــلُّ ذلـــــك تَـــــذكرين عزيزتـــــي؟ حتـــــى تَـــــذودي تـــــارةً ، وتُخـــــذْلي

هـــــل بَعـــــد هـــــذا ينتهـــــي إخلاصُـــــنا؟ عجبـــــاً لحُـــــب باهـــــتٍ مُتزلـــــزل!

أنـــــا لا أَصـــــدّق أنَّ هـــــذا سَـــــمتنا يـــــا للأســـــى! إن شـــــئتِ عنـــــي فاســـــألي

فِـــــي اللهِ قـــــد أحببـــــتُ حُبـــــكِ وافترشـــــ ـــــتُ قصـــــائدي ، وزرعـــــتُ خيـــــر السُـــــنبل

وتفيـــــأتْ رُوحـــــي جميـــــل مـــــودةٍ بعـــــد الـــــزواج المُخبـــــتِ المُتجمـــــل

فلـــــم التحـــــرشُ بالمُحـــــب وحُبـــــه؟ (مـــــا الحـــــبُّ إلا للحبيـــــب الأول!)

قـــد قـــال ذلـــك شـــاعرٌ يُـــردي الهـــوى أنـــا لســـتُ ســـماعاً لِقيـــل أهـــزل

(نقّـــل فـــؤادك حيـــثُ شـــئت مـــن الهـــوى) ســـيموت قلبـــي – اليـــوم - إن يتنقـــلِ

وأعُـــود أســـأل أم عبـــد الله سُـــوءَ لَ متـــــيّم مُتـــــودٍ مُتغـــــزل

هـــل بعـــد ذلـــك تنقضـــي آمالُنـــا ونعـــود نضـــربُ فـــي الرمـــاد المُمْحـــل؟

هيـــا بنـــا نبنـــي دعـــائم مجـــدنا فـــالفوز للمِقـــدامِ ، لا للمُبطِـــل

إنـــي علـــى المَلهـــاةِ أشـــربُ حُرقتـــي وأبيـــتُ يكـــويني ألـــيمُ تَعَلّلـــي

أتـــذكرُ الماضـــي وحُلـــو دُروبـــه واليـــومَ أنظـــرهُ كـــبعضِ الطيسَـــل

أتـــذكرُ الأيـــامَ ، كيـــف تنـــاثرتْ وسْـــط الرُكـــامِ بِمِخـــذم وبمعـــول

أتـــذكرُ النـــاسَ الكثيـــرةَ حَولَنـــا ورغيـــد عـــيش فـــي الزمـــانِ الأرغَـــل

أتـــذكر الأفـــراحَ مـــلءَ عُيُوننَـــا كيـــفَ اســـتكانت للعُتـــاة البُســـل؟

أتـــذكرُ الأم الحَنـــون ، وطفلهـــا والآن تتركُـــهُ لِلـــوم العُـــذل

بـــل كيـــفَ ذاك الـــوهمُ أمسَـــى واقعـــاً وطيُـــوف عُمـــرِ المَـــرعِ لـــم تتجمـــل؟

حتـــى الهَـــزارُ العّـــذبُ أضـــناه الهَـــوَى وهُـــوَ الكـــريم فلـــم يكـــن بالحيقـــل

وكـــذا الزُهـــورُ الـــذابلاتُ بأرضـــنا عُصـــفتْ ، وتاهـــت لانغمـــار المَوئـــل

أتـــذكرُ الأطيـــار صـــادِحة الصـــدى خلـــف العَـــريشِ تعطـــرتْ بالمَنـــدَلِي

أتـــذكرُ الســـاعاتِ قـــد قضـــيتُها أتلـــو ، وأكتُـــبُ فـــي سُـــكُونِ مُســـبل

أتـــذكرُ الأغنـــامَ تُحـــدث ضَـــجةً ليســـت تخلّـــى عـــن حـــديثِ مُهَتمـــل

أتـــذكرُ الغيـــثَ المغيـــث بـــدارنا لـــو كـــان يُجمَـــعُ فـــي عميـــق المَوشـــل

أتـــذكرُ البـــرد الطعـــين ، وقـــد بـــرا هُ شـــتاؤنا ، وعـــلا النـــدى بالهُلهُـــل

أتـــذكرُ الكتكـــوت يَنقـــر بيضـــةً مـــا إن يـــر الـــدُنيا حلـــتْ يتفخـــلِ

ويســـير خَلـــفَ الأمِّ تســـبقُهُ الخُطـــا مُتميـــزٌ فـــي ســـيرِهِ كَالقِســـمل

أتـــذكر اللّقيـــا بهمـــس حـــائر والشـــوقُ يقطعُهـــا كســـيفٍ مُقصـــل

ويُثيـــرُ عاطفـــةَ المُحـــبِّ تشـــفياً فيزيـــدُ فـــي ترنيمـــةِ المُتســـطيل

أتـــــذكرُ السَّـــــهر المَريـــــرَ بليلنـــــا يَكـــوي المشـــاعر ، فـــي المســـاء الأليـــل

أتـــــذكرُ القُـــــرآن فـــــي خلواتنـــــا قـــد كـــان يمحـــو ضـــيقَ كُـــل مُكـــدَّل

أتـــــذكرُ القطـــــبَ الكَـــــريم بنُـــــوره كيـــف (الظـــلال) يَصـــوغَ نُـــور المَعقـــل

أمـــا (المعـــالمُ) فهـــو مصـــباحُ الـــدجى يـــا للمعـــالم مـــن حُســـام فيصـــل!

إنْ فـــي (الظـــلال) أوِ (المَعَـــالم) شـــيخُنا رجُـــل العَطَـــاء العَبقـــريّ الأكتـــل

إنْ فـــي (الخصـــائص) ثَـــم بَعـــدُ (مقومـــا تُ تصـــور) ، القـــولُ لـــيس برَهبَـــل

القُطـــبُ قـــد كشـــف الضـــلالة بـــاليرا ع وبالفعـــالِ ، وردَّ كيـــد الخيعـــل

والقطـــبُ أظهـــر دينـــهُ وســـط البُغـــا ث ، ولـــم يخـــف بـــأس الكَفَـــور الأرعـــل

والقُطـــبُ صـــاغ ظلالـــهُ بـــدمِ الشهيـــ ـــد ، وروحُـــه فـــي الغـــيّ لـــم تترتَّـــل

والقُطـــبُ مهمـــا أكثـــروا تجريحـــهُ فـــي الحـــق لـــيس بخـــانع مُترعبـــل

والقُطـــبُ لـــن يســـتعدي الشـــيطان أو أذنابـــه ، إمـــا يُهـــنْ فيُحســـبل

إن التحـــــاكم للطـــــواغى ردةٌ أتخـــافُ أسْـــدٌ مِـــن عُـــواءِ الخَيطـــل؟

لا يملـــك الطـــاغوت شـــيئاً فـــي الـــدنا فعـــلام نضـــربُ فـــي العَمَـــى كالمُيَّـــل؟

وعـــلام نُعطيـــه الأمـــان ، وقـــد طغـــى؟ والظلـــمُ فـــي الآفـــاق لـــم يتدلـــدل

أتـــــذكرُ الأســـــفارَ فـــــي أرحابنـــــا وهضـــــابنا ، وقفارنـــــا ، والأجبُـــــل

بـــــالبرِّ أو بـــــالجو كـــــان رحيلُنـــــا أو بالســـــفائن ، عبـــــر مـــــاءِ النوفـــــلِ

كـــم ذا تعبنـــا مـــن ألـــيم رحيلنـــا! كـــم ذا تعنينـــا لبُعـــد المأمـــل!

أتـــــذكرُ الأهـــــوال كيـــــف ركبتُهـــــا وظللـــــتُ فيهـــــا كـــــالجَرَاد المِمغـــــل؟

أتـــــذكرُ الفجـــــر الخَجُـــــول هنيهـــــةً لا ينكـــــر الخِـــــلانَ غيـــــرُ مُغفـــــل

وألاحـــــق الســـــحَر الوَليـــــدَ أبثـــــهُ نجـــــوى المَشـــــوقِ لنُـــــورِ يـــــوم مُقبـــــل

خاطبتُـــــهُ: أبشـــــرْ أيـــــا سَـــــحَر المُنـــــى إنـــــي - علـــــى الآهـــــات - لـــــم أتخـــــذل

فـــــي لحظـــــةٍ مُلتاعـــــةٍ ألفيتـــــهُ قـــــد ضـــــاع فـــــي أرض فـــــلاةٍ مِجْهَـــــل

أتـــــذكرُ الحـــــرب الضَّـــــروس ببيتنـــــا ضـــــدي ، وإنـــــي لســـــتُ قـــــط بمجهـــــل

كـــــلٌ يلمـــــع سَـــــيفهُ ، ويحـــــدّه ليكـــــون أمضـــــى مـــــن نصـــــال الفِـــــرزل

عجبـــــاً لأمـــــر قرابـــــةٍ ، وأخـــــوةٍ ابـــــنٌ يُقطـــــع بالحُســـــام المُقصـــــل؟

إن الكَـــــلاَم لعـــــاجزٌ عـــــن وصـــــفكم ترمـــــون مُســـــلمَ بَيـــــتِكُم بالنهشَـــــل

وطَـــــردتُ طـــــرد مُعربـــــدٍ ، ومخـــــرّبٍ وانفـــــلّ ظهـــــري ، كـــــالبعير الأخـــــزل

ومكثـــــتُ أيامـــــاً ، أبيـــــت علـــــى الطَّـــــوى وكـــــأنني فـــــي القـــــوم (كلبـــــةَ حَومـــــلِ)!

وهرعـــــتُ للأصـــــحاب مـــــا رفعُـــــوا الأذى فمشـــــيت - بـــــين شـــــوراع - كالدلـــــدل

يهتـــــاجُ فـــــي جـــــوفي اللظـــــى ، وإذا ظمئـــــ ـــــتُ فـــــإن رِيّـــــي مـــــن نميـــــر الحَومـــــل

يلتـــــاعُ فـــــي قلبـــــي الوفـــــا ، وإذا أردتُ الأكـــــل يُشـــــبعني رطيـــــبُ الحُنبـــــل

ويـــــئنُّ دمعـــــي ، والسَّـــــرابُ هـــــو الـــــدوا يـــــا ليتنـــــي مِـــــن سُـــــمه لـــــم أنهـــــل

ويـــــئن فـــــي عقلـــــي صَـــــدى مـــــاض ثـــــوى وأنـــــا رثيـــــتُ رحيلـــــه بتعقلـــــي

والأكـــــلُ جـــــافٍ قِـــــردٌ ، ولـــــئن أرد تُ خِتامـــــهُ ، أمســـــكتُ بعـــــض الحيصـــــل

أمـــــا قـــــراطيسُ القـــــريض فبعثـــــرو هـــــا فـــــي المتاهـــــة فـــــي صـــــخور الجَـــــرول

فاعجب لهذا يا زهير ، وغنني شعراً على أنات آهة (دِعبل)

فالكلُّ يضرب فيّ ضرب مُجالدٍ وكأنهُ بالفأس لم يتركّل

حتى الأخيّةَ ، لم تُراع أخُوةً ضربتْ بشئ من هزيل المِرْول

حتى الرضيعةَ كابرت في ضربها بهُراء لغوِ صائب ، ومُرهبَل

وسنِيُّ عُمري - في اللظى - قضّيتها متشتتاً ، كالأفعوانِ المُجفِل

إني - إلى بيت عريق - أنتمي إني لمِن نَسبِ أصيل مِكمل

أنا جّدَّ جدي في الشجاعة ضيغمٌ أنا مِن عشير ذي مَقام مِزيل

أنا ليس في قومي رقيع فاسق بل ، ليس فيهم من خليعِ مِمذل

هم في إغاثة مُستغيثٍ صُبُّرٌ وفوارسٌ في الحرب لم تتقتعل

هُم في الصعيد ، وفي التلال أشاوسٌ وعلى الجبالِ ، وفي رمال عقنقل

لكنهم ماتوا ، وعاشت حِفنةَ منسوبةَ لثرى الصعيد المُخضل

ليسوا كمن رحلوا ، ولكنْ جَوقةَ تُركتْ على جسر الحياة المُهمل

قد جاوز الستين كهلٌ طاعنٌ في الفن يشقى شِقوةَ المُتبذل

وتراهُ تُبكيه المَلاهِيَ دائماً عجباً لهاتيكَ العيون الهُمَّل

كهلٌ أضاع العُمرَ في شتى الفنو ن ولم يَزل ، يا للعجوزِ الرَّهدَل!

راع تسلط بالغُرور ، ولم يَزلْ متسلطاً ، يَلهو بعيش غيدل

يا أمَّ عبدِ الله أتعبني القريـ ـضُ وهزّني ، والجهدُ يملأ قَيهلى

وإذا علمـــــت مرارتـــــي ، وحرارتـــــي ومُصـــيبتي ، إن كُنـــتِ فـــي جهـــل سَـــلِي

يُخبـــرْك كُـــلُّ النـــاس أنـــي ثابـــتٌ رغـــم الشَّـــقا ، بـــل أمـــرُ إعيـــائي جَلـــي

لكنمـــــا مُتصـــــبرٌ ، فترفقـــــي رحِـــمٌ أنـــا لـــكِ ، فـــاقطعيني ، أو صِـــلي

بـــل أنـــت - بعـــد الله - عَـــوني فـــي الـــدنا والعـــيشُ - بعـــدَ الظغـــنِ - لـــم يتحفـــل

أنـــا بعـــدكم نَصَـــبٌ ، ويعلـــمُ ربُّنـــا يـــا لـــي هنـــا مـــن ضـــائعِ ومُخـــردل

فلقـــد رَحلـــتم ، ثُـــم شَـــطّ بـــي البكـــا والـــوهمُ فـــي كيـــل الشـــقا لـــم يـــذأل

واللهُ يعلـــــمُ أنَّ عِطـــــر شـــــبيبتي ولـــــيَّ ، وضـــــاعت أمنيـــــاتُ المِزيـــــل

إن قلـــتُ إنـــي ضِـــعتُ فـــي شـــطحاتِ در بـــي ، مـــا كـــذبتُ ، وقبـــلُ لـــم أستســـهل

بـــــابي علـــــى ذنبـــــي أراهُ مَغلقـــــاً بـــــل حيثمـــــا أجـــــدِ الهـــــوى أتملمـــــل

أيـــامَ كُنـــتم مـــلء عينـــي كنـــتُ فـــي كبـــد الســـما ، أرنـــو لأرقـــى مَنـــزل

لمّـــا تعُقنـــي فـــي الحيـــاة كـــوارثٌ وكـــذاك لـــم أحفـــل بأقســـى دهكـــل

نـــارُ الحيـــاةِ نجـــوتُ منهـــا ســـالماً أمسِـــي وأصـــبح مثـــلَ أيّ سَـــمَندل

نـــارُ الرُّكـــام الجـــاهلي ردمتُهـــا ومحـــوتُ مِـــن رأســـى رُمـــوزَ سَـــبَههل

نـــارُ النفـــاق تعقبتنـــي مِـــن جنـــو دِ فـــراعن ، كانـــت كمثـــل الـــدُّمل

هـــي أحرقـــت بيتـــي وثـــوبي والصـــحا ب ، ولـــيس تحـــرقُ زمجـــراتِ القُفصـــل

نـــارُ العَمَالـــة فـــي الضـــمير كمـــا اللظـــى والـــنفسُ أدمُعهـــا كمثـــل الحَومـــل

وتظـــن بالأشـــراف ظنـــاً ســـيئاً جـــداً ، وتحْســـنُ ظنهـــا بالغشـــفل

كانـــت لنـــا يـــا أم عبـــدِ الله دا رٌ ترتـــدي ثوبـــاً بهـــيم المِفشـــل

ويلفّهـــــا سُـــــورُ الحديقـــــة شـــــامخاً بيـــــدي مـــــلأتُ رُبُوعـــــه بالكَربـــــل

وجعلتهـــا وطـــن الجميـــع ، ولـــم أشـــ ـــحّ بهـــا لنـــا ، أنـــا لَســـتُ قـــطّ بفصـــل

بـــــالآي آي الـــــذكر قـــــد زينتهـــــا حتـــــى غـــــدت بالصـــــدع أطيـــــبَ منهـــــل

ووضـــــعتِ لؤلؤتيـــــكِ تحـــــت سَـــــمائها والـــــروحُ تزجـــــي الســـــير ســـــير الخَيـــــزل

ورأيـــــتُ فيـــــكِ الأم تعطـــــي عطفهـــــا وحنانهـــــا ، عجبـــــاً لأم مُطفِـــــل

والآن فرقنـــــا (العَميـــــل) بفعلـــــه وكلامـــــه ، عجبـــــاً لكيـــــدٍ مُختـــــل!

هـــــو أمـــــر ربـــــكِ ، لا تخـــــافي قَـــــط أو تتـــــألمي ، عيـــــبٌ عليـــــكِ ، تحملـــــي

كانـــــت لنـــــا بـــــين الأنـــــام مكانـــــةً ونهـــــيم فـــــي عـــــيش رطيـــــب غيـــــدل

ولـــــكِ الشـــــهامةَ والكَرامـــــة والعُـــــلا يـــــا أمِ عبـــــد اللهِ زينـــــتِ الحُلـــــي

وإذا مَشَـــــيت ، فللمســـــير شُـــــروطهُ ولباسُـــــهُ ، أخفـــــاك كُـــــلُّ تَزيُّـــــل

وأظـــــلُّ فـــــي سِـــــري أقـــــولُ تولهـــــا وأظـــــل أذكـــــر ربنـــــا بتســـــبحُل

إنـــــي ولؤلؤتـــــاكِ نعـــــرف فضـــــل أمٍ حُبهـــــا أثـــــرى ربـــــوعَ المَوئـــــل

إى ، أنـــــت أمٌ للحليـــــل وللوليـــــد وإن أبـــــى هـــــذا قطيـــــعُ القُمَّـــــل

أنـــــت الحَنـــــانُ ، وأنـــــتِ غيـــــثُ حَيَاتنـــــا أنعـــــم بغيـــــثٍ طيـــــبٍ مُتشلشـــــل!

بـــــل أنـــــت رِزقٌ ســـــاقهُ المـــــولى لنـــــا فـــــي ليـــــل عُمـــــر عـــــابسٍ ، ومُليـــــل

إي أنـــــت والأولاد بحـــــرُ ســـــفينتي والشـــــرُ فـــــي الأولاد لـــــم يتكمهـــــل

أنـــــتم نســـــيمُ شـــــبيبتي ، وقريحتـــــي وجنـــــانُ مـــــاءٌ مـــــن ســـــحائب هُتّـــــل

أنـــــتم دوائـــــي إن مرضـــــت ومـــــوئلي أنـــــتم حيـــــاتي رغـــــم (زيـــــدٍ) أو (علـــــي)

روحـــــى فِـــداءُ حيـــاتكم ، هـــذي وصيـــ ـــــة ديننـــــا ، سُـــــحقتْ جمـــــوعُ العُـــــذل!

مـــــن أجلكـــــم أطـــــأ الحيـــــاةَ بعزمتـــــي وكـــــذا الربـــــا إن كنـــــتُ لـــــم أتوعـــــل

أنـــــا لـــــيس تُعجبنـــــي الحيـــــاةُ ذليلـــــةً وكليلـــــةً ، فـــــالجُبن طبـــــعُ الأقـــــزل

كانـــــت لنـــــا دارٌ ، وكُنـــــتِ ضِـــــياءها والـــــدِّينُ زيَّنهـــــا بكـــــل تَجَمُّـــــلِ

كـــــم أســـــعدَتنا فِكـــــرةٌ ورؤىً ، وكـــــم أســـــعدْتِنا بطعَامـــــكِ المُقرنفـــــل!

كـــــم ذا درسْـــــنا العِلـــــمَ فـــــي دار الهَنـــــا والحـــــق قلنـــــاهُ ، ولـــــم نتعلـــــل!

وإذا كِـــــلابُ الأرض تهـــــدم دارنـــــا رغـــــم النفـــــاق وأهلـــــه فـــــي القســـــطل

عجبـــــاً لأمـــــر كلاَمِهـــــم ، وفعـــــالهم! القِـــــردُ يَصـــــعد فـــــوقَ هَـــــامِ الشمشـــــل؟!

والخُنفســـــاءُ تُهـــــدِّد الأسْـــــد الضَّـــــوا ريَ بـــــالردى ، أحقـــــرْ بفعـــــل كبرتَـــــل!

وذُبابـــــةً تُـــــردي قطيـــــع ســـــلاحفٍ وتقُـــــصُّ بـــــالمِقراضِ خُـــــفَّ العنـــــدل؟

وينـــــالُ هِـــــرٌّ مـــــن عُقـــــاب جَـــــارح ويُقـــــيمُ مِتراســـــاً بِوجـــــهِ عقرطـــــل؟

أتَفُـــــتُّ فـــــي عضُـــــد الصـــــقور يَمامـــــةٌ؟ وتنـــــال مـــــن نَســـــر ربيبـــــةَ عَنظـــــل؟

أينـــــالُ كَلـــــبٌ قـــــد عـــــوى مـــــن هيـــــثم؟ وتنـــــال ريـــــحٌ مـــــن تـــــلالِ الأعبـــــل؟

أتسَـــــوّدُ الأوهـــــامُ وِفـــــقَ هُبُوبهـــــا ومِزاجِهـــــا ظَهـــــرَ الجـــــوادِ الأرحـــــل؟

أيُخـــــوّفُ الجمـــــل القـــــويَ بقَضـــــهِ وقضيضـــــةِ - بـــــالله - ظِـــــلُّ الأرخُـــــل؟

والحُـــــوتُ فـــــي جَـــــوفِ البِحـــــار ببأســـــهِ أيخـــــافُ شـــــيئاً مِـــــن تحـــــدي الغنجُـــــل؟

والطّيـــــرُ فـــــي جَـــــوَّ السَّـــــماء مُرفرفـــــاً أيخـــــافُ يومـــــاً مِـــــن تلـــــوي الزعبـــــل؟

والبحـــرُ هَـــل بعـــضُ الرَّمـــاد يُريبـــه؟ أم هـــلْ يُعكـــرُ بانهمـــار الكنـــدلي؟

والأرضُ - قولـــوا - هـــلَ تُبـــدِّد نورهَـــا وجمالهـــا - يومـــاً - ظِـــلالُ الكهبـــل؟

إنَّ السَـــفينةَ فـــي عُبـــاب المَـــاء تمـــ ـــخرُ لا يُـــرى منهـــا شِـــراعُ الكوثـــل

رُبانُهـــا بالنصـــر قـــد عقـــد اللـــوا قـــد بـــات - فـــي الأحـــلام - لـــم يَتَقيَّـــل

والراكبـــون ثَلاَثَـــةٌ: أمٌ ولـــوٌ لؤتـــان ، نُورهمـــا بـــدا كالكربـــل

مِـــن حُبـــكَ الفيـــاض يـــا مـــلاحُ فابـــ ـــذل للجميـــع ، وكِـــلْ لهُـــم بالقنقـــلِ

وإذا جَهلـــتَ الـــدرب فـــي البَطحـــاء خـــذْ هـــم صَـــوبَ وادٍ عنـــد ســـفح العَوكـــل

وأعـــذهُمُ بـــالله مِـــن شَـــر الهَـــوىَ واحمـــدْ ، وكبّـــرْ واصـــطبرْ ، بـــل هَلّـــل

واقـــدُر لِميعـــاد الصَّـــلاة ، وصَـــلها مَعهـــم ، وقـــل للطفـــلِ كَبِّـــرْ ، حيعـــل

وإذا بُليـــتَ بِنعمـــةٍ فاحمـــد ، ولا تـــكُ لاهيـــاً أبـــداً ، فلســـتَ بمِقمـــل

فـــي هـــودج التوحيـــد فاســـتُر أســـرةً واحـــذر مِـــنَ الشَّـــيطانِ نـــزعَ المِفشـــل

واغمُـــر هَـــوَاكَ الحُـــرَّ فـــي قـــارورة التـــ ـــوحيد ، بـــل وأتِـــمّ غلـــق الســـوجل

يـــا أمَّ عبـــدِ اللهِ قـــد خُـــتم القصـــيدُ بفرحـــةٍ ، خَلفـــتْ دُعـــاءَ المُثكَـــل

إنـــي علـــى الأيـــام أشـــكو مِـــن (أنـــا) (لأنـــا) بثـــوب فـــي المُصـــيبةِ هِـــدمل

وعَزفـــتُ عـــن نَســـجِ القـــريض إلـــى هُنـــا لرتـــابتي ، مِـــن باكيـــات الطّيســـل

عجـــز اليـــراع ، فلـــم أطـــق تكـــرارهُ للفـــظِ كـــالقطرات لـــم تتفحَّـــل

وطغـــى الـــوداع علـــى المِـــداد فمصـــهُ عُوفيـــت يـــا قلـــم المُحـــبِّ المُثقـــل

وتمـــزق القِرطـــاسُ مـــن ألـــم الجـــوى فاشـــتاط كالرجـــل الغَضـــوب الفَقحـــل

والشِّـــعر ضـــاق بغُصـــةٍ ، عجبـــاً لأمـــ ـــرك ، كيـــف مُنـــذُ البـــدء لـــم تُظهـــرهُ لـــي؟

فلأشـــــكونّ الحـــــالَ للهِ الـــــذي خلـــقَ الـــوَرَى والكـــون ، مولانـــا العَلـــي

ولأحبســـن قصـــيدتي فـــي سِـــجنها إذ إنهـــا صِـــيغت بِغيـــر تَجمـــل

لـــو أنهـــا - فـــي الجَاهليـــةِ - ألفـــتْ لَمِشـــت بثـــوب فـــي الحواضـــر خلخـــل

إن القـــريضَ قـــد اشـــتكى طَـــولَ الرقـــا د ، بلوعـــة الأمـــل الضَـــعيفِ القُنصـــل

إنَّ القـــريض صـــديقُ هَمِّـــي ، أكحُلـــي أيعـــيشُ إنســـانٌ بِغيـــرَ الأكحُـــل؟

فـــي الكـــربِ يَصـــحبُني ، يُـــداعب وحـــدتي وأراه مُنتبهـــاً ، ولـــمَ يتمكحـــلِ

وأَحِـــبُّ فيـــه جَزَالـــةَ ، ورصـــانةَ كعُيـــون غِيـــدٍ فـــي الشـــكاية هُمّـــل

ولقـــد حَفَفـــت قـــوافيَ الأشـــعار حـــ ـــفّ مُجمـــل ، قـــد فـــاق حـــفَّ الســـودل

وبكـــلِّ لفـــظٍ مـــات قـــد حبّرتُهـــا كجـــواد عُـــرب بائـــدٍ ، ومُســـرول

فـــي طَســـتِ ديـــوان اليَعَـــارب قلبـــتْ فلقـــد غمَســـتُ يراعهـــا فـــي السَّـــيطل

فتعنتـــرتْ ، وتزهّـــرت فغـــدت كمـــا تَبـــدو الحقيقـــةَ فـــي نَقِـــي ســـجنجَل

ولســـوف تَعضـــلُ بالســـفيهِ ، فـــلا يعـــي منهـــا ، كشـــعر شـــائكٍ ، ومُفلفـــل

ويضِّـــج شِـــعري فـــي مـــدادي باكيـــاً يـــا ويـــح شِـــعر فـــي المَســـيرِ عرنـــدل

والـــدرهمُ المنكـــود ولـــيَّ هاربـــاً وبُليـــت بـــالفقر الكظـــيم الحِســـفل

والمـــاءُ مـــاءُ العـــيش ولـــى مـــدبراً سُـــقيا لمـــاء بالتـــآلف سَلســـل!

وكـــذا العقائـــلُ أدبـــرت إلا العقيلـــةَ زوجتـــي ، لـــم تبـــقَ غيـــرُ حزنبـــل

وجميـــــلُ كـــــلِّ العَـــــيشِ يَمَّـــــم وجهـــــهُ نحـــــو الجَفَـــــا ، لـــــم يبـــــق غيـــــرُ الحِســـــفل

وغضـــــنفرُ الأصـــــحاب فـــــارق صَـــــحبهُ عجبـــــاً لـــــه ، لـــــم يبـــــقَ غيـــــرُ الحِســـــقَّل

يمشـــــي علـــــى الأشـــــواك صـــــاحبُكم هنـــــا مترنحـــــــــاً ، ذات اليمـــــــــين وأشـــــــــمُل

والثـــــــــوبُ فـــــــــوقَ إزاره مُتهَتِّـــــــــكٌ يـــــــا عيـــــــب ثـــــــوبٍ ذابـــــــلِ مُترعبـــــــل

والجِســـــــم مَزقـــــــهُ الأديـــــــمُ ، وشـــــــجَّهُ كخبـــــــيصِ قَمـــــــح آســـــــن ، ومُرمَّـــــــل

والعَقـــــــل طـــــــارده اللظـــــــى بســـــــلاحه كنســـــــيم هَجـــــــر جـــــــامح ، ومُرَهـــــــل

والشَّـــــــهم طَوَقَـــــــهُ النفـــــــاقُ بزيفـــــــه كـــــــإزار سِـــــــحر ، بالضـــــــلال مُمرجـــــــل

والـــــروحُ تُوغِـــــلُ فـــــي الهـــــروب طليقـــــةً كجـــــوادِ قـــــوم فـــــي السِّـــــباقِ هَمَرجَـــــل

والقلـــــبُ يَخفـــــقُ يشـــــتكي أهـــــل النفـــــا ق ، ومـــــا لـــــه عـــــن نقـــــدهم مـــــن مَعـــــدل

نسَـــــبُ التزيـــــي بالمُسُـــــوح مخـــــيمٌ قَوتلـــــت مـــــن نســـــب بئـــــيس مِكســـــل!

وغلامُنـــــا فـــــوقَ المَكَائِـــــدِ قـــــد عـــــدا عجبـــــاً لأمـــــركَ مِـــــن غَـــــلام مِكمـــــل

يـــــا أم عبـــــدِ الله دونـــــك مُلحتـــــي لفـــــح الرحيـــــلُ الشِّـــــعرَ لـــــم يتكربـــــل

إنـــــي علـــــى لحـــــن الرحيـــــل عزفتُهـــــا فـــــإذا بهـــــا كالبُلبـــــل المُتفخِّـــــل

إن الرحيـــــــل للفظـــــــةَ هَـــــــدراةٌ تشـــــوي النُخـــــاعَ بـــــذي العِظـــــام النّحـــــل

فـــــي مُســـــتهل قصـــــيدتي بيتـــــان مرتجفـــــان أســـــألُ فيهمـــــا مـــــا طـــــاب لـــــي

مـــــا للقـــــريض يـــــئنُّ كالمتجنـــــدل؟ هُـــــو مـــــن صـــــنيع مُنـــــافق ، ومُبرقِـــــل

مـــــا للكـــــلام يَخَـــــافُ بـــــأسَ الجَحفَـــــل؟ مِـــــن حقـــــهِ ، هُـــــو مُبتلـــــىً بـــــالأرذل

مـــــا للمشـــــاعر قصـــــرتْ خُطواتهـــــا؟ مَعـــــــــذورةٌ ، والويـــــــــل للمُتمحِّـــــــــل

مـــــا للأحاســـــيس انـــــزوتْ بتضـــــاؤل؟ تبكـــــي الوفـــــاء ، بـــــدمع ليـــــلٍ أليـــــل

إيـــــاكَ بعـــــد اليـــــومِ تهـــــذي بالســـــوْا ل لمـــــن طغـــــى ، مـــــا أنـــــت بالمُترهـــــل

واصـــــــبر لأمـــــــر الله ، وارجُ ثوابـــــــه سُـــــــبحان ربـــــك مِـــــن حَكـــــيمٍ أول!

وكـــــذاك صَـــــلِّ علـــــى النبـــــى وآلـــــه والتـــــــــابعين المتقـــــــين الكُمّـــــــل

وإلـــــى قصـــــيدٍ شـــــائق مُتشـــــوق هـــــو فـــــي ضـــــمير الغَيـــــبِ وحـــــيُ تـــــأملي

فالشـــــعر أغنيـــــةُ الحيـــــاةِ وأنســـــها والشـــــعرُ ينبـــــوع الهـــــوى المُتغـــــزل

**** معانى بعض المفردات حسب ورودها ****

• المتجندل: مأخوذة من الجنادل وهي الصخور ، والمعنى أي المرتطم بالصخور. • الجحفل: أي الجيش العظيم. • حواجلى: الحواجل هي القوارير العظيمة ووحداتها حوجلة. • يتجندل: يرتطم بالصخور من لوعة الفراق وأثر الرحيل. • القاحل: اليابس المجدب. • الثامل: مأخوذة من ثمل أي سَكر ، والثامل هو المرتجف المرتعش غير الثابت. • أوابل: كثيرة. • الأيبلي: الراهب أو صاحب الناقوس. • تتأبل: تتخذ إبلا. • الأوتل: الشبعان. •يتُأثل: يُعظم. • يتأفل: يتكبر. •المتبسل: الشجاع. • الأجدلي: الصقر. • الجرول: الأرض ذات الحجارة. • الأحجل: الذي يسيرعلى رجل ويرفع الأخرى. • البهصل: القوى الجسور. • أجادل: جمع أجدل وأجدلى وهو الصقر الجارح المخيف. • الحتفل: بقية الثريد والمرق. • الثافل: الرجيع. • ثمائل: بقايا. • تلاتل: جمع تل. • الضائل: الثائر. • المتعثكل: المعوج الملتف حول نفسه. • الضائل: الثائر. • النساء الثكل: أي اللائي فقدن أولادهن. • الثامل: السيف القديم العتيق. • قطيع براعل: البرعل هو ولد الضبع أو ولد الوبر. • برائل: هو ما استدار من ريش الطائر حول عنقه. • يتهيل: يثور ويعترض. • أفكل: ثائر مضطرب مرتجف. • تبكل: غنيمة. • واغل: الواغل هو الطفيلي في شرابه. • مخاتل: مخادع ، وهي من باب ختل أي خدع واحتال. • العظام النحل: أي شديدة الضعف والنحولة والهزال. • الأطحل: أي لونه بين الغبرة والبياض مثل لون الطحال. • يخاتل: يخادع. • الذوابل: جمع ذابل وهو السيف الماضي. • حبائل: فخوخ. • إسحل: عود معطر تتخذ منه المساويك. • قنابل: جمع قنبلة وهِيَ جماعة الخيل. • مفلل: محطم. • جلائل: جمع جليلة وهي الأمر الجلل العظيم . • جيأل: هو اسم علم للضبع. • عيطل: هو طويل العنق من الإبل. • همل: العين الهمل أي المحجورة المهملة. • حلاحل: أي الرجل العظيم. • مترعبل: الثوب المرعبل هو الممزق البالى. • نوق بهل: جمع باهلة ، وهي الناقة لا صرار لها. • البازل: البغيض المبتذل. • أماثل: جمع مثيل وهو الشبيه والند. • خواذل: الخاذل هو المنهزم

الذي خذله غيره فكانت هزيمته. • العياهل: الشداد. • علاعل: جمع شاذ للعلو ، مثل أعالي. • فداكل: عظام الأمور. • الطيسل: السراب. • الزمان الأرغل: أي الواسع الناعم من أثر الترف فيه. • دغاول: دواهي. • المندلي: نوع من العود وهو المطري بالمسك والعنبر. • مهتمل: المهتمل أي النمام. • مواشل: مواضع تجمع الماء. • الهلهل: الثلج. • يتفخل: أي يظهر الوقار والرياش. • القسمل: ولد الأسد. • قاصل: السيف القاصل والمقصل أي الماضي القطاع. • يتسيطل: من جاء يتسيطل أي جاء وليس معه أحد أو شئ. • اللائل: الليل المليل واللائل والألیل أي شديد الحلكة والسواد. • مكدل: أي مكدر. • الزاهل: أي المطمئن القلب. • فيصل: ماضي. • الأكتل: الشديد العاتي. • يحادل: يرواغ. • كيد الخابل: أي كيد الشيطان اللعين. • الأرعل: الأحمق .• يترتل: من يترتل في الشئ إذا تمادى فيه وترسل. • يتذلذل: يضطرب. • الخيطل: الكلب. • داهل: أي متحير . • يتدلدل: أي يتدلى منه الدلدل وهو الجرس. مداغل: بطون الأودية. • النوفل: البحر. • نواقل: نواقل الدهر أي مصائبه وكوراثه وعادياته. • ممغل: أي مولع يأكل التراب. • يدائل: يخادع. • الخافل: الهارب. • يتخذل: من يتخذل عليه أي يشفق ويرق لحاله. • ذاجل: من رجل ذاجل أي ظالم. • فرزل: أي القيد ، والمقراض يقطع به كل حداد حديده. • مقصل: أى السيف يقطع بصورة مذهلة سريعة. • عاصل: العاصل هو السهم الشديد. • أخزل: الأخزل من الإبل هو ماذهب سنامه. • محاقل: المحاقل هو المزارع يعمل في الحقل. • كلبة حومل: حومل هو اسم لامرأة كانت تجوع عمدا كلبتها بالنهار ، حتى أكلت ذيلها جوعا ، فصارت مثلا يضرب للتدليل على شدة التجويع ، تقول العرب: أجوع من كلبة حومل. • الحنبل: اللوبياء. • الحيصل: الباذنجان. • الراعل: هو ردئ التمر مثل الدقل. • الحابل: الساحر المخادع. • رآبل: جمع رئبال وهو الأسد. • يتركل: من يتركل بالفأس إذا ضربه برجله ليدخله في جوف الأرض. • المرول: القطعة من الحبل الضعيف.• مرهبل: الكلام المرهبل أي الكلام من فم لا تفهم ألفاظه ، ولذا فالكلام لا يفهم. • الماخل: الهارب. • عقنقل: العقنقل هو الوادي المتسع أو الكثيب المتراكم. • كلا كل: أي الجماعات. • يساتل: يتابع. • يتذاءل: أي يتصاغر.• غيدل: الغيدل من العيش أي الواسع الرغيد. • قيهلى: القيهل هو وجه الإنسان. • يتحفل: أي يكثر بأهله. • مخردل: أي مصروع. • يذأل: يسرع في خطواته. • المزيل: أي الرجل الكيس اللطيف. • أشاخل: يشاخل الرجل الرجل أي يصافيه. • الشابل: الأسد الذي اشتبكت أنيابه ، والغلام الصبى اليافع. • شواكل: الشواكل هي الطرق المتشعبة من طريق أعظم. • سمندل: السمندل هو طائر في الهند لا يحترق بالنار. • سبهلل: السبهلل أي الباطل المرذول. • نواهل: النواهل هي الإبل الجياع. • القفصل: هو الأسد. • العاسل: هو الذئب. • الغشفل: هو الثعلب. • الكاهل: شديد الكاهل ، أي قوي منيع الجانب. • فسائل: جمع فسيلة وهي النخلة الصغيرة. • يزامل: من الأزامل وهي الأصوات. • مطفل: الأم المطفل ، أي الأم ذات الطفل. • عاهل: العاهل الملك الأعظم أو رأس القوم ، والمرأة لا زوج لها. • عقائل: جمع عقيلة وهي المرأة الكريمة. • تزايل: أي تباين واحتشام. • متشلشل: متتابع القطر. • يتكمهل: يجتمع. • هتل: السحائب الهتل ذوات المطر الضعيف الدائم الذي لا ينقطع. • هزامل: أى الأصوات. • يتوعل: مأخوذة من يتوعل الجبل أي يعلوه. • الأقزل: الذئب. • يتكاول: يتقاصر. • الشمشل: هو الفيل. • كبرتل: ذكر الخنفساء. • الضاعل:الجمل القوى. • عقرطل: أنثى الفيلة. • عنظل: العنظل هو بيت العنكبوت. • الأعبل: الجبل الأبيض من الحجارة. • الجواد الأرحل: أي أبيض الظهر فقط . • الهاقل: ذكر الفأر.

• الغنجل: عناق الأرض ، وهي دابة غير معروفة. • الزعبل: الأفعى أو الحرباء. • الكندلي: أي نبات ينبت بماء البحر. • الكهبل: شجر عظيم الفروع. • الكوثل: هو موخر السفينة. • الكربل: نبات له نور أحمر مشرق. • القنقل: المكيال الضخم. • واشل: مأخوذة من الجبل الواشل أي الذي لا يزال يتحلب منه الماء. • مقمل: أي أنه استغنى بعد فقر. • مفشل: المفشل هو ستر الهودج. • السوجل: غلاف القارورة. • هدمل: الهدمل هو الثوب الخلق. • زوائل: الزوائل أي الصيد أو النساء. • يتفحل: المتفحل من الشجر هو الذي لا يحمل ولا يثمر. • الفقحل: أي الرجل سريع الغضب. • حوامل: أرجل. • القنصل: القصير. • الأكحل: هو عرق الحياة في اليد. • السودل: الشارب. • كحائل: الأعين الكحائل أي التي عليها الإثمد والكحل. • السيطل: الطست. • عرندل: الطويل والصلب الشديد. • ضلاضل: ضلاضل الماء أي بقاياه. • حزنبل: المرأة الحمقاء. • حسفل: الردئ من كل شئ. • الحسقل: الصغير من ولد كل شئ. • ناعل: لابس النعل. • مرمل: خبيص مرمل أي كثر عضده ولته وليه. • ممرجل: ثياب فيها صور المراجل. • همرجل: الجواد السريع. • هلاهل: الثوب السخيف النسج. • مكسل: النسب المكسل أي قليل الآباء في الصلاح والسؤدد. • يتكربل: من الكربل وهو نبات له نور أحمر مشرق. • المتفخل: مأخوذةمن يظهر الوقار والرياش معا. • مبرقل: من يبرقل برقلة فهو مبرقل ، أي كثيرالكذب. وإنني إذ أكتب هذه القصيدة المعلقة (لوعة الرحيل) فإنني أهديها للزوج الحبيبة (أم عبد الله) وهِيَ ترجمة صادقة للحب الذي دخل قلبي وجوارحي أول مرة ، في الله وعلى هُدى منه ووفق شريعته. وأعقبة زواج على كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم - ولو كره الحاقدون! وقد أعقبتْ هذه الزيجة قلاقل وعراقيل وعقابيل واضطربات ، بعضها بما كسبتْ أيدينا ، والبعض الآخر خارج تماماً عن إرادة الزوجين! وما أظن زيجة أخرى كان يمكن لها أن تصمد في وجه شئ من هذه العراقيل أو تلك العقابيل أو هاتيك الاضطرابات! حتى أن بعض السفهاء يستغلون عدم تسمية المهر في مجلس العقد ، فيعتبرونها (زيجة ببلاش!) على حد ما يتشدقون! والله يشهد إنهم لكاذبون! إذ ظللتُ أدفع هذه الزيجة حتى كتابة هذه القصيدة! ولئن كان عُرف القوم أن يلقي العريس بمبلغ من المال في ذلك الزمان (1987م) فما كان أيسر ذلك عليّ ، ولو على سبيل الاقتراض من الآخرين. والحقيقة المرة التي يغفل عنها المغرضون هؤلاء أن وكيل النكاح لما سئل عن المهر (الصداق) قال: نحن نأخذ رجلاً معه القرآن! وأمر محرّر العقد أمام الشهود والجلوس والحضور يومها: (اكتب الصداق المسمى بيننا)! وهنا اعترضت عليه كعريس وقلت: لا بد وأن يُسمى يا حاج! فقال مقولته التي أسلفنا: (نحن نأخذ – أي نزوج ابنتنا – رجلاً معه القرآن)! فقلتُ: معي نصف القرآن (من الإسراء إلى الناس) وليس القرآن كله ، فهل تقبل؟ (قلت ذلك جاداً وممازحاً) فقال: أقبل! فقلت: على بركة الله! ولما عزمت على الرحيل ، جاءني وجعلنا لابنته مهر مثلها (5000 جنيه مصري – عام 1989م) ، وبقي دَيْناً عليّ لها قمتُ بسداده كاملاً! فأين (البلاش) يا كذبة يا مغرضون يا أفاكون؟ ولقد كانت هذه الزيجة فاتحة خير على العائلتين (عائلة العريس وعائلة العروس) ، اعترفوا بذلك أم لم يعترفوا! أقرّوا بذلك أم لم يقروا! قالوا بذلك أم لم يقولوا! إن للتاريخ أنياباً لا ترحم! وإن الحقيقة لها ألسنة من اللهب ودخان كشواظ النار اللافحة! (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً!) ولولا أنها كانت زيجة على كتاب الله تعالى وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – لما صمدت ولما واجهت ولما انتصرت!

(كثيراً ما تمر حوادث شتى ، هائلة الوقع عظيمة الأثر على نفسي وعواطفي ومشاعري وأحاسيسي. ومع هذا فلم أكتب فيها بيتاً واحداً من الشعر. ولا أتعجب لهذا الأمر لعلمي بحقيقة نفسي وظروف كتابة الشعر معي. ولكن الأصحاب والأهل والمعارف أحياناً يكيلون اللوم والعتاب قائلين: لماذا لم تكتب في مناسبة كذا؟ كيف لا تكتب عن كذا؟ أما كان أحرى بك أن تنشد في كذا؟ وأجيب على هؤلاء جميعاً فأقول: إن الشعر يا جماعتنا ليس على هوى الشاعر الصادق. والشعر في الإسلام ليس مطية ذلولاً نركبها وقتما نريد ، وبالكيفية التي نشاء! إنما هو وسيلة للذود عن العقيدة والتوحيد والعقيدة ، وسلاح نؤدب به المتطاولين على ديننا! وإذا كان ذلك كذلك فإن الإسلام يؤيده ، ويعد صاحبه بالأجر الجزيل في الآخرة! كما كان حسان بن ثابت الأنصاري بالأمس! وفرق كبير بين الشاعر الذي يخرج شعره من قلبه ليصل إلى القلوب! حاملاً قضية جوهرية عظيمة! وبين الشاعر الصناع الذي يُقطع ويُقفي ويَنظم وقتما يريد وكيفما يشاء! وتحت عنوان: (الشعر وموقف الإسلام منه) ، يقول الدكتور محمد بن سعد الدبل ما نصه: (قديمًا قال النقاد: "أعذب الشعر أكذبه"؛ أي: إن الشاعر متى اعتمد في صوره الشعرية على الخيال المجنَّح الغارق في المعاني غير الحقيقية كان في إلهامه الشاعري بعيدًا عن الواقعية ، مما يفرض عليه التعمية والألغاز أحيانًا في تلمّس المعنى والخروج به إلى المتلقِّي في ثوب قد يُعرِّي مِن الصحة ، ويَنعكِس الإبداع فيه إلى صورة مشوَّهة يمجُّها الذوق وينفر منها العقل وترفضها الفِطرة السليمة ، وتلك المآخذ ليس يورد شيئاً منها في شعره الشاعر المسلم المؤمن الموحد ؛ ذلك لأنه في نزعته الإسلامية تقيَّد بالمعاني الحقيقية التي يمنحها الإسلام كل فرد ولكل مجتمع ، فينطلق في صوره ومعانيه وأخيلَته من هدي الإسلام الذي هو معانٍ حقيقيَّة لا تَحتمِل التأويل والتخييل المُفرِط. ومِن خلال أفكار النص الشعري الإسلامي ، ومِن خلال نظرة الإسلام وتصوُّره الشامل للحياة يُمكننا القول عن موقف الإسلام مِن الأدب بعامة ، ومِن الشعر بخاصة: إن أول ما يَحسُن ذكره في هذا المقام أن نقف على شيء مِن النُّظُم والعادات والتقاليد والأعراف التي كانت سائدةً إبّان العهد الجاهلي لتَّتضح الرؤية في تحديد موقف الإسلام مِن الأدب عامة ومِن الشِّعر خاصة. وإذا كنا بصدد الكلام عن موقف الإسلام مِن الأدب بعامة وموقفه من الشعر بخاصة ، فإن هنالك عادات ونظُمًا وتقاليد وأعرافًا وأخلاقًا درَج عليها العرب في جاهليتهم ، وجاء الإسلام فأقرَّ مِن هذا كله ما هو وثيق الصلة بتشريعاته وَفق كتاب الله وسنَّة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم. فمِن العادات التي درج عليها الجاهليون: عادات في الزواج ، وعادات في المِهَن والصناعات ، إلى جانب التمرُّس بأخلاق إيجابيَّة وأخرى سلبيَّة. فمِن الأخلاق الحميدة: عزَّة النفس ، كرْه الذلّ ، بغْض الظلم ، الترفُّع عن أخذ الديَة ، إكرام الضيف ، حبُّ السلام ، حفظ حقوق الجار. ومن الأخلاق السيئة التي تفشَّت في المجتمع الجاهلي: لهْو الشباب ، فسوق الشوّاب ، ابتذال المرأة صغيرة وكبيرة ، مُعاقَرة الخمر ، لعب القمار ، الدعوة إلى الثأر ، تأريث العداوات. وقد خالَج هذه الأخلاقَ ألوانٌ من المحامد والفضائل ؛ كصفاء النفس ، والإيمان بالله – تعالى ـ وإكرام المرأة للرجل ، وإكرام الرجل للمرأة ، التأثر بالحِكم الصادقة وحب المشورة ، والحلم والأناة. وحين جاء الإسلام أقرَّ مِن هذه القيم ما يلي: حب السلام ، الشجاعة ، الإيثار ، الكرم ، صلة الرحم ، حسن الجوار ، مساعدة الفقراء ، حسن المعاشرة ، الحلم ، الصدق ،

الأمانة ، الوفاء ، الرأفة بالحيوان ، التكافل الاجتماعي ، مقْت الظلم ، حقوق المرأة ، الحقوق الزوجية ، برُّ الوالدين ، ثم ختم هذه القيم الرفيعة والمثل العليا بقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). وهذا يعني - بالضرورة - أن الأدب الإسلامي بمصدريه النثر والشعر ، قد اتخذ من هذه القيم مادته التي ينزع عنها في معالجة الأدواء التي يشكو منها الفرد والجماعة على حدٍّ سواء. وعلى الرغم مِن أن نُقَّاد الأدب قد نادوا بتأثير العقل والعاطفة والخيال على العطاء الأدبي ، فإن الإسلام في نظرته إلى الأدب قد وسَّع دائرة النظرة عند النقاد فسَمَا بالعقل ، وسما بالعاطفة ، ولم يَحجب الرؤية الأدبية مِن خلال الخيال الشاعري ، ولكنه عمل على تهذيب العواطف والارتفاع بخيال الأديب عن سفاسف الأمور ؛ حتى لا يطغى جانب العاطفة على جانب العقل ، فلكلٍّ منهما أثره وجدواه في جودة الأدب ورفعته ، وقيمه الفنية. وقد تحدث الإسلام عن المَعين الأول للأدب والقيَم الإنسانية كلها ، ذلك المعين هو (العقل) ؛ فقد جعل له الإسلام مزية تَفوق أرقام الحساب ، ودلالات اللفظ اليسير ، قبل الرجوع في تأييد هذه المزية إلى المناقشات والمذاهب التي قد تَختلِف فيها الآراء. وتلك المزية هي: التنويه بالعقل والتعويل عليه في أمر العقيدة ، وأمر التبعة والتكليف. ففي كتب الأديان الكبرى إشارات صريحة أو ضمنية إلى العقل أو إلى التمييز ، ولكنها تأتي عرضًا غير مقصودة ، وقد يلمَح فيها القارئ - أحيانًا - شيئًا مِن الزراية بالعقل أو التحذير منه ؛ لأنها منزلة العقائد ، وباب مِن أبواب الدعوى والإنكار. ولكن القرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه ، ولا تأتي الإشارة إليه عارضة مقتضبة في سياق الآية ، بل تأتي في كل موضع مِن مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة وتتكرَّر في كل معرض مِن معارض الأمر والنهي التي يُحثُّ فيها المؤمن على تحكيم عقله ، أو يُلام فيها المُنكر على إهمال عقله وقَبول الحَجرِ عليه ، ولا يأتي تكرار الإشارة إلى العقل بمعنى واحد مِن معانيه التي يشرحها النفسانيون من أصحاب العلوم الحديثة ، بل هي تشمل وظائف الإنسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها. وتتعمَّد التفرقة بين هذه الوظائف والخصائص في مواطن الخطاب ومناسباته ، فلا يَنحصِر خطاب العقل في العقل الوازع ، ولا في العقل المُدرك ، ولا في العقل الذي يُناط به التأمل الصادق والحكم الصحيح ، بل يعمُّ الخطاب في الآيات القرآنية كل ما يتسع له الذهن الإنساني مِن خاصة أو وظيفة. فالعقل - في مدلول لفظه العام - ملَكة يُناط بها الوازع الأخلاقي أو المنع مِن المحظور والمنكور ، ومِن هنا كان اشتقاقه مِن مادة "العقل" التي يؤخذ منها العقال ، وتكاد شهرة العقل بهذه التسمية أن تتوارَد في اللغات الإنسانية الكبرى التي يتكلم بها مئات الملايين مِن البشر. وهذا يعني أن الأدب فنٌّ جميل قوامه العقل والعاطفة معًا ، فلا يَحسن أن يَطغى جانب أحدهما على الآخَر).هـ. يمكن أن لا يستعصي على الشاعر المحترف المتصنع الذي يكتب يراعه ما يمليه عليه عقله وليس يكتب ما يمليه عليه قلبه. إن أشعاري من قلبي نبعت. إن الشعر بالنسبة لأي شاعر مسلم ، يمثل أصيله الذي لم يحن إلى شئ مثله بعد القرآن والسنة. ومن هنا رُحت أناجي أصيل شعري ببعض الأبيات ، وجعلتها سلوة الخاطر ونزهة الأشواق. حيث تخلى عني القاصي والداني ، ولم أرَ مثلَ الذين عرفتُ في الخذلان. وكم هي حزينة تلك الأبيات ومكروبة ، ذلك أنها أتت في ظروف محنة عشتها وأهلي في الغربة على أيدي متخاذلين في ثياب أصحاب. وكنت ضيفاً على هؤلاء المتخاذلين الذين لم يقوموا يوماً بواجبات الضيافة كما شرعها الله لعباده المؤمنين. يعلق الدكتور محمد راتب النابلسي على مسألة الضيافة

فيقول: (إن الله سبحانه وتعالى يقول: (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَاماً). كما هي العادة ، كل باب يعقده الإمام النووي رحمه الله تعالى ، يفتتحه بالآيات الكريمة التي لها علاقةٌ بالباب ، فالآية التي تناسب إكرام الضيف قوله تعالى: (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ). أهله: هنا بمعنى زوجته وأولاده ، ومعنى كلمة راغ: أسرع ، هل هناك معنى آخر لـ: راغ؟ كما قال عليه الصلاة والسلام: (مثل المؤمن كمثل النحلة ، لا تأكل إلا طيباً ، ولا تعطي إلا طيباً ، وإذا وقفت على شئ هش لا تخدشه ولا تكسره). عندنا ثلاثة آداب: عدم إعلام الضيف ، والسرعة في الخروج لإعداد الطعام ، وسرعة إعداد الطعام ، وتهيئة الطعام الذي يروق لك ، تطيب به نفسك. والنبي عليه الصلاة والسلام قال: (إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، فسعوهم بأخلاقكم).هـ. والنص هنا يضرب على الوتر الذي أعني! إنه كان ينبغي عليهم باسم الأخوة الإيمانية أن يبذلوا حق ضيفهم ابتغاء وجه الله. لكنهم لم يفعلوا. وكانت هذه القصيدة ترجمة لما لقيته على أيديهم من البلاء!)

فـــي هجيـــر الشـــعر عَزيـــتُ الشـــببْ ... وبحبـــــر الكـــــرب داعبـــــتُ الأدبْ

أنشُـــدُ الســـلوان فـــي ظـــل النـــوى ... وأســـلي القلـــبَ ، فـــي الـــوادي الخَـــرب

وأمـــيطَ الســـتر عـــن جمـــر الغضـــى ... وأزيـــل الهـــمّ مـــن قلبـــي الشـــبِب

جفـــتِ الآمـــالُ فـــي صـــمت الـــدَّجى ... والأمـــــاني فـــــي تلافيـــــف العتـــــب

ودمـــــاءُ الشـــــعر أضـــــناها الجـــــوى ... والفـــــؤادُ العـــــذبُ غَشـــــاهُ العَجَـــــب

والأصـــــيلُ الحُـــــر أدمـــــى عزمَـــــه ... أن تـــــوارى أمهـــــاتٌ فـــــي السَّـــــلَب

يـــا أصـــيل الشـــعر ، أنـــت الملتقـــى ... فـــامنح الـــنفسَ الســـجايا والطِّـــرب

أنـــتَ نـــورٌ فـــي حنايـــا خـــاطري ... عشـــتَ تُعطـــي رغبتـــي مـــا يُطلـــب

حزنـــك الـــدامي طـــوى ترنيمتـــي ... فـــانبرتْ تُزجـــي قريضـــي المُضـــطرب

لا تســـلني ، كيـــف أردانـــي الهـــوى ... ليـــت أنـــي لـــم أهـــن أو أســـتطب!

يـــا أصـــيل الشـــعر هـــذي آهتـــي ... فـــي سُـــويداء الفـــؤاد المُنشـــعب

كيـــف نـــام اليـــأس فـــي حِضـــن الصـــفا؟ ... كيـــف لا تقـــوى علـــىَ الســـطر الشُـــعب؟

كيـــف هَـــد الـــوهمُ عزمـــي ، واســـتمى ... فـــوق نُـــور الفجـــر بـــالكرب الشـــجب؟

كيـــف غِـــلُّ الـــوهم فـــي نفســـي سَـــمَا ... يســـــحقُ البســـــمة ، يجتـــــاحُ الأرب؟

يـــا أصـــيل الشِّـــعر غاصـــت فرحتـــي ... فـــي بطـــون الحُـــزن ، أضـــناها التعـــب

والـــورى - ويـــح الـــورى - فـــي ضـــيعتي ... بـــالغوا فـــي النيْـــل منـــي والتبـــب

كـــلُّ مـــا حـــولي سَـــرَابٌ شـــامتٌ ... والأريـــبُ الفحـــلُ فـــي البلـــوى رَسَـــب

كبلـــتْ قلبـــي المُعنـــى نـــارُهم ... ثـــم جـــدّ الجَمـــعُ فـــي كيـــل الخُطـــب

يـــزعُمُ الأوغـــادُ أن المفتـــري ... لضـــمير الغَيـــب يومـــاً يختلـــب

إن غيـــب الله مخبـــوءٌ لهـــم ... كـــلُّ مخلـــوق لـــهُ بعـــضُ النـــوب

يـــا أصـــيل الشـــعر ، خبّرنـــي هُنـــا ... كيـــف نـــام الطَفـــلُ فـــي جـــوف النصـــب؟

كيـــف عاشـــت أمّـــةَ أيامَهـــا ... فـــي هجيـــر الكَـــرب ، أو قعـــر الـــودب؟

كيـــف عانـــت فـــي الـــدياجي تشـــتكي ... ثَقلـــةَ الخُـــذلان ، أو ضـــيقَ الوَصـــب؟

كيـــف لـــم تـــأنس مـــن القربـــى وفـــا؟ ... إنمـــا لاذوا بتلميـــع الغَضـــب

ليـــت شِـــعري ، كيـــف بـــاعوا صـــحبتي؟ ... كيـــف خـــانوا ، فـــي جحـــيم المُنقلـــب؟

مِـــن نســـيج العَـــذل شـــادوا قَبـــةً ... ويشـــاءُ اللهُ أن تُـــزوى القُبـــب!

مِـــن سِـــياج الظّلـــم قـــد صـــاغوا الأذى ... ثـــم هـــاهم هـــدّدوا مَـــن يقتـــرب

يـــا أصـــيل الشِّـــعر هـــاهم أعلنـــوا ... أنهـــم لـــم يَضـــربُوا الليـــثَ الحَـــرب

كيـــف هـــذا الشـــر أضـــحى مركبـــي؟ ... كيـــف تعلـــو مركـــبٌ ســـفحَ الظـــرب؟

إنمـــــا هـــــذي بلايـــــا حَـــــوْبتي ... لا تســـــلني بعـــــدُ عـــــن تلـــــك النُـــــدب

يـــا أصـــيل الشِّـــعر ، يـــا عطـــر الشِّـــفا ... إن مرضـــى الشـــعر فـــي الـــدنيا غَـــرُب

لـــم أجـــد فـــي النـــاس خِـــلاً مخلصـــاً ... قـــال لـــي: وحـــيُ التباشـــير اغتـــرَب

اغتـــربْ ، لا تـــأس يومـــاً ، وارتحـــلْ! ... عـــن ديـــار عشعشـــتْ فيهـــا العُكُـــب

عـــن ديـــار مـــا بهـــا غيـــرُ الخنـــا ... والشـــريفُ الحُـــرُّ فيهـــا يُغتصـــب

والوضـــيعُ الوَغـــدُ يلهـــو بـــالورى ... ولكـــل العِـــز فـــيهم يُنتهـــب

إنمـــا عـــارُك أن تبقـــى بهـــا ... يـــا ضـــميري العـــذبَ ، هـــل يُجـــدي الهَـــرَب؟

إنَّ كُـــلَّ النـــاس فـــي الـــدنيا تـــرى ... ثـــم إن المـــوت يرنـــو عـــن كثـــب

آه مـــن وخـــذ الرزايـــا همتـــي! ... بالغـــتْ حتـــى اســـتبدتْ بالكُثَـــب

يـــا أصـــيل الشِّـــعر ، بانـــت زلتـــي ... أننـــي فـــي الـــنفس أمعنـــتُ الريّـــب

والمنايـــا لاحقتنـــي ، وارتـــوتْ ... مـــن دمـــي – بـــالرغم - فـــي قـــاع الرتـــب

إننـــي فـــي الحـــق خاصـــمتُ الـــورى ... إن لـــي فـــي الحـــق صـــولاتِ الهضـــب

آه مـــا أقســـى قلوبـــاً أظلمـــتْ! ... إنـــه - بالمـــال - لا يُشـــرى الهـــذب

أيـــن مـــن عينـــيّ لُقيـــا زوجتـــي؟ ... أيـــن مـــن كانـــت لضـــيقي تكتئـــبِ؟

أيـــن مـــن كانـــت سُـــروري ، والهنـــا؟ ... أيـــن حُـــبٌ فـــي سُـــويدائي انكتـــب؟

أيـــن زوجٌ تمـــنحُ الـــنفسَ الصـــفا؟ ... أيـــن مَـــن كانـــت حيـــاتي والرغـــب؟

أيـــن ســـلوى القلـــبِ فـــي هـــذي الـــدُّنا؟ ... أيـــن أنســـي ، فـــي مـــواخير الرَّهـــب؟

أيـــن نجـــوى الـــرُّوح ، فـــي جَـــوف اللظـــى؟ ... أيـــن مَـــن كانـــت نســـيمي فـــي الحُجـــب؟

أيـــن نـــورُ العـــينِ فـــي دَرْكِ العَمَـــى؟ أيـــن وارتهـــا عـــن العـــين السُـــحُب؟

أيـــن بـــردُ العُمـــر فـــي نـــار الجـــوى؟ أيـــن مـــن كانـــت لِهَمـــي تنتحـــب؟

أيـــن مِصـــباحٌ بعُمـــري مُشـــرقٌ؟ أيـــن راحـــتْ؟ أيـــن عصـــماءُ النّســـب؟

أيـــن مَـــن - فـــي الكـــرب - تُزكـــي هِمتـــي؟ أيـــن مَـــن تُلقـــي الغطـــاءَ علـــى العِيَـــب؟

أيـــن إحساســـي وحســـي والهـــوى؟ أيـــن حُبـــي والأمـــاني والوَهَـــب؟

أيـــن طِفلـــي بتعـــالي فرحـــه؟ أيـــن مـــن يهـــوى التحـــديْ للّعـــب؟

أيـــن مَـــن يُـــدلي بـــأمر نافـــذٍ والعـــذابُ المُـــرُّ إن لـــم نســـتجب؟

أيـــن مَـــن بالـــدمع يُزجـــي إربَـــهُ ثـــم لـــي عنـــد خروجـــي يصـــطحب؟

أيـــن مَـــن يهـــوى خليجـــاً ضـــاحكاً ومـــع الشـــطآن - يلهـــو - والكثـــب؟

ولـــه حتمـــاً أوارُ ثـــورةٍ عِنـــدنا ، إن غـــاب أو قـــل الحَلـــب

لا تلُمنـــي ، يـــا أصـــيل الشِّـــعر ، إن سُـــندتْ فـــيّ الضـــلوعُ كالخشُـــب

أو كرهـــتُ العـــيش فـــي هـــذي الـــدنا أو جفـــتْ فـــيّ الـــدماءُ كـــالخزب

أو تعجلـــت فراقـــي راغبـــاً خيـــرَ ربـــي مـــن مجاهيـــل الحُجُـــب

أو تخـــذتُ الحُـــزنَ ثوبـــاً ، والأســـى فعلـــى الأحبـــاب دمعـــي ينســـكب

إننـــي - فـــي الكـــرب - أنعـــي بســـمتي وعلـــى الكُثبـــان تكـــويني الشُّـــهب

إن يـــومي حِقبـــةً مُلتاعـــةً دمرتنـــي ، آه مـــن تلـــك الحِقـــب!

وَي ، كـــأني غـــارقٌ فـــي نظرتـــي وأزيـــد النـــارَ ، عمـــداً بالحطـــب

إي ، وربـــــــي إننـــــــي مســـــــتعجلٌ ... وأريـــــد النصـــــرَ مـــــن غيـــــر التعـــــب

كيـــف يـــأتي النصـــرُ مـــن غيـــر الأذى؟ ... إنمـــــا تُهـــــدي الجراحـــــاتُ الغلـــــب

لا تلـــــم قلبـــــاً بَـــــرَاهُ شـــــوقه ... فـــــإذا بالقلـــــب ، تُرديـــــه النُقـــــب

إنمـــــا أرداه فـــــي أســـــقامه ... أنـــــه لـــــم يســـــتطع عنهـــــا النكـــــب

يـــــا أصـــــيل الشـــــعر ، هـــــذي محنـــــةً ... تقتُـــــل الإنســـــان بـــــالوهم الوصـــــب

إن مـــــا قـــــد أحدثتـــــه كبـــــوتي ... يئـــــد الإحســـــاس فـــــي العِـــــرق الـــــورب

بـــــتُ لا أرضـــــى البرايـــــا خلـــــة ... مـــــن حقيـــــر كـــــالح الـــــذكرى نخـــــب

وعميـــــل بـــــاع ديـــــن الله ، لـــــم ... يكتـــــرثْ ، خـــــاب مـــــن وغـــــدٍ ذنـــــب!

وقميـــــئ الشـــــكل يجتـــــرّ الـــــبلا ... وإلـــــى الإســـــلام - زوراً - ينتســـــب

وذئـــــاب - فـــــي الـــــدنايا - أمعنـــــوا ... لســـــتُ مـــــنكم ، إنكـــــم قـــــومٌ خُشُـــــب

تحســـــبون الشـــــهم مِـــــن أصـــــحابكم ... لســـــتُ مـــــنكم ، مِـــــن بعيـــــدٍ أو زقـــــب

فَـــــرّق الحـــــقُ - أفيقـــــوا - بيننـــــا ... هـــــل علـــــى الإســـــلام آبـــــاءُ اللهـــــب؟

ومُحـــــالٌ جـــــدّ أنـــــا نلتقـــــي ... إنمـــــا حَبـــــلُ الإخـــــاءات انشـــــعب

يـــــا جحيمـــــاً أوجدتـــــه طِيبتـــــي ... يـــــا حميمـــــاً - فـــــوق رأســـــي - ينســـــعب

يـــــا عـــــذاباً ســـــببته زلتـــــي ... يـــــا ضـــــباباً نحـــــو بيتـــــي ينســـــلب

قـــــد غمـــــرتُم فـــــي النفـــــاق ودّكـــــم ... وانطلقـــــتم ، فـــــي دهـــــاليز الخـــــدب

إنكـــــم حـــــربٌ علينـــــا ، فـــــاذهبوا ... قـــــد أحلـــــتم قلعتـــــي بعـــــض الخـــــرب

لا تعـــــودوا ، لـــــن تلاقـــــوا بســـــمتي ... إن بـــــاب البيـــــت مـــــن جمـــــر اللهـــــب

إن ـ حـــولَ البيـــت ـ سُـــورَ خـــذلكم ... فوقـــه نـــارُ التجنـــي تنـــذعب

إن فـــي أجـــواء بيتـــي ثـــاركم ... واللظـــى يـــا قـــوم جبـــارُ الصَّـــبب

إن ســـيفَ الثـــأر يُمنـــى طِفلنـــا ... فـــي هجيـــر الغـــدر تعـــرو تضـــطرب

فـــارسٌ هـــذا الوليـــدُ ، فاحـــذروا ... ثـــم فـــي يُمنـــاه نصـــلُ المُســـتلب

إن ســـقف البيـــت شَـــوكٌ ، فاحـــذورا ... ينخـــر العظـــم مليـــاً كالريـــب

إن للأنـــذالُ سَـــمتاً واحـــداً ... فاغضـــبوا ، والله فـــوقَ المُغتصـــب

يـــا أصـــيل الشـــعر أســـمعني الصَّـــدى ... وامـــحُ بالأصـــداء دمـــعَ المُنتحـــب

آهِ مِـــن صـــوت النفـــاق المغتـــدي ... فهْـــو كـــاليربوع فـــي الجُحـــر انســـرب

عنـــدما بـــالحق قـــد بارزتُـــه ... بـــات يهـــذي ، لـــيس يـــدري مـــا الســـبب؟

ذاك أن الحـــق مـــاض ســـيفه ... بينمـــا ســـيفُ الأباطيـــل الصَـــخب

لـــم أزخـــرفْ حُجتـــي فـــي الملتقـــى ... إنمـــا البُرهـــان فيهـــا يلتهـــب

لـــم أراوغ ، لـــم أدلـــسْ لفظـــةً ... لـــم أنـــافقْ ، لـــم يُغيّرنـــي الشـــبب

لـــم أخـــفْ سِـــكينهُم رغـــم الـــدما ... بـــل ولا شـــيطانهم والمغتـــرب

رغـــم أنـــي لـــيس عنـــدي خلـــة ... ثـــم بيتـــي مـــا بـــه غيـــرُ العُسُـــب

قَلـــتُ فـــي نفســـي: يتوبـــون غـــداً ... غيـــر أن القـــوم لجّـــوا فـــي اللجـــب

قلـــتُ: إن تـــابوا فمرحـــى وهـــلا ... وإذا لـــم ينتهـــوا ، فهْـــوَ الشَّـــغب

صـــاح ، هُـــم قـــد صـــعّروا أنيـــابهم ... كـــي يُـــواروا الـــدم فـــي جـــوف القـــرب

مزقـــوا طِفلـــي ، وزوجـــي بعـــدما مزقـــوني فـــي الـــدُّجى ، يـــا للعجـــب!

كيـــف هـــذا الكيـــدُ يُزجيـــه الـــذي كـــان فينـــا المُرتضـــى ، والمُســـتحب؟

كيـــف كُنـــا؟ كيـــف أصـــبحنا غَثـــا؟ كيـــف عِـــرضُ الأخ يومـــاً ينزكـــب؟

ربنـــا اثـــأرْ ، فإليـــك المشـــتكى وعســـيرُ الحـــال يُضـــنيه السَـــخَب

ثَـــم إنـــي لا أطيـــقُ وُدهـــم فـــاكفنيهم ، أنـــتَ عـــونُ المُنتهـــب

ليتـــني فـــي البـــدء لـــم ألحـــق بهـــم صـحبـــة البـاغيـــن تُـفضـــي للـــودب

والأصـــيل الشـــهم يُزجـــي بذلـــه هـــل تســـاوَى التـــرب يومـــاً بالـــذهب؟

يـــا أصـــيل الشِّـــعر ، هـــذي فكرتـــي هيّجـــتْ كـــم مـــن معـــان وعَصـــب!

تَنشُـــد الخِـــلان فـــي دنيـــا الضـــنا وتُعبـــي الصـــبر فـــي الأمـــر الصَّـــخب

إن دمـــع الجـــرح مـــن ألفاظهـــا يَســـرق الأفـــراح مـــن ســـاحِ اللَّـــزب

وجُنُـــونُ الفَـــرح فـــي أبياتهـــا أعجـــز التفكيـــر كالسَّـــيل اللّجـــب

وجُمُـــوحُ الكَـــربِ فـــي أوزانهـــا قطّـــعَ الآمـــال تقطيـــعَ الشـــذب

وانـــدلاعُ الجُـــرح فـــي تفعيلهـــا يَجعَـــلُ الـــدمع عروقـــاً تنشـــخب

وانفجـــارُ الآه فـــي أعطافِهـــا مثـــل سَـــيل فـــي دُروبـــي يَنشـــطب

يـــا أصـــيلَ الشِّـــعر آذآنـــي النـــوى غاصـــت الآمـــال فـــي دَركَ الكُـــرب

لـــي سُـــؤالٌ حـــائرٌ ينتـــابُني يســـحقُ الأحشـــاء فـــي بَطـــنِ العـــزب

هـــل لهـــذي الحـــال يومـــاً منتهِـــيَ؟ أم ســـتبقى - فـــوقَ رأســـي - كالطَنـــب؟

مـــــا لهـــــذا الهـــــزلِ حـــــدٌ فاصـــــلٌ؟ أم ســـــيبقى فـــــي طريقـــــي كالحَجـــــب؟

وجـــــــوادي بـــــــدموع لامنـــــــي كيـــــف فـــــوق الصـــــخر أراده الخَبَـــــب؟

ذاك أنّـــــي طـــــائرٌ فـــــوق المُنـــــى أبتغـــــي الإخـــــلاص ، لا بعـــــض الـــــذهب

مـــــا أكلـــــت القـــــوت بالإســـــلام ، بـــــل إن كـــــوب المـــــاء يكفـــــي ، والرُّطـــــب

جـــيشُ (كســـرى) لـــيس يحمـــي مُســـلماً طالمـــــا بـــــالكُفر مصـــــبوغَ اليلـــــب

إننـــــي حصـــــنتُ نفســـــى بـــــالتَّقى ذاك خيـــــرٌ مـــــن رطيبـــــاتِ الغُنـــــب

يـــــا أصـــــيلَ الشِّـــــعر ، قلـــــتْ حيلتـــــي ثـــــم غيـــــري قـــــد تســـــلى باللعـــــب

كـــــاد ســـــيفُ الحـــــقِّ يخبـــــو فـــــي يـــــدى وأنـــــا بـــــاق ، ولمّـــــا أنســـــحب

أستشـــــف النّصـــــر ، أرجـــــو ريحـــــهُ صـــــاح ، إن النّصـــــر أمـــــرٌ قـــــد كُتـــــب

غيـــــرَ أن المَـــــرء تـــــوّاقٌ إلـــــى كـــــل شـــــئ فـــــي الأمـــــاني يُســـــتحب

أوشـــــك الفجـــــرُ المُـــــواتي أن يُـــــرى غيـــــرَ أن النـــــور غشّـــــاه الهَكَـــــب

إن ليـــــلَ الفـــــرحِ أدلـــــى سِـــــترهُ فـــــوق أرضـــــي ، وفضـــــائي والهِضـــــب

إن أنـــــس السَّـــــعدِ يَغتـــــال الخُطـــــا فـــــي البَـــــوادي ، يُشـــــبه الأم السُـــــلَب

ومليكـــــي مُـــــوهنٌ كيـــــدَ العِـــــدا صـــــاحِ ، فاطلـــــب نَصـــــرهُ ، نِعـــــم الطّلـــــب!

يـــــا أصـــــيلَ الشِّـــــعر ، حتـــــى الملتقـــــى عنـــــد ربِّـــــي ، كـــــل شـــــيئ أحتســـــب

غربـــــتْ شمســـــي ، وغـــــارت دمعتـــــي ونحيبـــــي يَخـــــتمُ اليـــــومَ الحَطـــــب

أمُ عَبـــــدِ اللهِ غابـــــت ، والحِمـــــى والفِـــــراق المُـــــرُّ مـــــاضٍ فـــــي النُجُـــــب

ضِـــــحكةَ الطفلـــــينِ فـــــي أنشـــــودتي تَبعـــــثُ الأنغـــــام ، فـــــي خِـــــدر العُـــــرُب

إن أحلـــى ســـاعة قـــد عِشـــتها ... فـــي ظـــلال الفـــرحِ والبيـــتِ الشَـــنب

عِنـــدما قـــد كـــان طِفلـــي ضـــاحكاً ... مَـــلء شِـــدقَيهِ ، مُهينـــاً لِلسَّـــغب

عـــاطرَ الثَغـــر ، ومعطـــار الضـــيا ... يَســـكبُ البهجـــة ، كالمـــاء الثعـــب

يَبـــذُلُ الـــنفس رضِـــيّاً باســـماً ... لـــم يقُـــل يَومـــاً لنـــا: إنـــي تعـــب

أمُ عبـــدِ اللهِ ، يـــا بـــدراً بَـــدَا ... أنـــتِ نُـــورٌ ، أنـــت فـــرحٌ يُرتغـــب

يـــا ظـــلال الـــنفسِ ، فـــي هـــذي الـــدنا ... أنـــتِ رُوحـــى ، وانشـــراحي المُكتســـب

أنـــتِ - بعـــد اللهِ - فـــي الـــدنيا لنـــا ... وكـــذا أنـــتِ المُنـــى بعـــد الكُثُـــب

أنـــتِ عبـــر الضِّـــيق فـــيضٌ واســـعٌ ... فبيـــاضُ القلـــب صـــافٍ كالعُطَـــب

أنـــتِ خجلـــى فـــي ملاقـــاة العَنـــا ... إن تقـــوى اللهِ للخجلـــى حَسَـــب

أنـــتِ مـــاءُ العمـــر غضـــاً يانعـــاً ... مـــا أحيلـــى المَـــاءَ عـــذباً فـــي الثغـــب!

أنـــتِ بالإســـلام عطـــرتِ الهَـــوى ... بـــاتَ قلبـــي لهـــواكِ ينجـــذب

أنـــتِ نِعـــمَ الصـــحبُ لـــي فـــي الـــدنا! ... نحـــن بتنـــا مِثـــلَ نخـــل قـــد أشـــب

قـــد جعلنـــا الهَـــديَ فحـــوى حُبنـــا ... واحتســـبنا ، صـــاحِ ، مـــا أحلـــى الحِســـب!

نحـــنُ لا نرضـــى بـــذل عيشـــةٍ ... وكـــذا لا نرتضـــى القَـــول اللّغـــب

فـــإذا الأعـــداء رامُـــوا ذَلنـــا ... فعلـــى الأعـــداء بـــأسٌ ينقلـــب

إنـــه مـــن عنـــد رب قـــاهر ... ربِّ كِـــدْ لـــي مـــن عـــدوي ، واســـتجب

قـــد ظلِمـــتُ ، واســـتبيحتْ عَزتـــي ... فاثـــأر اللهُـــمَّ مِـــن قـــوم نُخـــب

(إن لكل غادر يوماً ينتظره لا محالة. والعاقل هو الذي يَعتبر بغيره ، وأعقلُ منه من اتقى الله ربه ، وحاسب نفسه على ما بدر منها. ومن عمل لله فمَجزيٌ بما عمل ، والدنيا ليست هي نهاية المطاف ، كما يحلو لكثيرين أن يتصوروا. والشياطين على ضربين كما في كتاب الله: شياطين الإنس وشياطين الجن. وكيد شيطان الجن ، قال ربي – تعالى – في شأن الشيطان: (إن كيد الشيطان كان ضعيفاً) ، وأما شيطانُ الإنس فقال ربى في أمره: (إن كيدكن عظيم) وقال: (شياطين الإنس والجنِّ يوحي بعضُهم إلى بعض زُخرف القول غروراً). ألا وإني أنشدت هذه القصيدة لأحد شياطين الإنس ، من ابتلاني الله تعالى به ، على غير توقع ، ولله في خلقه شئون! عن عبد الله بن عمر ، عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: "إن الغادر يُنصب له لواءٌ يوم القيامة فيُقال: هذه غدرة فلان بن فلان". متفق عليه. وعن عبد الله بن مسعود ، قال:"لكل غادرٍ لواء يوم القيامة يُعرف به". متفق عليه. وعن أبي سعيد الخدري ، عن النبي – صلى الله عليه وسلم ـ قال:"لكل غادرٍ لواءٌ عند إسته يوم القيامة". مسلم. وفي رواية: "لكل غادرٍ لواء يوم القيامة يُرفع له بقدر غدره". مسلم. وعن ابن عمر ، قال: قال رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم ـ:"إذا جَمعَ اللهُ الأولين والآخرين يومَ القيامةِ ، رُفِعَ لكل غادرٍ لواء ، فقيل: هذه غَدْرةُ فلان بن فلان". وعن عمرو بن الحمق الخزاعي ، عن النبي – صلى الله عليه وسلم ـ قال: "من أمّن رجلاً على دمه فقتله فأنا بريء من القاتل ، وإن كان المقتول كافراً". وفي رواية: "مَن أمَّن رجلاً على دمه فقتله فإنه يحمل لواء غدرٍ يوم القيامة". وعنه ، عن النبي – صلى الله عليه وسلم ـ قال: "إذا اطمأنَّ الرجلُ إلى الرجلِ ثمَّ قتلَهُ بعدما اطمأنَّ إليه ، نُصِبَ له يومَ القيامةِ لواءُ غدرٍ". وعن أبي بكرة قال ، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم ـ: "من قَتل نفساً معاهدة بغير حِلِّها ، حرَّم الله عليه الجنة أن يشم ريحها". وعن عبد الله بن عمرو ، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم ـ: "مَن قتلَ قتيلاً من أهل الذمَّة ، لم يجد ريحَ الجنَّة ، وإن ريحها ليوجدُ من مسيرةِ أربعين عاماً". وعنه ، قال: قال رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم ـ: "من قتل معاهداً لم يُرح رائحة الجنة ـ أي لم يشمها ـ وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً". البخاري. وفي رواية: "من قتل نفساً معاهدة لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً". البخاري. وعن أبي بكرة قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم ـ:" من قتل مُعاهَداً في غير كُنْهِهِ حرَّم اللهُ عليه الجنَّةَ". وعن أبي هريرة ، عن النبي – صلى الله عليه وسلم ـ قال: "قالَ اللهُ: ثلاثةٌ أنا خَصمُهُم يومَ القيامة: رجلٌ أعطى بيَ ثمَّ غدَر ، ورجلٌ باعَ حُرَّاً ثم أكلَ ثمنه ، ورجلٌ استأجرَ أجيراً فاستوفي مِنْهُ ولم يُعْطِ أجرَه". البخاري. وعن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه ، عن النبي – صلى الله عليه وسلم ـ قال: "ما نقضَ قومٌ العهدَ قطُّ إلا كان القتلُ بينهم ، وما ظهرت الفاحِشة في قومٍ قطُّ إلا سلَّط اللهُ عليهم الموتَ ، ولا منعَ قومٌ الزكاةَ ؛ إلا حبسَ الله عنهم القَطرَ". وعن ابن عباس ، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "ما نقضَ قومٌ العهدَ إلا سُلِّطَ عليهم عدوُّهم". وعن عبد الله بن عمر ، قال: أقبل علينا رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم ـ فقال: "يا معشرَ المهاجرين! خمسٌ إذا ابتُليتُم بهنَّ ، وأعوذ بالله أن تُدركوهُنَّ ـ منها ـ: ولم يَنقُضوا عهدَ اللهِ وعهدَ رسولِه ، إلا سَلَّطَ اللهُ عليهم عدوَّاً من غيرِهم ، فأخَذوا بعضَ ما في أيدِيهم". وقال – صلى الله عليه وسلم – "لَنْ يَهلكَ الناسُ حتى يَعْذِرُوا".

(وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون؟) ، نعم نصبر يا ربنا على ما كتبت لنا. (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين) . وعليك اللهم بكل شيطان! والأصل أننا في عِراك دائم مع هذه النوعية المخاتلة المخادعة الغادرة من البشر! وتتعدد أساليبهم معنا كما تتعدد أساليبنا في الرد عليهم! وكأننا في ساحة حرب بين طرفين متصارعين! ومن هنا يقول فريدريك نيتشه: جميع الأمور المتعلقة بالحرب تعتمد على الخداع. وتقول ملك حفني ناصف: توهمتك فارساً قادماً من عصور الوفاء المنقرضة وتوهمتني غانية قادمة من أقبية الخداع لتعبث بك وكان كلانا مخطئاً. ويقول أدريان ريتش: الكذب يكون بالكلمات وأيضاً بالصمت. ويقول شكري بلعيد: ولأنهم اعتنقوا الكذب ديناً يتهمون الصادقين بالإلحاد ، ولأنَّهم اتّخذوا الكَذِبَ ديناً فإنّهم لا يرون صادقاً واحداً. ويقول جورج أورويل: في زمن الخِداع يكونُ قول الحقيقة عَملاً ثورياً. ويقول جان دو لافونتين: الرجل جليد نحو الحقيقة ونار نحو الكذب. ويقول أرسطو: الموت مع الصدق خير من الحياة مع الكذب. ويقول باولو كويلو: قول الحقيقة وإزعاج الناس أفضل من الكذب لإرضاء الناس. ويقول جورج أورويل: لغة الغدر تم تصميمها لتجعل الكذب يبدو صادقاً والقتل محترماً. ويقول ألبير كامو: المخادع الغادر ذئب يبكي تحت أقدام الراعي. ويقول لافونتين: خدعة أفضل المتامرين يمكن أن تسيء إلى صاحبها. ويقول ميكيافيللي: اربح الناس سهماً في هذه الحياة أقدرهم على اصطناع الملق وتلون الوجه. وتقول مرجريت دي نافار: الخبث الأكثر تغطية هو الأسوء. ويقول جون هارينجتون: الخيانة لا تزدهر ، لأنها إذا ازدهرت فلن يجرؤ أحد على تسميتها خيانة. ويقول جروسيه: الخبثاء يخونون أنفسهم بأنفسهم. ويقول لودفيج فيتجنشتاين: لا شيء أصعب من تجنب خداع المرء لنفسه. ويقول لابروبير: الخبث يضيف اللؤم إلى الكذب. ويقول لافونتين: غالباً ما ينقلب الخداع على صاحبه. كما يقول أيضاً: تستطيع أن تخدع بعض الناس بعض الوقت ، لكنك لا تستطيع أن تخدع كل الناس طول الوقت. ويقول لاروشفوكو: الوسيلة الحقيقية لكي يخدع المرء هي أن يعتقد أنه أذكى من الآخرين. وأخيراً يقول جلال الخوالدة: المخادع فقط يستطيع أن يكون ذا وجهين والأغبياء يصدقونه ، والمجرمون يصفقون له. وإذن فهو امتحان مرير وحرب طويلة!)

على غَدركُم بات يهذي الألمْ ... ويَعجبُ كيف تُباع الذممْ؟

ويسكب جَمرَ اللظى في دمي ... ويحرق قلبي بِنَار السأم

ويسألُ: كيف اشتراكَ الهوى؟ ... وكيف تغنيتَ مثل الرنُم؟

وكيف استبحت ليوث الهُدى؟ ... وكيف اندفعتَ بهذي الحُمَم؟

وكيف تُعادى الذي ما ارعوى ... لدين الطواغي ، ولم يحتكم؟

وكيف تُدافع عن زيفهم؟ ... وهل ينصُر الدينَ هذا الصَّنم؟

وكيـــــــف تؤســـــــلم تضـــــــليلهم؟ وكيـــــفَ - بهـــــذا الهـــــوى - تعتصـــــم؟

وكيـــــــف تُرقـــــــع إفلاسَـــــــهم بقـــــول النبـــــي ، ولـــــيّ الكَلِـــــم؟

وكيـــــــف تُطـــــــوّع آي الهُـــــــدى لترفـــــع مِـــــن ظلـــــم تلـــــك الـــــنُظَم؟

وكيـــــــف تُجنـــــــد أياتـــــــه لتخـــــــدم عُهـــــــراً بهـــــا يلتـــــدم؟

وكيـــــــف تُخـــــــادع رب السَّـــــــما؟ أتحســـــــبُ ذلـــــك بعـــــض اللّمـــــم؟

عميـــــــلَ الشـــــــياطين لا تنـــــــذهل فأنـــــت الـــــذي قـــــد زرعـــــتَ الألـــــم

وأنـــــت الـــــذي لـــــم تُطـــــق حَقنـــــا وحاربتنـــــا ، بافتعـــــال الجَحـــــم

وأنـــــت الـــــذي قـــــد شـــــجبتَ الوفـــــا وخُنـــــتَ العُهُـــــود ، ولـــــم تحتـــــرم

وأنـــــت الـــــذي قـــــد وقـــــدت اللظـــــى لتحـــــرق طفلـــــين ، عبـــــر الـــــتُخُم

وتحـــــرق زوجـــــاً ، تحـــــبُّ الهُـــــدى هنـــــاكَ ، هنـــــاكَ بـــــأرض الهَـــــرَم

عَجِبـــــتُ لأمـــــرك مـــــن خـــــائنٍ علـــــى المُســـــلمين فظيـــــع الـــــنِقم!

وأمّـــــا علـــــى غيـــــرهم ، فالنسيـــــــمُ ، وعنـــــدَ الشـــــياطين مثـــــلُ الـــــنغم

علـــــى المـــــؤمنين ريـــــاح السَّـــــمو م ، تـــــؤز وتلفـــــح حتـــــى الخـــــيم

وعنـــــد الطـــــواغي عَميـــــلٌ أثيـــــم رقيـــــق لطيـــــفٌ كلطـــــفِ الشَـــــبَم

ويهـــــوى الـــــدَّراهم مـــــن قلبـــــه ويكـــــره ذِكـــــر البِّلـــــى والأدم

رويـــــدكَ ، لا يخـــــدعنك الغُـــــرو رُ ، وحـــــاذر فـــــأرض العميـــــل العَـــــدَم

لقـــــد ضـــــاعَ كُـــــل الـــــذي بيننـــــا وبينـــــي وبينـــــك ربٌّ حَكَـــــم

عميـــــلَ الشـــــياطينِ ، منـــــك الـــــبَلاَ ومنـــــك الشـــــقاءُ ، ومنـــــك الطســـــم

ومنـــــك الخِيانـــــةَ ، مـــــلءُ الرُّبـــــا ... ومَـــــلءُ المحاريـــــبُ ، والمـــــؤتزم

لقـــد حـــار فيمـــا افتعلـــتَ النهِـــيَ ... ومـــا عـــاد يُجـــدي عليـــك النـــدم

فإنـــــك بـــــالجَوْر مُستمســـــكٌ ... وإنـــك ـ فـــي الشـــر ـ فَقـــتَ الـــدَّلم

وإن الحقيقـــــةَ فَـــــوق الـــــورى ... وشـــرٌ علـــى أرضـــنا لـــم يَـــدم

ومهمـــــا اتبعـــــتَ ضـــــلالتهم ... ســـتطويك فـــي الخـــافقين الغُســـم

تُـــرى هـــل ستصـــبر فـــي عصـــفها؟ ... لبـــــئس النِّهايـــــةَ ، والمُختـــــتم!

ولا لـــــن أكـــــفَّ عليـــــك الـــــدَّعا ... ولا ، لـــــن تـــــرى بيننـــــا مِـــــن سَـــــلَم

وإنـــــي أسَـــــطر فـــــي حُرقتـــــي ... مُصـــــابي ، وأمـــــري علـــــيّ ارتطـــــم

ويكتـــــب شِـــــعري يـــــراعُ الشَّـــــقا ... وقرطـــــاسُ هَمـــــيَ عنـــــديَ ارتكـــــم

لـــــئلا أعُـــــود لمَـــــا قـــــد مضـــــى ... لأحقـــــر قـــــوم ، وأشـــــقى لمَـــــم

وربـــــي شـــــهيدٌ علـــــى قَـــــولتي ... فيـــــا رب دَمّـــــرْ علـــــى مـــــن ظَلَـــــم

عميـــــلَ الشـــــياطينِ ، إن اللقَـــــا ... مُحـــــالٌ ، وأدنـــــى إليـــــك الـــــنُجُم

فهـــــوّنْ عليـــــك مـــــن المُلتقـــــى ... فجُـــــرح العَمَالـــــةِ لـــــن يلتـــــئم

إذ الســـيفُ فـــي الجُـــرحِ لـــم يَتئـــد ... وأنـــتَ علـــى الجُـــرح لـــم تنكـــثم

وإن النفَـــــاق لمِـــــن صُـــــنعِكُم ... وإن الضَّـــــعيف الـــــذي ينـــــتقم

وإن الشـــــياطين مـــــن صَـــــمتكم ... ستشـــــعل نـــــاراً ، بنـــــا تضـــــطرم

ويشـــــبعُ مِـــــن لحمنـــــا جِـــــيلكم ... ويحيـــــا يُعـــــاني عـــــذاب البشـــــم

وإن تشـــــــربوا مـــــــن جراحاتنـــــــا ... دَمـــــــاءً تقـــــــي نَهمـــــــة المُنـــــــتقم

وإن تفرِشـــــــوا تحـــــــت أقـــــــدامكم ... جُسُـــــــوم الكِـــــــرامِ ، عظـــــــام الهِمَـــــــم

وإن تجعلونـــــــا كمـــــــاءِ النّـــــــدى ... وإن تحرقونـــــــا ، بجـــــــوف الـــــــتلم

فلـــــــن نســـــــتكين لكُـــــــم لحظـــــــةً ... فلســـــــنا يُـــــــؤثَرُ فينـــــــا الـــــــنخم

فإنـــــــا كِـــــــرامٌ علـــــــى ربنـــــــا ... وإيماننـــــــا كالحُســـــــام الخـــــــذم

وإنـــــــا نصُـــــــول ، ولســـــــنا نخـــــــا ... ف ، وصـــــــولاتُنا مِثـــــــلُ ســـــــيل سَـــــــدم

وإنـــــــا علـــــــى العهـــــــد مـــــــا لـــــــم نمُـــــــتْ ... كـــــــذلك أزواجنـــــــا ، والحَشَـــــــم

وربُّ الســـــــماوات أدرى بنـــــــا ... وإنـــــــا علـــــــى نصـــــــره نعتـــــــزم

عميـــــــلَ الشـــــــياطين لا تنخـــــــدع ... بصـــــــحو الحيـــــــاة ، ومـــــــوج الطغـــــــم

ولا بـــــــالبيوت ، ولا بـــــــالغنى ... ولا بالصـــــــحاب ، ولا بـــــــالعُزم

ولا بالمحاريـــــــب فـــــــي صـــــــمتها ... ولا بالشـــــــياطين فـــــــوق القِمـــــــم

ولا بالشـــــــباب الـــــــذي لا يعـــــــي ... ولا بـــــــالكلام ، ولا بـــــــالفوْم

فمـــــــاذا يُفيـــــــدك مِـــــــن جَمعهـــــــم ... إذا كنـــــــت تيســـــــاً ، وكـــــــانوا الغَـــــــنم؟

فـــــــأنتم جميعـــــــاً جُنُـــــــود العـــــــدا ... وأنـــــــتم وقَـــــــوُد اللظـــــــى المضـــــــطرم

ووفـــــــق هـــــــواكم تســـــــير الرَّحـــــــى ... فـــــــإن تـــــــذبحونا هُنـــــــا لا جـــــــرم!

وإن تَحرمونـــــــا - هنـــــــا - لا جـــــــرَمْ! ... فـــــــأنتم لكـــــــلِ الطـــــــواغي خـــــــدم

وإن تمنعونـــــــا بُلُـــــــوغ الـــــــذرى ... وإن تصـــــــدعونا بهـــــــذي الأكـــــــم

وإن تمـــــــلأوا الكـــــــون عنـــــــا افتـــــــرا ... وإن تُقنعونـــــــا بِكـــــــل الحِكـــــــم

فلـــــن تُمهلـــــوا - قـــــط - أو تهمَلـــــوا ... ولـــــن تُفلتـــــوا ، يـــــا قطيـــــع الـــــبُهُم

لنـــــا الله ، قولـــــوا: فمـــــاذا لكـــــم؟ ... وعـــــينُ المليـــــك إذن لـــــم تـــــنم

عميـــــلَ الشـــــياطين ، طـــــال الـــــدُّجى ... علينـــــا ، فضْـــــعنا ، وطـــــال الّلســـــم

ومـــــا كنـــــت أســـــكُت فـــــي أزمـــــة ... ومـــــا كـــــان سَـــــهلاً بـــــأن أنهـــــزم

لمـــــاذا غَرقـــــتُ بإرهاصـــــةٍ ... وأصـــــبحتُ فـــــيكم - هنـــــا – المُـــــتهم؟

وإنـــــي البـــــرئُ الـــــذي لـــــم يخُـــــن ... وإلا فكيـــــف احتـــــوتني الـــــتُهم؟

أكُـــــلُ الجريمـــــة أنـــــي صريـــــ ... ـــــحٌ ، وأنـــــي تناولـــــت حـــــال الأَمَـــــم

وأنـــــي كشـــــفت الضَّـــــلال بهـــــا ... ولـــــم أنخـــــدع بافتعـــــال الـــــبَكَم؟

فـــــإن الأدلـــــة فـــــي جُعبتـــــي ... ومَـــــن صـــــاغها لا يُعـــــاني الـــــيهم

لأنـــــي تناولـــــت أوضـــــاعنا ... ولـــــم أتصـــــنع بـــــأذني الصَّـــــمم

لأنـــــى كشـــــفتُ دهـــــاقينكم ... فبـــــددتُ - فـــــي القـــــوم - كُـــــل القـــــيم

لأنـــــى اعتصـــــمت بـــــدين الهُـــــدى ... وجنـــــدت نفســـــي لَـــــهُ ، والقَلَـــــم

لأنـــــي تركتـــــكَ فـــــي خيبـــــةٍ ... ولـــــم أتقـــــامرْ بتلـــــك الـــــزَّلم

لأنـــــي أبنـــــتُ ســـــبيل الهُـــــدى ... ولـــــم أخـــــشَ بـــــأسَ العِـــــدا والغشـــــم

لأنـــــي فضـــــحت شـــــياطينكم ... علـــــى رغـــــم مـــــا قـــــدموا مـــــن نعـــــم

وأنـــــي أقَـــــولُ بتفســـــيقكم ... وأنـــــتم جُنُـــــودُ الضَّـــــلال ، الـــــنعم

أمِـــــن أجـــــل ذلـــــك كِلـــــتَ الأذى ... وعنـــــد الطـــــواغي احتـــــواك الأصـــــم؟

فيـــا شِـــقوةَ القـــومِ مـــن فَعلـــةٍ! ســـيلعنك النـــاسُ أهـــلُ الشِـــيم

ويشـــكرك البُلـــهُ أهـــل الهَـــوى وتُـــدْعى لـــديهم لعـــذب الطَعـــم

وأهـــلُ الخنـــا ، والربـــا ، والزنـــا لقـــد يُغـــدقون عليـــك الكَـــرم

ولكـــنّ رَبَـــك ، لـــم ينســـها ســـتلقى عقـــاب ارتكـــاب الجُـــرمُ

عميـــل الشـــياطين زيـــر المَـــلا أراك اعتليـــت سَـــنَام الجَعَـــم

وقـــد أظهـــروك بأوثـــانهم وكنـــت تُلقبهـــا بالصـــنم

أمـــا قَلـــت للنـــاس هـــذا (هُبـــلْ) وكانـــت فتـــاواك ، لا تُـــتهم؟

فأنـــت الفصـــيحُ ، علـــيمُ اللســـا ن ، وحَولـــك طَـــلاب عِلـــم حُشـــم

وأمـــرُك عِنـــدي مُريـــب الصـــدى لأنـــك بـــالحق لـــم تلتـــزم

أمـــا قَلـــت يومـــاً أصُـــون الإخـــا وأحفـــظ عِـــرض الأخ المُلتـــزم

وألقـــى اللظـــى فـــي أتُـــون الـــردى فـــداءً لِعـــرض - هنـــا – مُحتشـــم؟

وإنـــي لألعـــن طينيـــةَ فبالـــدين يعلـــو ويســـمو العجـــم؟

كلامـــك هـــذا كقُطـــب الرَّحـــى يـــدور ، يـــدور ولا ينجـــذم

يُغيّـــرُ فـــي التَّـــوِّ دوْراتـــه ولكـــن علـــى نفســـه ينقســـم

وأقســـمتَ: أنـــك تفـــدي الهُـــدى وإنْ عرَّضُـــوك لحـــدِّ القضـــم

فبـــالله ، أيـــن كـــلامُ الفتـــى؟ وأيـــن الوُعُـــودُ؟ وأيـــن القِســـم؟

وأيـــن الإخـــاءُ الـــذي تَـــدَّعي وســـيفكَ فينـــا شـــديدٌ لهـــم؟

وأيـــن الفُـــؤاد ، ومـــا قـــد وعـــى وأنـــت تخُـــونُ ، كمـــوج الغِطـــم؟

إذا المـــــرء خـــــان ، فـــــلا خلـــــةَ ومـــــادام فينـــــا رجـــــالٌ قَـــــزُم

فحتمـــــاً يضـــــيع المُنـــــى والحمـــــى وفـــــي لحظـــــةٍ ســـــتزل القَـــــدم

فيـــــا رب ، أنـــــتَ علـــــى مـــــن طَغـــــى فـــــإن الفَتُـــــون - هنـــــا - تلـــــتطم

عميـــــلَ الشـــــياطين ، ظـــــلَ العِـــــدا فصُـــــولُ الدعايـــــةِ لـــــم تختَـــــتَم

كـــــذا المَســـــرحيةَ لـــــم تنتـــــهِ وأنـــــتَ بهـــــا - عابثـــــاً - تنـــــتقم

ودوْرُك فـــــي المُوبقـــــات زهـــــا ومنـــــذْ البِدايـــــة كُنـــــت المَلَـــــم

وكـــــم أمتعـــــتهم خِيانـــــاتكم! وتـــــزعمُ أنـــــك فـــــذْ فهـــــم

أمـــــن أجـــــلِ دُنيـــــا تبيـــــعُ الهُـــــدى وتُـــــتقنُ فـــــنَّ الأذى ، والقـــــزم؟

تُنـــــافق مـــــن أجـــــل هـــــذي الـــــدُنا نفـــــاقَ العَقيـــــدةَ ، يـــــا للـــــيَهم!

تُـــــرى هـــــل يعُـــــودُ الـــــذي قـــــد مَضـــــى؟ هـــــل الحُـــــوت يَســـــلمُ مِنـــــهُ الـــــبَلَم؟

وهـــــل ميـــــتٌ عـــــاش بـــــين الـــــوَرى؟ وهـــــل عـــــاد طِفـــــلٌ لجـــــوف الـــــرحم؟

وهـــــل بعـــــد كســـــر الزُجـــــاج صـــــفا؟ لِعُرجُونـــــه ، هـــــل يعـــــود الهَـــــنَم؟

وإنـــــي أعاهـــــد ربَّ الّســـــما لمـــــن إن بـــــدا العَيـــــبُ فـــــيّ اغتـــــنم

وإلا يشـــــأ ربُّنـــــا عـــــودةً فـــــلا لـــــن أعُـــــود لكـــــم ، يَـــــا غَـــــنم

عميـــــلَ الشـــــياطين ، ذيـــــلَ العـــــدا أمـــــا للطـــــواغي - إذن – (مُعتصـــــم)؟

يُبـــــيّن للنـــــاسِ عـــــوراتكم ويقطـــــع أعنـــــاقكم ، بالقُضُـــــم

ويـــــأتي علـــــى الفـــــورِ جـــــيشُ الهُـــــدى ويهـــــدم بُنيـــــانكم بالقُـــــدم

ويمحـــــــو ظِـــــــلالَ محـــــــاريبكم ... ويُلقـــــــي بأعفـــــــانكم فـــــــي القُـــــــذم

تعاميـــــــتَ حتـــــــى طـــــــواك العَمَـــــــى ... وهـــــــل يَمنـــــــع الشـــــــيب وضـــــــع الكَـــــــتم؟

ومـــــــا ردّ ظَلمـــــــك مستبصـــــــرٌ ... لأن الرجـــــــال لوتهـــــــا الأيُـــــــم

وقـــــــد كبلـــــــوني بقيـــــــد الـــــــرَّدى ... ومـــــــرتْ علـــــــيّ الليـــــــالي الأوم

ومـــــــا قَلـــــــتُ عُشـــــــر الـــــــذي بالوِعـــــــا! ... تحاشـــــــيت صـــــــدعي ، كـــــــأني حَطـــــــم

لأنـــــــي وعـــــــدت: بـــــــأنْ لا هجـــــــاً ... فقاومـــــــت نفســـــــي ، وفـــــــاز العشـــــــم

ولكننـــــــي قلـــــــت: لـــــــم ألتفـــــــتْ ... وغـــــــاض علـــــــى الباقيـــــــات اللعـــــــم

فمـــــــا عُـــــــدت أقـــــــوى علـــــــى ذكرهـــــــا ... لأن العميـــــــل أتـــــــى يبتســـــــم

وشـــــــتان بينـــــــي وبـــــــين الريـــــــا! ... فلســـــــتُ أجيـــــــدُ حـــــــديث البُـــــــرم

فـــــــإني الحقيقـــــــة فـــــــي عـــــــالمي ... وإن كـــــــلاب الطـــــــواغي وُهُـــــــم

وفـــــــوق الخلائـــــــق ربُّ السَّـــــــما ... فيـــــــا رب ، إنـــــــي غُلبـــــــتُ انـــــــتقم

عميـــــــلَ الشـــــــياطين ، مـــــــاذا تـــــــرى؟ ... وإن الكـــــــروب هُنـــــــا تـــــــرتجم

وزاد الأعـــــــادي بتلـــــــك القُـــــــرى ... وإنـــــــي أحـــــــن لبـــــــذل الـــــــرخم

ولكـــــــنهم يصـــــــنعُون الـــــــردى ... وفـــــــوق الروابـــــــي ، يـــــــرفُّ الغســـــــم

وبـــــــتُ بـــــــدينيَ مُســـــــتهدفاً ... وكـــــــادت عِظـــــــام الرحـــــــى تنجـــــــزم

يُريـــــــدون سَـــــــلبي ، وســـــــلب المُنـــــــى ... لقـــــــد حـــــــاطني فـــــــي الهجيـــــــر الخُـــــــذم

لقـــــــد أوشـــــــك العـــــــزمُ أن ينثنـــــــي ... وإنـــــــي أخـــــــاف انـــــــدلاع السُّـــــــدم

ولا بـــــــد لـــــــي هـــــــا هُنـــــــا مـــــــن عـــــــزا ... وإنـــــــي مـــــــع الغـــــــبن لـــــــن أنســـــــجم

بنيـــــتم قَصُـــــوراً بـــــأرض الشـــــقا ... ولا بـــــــد أن تُســـــــتباح الأجُـــــــم

وحَتـــــــام نشـــــــهدُ إذلالكـــــــم ... فمـــــا بـــــين طفـــــل وشـــــيخ هَـــــرم

لقـــــاءَ التحـــــدي وهتـــــكِ الحيـــــا ... ويـــــزرع أطفالنـــــا فـــــي اللغـــــم

لينســـــف إضـــــلالكم والهـــــوى ... ويجعـــــل بُنيـــــانكم ينهـــــدم

عميـــلَ الشـــياطين ، لـــن أنحنـــي ... فـــرب السَّـــماء يقـــولُ: اســـتقم

وإنـــي علـــى عَهـــده قـــائمٌ ... وإن الـــدُمُوع ، كغيـــثٍ هـــزم

ولكننـــي ثابـــتٌ ، رغمهـــا ... ثبـــاتي ثبـــاتُ الجبـــال الـــرزم

ولـــي زوجـــةٌ ، لا تخـــافُ الـــردى ... لآمالهـــا حُمـــرةٌ كـــالعَنم

تُرفـــرفُ أحلامُهـــا فـــي العُـــلا ... تـــرفٌ علـــى بيتنـــا ، كـــالعَلَم

ولكنهـــا رايـــةٌ تســـتمي ... ســـموْنا بهـــا فـــي ســـماء العِظـــم

ويومـــاً تعُـــودُ لأجوائنـــا ... تُطفَـــي الهجيـــر كســـيلِ السَـــجَم

عســـى اللهُ يســـعدُ أحوالهـــا ... ويُرجعهـــا ، للفـــؤاد الشـــبم

وطفـــلانِ عِنـــدِي ، أناجيهمـــا ... بـــأن يصـــمُدا فـــي تحـــدى (إرم)

أســـلي بطفلـــيّ غِـــل الجـــوى ... ونأكـــل مـــا عنـــدنا مِـــن أدم

وأعـــدو بطفلـــيَّ عَبـــرَ النـــوى ... ولســـنا نتـــوق لِسُـــكنى الأطَـــم

وأحمـــلُ طِفـــلاي فـــوق الـــدُّجى ... علـــى رِســـلِنا ، مـــا أحيلـــى الأتـــم!

ونـــدعو - جميعـــاً - علـــى مـــن طغـــى ... بـــأن يُســـتباح ، وأن ينهضـــم

وإن طلـــــبَ المـــــوتَ لـــــم يلقـــــه وأن يَفقـــــدَ الـــــنفس ، بـــــل والنســـــم

لقـــــاء العمالـــــةِ بـــــين الـــــورى وربـــــك فـــــوقَ الجميـــــع الحَكَـــــم

فيـــــا رب انـــــت العَلـــــيم بنـــــا وإنـــــا إلـــــى عـــــادل نحـــــتكم

•• بعض معانى المفردات حسب ورودها ••

• الرنُمُ: المغنيات المجيدات. • الحمم: ما يسبق البركان من ألسنة اللهب. • يلتدم: يضطرب. • الجحم: هو اضطراب النار. • التخم: جمع تخوم وهي الحدود. • الخيم: جمع خيمة. • الشبم: البرد ، ومنه الشبم أي البردان. • الأدم: القبر. • الطسم: الغُبرة أو الظلام . • المؤتزم : الأرض. • الدلم: شيئ يشبه الحية. • الغسم: قطع من السحاب الأسود. • يرتطم: من يرتطم على فلان الأمر ، أي لم يقدر قط على الخروج منه. • يرتكم: أي يتراكم ويتراجع ويجتمع ، تقول العرب: ارتكم عليه أمره إذا تراكم واجتمع. • اللمم: جمع لمة ، وهِيَ الصاحب أو الأصحاب في السفر. • ينكثم: يحزن ويتألم. • البشم: التخمة في الطعام . • التلم: الأخدود في الارض.• الخذم: من السيف الخذم أي القاطع. •السيل السدم: أي السيل المتدفق. • الحشم: العيال والقرابة. • الطغم: هو البحر ، أو الماء الكثير. • العزم: جمع عزمة وهي أسرة الرجل وقبيلته. • الفؤم: هي الجماعة من الناس.• الأكم: جمع أكمة ، وهي التل من الحجارة. • البُهُم: جمع بهيمة وهي كل ذات أربع قوائم. • اللسم: السكون عيا لاعقلا. • البكم: الخرس. • اليهم: الجنون. • الزلم: هي سهام كانوا يستقسمون عليها في الجاهلية. • الغشم: التهور الذي يزيد عن المعقول فيصبح بغيضا. • النعم: الإبل ، الشاه. • الأصم: الحقد والحسد والغضب معاً. • الطعم: هو جمع طعمة وهي الدعوة إلى الطعام. • الحرم: جمع حرام وهو من جنس المحرمات التي حرمتها الشريعة. •الجعم: الطمع. • حشم: أي ذوو الحياء التام من الناس. • ينجذم: من ينجذم العظم أي ينكسر. • القضم: السيف. • لهم: الرجل اللهم أي الآكول. • قزم: أي قوم فيهم دناءة وقماءة وذل. • ينتثم: أي يتكلم بالقبيح. • الملم: الرجل اللئيم. • القزم: الدناءة والقماءة والخسة. • البلم: صغار السمك. • الهنم: هو نوع من أنواع التمر. • القضم: جمع قضم وهو السيف. • القدم: جمع قدوم ، وهي آلة للنجر معروفة. • الكتم: هو النبت يخلط بالحناء ويخضب الشعر به. • الأيم: جمع أيام وهو الدخان. • الأوم: من الليالى الأوم أي المنكرة. • حطم: الحطم من كل شيئ هو المتكسر في نفسه أي المتحطم. • العشم: الود والحب. • اللعم: اللعاب. • البُرم: أي الذي لايحسن الحديث أو هو الرجل غث في كلامه وحديثه. • وهم: جمع وهم ، مثل أوهام. • يرتجم: أي ركب بعضه بعضا. • الرخم: العطف والمحبة واللين معا. • الغسم: السواد. • ينجزم: من ينجزم الأمر عليه ، أي يبت فيه وينهِيَ .• الحذم: اللصوص الحذاق. • السدم: أي الهم والغم والندم والغيظ معا ، والماء السدم هو المندفق. • الأجم: الحصن أو الحصون. • اللغم: مرادف القنبلة. • الغيث الهزم: أي الذي لا يستمسك ولا ينقطع. •الرزم: مأخوذة من الجبال الرزم أي الثابتة على الأرض. • العنم: أي شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب. • السجم: الماء. • الفؤاد الشبم: البردان كناية عن الفتور. • الأدم: جمع أديم ، وهو الطعام المأدوم أي المخلوط. • الأطم: القصر أو الحصن المبني من الحجارة. • الأتم: أي الإبطاء. • النسم: نفس الروح. • الصمم: انسداد الأذن وثقل السمع. • ينجذم: ينقطع. • القذم: الآبار الخسف.

الربان والثعبان

(ربانٌ جرئ خالف اتجاه الموج ، ودفع الثمن وحده ، ولم يكن يدري أن في الشاطئ ثُعباناً هائلاً مريعاً فظيعاً. ذلك أن هذا الثعبان كان يلبس جِلدَ حمل. وعلى عادة هذا الربان أحسن الظن بالحمل في ظاهره والثعبان في باطنه ، فاعتدى الثعبان وبالغ في الاعتداء الرهيب الذي واكبَ آلاماً أخرى يعيشها الربان المسكين. وعاد الثعبان يتظاهر بأنه الحمل الوديع ، ولكن بعد فوات الأوان ، حيث انكشف للربان أمره ، فلم يعد ينخدع فيه طرفة عين. فغامر بروحه الربان ، وعاد إلى بحر الظلمات ، وعاود الإبحار في التيه ، فإذا بالعواصف العاتية ، والأمواج المتلاطمة ، وذئاب البحر التي لا ترحم ضعف مخلوق. وأخذتني قشعريرة الشعر ورعدة الحس ، فرحت أرثي الربان بهذه القصيدة ، بشيراً ونذيراً.)

أيهـــا الرُّبـــان ، هـــل تَهَـــوى القلـــقْ؟ كيـــف تمضـــي فـــي دهـــاليز الغســـقْ؟

كيـــف ترضـــى العـــيش فـــي بحـــر الـــدجى؟ أأمنـــت اليـــوم فـــي البحـــر الغـــرق؟

إنمـــا الأوهـــام نعـــشُ مظلـــمٌ لـــم تـــدعْ مـــن عُمرنـــا إلا الرَمـــق

زورقُ الأحـــــــزان أراده العنـــــــا فيـــه مـــوجٌ - فـــي الحنايـــا - ينزبـــق

إنمـــا الأمـــواجُ تُزجـــي ثأرهـــا ثـــم ترمـــي ســـيفها عنـــد العُـــرق

أيهـــا الربـــان أبصـــر مـــا جـــرى إنمـــا الـــوَهمُ - علـــى الـــوهم - انطبـــق

لا تســـلني ، أيـــن أيـــام الصِّـــبا؟ إنمـــا العـــزمُ لبلـــواك انصـــفق

حـــارَ عقلـــي فـــي مرامـــي قصـــدكم يـــا عزيـــزي ، إنمـــا النجـــوى ردق

فـــارحم القَلـــبَ ، وقـــدّرْ ضـــعفه فجـــراحُ القلـــبِ ليســـت ترتَتِـــق

قلبُـــك المِســـكين أدمـــاه الـــبَلا بَـــاتَ فـــي كهـــف الأعـــادي يرتبـــق

إن نُـــورَ الفجـــر فـــي جـــو السَّـــما قـــالَ: إنـــي اليـــومَ لا لـــن أنـــدفق

أيهـــا الرُبـــان مـــأواك الجـــوى فيـــه حُـــزنٌ كـــالجواد المُختنـــق

أنـــــت مَعـــــذورٌ علـــــى كـــــل رؤى ... لكـــــن اخـــــرج مـــــن ســـــراب المُعتنـــــق

نالـــــك الثعبـــــان ، كانـــــت فتنـــــة ... كـــــي يحـــــوز اليـــــوم ألـــــوان السَّـــــبق

فـــــي محاريـــــب تُعـــــاني يلتقـــــي ... جُعـــــلُ شـــــيطان ووغـــــدٌ مُســـــتحق

كـــم يُســـاوي الكيـــد يـــا ثعبـــان ، كـــم؟ ... كـــم يُســـاوي السُّـــم فـــي جِســـمِ البـــرق؟

كـــــم تلقـــــاك بحـــــب صـــــادق ... واحتـــــواك الملتقـــــى مَـــــدَّ الأفُـــــق!

وافترشـــــت الأرض فـــــي إيوانـــــه ... واحتـــــواك النـــــومُ مـــــن بعـــــد الأرق

واجتبـــــاك الخِـــــلُّ مـــــن بـــــين الـــــورى ... إنـــــه - فـــــي البحـــــث عـــــن خِـــــل - بَلَـــــق

ورأى الربـــــان فـــــي دنيـــــا الـــــورى ... إن مُـــــزن الصـــــحب بالغـــــدر انبعـــــق

لـــــم يكُـــــن بـــــالعَين عَيـــــبٌ ، أو أذى ... لـــــم يُصـــــبها - قـــــط - شَـــــئٌ مـــــن بخـــــق

وســـــراجُ العَقـــــل غـــــضٌ مشـــــرقٌ ... إن عقلـــــى - فـــــوق قَرآنـــــي - ارتفـــــق

وفـــــؤادي لـــــم يكـــــن ميْـــــت الـــــرؤى ... لـــــيسَ يُغريـــــه هـــــوى العـــــيش الرَمِـــــق

إنمـــــا كنـــــتَ نصـــــيبي والقضـــــا ... لـــــيس عبـــــدٌ مـــــن قضـــــا المَـــــولَى أبـــــق

أيهـــــا الثعبـــــانُ عـــــارٌ مـــــا جـــــرى ... يـــــا عميـــــل الظلـــــم والكيـــــد أفِـــــق

تنصُـــــرُ الشـــــيطانَ يـــــا مســـــتهزئاً ... أنـــــتَ فـــــي مـــــدح المَخـــــازي تبتعـــــق

لـــــو طوتـــــهُ وعكـــــة ترثـــــو لَـــــهُ ... بـــــل تبيـــــتُ الليـــــل فـــــي قَعـــــرِ الأرق

أنـــــت للشـــــيطان طوَّعـــــتَ الهُـــــدى ... أنـــــتَ بالفَرقـــــانِ كُنـــــتَ المُرتـــــزق

أنـــــتَ للضُـــــلالِ زينـــــتَ الهـــــوى ... واشـــــتريتَ الـــــدُّود حقـــــاً بـــــالحبق

أنـــــت للفُســـــاق ســـــيفٌ قاصـــــلٌ ... أنـــــتَ موســـــومٌ بوســـــمات الحَلَـــــق

أنـــتَ مـــا قُلـــت رشـــاداً أو هـــدىً ... إنمـــا تهـــذي ، وتســـعى فـــي الشـــمق

إنمـــا ســـاقوك فـــي بُهتـــانهم ... ولـــك الـــدينارُ يلـــوى كـــالوَهَق

أيهـــا الثَعبـــانُ مـــوتٌ فِعلكـــم ... ثـــم إن الســـم فينـــا قـــد شـــرق

إن بعـــض النـــارِ - فيهـــا - يَكتـــوي ... والـــذي بالنـــار يلهـــو يَحتـــرق

فـــاترُك الرُّبـــان ، واهجـــر دربـــه ... إن ثـــوب الكيـــد فـــي الـــدنيا خلِـــق

أنـــتَ للشـــيطان قـــد قدّمتـــهُ ... وحرقـــتَ الحـــقَّ فـــي قعـــر الصَـــلَق

يـــا ريـــاح الغـــدر ، فـــي وديانتنـــا ... لـــك لـــم تحفـــظ ربانـــا مُختـــرق

فاســـتريحي مـــن هُبـــوب عاصـــفٍ ... أنـــت قـــد عانيـــت مِـــن فـــرط اللحـــق

أيهـــا الثَعبـــان ، فـــارق زورقـــي ... أنـــتَ للشـــيطان توَّجْـــت المَلَـــق

إننـــي - فـــي البحـــر - كانـــت رحلتـــي ... عُـــدْ ، فلـــيس التيـــهُ يُجـــدي واللـــوق

وبـــإذن الله ، أســـمو للعُـــلا ... بعـــدَ أن ألقـــى عـــدوي يَنصـــرق

كُـــلُ لـــون فـــي النفـــاق ابتعتـــه ... وغريـــبٌ أنـــهُ لـــم يلتعـــق

كـــلُّ رقـــص أنـــت قـــد أتقنتـــهُ ... وعلـــى أحبـــال هاتيـــك الفِـــرق

كُـــلُ مـــدح للطـــواغي ، صُـــغتَه! ... فـــي تواشـــيح الطـــواغي تنفهـــق

لـــم تـــدع رُبانـــا فـــي حالِـــهِ ... ويـــحَ معتـــوهٍ مُصـــاب بالعســـق!

كيـــف خادعـــت البرايـــا بـــالتقى؟ ... مثلمـــا يَعلُـــو الســـراديبَ الغمـــق

أيهـــا الثَعبـــان ، يومـــاً تنكـــوي ... بـــاحمرار الشـــمس فـــي جـــوف الشَّـــفق

إنمـــا المِجـــداف مِـــن نُـــور السَّـــما صـــار بالتجـــديف يجتـــاحُ الرنـــق

إن أحلـــى لحظـــةٍ فـــي عُمـــره عنـــدما - فـــي البحـــر - فـــرداً ينطلـــق

لـــم يُعقـــه السُّـــم فـــي أوصـــالهِ بـــل ، يـــراه - الآن - كالطيـــب العـــذق

حيـــثُ لـــو داوى الجِـــراح عـــاجلاً قـــد يعـــوقُ الجُـــرحُ أقـــدام الهـــزق

أيهـــا المِجـــدافُ ، فلنـــنس الأذى إنمـــا يُـــردي الحِجـــا بعـــضُ الهنـــق

إنمـــا الثَعبـــان أوهِـــيَ حجـــة لا تجادلـــهُ ، إذن فـــيم القلـــق؟

إنَّ نصـــر الله مـــاح سُـــمه فاســـتعن - عنـــد اللقـــا - رب الفلـــق

أيهـــا الثَعبـــان ، إنـــي تـــاركٌ قِبلـــة الشـــيطان ، والقـــومَ الزهـــق

قـــد ســـئمتُ العـــيشَ فـــي نعمائـــه والهـــواءِ العـــذب ، والمـــاء الغـــدق

كـــم يُســـاوي المَـــرء مِنـــا إن غـــوى؟ لـــيسَ - عـــن هـــذي المطايـــا - يفتـــرق!

كيـــف أقتـــاتُ بتقـــوى خـــالقي أو بعِرضـــي؟ كيـــف قَـــل لـــي يـــا فَسَـــق؟

كيـــف أحتـــال علـــى شـــرع الهُـــدى؟ كيـــف أهـــوِي فـــي ســـعير المُنزلـــق؟

كيـــف أخشـــى إن تبنيـــت الضـــيا أن أنحّـــى بافتعـــالات العُلَـــق؟

كيـــفَ أرضَـــى سَـــلبَ هـــديي ســـاعةً؟ لـــيس لـــي - فـــي فعـــل هـــذا - مـــن عمـــق

كيـــف يحلـــو العـــيش مـــن غيـــر الهُـــدى؟ كِـــد لنـــا يـــا مَـــن خلقـــتَ مِـــن علـــق

نحـــن بالإســـلام ألجمنـــا الهَـــوى وانطلقنـــا ، فاحتوانـــا المُنطلـــق

أيهـــا الثَعبـــان خبِّـــرْ حَيّتـــك: أن دمـــع العَـــين ضـــار مُنســـحق

قَـــل لهـــا: أن النوايـــا أســـفرتْ لـــيس يُجـــدي اللـــوم شـــيئاً والحـــذق

أيـــــن كـــــان اللـــــوم أيـــــام الجَفـــــا؟ كفكفـــــي ســـــؤل التحـــــدي واللبـــــق

لـــــن أطيـــــع اليـــــوم مـــــن عنـــــي افتـــــرتْ بـــــل ، ومازالـــــت لـــــزور تختلـــــق

والوســـــيط الغِـــــر يـــــا أفعـــــى الـــــبلا لا يزيـــــد الغيـــــثَ إلا بـــــالهزق

فاتـــــكِ - اليـــــوم - بـــــأن تستفســـــري لا تثـــــوري ثـــــورةَ القـــــوم العُـــــزق

قـــــدرُ المـــــولى بـــــرئ مـــــنكمُ لا تقـــــولي مـــــن قضـــــاء منتطـــــق

إن رب النـــــاسِ مخـــــز كيـــــدَكم وضـــــعيفُ الـــــنفسِ يغشـــــاهُ الخبـــــق

فاســـــتريحي فـــــي النفـــــاق المُفتـــــرى واتُركينـــــا ، فـــــي سُـــــويداء العقَـــــق

أنـــــتِ أطلقـــــتِ اللســـــان بـــــالأذى وسَـــــرَى فـــــي الجِســـــمِ سُـــــمٌ مُـــــدّهق

قلـــــتِ فينـــــا قولـــــةً ملعونـــــةً شـــــجّعتْ مَـــــن للبرايـــــا يســـــترق

نحـــــنُ نشـــــكو لمليـــــكٍ عـــــادلٍ وسنمضـــــى لـــــيس فينـــــا مـــــن حنـــــق

أيهـــــا الثَعبـــــان قَـــــل: يـــــا طفلتـــــي أنـــــتِ فـــــي الـــــدنيا شِـــــهابٌ يحتـــــرق

قـــــد حفظـــــت العهـــــد دهـــــراً أبشـــــري ونشـــــأتِ دُرة وســـــط السُـــــقُق

أنـــــتِ قَلـــــتِ الحـــــق لـــــم تخشـــــيْ أبـــــاً مـــــا اعتـــــراك الرُعـــــب ، أو حَتَّـــــى الخـــــرق

يـــــا فتـــــاة هزهـــــا مـــــا قـــــد رأت أوشـــــكتْ أفكارهـــــا أن تختنـــــق

يـــــا فتـــــاة زادُهـــــا إخلاصُـــــها بُـــــورك الإخـــــلاصُ مـــــن طيـــــب عبـــــق!

يـــــا فتـــــاة سِـــــجنها فـــــي دارهـــــا صـــــمتكِ الشـــــهم جهيـــــراً ينفحـــــق

قـــــد رضـــــينا منـــــكِ صـــــدقاً بالـــــدعا قـــــد رفعـــــت الـــــرأس مِنـــــا والعنـــــق

نحـــنُ يـــا (زهـــراء) شـــكرٌ كلنـــا صـــدقيني: لســـتُ بـــالمرء الفـــرق

أيهـــا الثَعبـــان ، أبلـــغ صـــاحبَك أننـــا يـــا وغـــد عنـــد المُفتـــرق

قـــد ظننـــا فيـــكَ خيـــراً وافـــراً نقتـــدي بـــالخير هـــذا ، ننطلـــق

وابتغينـــا العلـــم مـــن بعـــد اللقـــا فـــإذا بـــالعلم ولـــى ، لـــم يُطـــق

وإذا بـــالنور غشـــاه الكـــرى فاتفقتـــا أننـــا لا نتفـــق!

وإذا الإفـــلاس أردى جـــذوة وإذا الهلكـــى كأشـــجار العشـــق

غيـــر أنـــي لا أبـــالي بـــالألى قـــد مضـــى توحيـــدهم مثـــل الفـــرق

لـــم يراعـــوا حُرمـــة فـــي فعلـــم والبليـــدُ الطبـــع فـــي الكبـــر انزلـــق

نـــاطح الوغـــدُ الغـــرورَ فـــانتهِيَ وإذا ناقشـــته الأمـــر انحمـــق

كـــم حمـــار غـــرَّه تنهيقـــه ويظـــن النـــاس يُعليهـــا الشـــدق!

إنمـــا يعلـــي الليـــوث عـــزهم والبعيـــر الفحـــل يُخزيـــه الطـــرق

وكـــذا يُـــرزي الحميـــر صـــوتهم أنكـــرُ الأصـــوات ، فعـــلاً ذاك حـــق

أيهـــا الوغـــد تجلببْ بالـــدجى يـــا ركامـــاً مـــن ضـــلال ينـــدلق

عكـــرتْ بلـــواك صـــفو الملتقـــى يـــا جبانـــاً فـــي لقـــا الأعـــدا فـــرق

يـــا مـــريض الـــنفس ، يـــا مســـتهتراً قـــد نصـــبت الفـــخ جهـــراً والطبـــق

كيـــف ضـــعت اليـــوم فـــي قعـــر الهـــوى؟ كيـــف مـــن ركـــب المعـــالي تنفســـق؟

دارِ بلـــوى حاســـدٍ مســـتهزئ فـــي تلافيـــف الســـحاب المنعثـــق

أيهـــا الربـــان هيّـــيء مركبـــكْ فالريـــاح الهُـــوج تهـــذي تســـتبق

والكثيب المُـــر يقتـــات الثـــرى ... فاضـــرب المجـــدافَ فـــي المـــاء الغـــدق

أنـــت مِـــن جُنـــد النبـــي المصـــطفي ... قـــد عرضـــتَ الحـــق بـــاللفظ اللبـــق

ســـوف تمضـــي الفلـــك فـــي بحـــر الســـرابْ ... ويظـــل الليـــث كـــالطير اللثـــق

اضـــرب الأوهـــام ، واكســـرْ قيـــدها ... كيـــف بالأوهـــام إنـــسٌ ينتطـــق؟

عـــانق الآمـــالَ ، واشـــربْ فرحهـــا ... كـــن قويـــاً ، لا تفكـــرْ فـــي الملـــق

واســـكب الـــذكرى بـــأرض الملتقـــى ... إنمـــا الـــذكرى لمـــن يهـــوى الرفـــق

واحمـــل الطفلـــين فـــي عـــين الوفـــا ... فهمـــا فـــي القـــوم كالنبـــت الفـــرق

وامـــنح الـــزوج عطايـــا حبهـــا ... وجميـــلٌ منـــك ألا تنفـــرق

وافتكـــر فـــي الأمنيـــاتِ ، عـــشْ لهـــا ... فعســـى الآمـــالُ أن لا تنـــدمق

أنـــت فـــي العليـــاء ، نعـــم المرتقـــى! ... كيـــف فـــي العزمـــات دومـــاً تصـــطفق؟

ســـيبوء الجمـــع بالكيـــد الـــذي ... أحـــدثوا ، والفجـــر حتمـــاً ينبثـــق

سِـــر هـــذا الليـــل أمســـى حاســـراً ... رأس كيـــدٍ لـــفّ فـــي ثـــوب الأبـــق

أنـــت مثـــل الزهـــر عـــذبٌ صـــوته ... ســـاحر الألـــوان صـــعبُ المرتفـــق

أنـــت مثـــل الحـــب حلـــوٌ طعمـــه ... إنمـــا يأســـى علـــى الحـــب الرمـــق

أنـــت مثـــل الليـــث لا يأســـى علـــى ... ســـالفات الأكـــل ، أو حتـــى المهـــق

أنـــت مثـــل الشـــعر فـــي أوزانـــه ... مجهـــد الأفكـــار ، بتـــار اللســـق

أيهـــا الربـــان ، لا تبـــك اللـــوا ... ليســـت الأخـــلاق شـــيئاً يُرتـــزق

سـابق الأمـواج واستصـفِ العنـا ... فيـك خيـرٌ ، أنـت نعـم المسـتبق!

قابـل الأحـزانَ بالقلـب الخلـيْ ... لا تقابلهـا بيـأس ، أو رهـق

كـل خلـق الله مـوزون الخطـا ... كـل شـيء بـالنواميس انتسـق

فاسـتعن بـالله يـا رُباننـا ... قـرّ عينـا ، لا يُسَـرْبلّك القلـق

تركُـكَ الأسـبابَ سـلوانُ العِـدا ... فـاتبعني ، وافـتح البـاب الغلـق

إنـك السـباح فـي بحـر النـوى ... كنـت تسـعى تنقـذ المـرء الغـرق

فـارسَ الفرسـان كـم عشـت هنـا ... تنثنـي بالـذل مـن فـوق الغـرق؟

شِـعرك المـدفون ، يومـاً يزدهـي ... أنـت - فـي الأشـعار - نبـراسٌ عـذق

أيهـا الربـان ضـاعفْ فـي الخطـا ... كيـف - قبـل السـير - أضـناك العـرق

ثـم إن الكسـر صـعب جبـرُه ... أوغلـتْ فـي الكسـر أفـواهٌ طلـق

فاحمـل القـرآن ، واقـرأ آيـه ... لا تسـوّفْ ، لا يُنسّـيك الهطـق

إنمـا الـدنيا سـرابٌ ينضـوي ... ورحيـلُ المـرء فـوق العمـر دُق

والبسـاتين التـي نلهـو بهـا ... سـوف تسـلو زائريهـا والعُشـق

فاطلـب الفـردوس ، وابـذل مهرهـا ... ثـقُ بنصـر الله يـا ربـان ، ثـق!

إن نصـف العمـر ولـى مـدبراً ... ثـم إن القبـر بالـذكرى نطـق

فعـلام القلـب يحيـا ذابـلاً ... واجمـاً؟ بوركـت مـن قلـب شـنق!

اغضـض الصـوت ، أيـا رُباننـا ... إن جـوف الصـمت هـذا مسـترق

عنـــــد مـــــولاك ســـــتعطى جنـــــة ... فـــــي ســـــبيل الخلـــــد فلـــــيمض الحـــــدق

واحـــــذر النســـــوان ، كـــــن مستعصـــــماً ... آفـــــة الـــــدنيا النســـــاوين الحُمُـــــق

زينـــــة النســـــوان فـــــي درب الهُـــــدى ... غـــــادة الإيمـــــان تُـــــزري بـــــالحلق

قـــــل لأربـــــاب الـــــدجى أهـــــل الهـــــوى: ... إننـــــي ودعـــــتُ هاتيـــــك الخِلـــــق

صـــــاح إن القـــــوس يُمنـــــى فـــــارس ... لـــــن تـــــزول القـــــوس حتـــــى تنشـــــرق

دار بالأشـــــــعار مـــــــا جرّحتـــــــه ... إن شِـــــعر الصـــــبر فِضـــــيٌ يَلـــــق

ثوبُـــــك التقـــــوى ، فـــــلا تعـــــدلْ بـــــه ... أي ثـــــوب مـــــن ضـــــلال أو خِـــــرَق

وســـــبيل الله مِفضـــــالٌ ، فـــــلا ... تنحـــــرفْ عنـــــه لمـــــال ، أو وَرِق

شِـــرعة الحـــق نـــأت عـــن دارنـــا ... حبســـتْ عنهـــا ، فمأواهـــا الـــورق

فـــانتهج نهـــج الرســـول المجتبـــى ... واعتـــزل يـــا صـــاحبي كـــل الطـــرق

لـــن تضـــارّ اليـــوم مـــن كيـــد العـــدا ... فلمـــاذا فـــي الخطايـــا تنطلـــق؟

واحمـــد المـــولى ، وحقـــقْ دينـــه ... وامـــلأ القلـــب تقـــىً حتـــى يـــرق

وعلـــى المختـــار صـــلي ربنـــا ... طالمـــا حـــل نهـــارٌ أو غســـق

•• بعض معانى المفردات الصعبة ••

• الغَسق: ظلمة أول الليل. • الرمق: بقية الحياة. • ينزبق: مأخوذة من ينزبق في البيت أي يدخله. • العرق: جمع عراق وهو شاطئ البحر. • ينصفق: ينصرف. • ردق: هو ما يخرج من بطن المهر قبل الأكل. • يرتتق: من يرتتق الجرح أى يلتئم. • يرتبق: من يرتبق الظبى أي يقع في الفخ. • البرق: الحمل. • الأنق: الفرح والسرور. • يبلق: من بلق فلان أي تحير. • ينبعق: من ينبعق

المزن (السحاب) بالمطر أي يفيض به. • البخق: هو أقبح العور. • يرتفق: أي يتكئ على مرفق يده. • العيش الرمق: أي الذي فيه شئ يذكر من النعيم. • يبتعق: من يبتعق في الكلام أي يندفع فيه. • الحبق: نبات طيب الرائحة. • الشمق: أي النشاط أو مرح الجنون. • الوهق: حبل تؤخذ به الدابة. • الصلق: القاع الصفصف. • مخترق: من مخترق الرياح أي مهبها. • اللحق: الشئ الزائد عن حده. • الملق: الود واللطف. • اللوق: الغباء. • ينمرق: يخرج خروجا تاما. • يلتعق: من يلتعق اللون أي يتغير. • ينفهق: ينفهق في الكلام أي يتوسع فيه. • العسق: الالتواء وضيق الأفق. • الغمق: ركوب الندى الأرض. • الشفق: هي الحمرة في الأفق من الغروب إلى العشاء الآخرة. • الرنق: الكدرة التي تصيب الماء. • العذق: الطيب العذق: أي الطيب الزكي. • الهزق: النشاط. • الهنق: شبه الضجر يصيب الإنسان. • الفلق: الصبح أو الفجر. • الزهق: جمع زاهق وهو اليابس أو هو الرجل المنهزم. • الفُسق: من قول العرب يا فُسق: أي يا أيها الفاسق ، والرجل الفسق هو دائم الفسق. • العلق: المنايا والمصائب. • دمع منسحق: أي غزير. • الحذق: اللبق والذكاء والكياسة. • الهزق: الرعد الشديد. • القوم العزق: سيئو الأخلاق. • قضاء منتطق: أي عزيز قوي. • الخبق: التحقير. • العقق: الانشقاق. • سم مدهق: أي معتصر. • الحنق: شدة الحقد والكراهية. • النُطُق: نواح من جبال بعضها فوق بعض. • السقق: المغتابون أي الذين يغتابون الناس. • الخرق: الدهش من خوف أو حياء. • ينفحق: من ينفحق في الكلام أي يتوسع فيه. • الرجل الفرق: أي شديد الفزع. • أشجار العشق: نوع من الشجر تلتف أوراقه فوق بعضها البعض. • السبق: هو الجُعل يوضع أهل السباق . • الحلق: هي الإبل الموسومة بوسمة معينة. • ينحمق: ينفعل. • الغدق: هو الماء الكثير. • المسترق: الضعيف الخلق والمستمع متخفياً. • الفَرَق: هو ضعف في ركبتي البعير. • يندلق: أي يخرج من مكانه. • فرُق: رجل فرق أي هلعه له جبلة وطبيعة. • طير لَثِق: أي مبتل بالماء أو الندى. • الرجل الملق: الضعيف. • النبت الفرق: أي الصغير الذي لم يغط الأرض. • يندمق: أي يزول من مكانه. • يصطفق: من تصطفق الأشجار: أي تهتز بالريح. • الأبق: هو نوع من الكتان. • المرتفق: أي الواقف الثابت الدائم. • الرمق: الفقراء شديد الفقر. • اللسق: لصوق رئة البعير بالجنب من العطش. • الرهق: السفه والطيش وغشيان المحارم وركوب المعاصي. • ينتسق: ينتظم. • الباب الغُلق: أي المغلق. • الغهق: الطويل من الإبل. • عذق: رجل عذق أي فصيح لبق. • الهطق: سرعة المشي. • العشق: الذين يصلحون غروس الرياحين. • قلب شنق: أي مشتاق طامح إلى كل شئ. • الحدق: الباذنجان. • تنشبق القوس: تنكسر. • اليَلق: هو الأبيض الناصع. • النساء الحُمُق: أي قليلات العقل وحسن التصرف.

القصيدة العمرية (حبيب القلوب)

(كتب الشاعر حافظ إبراهيم قصيدته العمرية ، يُهديها للفاروق عمر بن الخطاب – رضي الله تعالى عنه -. وأذكر أنني عارضت قصيدة حافظ إبراهيم (العمرية) ، وكنت أسميت قصيدتي (نهج العمرية) على غرار (نهج البردة). وكنت تناولت تفصيل ما أجمل حافظ عن عمر في مسألة موافقته للقرآن. وإن لم تكن قصيدتي على ذات المستوى الراقي الذي صاغ عليه حافظ قصيدته ، فإنه يبقى لي شرف المحاولة. واليوم أكتب (القصيدة العمرية) أهديها لولدي الثالث الذي أسميته (عمر الفاروق) ، تيمُناً بأن يكون مثل عمر بن الخطاب ، رحمة وعدلاً وقوة لهذي الأمة التي تحتاج في زماننا هذا إلى عمر كعمر ، أكثر من أي زمان قد مضى. وهذه العمرية تختلف وزناً وقافية ومضموناً عن عمرية حافظ! وإن وافقتها في العنوان. وإن هو إلا السير على منوال المتبحرين في الشعر رجاء أن نكون مثلهم في المحافظة على تراث أمتنا ولغتها لغة القرآن. إنها هدية وليدى الثالث ، وذلك بعد ما يقارب فعلاً الشهرين والنصف من يوم ولادته. وأنا اليوم إذ أكتبها ، فإنما أكتبها تعبيراً عن خالص حُبي وأشواقي وحناني ، وكنتُ قد أسميتها – القصيدة العمرية – وهي وإن تشابهت حقاً في الاسم بعُمرية حافظ إبراهيم ، إلا أن عمرية حافظ أفضل بكثير كما أسلفنا. وإنما أسميتها العُمرية نسبة إلى اسم الوليد – عمر الفاروق – وذلك تيمناً بأن يكون كعمر الفاروق – رضى الله عنه – وتمييزاً له عن كل عُمر في الأرض – كان ويكون وسيكونُ – إلى قيام الساعة. وأسأل الله أن يجعله مثل أمير المؤمنين عُمر الفاروق – رضي الله تعالى عنه -. ويرجع السبب في ذلك أنني اعتدت أن أسمي كل مولود يولد لي يوم سابعه ، وأعق عنه في ذات اليوم إن تيسر. وتكون الأيام التي تسبق اليوم السابع للمشاورات والمداولات والاقتراحات. فاقترحتْ أمه أن نسمي المولود عمر. فقلت: إذن يتشابه مع فلان وعلان ، وذكرت اسميْن لممثليْن رقيعين واسماً ثالثا لعازف جيتار هلك في الدهر! فعقبتِ الأم قائلة: وما لنا وهؤلاء؟ بل نسميه عمر ليكون كعمر بن الخطاب. فقلت: هكذا يكون الكلام. وانتويت أن أسميه (عمر الفاروق). وأعلنت أنني إذا وافقت لي الجهات المعنية بتسجيل المواليد على هذا الاسم ، فإنني سوف أمضيه وأقره. وإن هم عارضوا فسوف أختار اسماً آخر. وخضتُ حرباً ضروساً ليكون اسمه (عمر الفاروق) هكذا ليكون مميزاً. وبتوفيق الله وحده تم الأمر. وأذكر أننا سعدنا بهذه التسمية جداً حتى ليمكن تسميتها بالإنجاز العظيم. ذلك أن التسمية مما يُسأل عنه الأب ، وهي على ذلك من حقوق الابن على أبيه! وإن كان اسم (عمر الفاروق) قد أغناه أصلاً عن اسم أبيه! حيث إن أبناءه من بعد: (عبد الله – عبيد الله –

عبد الرحمن – عاصم - حفصة) ، وإذن فكلها أسماء لا تحتاج إلى اسم الجد بعد ذلك! بل اسم الابن أو الابنة مقترناً بالأب ، وكفي به شرفاً عظيماً! وكفي به نسباً ضارباً في أعماق السؤدد والكرامة والفخر! وأذكر أن رجلاً من أشراف (رأس الخيمة) لما سأل عمر يوماً ما اسمك يا بني؟ فأجاب: عمر الفاروق! فعقب الرجل قائلاً: أهكذا اسمك؟ فقال عمر: نعم. فقال الرجل: إياك أن تسئ إلى هذا الاسم يوماً! ودعا له بخير. وعموماً المسألة لا تقف عند الاسم ، بل ماذا حقق صاحب الاسم من حقيقة اسمه؟ هل اقتفي أثر (عمر الفاروق)؟ هل حرص على أن يكون مثله ديناً وسمتاً وهدياً؟!)

سَـــعد اليَـــرَاعُ ، وقـــد بـــدا يتـــرنمُ ولمحـــتُ فـــي عينيـــه نـــوراً يبسُـــمُ

والبُشـــريات - اليـــوم - زُفـــتْ والهنـــا وتكـــاد - مـــن فـــرط الهَنَـــا - تَـــتَكَلم

والقلـــب تَغمُـــرُهُ الســـعادةُ ، والهـــوى والـــروح داعبهـــا الجمـــالُ الجَـــيلَم

والـــنفسُ - فـــي الأفـــراح - تقضـــي عُمرهـــا ولهـــا أريـــجٌ بالحفـــاوة مُـــؤدم

وغـــزا القـــريضُ طـــويتي وقريحتـــي أمـــا الضـــمير ، ففـــي صـــداهُ مُتـــيّم

ذي بهجـــةٌ ســـادت ، ودارٌ أســـرجتْ بســـنا الحُبـــور ، وعزمتـــي تَتَنَسَّـــم

اللهُ أكبـــرُ يـــا يراعـــةَ صـــوّري فصـــغيرنا الفـــاروق مَـــن يتقـــدم

هـــاتي القـــريضَ ، رطيبـــة نغماتُـــه إن الفـــؤاد - علـــى الصَّـــفا - يتـــنغم

واستنشـــقي الأوزان عبـــر بُحورهـــا إن اللحُـــون علـــى الـــرويّ تُخـــيم

وتَعَطـــري بالشـــعر ، إن أريجـــهُ ذهـــبٌ ســـبيكُ الحُســـنِ ، أو هُـــوَ أقـــوم

وضـــعي- علـــى الألفـــاظِ - أنقـــى بهجـــةٍ إن الطَيُـــوف لوقعهـــا تستســـلم

مـــن كُـــل طيـــفٍ ، فاســـتعيري نفحـــةً فالشـــوق - فـــوق رحيقهـــا - يتهيـــنم

وعلـــى بريـــق الحُـــب طيـــري للمُنـــى واســـتمطري الأطيـــار دُراً يُقـــدم

أنـــا يـــا عُيُـــون الشـــعر ثـــاوٍ دائمـــاً ... واليـــوم يَغمرنـــي الســـرورُ الحنـــدم

وأمـــازح الأطيـــاف فـــي شـــعر الهَنـــا ... وأدلـــلُ الآفـــاق ، لا أَتَكـــتم

هـــذا الوَليـــدُ وديعـــةٌ أودعتهـــا ... عنهـــا سيســـألني المَليـــكُ المُـــنعم

جـــاءت فغـــرّد خـــاطري ، وجـــوانحي ... إن السُّـــرور بهـــا لـــنعم المَغـــنم!

وتخَلّلـــتْ رُوحـــي بكـــل لطيفـــةٍ ... كـــان الفـــؤادُ بمثـــل هـــذا يحلُـــم

حتـــى إذا أضـــحَى خيـــاليَ واقعـــاً ... نقشـــتْ قراطيســـي ، وفـــاض المَـــرقَم

عُمريـــةَ زَهـــراءُ ، يلمـــعُ وجهُهـــا ... وجبينُهـــا ، والشـــعرُ أســـودُ فَســـحُم

والعِطـــرُ فيهـــا شـــهدُها ورضَـــابُها ... والثغـــرُ مـــن أعماقـــه يتبســـم

مَعسُـــولةَ ألفاظَهـــا ، ورموزهـــا ... ويُزيـــلُ حُـــزن الـــنفس رَمـــزٌ مُـــبهم

هـــي غَصَّـــةٌ فـــي حلـــق كـــل مُخـــذل ... مـــن عاشـــر الحَمقـــى إذن لا يســـلم

والمـــرءُ يشـــكو لِلمُهـــيمن مَـــن طغـــى ... إنـــي أقَـــولُ الحـــق لا أتـــوهم

ولكـــل مظلـــوم ســـتأتي ســـاعةٌ ... يتجـــرع الظَلَـــمَ البغـــيضُ الأظلـــم

يـــا أيهـــا الفـــاروقُ تِلـــك تحيتـــي ... سَـــطرتُها شِـــعراً ، يجـــودُ ويُكـــرِمُ

يـــا باســـماً فـــي المهـــد تشـــرح خـــاطري ... والصَّـــوت أبلـــجُ ، والفتـــى يتـــرنم

دُنيـــاك قـــد مُلئـــتْ بشـــر قاصـــلٍ ... وعلـــى جَحـــيم ضـــلالها تـــتجهم

وهُـــدى الإلـــه فغائـــبٌ ، ومُغيـــبٌ ... والشـــرُّ مقـــرورٌ ، وعـــاش الخُـــوم

ومضـــت - علـــى رغـــم الأنـــوفِ - بَـــداوةٌ ... ومضـــت (قَـــريشٌ) ، ثَـــم زالـــت (جُـــرهُم)!

وشـــريعةٌ مـــن عـــالم الـــدُنيا مَضـــتْ ... والباطـــلُ الممقـــوتُ بعـــدُ مُحَكّـــم

والـــــدارُ تشـــــكو حالهـــــا ، ومرارهـــــا ... وجحيمهـــــا ، والعـــــيشُ فيهـــــا علقـــــم

فـــــرش الشـــــقاءُ عبـــــاءةً دمويـــــةً ... فـــــوق الأنـــــام بهـــــا ، وقـــــد جـــــف الـــــدم

والمُخلـــــص المِعطـــــاء أمســـــى خائنـــــاً ... والخـــــائن الغـــــدارُ ، هـــــا هـــــو قـــــيّم

يـــــا ليـــــت شِـــــعري ، والحيـــــاة كئيبـــــةً ... وبكـــــل نـــــارِ عـــــذابها تتضـــــرم

كيـــــف الســـــبيلُ إلـــــى إعـــــادة شـــــأنها؟ ... إن الخطـــــوبَ بهـــــا غـــــدت تتضـــــخّم

عجبـــــاً أيســـــمو الهـــــرُّ فـــــي هـــــذي الـــــدنا ... فـــــي حـــــين ينتحـــــر الأبـــــيّ الضـــــيغم؟

عجبـــــاً ، أيبتســـــم الخليـــــعُ حياتـــــهُ ... والحُـــــرُّ - فـــــي آلامـــــهِ – يـــــتحطم؟

عجبـــــاً ، أيغـــــدو العَبـــــد فيهـــــا ســـــيداً ... والحُـــــرُّ - فـــــي رق العُبُـــــودةِ – يُقحَـــــم؟

عجبـــــاً ، ينـــــامُ الوغـــــدُ فيهـــــا آمنـــــاً ... وتـــــرى المُوحّـــــد - فـــــي الشـــــقا – يـــــتحمحم؟

ويُـــــدانُ مَـــــن والاهُ ، رغـــــم بـــــراءةٍ ... ويُبـــــرئُ العـــــادين فيهـــــا المُجـــــرم؟

وغـــــدت حيـــــاةُ العِـــــز فيهـــــا مُـــــرةً ... أمـــــا حيـــــاةُ الـــــذل ، فهْـــــي الأعظـــــم

يـــــا أيهـــــا الفـــــاروق ، هـــــذي فِتنـــــةً ... وفئامُنـــــا - فـــــي نارهـــــا - تتبـــــرَّم

وأبُـــــوكَ - فـــــي هـــــذي الـــــدنا - مُتحيـــــرٌ ... وكمـــــا تـــــرى فـــــي ضـــــيقه يتـــــألم

ويَبيـــــتُ - فـــــي أســـــقامهِ - مُـــــتململاً ... وتـــــراه فـــــي أناتـــــه يتلعـــــثم

يبكـــــي الفضـــــيلةَ والهدايـــــة والتُقـــــى ... والعـــــزم أبكـــــمُ ، والعُـــــرَى تتـــــأزم

لكننـــــي فـــــي يـــــومِ مَولـــــدك انبريـــــ ... ـــــتُ لكُربتـــــي ، فلـــــك المقـــــامُ الأعظـــــم

وفلقـــــتُ هامـــــةَ مِحنتـــــي بضـــــراوةٍ ... واستبشـــــرَ القلـــــبُ الـــــذي لا يســـــأم

وطفِقـــتُ أشـــكرُ ربنـــا ، ثـــمُ التـــي حملتـــك فـــي الأحشـــاء يـــا ذا الهيـــثم

أمٌ وربِّ النـــاس لـــم أر مِثلهـــا تحنـــو علـــى الأطفـــال ، لا تـــتجمجم

أمٌ ، وربـــك فيـــك عانـــت ، واشـــتكتْ ولكـــم رأيـــت طَيوفهـــا تتهشـــم!

ورأيـــتُ مـــن آلامهـــا ، مـــا لـــم يـــدُرْ بخيـــال مَـــن يـــدري ومَـــن يـــتفهم

أســـميتُك (الفـــاروق) بعـــد تـــردد وبـــرغم أنـــك فـــي فِراشـــك أعجـــم

لكنمـــا لُغـــةَ علـــى شـــفتيك نشـــ ـــوى ، أنـــتَ فيهـــا مُفصـــحٌ مُـــتكلم

مِـــن أنـــك المِغـــوار مـــذهبُك التقـــى ولـــكَ الحُســـام ، كـــذا الجـــوادُ الأدهـــم

والعـــزَّ فيـــك سَـــجيةَ عُمريـــةَ والـــدِّرةُ العَصـــماء ، لا تـــتحلم

لكنهـــا تقـــتص دُون تشـــاور وبهـــا يَـــزول تَظَلـــمٌ وتبـــرم

ويمينُـــك الفَضـــلى تُزخـــرف دِرةً ووراءهـــا (الفـــاروقُ) راع أحـــزم

إنْ يُـــذكر الفـــاروقُ يُـــذكرْ عدلُـــه فالعـــدلُ - فـــي أفعالـــه - يتجســـم

إنْ كنـــت أنســـى لَســـت أنســـى يـــوم عـــ ـــزّ الحَـــق بالفـــاروق ذاك القَـــيِّم

نصـــرَ الحنيفـــةَ ، لـــم يكُـــن مُتخوفـــاً وتحققـــتْ للمُســـلمين مهابـــة وتغـــنم

وكـــذا أريـــدك للحنيفـــة نصْـــرَها كُـــن مثلـــهُ ، يـــا أيهـــا المُتبســـم

لا يصـــرفنْك اللـــينُ عـــن نصـــر الهُـــدى واحمـــل حُســـاماً ، قـــد كـــواني المِـــرقمُ

إن كنـــتَ يـــا ولـــدى لبيبـــاً ، فانتبـــه فالســـيفُ يرهبـــهُ المُضـــلُّ الأرقـــم

يـــا أيهـــا الفـــاروق عِـــزكَّ مـــأملى وصـــلاح أمـــركَ ذاك عنـــدي المَغـــنم

وحّـــدْ إلهـــكَ ، كُـــن حنيفـــاً مُســـلماً لا ألفينـــكَ - فـــي الـــورى - تتمســـلم

وادرُس حنيفتكَ العظيمةَ ، إنها ... زادُ الفتى ، إن حل يومٌ أيْوم

وأراك بالتوحيد في الدنيا الفتى ... وإن اعتراك الفقر إنك أحلم

فاصبر على فقر يُريدك مُشركاً ... أو جاهلاً هو في الضلالةِ قشعم

واصمُد إذا ضل الورى دربَ الهُدى ... واربأ بنفسك أن يُذلك درهم

واشمخْ بأنفك عن تنفس باطل ... فتنفَسُ التضليل بِئس المَعلم!

إن الحياةَ رخيصةَ ، لا تُغلها ... وغنيّها ماض ، ويمضي المُعدم

يا مَعقد الآمال ، يا عُمر الفدا ... إني الحروفُ ، وأنتَ شعراً تنظم!

والشعر هذا ، أنت قد فجرتهُ ... عبر اليراع ، فداعبتْهُ الأنجُم

فتهللتْ أعطافُه بِشراً ، وأحيا ... صحوتي ، بوركت يا ذا البُرعم

أفدي أبا حفص بروحي قانعاً! ... بصراحتي وعزيمتي نطق الفم

ولهُ أحبّرُ في القريض محبتي ... حتى يَهيم بما كتبت الهُوم

واللهَ أسأل أن يُعز الدين بالـ ... ـفاروق ، هذي دعوةٌ تتنسم

إني أعيذك أن تكون مع الغُثا ... لقد اشترى دين الغُثاء الديلم

وأذاقَهم في الأرض ألوان الشقا! ... وكذا العَذابُ على الغُثا يتردم

لك مَوتةً - بالرغم - سوف تموتُها ... فاعمل لآخرةٍ تَسودُ ، وتسلم

أنا يا بُني أريد مِنكَ ترفّعاً ... عن هذه الدُّنيا ، فدربكَ أعظم

مُت في سبيل الله تلك وصِيتي ... وكن الأبيَ إذا الأنام استلأموا

أرخـــــصْ حَيَاتَـــــكَ للإلـــــهِ تقرُّبـــــاً ... وكـــن البصـــيرَ ، وإنْ رفاقَـــك قـــد عمُـــوا

لا تكـــــتمن الحَـــــقَّ خشـــــيةَ ظـــــالم ... فـــــالحقُ عنـــــد رجالـــــه لا يُكـــــتم

والمـــــوتُ أفضـــــلُ مـــــن حيـــــاةِ مذلـــــةٍ ... وعلـــــى فـــــوات الفِلـــــس نـــــذلٌ ينـــــدم

لا تصـــــحبن الغِـــــرَّ تلـــــك بَليـــــةَ ... لا يُخـــــرب الإنســـــانَ إلا الخُـــــوم

إن لـــم تجـــد فـــي النـــاس إلا مُعرضـــاً ... أبـــداً ، وعـــمّ الكـــونَ جهـــلٌ أســـحم

وقـــد اســـتحل القـــومُ كـــل مُحـــرّم ... واســـتعذبوا الســـوآى ، فعَـــمّ المـــأثم

وتـــرنح الشـــيطانُ فـــي دنيـــا الـــورى ... والنـــاسُ عـــن هَـــدْي المُهـــيمن أحجمـــوا

وتنكـــــر الأقـــــوام حتـــــى للحيـــــا ... وإذا نـــــذيرٌ دلهُـــــم ، لـــــم ينـــــدموا

وتمرغـــوا فـــي الوحـــل دون غضاضـــةٍ ... وأعِـــدّ فـــي وجـــه التقـــاة الصـــيلم

فارحـــلْ عـــن الأرض التـــي فيهـــا الأذى ... فالـــذلُّ والمـــوتُ المُحقـــق تـــوأم

فـــإذا مُنعـــت مـــن الرحيـــل فـــلا تهـــن ... فـــالكرب يُفرجـــه القـــويُّ المُـــنعم

دارُ المُقامـــــة ، يـــــا بنـــــي عزيـــــزةٌ ... ولمـــن تقـــاعس فـــي الحضـــيض جهـــنم

عِـــش للحنيفـــة ، أنـــت ضـــيفٌ راحـــلٌ ... يـــدعوكَ للأخـــرى الكِتـــابُ المُحكـــم

أنـــا قـــد نصـــحتك ، والمُهـــيمن شـــاهدٌ ... والقـــدوة المثلـــى النبـــيُ الأكـــرم

صَـــلّى عليـــه اللهُ مادامـــتْ سَـــما ... وأبـــوك بالتـــذكير هـــذا يَخـــتم

وإلـــى لقـــاء عنـــد ربـــك ، يـــا فتـــىً ... والله يحفظَنـــا بـــه ، ويُســـلم

واللهَ أســـأل أن يعُيـــذك فِتنـــةً ... عمّـــت بقـــاع الأرض ليســـت تَـــرحم

تقاسيم بين الغموض والبيان

(الشعر الحقيقى هو الذي يستعين بالخيال ليبين الواقع. فليس الشعر الذي يغرق قائله في الرمز يؤدي ذات المهمة ، كما أنه لا يضرب على ذات الوتر! وفرق ما بينهما كالفرق بين الحي والميت! والأصل أن الخيال مطلوب في الشعر ، بل هو من الفوارق التي تفرقه عن النظم! ولكن عندما يكون الغموض والإيغال في الخيال هما السمت الغالب على شعر ما فليس له بذلك من غاية!)

واهـــاً لشـــعر للعُـــلا مشـــتاقِ ... أمســـى يُكابـــد لوعـــة الأشـــواقِ

يحيـــا ، وفـــي آمالـــه آلامُـــه ... يبكـــي رحيـــل مكـــارم الأخـــلاق

وعيونـــه شخصـــتْ تُرَجّـــع ماضـــياً ... وتألمـــتْ مِـــن دامـــع الإطـــراق

وجـــوانحُ الأوزان أضـــناها الجـــوى ... فتســـربلتْ فـــي لوعـــة الإشـــفاق

حتـــى القـــوافي تســـتعيد بكاءهـــا ... والـــدمعُ أطفـــأ لمعـــة الأحـــداق

وعَـروضُ شـعري فـي الكـروب مُجنـدلٌ ... فمتـــى يُعـــانق فرحـــة الإطـــلاق؟

وثـــوى البيـــانُ لمَـــا يُعـــاين مـــن أســـىً ... والبـــؤسُ يقتـــل هِمـــة المشـــتاق

وطغـــى الغمـــوض علـــى القصـــائد غاصـــباً ... دُرر البيـــان ومحتـــوى الآفـــاق

وعلـــى تقاســـيم الكـــروب وجـــدتني ... أبكـــي علـــى شـــعر الهُـــدى الـــدفاق

يـــا شـــمسَ شـــعري أشـــرقي وامحـــي الـــدجى ... أم خـــاف وهْجُـــك زهـــوة الإشـــراق؟

يـــا زهـــرة الأشـــعار فـــوحي بالشـــذى ... أو بـــالأريج الزاهـــر الرقـــراق

يـــا شـــعرُ شـــنّف بالجمـــال مســـامعاً ... ترنـــو إليـــك بلهفـــة العُشـــاق

واخـــرج إلـــى خلـــق المليـــك مبينـــاً ... درب الهُـــدى وشـــريعة الخـــلاق

واحطِـــمْ قيـــودك باليراعـــة ، إنهـــا ... قلِـــتِ الإقامـــة فـــي لظـــى الأوراق

ودع البيـــان يبيـــد بـــأس غَموضـــها ... ليكـــون مـــا تُزجـــي علـــى الأبـــواق

واجعـــل رويّـــك للأنـــام شـــرابَهم ... عطـــش الـــورى ، والشـــعرُ نعـــم الســـاقي!

أم إبراهيم

(أخت يمنية مؤمنة لا نزكيها على الله. أوذيت في الله بما دعت فاحتسبت وصبرت. فرحت أحييها وأوصيها وأنصحها. وأعلم أن الابتلاء في دار الغربة عسير على النفس عنه في الوطن بين الأهل والخلان. ولقد كان بلاء هذه الأخت شديداً وعاتياً ، للحد الذي لا أتخيل أن تطيقه الجبال الرواسي. ولكن التي تحاضر في الأخريات ، وتعظهن وتنصحهن في الله ، أحرى بأن تصبر ، وأجدر بأن تتجلد للمصائب والكوارث. والحمد لله الذي قيض لها ولأبنائها من الصالحين من يذلل لها العسير ، ويهون عليها المصاب بعد الله تعالى. فمن متصدق ، ومن ساع في الأوراق والوثائق الرسمية ، ومن متنازل عن حق عندها ابتغاء وجه الله الكريم. قَالَ أَبُو عُمَرَ ابْنُ النَّحَّاسِ وَقد ذَكَرَ الإمام أَحْمَدَ يَوْمًا فَقَالَ: "رَحِمَهُ اللَّهُ ، فِي الدِّينِ مَا كَانَ أَبْصَرَهُ ، وَعَنِ الدُّنْيَا مَا كَانَ أَصْبَرَهُ ، وَفِي الزُّهْدِ مَا كَانَ أَخْبَرَهُ ، وَبِالصَّالِحِينَ مَا كَانَ أَلْحَقَهُ ، وَبِالْمَاضِينَ مَا كَانَ أَشْبَهَهُ ، عَرَضَتْ لَهُ الدُّنْيَا فَأَبَاهَا ، وَالْبِدَعُ فَنَفَاهَا". وَقَالَ الْمَيْمُونِيُّ: "قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ بَعْدَمَا امْتُحِنَ أَحْمَدُ ، وَقَبْلَ أَنْ يُمْتَحَنَ: يَا مَيْمُونِيُّ ، مَا قَامَ أَحَدٌ فِي الْإِسْلَامِ مَا قَامَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ. فَعَجِبْتُ مِنْ هَذَا عَجَبًا شَدِيدًا ، وَذَهَبْتُ إِلَى أَبِي عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ ، فَحَكَيْتُ لَهُ مَقَالَةَ عَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ ، فَقَالَ: صَدَقَ ، إِنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ – رضي الله عنه - وَجَدَ يَوْمَ الرِّدَّةِ أَنْصَارًا وَأَعْوَانًا ، وَإِنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْصَارٌ وَلَا أَعْوَانٌ". وَقَالَ هِلَالُ بْنُ الْعَلَاءِ الرَّقِّيُّ: "مَنَّ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ بِأَرْبَعَةٍ: بِالشَّافِعِيِّ ، فَهِمَ الْأَحَادِيثَ وَفَسَّرَهَا ، وَبَيَّنَ الْمُجْمَلَ مِنَ الْمُفَسَّرِ ، وَالْخَاصِّ مِنَ الْعَامِّ ، وَالنَّاسِخَ مِنَ الْمَنْسُوخِ ، وَبِأَبِي عُبَيْدٍ عَرَفَ الْغَرِيبَ وَفَسَّرَهُ ، وَبِيَحْيَى بْنِ مَعِينٍ نَفَى الْكَذِبَ عَنِ الْأَحَادِيثِ ، وَبِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ثَبَتَ فِي الْمِحْنَةِ ، ولَوْلَا هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةُ – بعد الله تعالى - لَهَلَكَ النَّاسُ". انتهى من "البداية والنهاية". وفي تعزية له لأختٍ مؤمنةٍ ابتليتْ في الله ، يقول الأستاذ محمد المنجد ما نصه: (تعلمي ، يا أمة الله ، أن على العبد أن يحسن الظن بربه ، والتوكل عليه ، وينظر في حاله مع ربه ، وما يرجوه عنده من الأجر والمثوبة ، والكفارة ، ثم لا عليه بحال فلان أو فلان ، صغير أو كبير ؛ فإن خفايا الأحوال ، وما في قلوب العباد ، لا يعلمه إلا رب العالمين. فمن يدري ؛ رب صغير القدر ، ضعيف الحال ، مسكين ، منكسر بين يدي أرحم الراحمين: له من الحال عند رب العالمين ، ما يغبطه عليه الأئمة العالمون! ألم تعلمي ، يا أمة الله: (أَنَّ لِلَّهِ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ ، وَلَا شُهَدَاءَ ، يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ ، وَقُرْبِهِمْ أَوْ قُرْبَتِهِمْ - شَكَّ ابْنُ صَاعِدٍ - مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ)؟! وإننا لنرجو من الله: أن يرزقك البصيرة في دينه ، وحسن الظن به تبارك وتعالى ، وحسن الرجاء فيه ، والتعلق برحمته وفضله ومنه. وإننا لنرجو لك يا أمة الله ، بما أنت فيه من الصبر والرضا والاحتساب ، أن تكوني بمقام جليل ، ومحل كريم عند الله ، ونرجو الله أن يعظم لك الأجر ، ويحط عنك الوزر ، ويرفع عنك البلاء ، وقد قال سبحانه: (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) ، قال الأوزاعي: "ليس يوزن لهم ولا يكال ، إنما يغرف لهم غرفاً"."تفسير ابن كثير". فهذا بلاء من يصبر عليه يوف أجره يوم القيامة).هـ. والحقيقة أن صبر (أم إبراهيم) كان قد فرض نفسه على قلمي ، فكانت هذه القصيدة ترجمة حية لهذا الفرض! ورأيتني ألهج بالمطلع ثم بالأبيات التي تليه ، بلا أدنى رويةٍ أو تفكير! وقلت لنفسي: قد يواسيها صاحب المال بالمال ، ويواسيها صاحب الجاه بالجاه ، ويواسيها صاحب الرأي بالرأي ، ويواسيها صاحب الحكمة بالحكمة! فإذا كان ذلك

كذلك ، فلماذا لا يواسيها صاحب الشعر بالشعر؟ إنه جهد المُقِل ، وشعره في المواساة تلك هو لون من ألوان الإعذار إلى الله تعالى! فكأنه يُشهد الله تعالى أن صاحبه أي (الشاعر) ليس يملك إلا هذا ، ولو كان يملك سواه لواساها به في مصابها! والله يقول الحق وهو سبحانه يهدي السبيل!)

عهـــــدتُكِ - بـــــين الـــــورى - ســـــيدةْ ... تســـــوق الـــــوداد لـــــك الأفئـــــدةْ

ويحتـــــرمُ الكـــــل فيـــــك المَضـــــا ... ولـــــينَ عريكتـــــكِ المُوقـــــدة

تجـــــوبين هـــــذي الـــــديارَ ضـــــحىً ... وبعـــــد الظهيـــــرة فـــــي مَجلـــــدة

وإن جـــــنّ ليلُـــــكِ لـــــم تســـــكني ... مـــــع الله أنـــــتِ علـــــى مَوعـــــدة

تصـــــدين هـــــذي ، وتـــــدعين ذي ... بحكمـــــة مُنقـــــذةٍ مُنجـــــدة

فطـــــوراً كـــــأم رؤوم بكـــــتْ ... وطـــــوراً كعاصـــــفةٍ مُرْعـــــدة

تُثيـــــرين همّـــــة مـــــن أخلـــــدتْ ... لفتنـــــة عابثـــــةٍ مُخمـــــدة

وتســـــتثمرين اللقـــــاءَ الـــــذي ... تُحـــــدده الفئـــــةَ المُفســـــدة

إلـــــى أن دهـــــاكِ الـــــبلاءُ الـــــذي ... هـــــو النـــــارُ حارقـــــةً مؤصـــــدة

أراكِ احتســـــــبتِ ، وذا ظننـــــــا ... لأن لـــــــديك رؤىً جيـــــــدة

فـــــلا تحزنـــــي ، فـــــالبلا سُـــــنةَ ... وإنـــــي أذكّـــــر مُسترشـــــدة

ومَـــــن كـــــان فـــــي النـــــاس ذا دعـــــوة ... إلـــــى الحـــــق طيبـــــة المَحمـــــدة

فلـــــيس بنـــــاج مـــــن الإبـــــتلا ... ولا بـــــد يومـــــاً لـــــه مـــــن رِدَة

فصـــــبراً أخيـــــةَ ، لا تجزعـــــي ... فلســـــتِ بهـــــذا العنـــــا مُفـــــردة

وزوجُـــــك ربـــــي ســـــيرجعُه ... ويومُـــــكِ يرقـــــبُ فينـــــا غـــــده

هكذا يكون العتاب

(الخلاف بين الزوجين سُنة ماضية إلى يوم البعث. لا يبدلها تعاقب الأيام ، ولا يغيرها كر الدهور ، ولا يزاحمها مرورُ الأعوام ولا يزيلها مرّ العصور. وأبيات نبي الله محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم – لم تخل من الاختلاف والخلاف. والنص في سورة الأحزاب حي نابض لم ينسخ: (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها ، فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً ، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً). وشقيق هذا النص هناك في سورة التحريم: (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ، وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ، والملائكة بعد ذلك ظهير ، عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً). وإنني لأحتقر من قلبي قوماً كانوا قد زوّجوا ابنتهم من رجل ثم يسعون جاهدين ، بالمناسبة وبدون المناسبة ، للسبب ولغير السبب ، لأن يطلقوها منه. ولسان حال هؤلاء أنهم إما استكثروا ابنتهم عليه ، أو يرونها أفضل منه! وكذلك أهله يعملون على طلاق هذه المرأة من زوجها الذي هو ولدهم. وتدور رحى المعارك بين العائلتين غير الكريمتين. وليس أحد منهم ضحية أو قرباناً لهذه المناورات. بل الضحية هما الزوجان فلماذا لا يعلمان ذلك؟ ولماذا لا يفطنان إليه؟ والعتاب بين المحبين لا يزيد الحب إلا شوقاً واشتياقاً. وأنا أهدي هذه القصيدة لمن أحب بشيراً ونذيراً! ولنعرف أن الحياة الأسرية ، كما بدأت بمعروفٍ يمكن أن تنتهي كذلك بمعروف ، والله قال في القرآن: (وعاشروهن بالمعروف) ، أي لتكن المعايشة بالمعروف بالمعروف ، ثم قال تعالى: (وفارقوهن بالمعروف) ، أي وإذا كان الفراق فليكن بالمعروف! تلك المعاني التي غابت اليوم عن حس كثير مما ينتسبون إلى الإسلام. حتى وإن كان الطلاق هو النهاية ، فإنه حل ناجع في بعض الأحايين ، عندما يصل الزوجان إلى طريق مسدود ، تستحيل معه استمرارية العشرة الزوجية. عند ذلك وعند ذلك فقط ، يأتي قولُ الله عز وجل: (وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته) ، يأتي ذلك القول الفصل المبين ليقدّم الحل ، وليلقي بطوق النجاة للزوجين ، من خضم الخلافات الذي يبتلع كل معروف ، ويتنكر لكل خير ويزدرد كل جميل! روى أبو يعلى في المسند من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدتْ ثناياه! فقال عمر: ما أضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأُمي؟ فقال: رجلان من أُمتي جثيا بين يدي ربِّ العزة تبارك وتعالى ، فقال أحدهما: يا ربِّ خذ لي مظلمتي من أخي...قال الله تعالى: أعط أخاك مظلمته. قال: يا ربِّ لم يبق من حسناتي شيء! قال - يعني الطالب -: ربِّ فلْيحمل عني من أوزاري! قال: ففاضتْ عينا رسول الله صلى الله عليه وسلّم بالبكاء ثم قال: إنَّ ذلك ليوم عظيم ، يحتاج الناس إلى من يحمل عنهم أوزارهم! فقال الله للطالب: ارفع بصرك ، وانظر في الجنان ، فرفع رأسه. فقال: يا ربِّ! أرى مدائن من فضة ، وقصوراً من ذهب مكلَّلة باللؤلؤ ؛ لأي نبيٍّ هذا؟ لأي صدِّيقٍ هذا؟ لأي شهيدٍ هذا؟ قال: هذا لمن أعطى ثمنه. قال: يا ربِّ ومن يملك ثمنه؟ قال: تعفو عن أخيك. قال: يا ربِّ فإني عفوتُ عنه! قال الله تعالى: خذ بيد أخيك فادخلا الجنة. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم) ؛ فإنَّ الله يصلح بين المؤمنين. وفي مقدمة خطبة له بعنوان (إصلاح ذات البين) يقول الأستاذ خالد بابطين ما نصه: (إنَّ هذه الأُمّة المباركة - أُمّة الإسلام -

تقوم في بنائها بعد الإيمان بالله ؛ على عواطف الحبِّ المشترك ، والودِّ الصافي ، والبعد عن الأحقاد والضَّغائن. قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (مثل المؤمنين في توادّهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمّى). متفق عليه من حديث النعمان. إنَّ أُمّة الإسلام موصوفة في كتاب ربّها من بعد سلفها الأخيار من المهاجرين والأنصار ، في قوله تعالى: {والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ، ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم}. وهذان الأمران العظيمان (إصلاح ذات البيْن ، وسلامة الصدر) جاءت الشريعة المطهرة بالأمر بهما ، والحث عليهما ؛ أنْ يكون صدرك على أخيك سليماً ، ليس فيه غلّ ، ولا حقد ، ولا حسد... قلب مخْموم كما جاء في بعض الأحاديث. لقد أثنى الله بسبب سلامة الصدور على أهل المدينة الأنصار ، ومجّدهم لاتّصافهم به ، في قرآنٍ يُتلى إلى يوم القيامة ، يقول سبحانه: {والذين تبوأوا الدَّارَ والإيمانَ من قبلهم يُحبّون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجةً مما أوتوا ويُؤْثرون على أنْفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يُوقَ شُحّ نفسه فأولئك هم المفلحون}.هـ. ولنتذكر أن سورة في القرآن تسمى بسورة: (الطلاق) ، على حين لا توجد سورة باسم: (الزواج)! وقد رخص النبي – صلى الله عليه وسلم – في الكذب من أجل الإصلاح! عن أُمِّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول: (ليس الكذَّاب الذي يُصلح بين الناس ، فيَنْمي خيراً أو يقول خيراً) متفق عليه. وفي رواية مسلمٍ زادتْ: (ولم أسمعه رخَّصَ في شيء مما يقوله الناس إلا في ثلاث: تعني الحربَ ، والإصلاحَ بين الناس ، وحديثَ الرجل امرأته ، وحديثَ المرأة زوجها). هذا ، ولا بد من تبييت حسن النية في الحكم على الأمور والتصرفات. ثبت في الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال: (كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم وعليه بُرد نجرانيّ غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابيّ ، فجبذه بردائه جبذةً شديدةً ، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، قد أثّرت بها حاشية البرد من شدة جبْذته ، ثم قال: يا محمد! مُرْ لي من مال الله الذي عندك! فالتفتَ إليه رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، ثم ضحك ، ثم أَمَرَ له بعطاء). وأخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بال أعرابي في المسجد ، فقام إليه الناس ليقعوا به ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلّم: دعوه لا تزرموه ، وأهريقوا على بوله ذنوباً من ماء - أي دلواً من ماء - فإنّما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين ، واسكنوا ولا تنفروا. وزاد الترمذي: (ثم قال الأعرابي: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً. فقال له النبي صلى الله عليه وسلّم لقد حجلت واسعاً). هذا هو رسول الله – صلى الله عليه وسلم - ، عنوان الرحمة والشفقة ، والقدوة في الصفح والمغفرة. وعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة ، فطلع رجل من الأنصار تنْطف لحيته ماءً من وضوئه معلّق نعليه في يده الشمال...فلما كان من الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يطلع عليكم رجل من أهل الجنة ، فطلع ذلك الرجل على مرتبته الأولى...فلما كان من الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة ، فطلع ذلك الرجل على مرتبته الأولى! فلما قام رسول الله – صلى الله عليه وسلم - اتَّبعه عبد الله بن عمرو بن العاصي فقال: إني لاحيتُ أبي ، فأقسمتُ أن لا أدخلَ عليه ثلاث ليالٍ فإنْ رأيت أن تؤويني إليك حتى تحلَّ يميني فعلتُ. فقال: نعم. قال أنس: فكان عبد الله بن عمرو بن العاصي يُحدِّث أنه بات معه ليلةً

أو ثلاث ليال ، فلم يره يقوم من الليل بشيء ، غير أنه إذا انقلب على فراشه ، ذكر الله وكبَّر حتى يقوم لصلاة الفجر فيسبغ الوضوء. قال عبد الله: غير أني لا أسمعه يقول إلا خيراً ، فلما مضت الثلاث ليال كدتُ أحتقر عمله ، قلت: يا عبد الله ، إنه لم يكن بيني وبين والدي غضبَ هِجْرةٍ ، ولكني سمعت رسول الله يقول لك ثلاث مرات في ثلاث مجالس: (يطلع عليكمُ الآن رجل من أهل الجنة ، فلم أرك تعمل كبير عمل ، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله؟ قال: ما هو إلا ما رأيتَ ، فانصرفتُ عنه ، فلما وليتُ دعاني فقال: (ما هو إلا ما رأيتَ ، غير أني لا أجد في نفسي غلاً لأحد من المسلمين ، ولا أحسده على خيرٍ أعطاه الله إياه!). قال عبد الله بن عمرو: (هذه التي بلغتْ بك ، وهي التي لا نطيق). وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: (إنَّ الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ؛ ولكن في التحريش بينهم). رواه مسلم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه: (لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخواناً). خرَّجه مسلم. وعن أبي خراش السلمي عند أحمد وأبي داود والحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي ؛ يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلّم: (من هجر أخاه سنةً كان كسفك دمه). وأعود للعتاب بين الزوجين وأقول: ليكن العتاب الصافي طريقاً إلى المصافاة والمصارحة والشفافية ، في محاولة لأن يُخرج كل طرف ما في جعبته حيال الطرف الآخر. ويأتي الحكم من الحكمين بعد المداولة والمشاورة. وليعلم جيداً أنه ليس هناك مشكلة ليس لها حل في كتاب الله وفي سنة رسوله. بل أقطع وأجزم أن كتاب الله – عز وجل - وسُنة رسوله – صلى الله عليه وسلم - قد احتويا على الحلول الناجعة الفاصلة لجميع المشكلات التي كانت وتكون وستكون إلى قيام الساعة!)

مـــا لـــي أراهـــا لا تصـــيخ لصـــرختي؟ أم أننـــــي أصـــــلى بنـــــار محبتـــــي؟

هـــي لا تبـــالي إن صـــرختُ وإن علـــتْ قلبـــي الهمـــومُ ، وثـــم كـــل قريحتـــي

هـــي لا تجيـــب الحـــق دومـــاً والهُـــدى إلا بكـــــــل تثاقـــــــل ، وتعنّـــــــت

هـــــي لا تـــــذكّر بالإلـــــه وشـــــرعه بـــــلْ لا تعـــــين علـــــى أذىً وتشـــــتت

يـــا قلـــب ، فابـــك علـــى الحبيـــب وعهـــده وابـــك الخديعـــة فـــي مهـــاوي غربتـــي

قلبـــي المعـــذبَ ، إن مـــن أحببتهـــا قتلتـــك ، لـــم تصـــقلْ شِـــفار القِتلـــة

فـــاكظمْ علـــى الأيـــام غيظـــك ، لا تقـــلْ أحببتهـــا ، يـــا قلـــب ، واحقـــن دمعتـــي

فالصـــدق فـــي أيامنـــا أســـطورةٌ! مقهـــورة نفســـي لبُعـــد أحِبتـــي

ألأنني أحببت ، لم أك غادراً ... أجد المحبة برْكة من شقوة؟!

أهوي إليها ، ثم أشرب نارها ... في القلب تكوي ، ثم تحرق عزتي

ما لي جزعتُ ، فضاق قلبي والنهِيَ ... يا ليت شعري ، ثم تاهت فرحتي!

ما لي ظلِمتُ ، فهزني حَيْف الورى ... ومضيتُ لا آسي على محبوبتي!

ونظرتُ للطفلين نظرة راحل ... تعس الرحيل! وأين تمضي رحلتي؟

فذكرتُ آلام الفراق بلوعةٍ ... وعلمتُ أن الصبر يُزكي عزمتي

حتّام أصبر ، لا وسيلة غيره ... إني الضعيف على الأذى ، ما حيلتي؟

كم ذا بكيتُ ، ولم أجدْ غير الأسى! ... وكم اكتوى قلبي بنار الحسرة!

وكم اصطليت بنار وجدي واللظى! ... ماذا جنيت سوى الشقا في عيشتي؟

ألأنني رُمتُ الحياة عزيزة؟ ... ألقى العذاب ، وثم تعلو صرختي؟

ألأنني أعطيتُ ، لم أكُ باخلاً ... ألقي جزائي الغبنَ يُزكي حُرقتي؟

ألأنني واجهتُ لم أكُ حاذراً ... يُردي حياة الحق سم الغفلة؟

ألأنني ناصحت ، لم أكتمْ هوىً ... يُقلى الهُدى ، وتموت وأداً هِمتي؟

أم أن قول الحق عارٌ يا ترى ... عند المحب ، وعند كل الأسرة؟

قد كنت أنشد في محبتك التقى ... وصفاء قلب مُستجيب مُخبت

ونقاء روح تمنح النفس الهُدى ... وسعادة تأوي إليها مُهجتي

وهدوء بيت شامخ بين الورى ... وطليعة للملتقى لم تصمت

وصلاة ليل مشرق ، عبر الدجى ... وقراءة القرآن ، ثم السنة

ودراســـــة الإســـــلام عبـــــر حياتنـــــا وتعلـــــم التوحيـــــد بـــــاب الجنـــــة

وترفعـــــاً عـــــن كـــــل عيـــــب يُـــــزدري وتمســـــكاً بـــــالحق ، رغـــــم القلـــــة

فجعلـــــتِ ذلـــــك كلـــــه حُلمـــــاً ، ولـــــم تأسَـــــيْ علـــــى مـــــا فـــــات منـــــكِ وتقنتـــــي

وجعلـــــتِ نفســـــكِ فـــــي الـــــورى ألعوبـــــة ولعبـــــتِ - بـــــين الخلـــــق - أســـــوأ لعبـــــة

وجعلـــــتِ زوجـــــكِ بيـــــنهم كـــــبش الفـــــدا ءِ - فليتنـــــي أبصـــــرتُ طعـــــم الســـــكرة

وقتلـــــتِ بالهَـــــذيان نفســـــكِ فـــــي الـــــدنا وقتلـــــتِ زوجـــــكِ بالخـــــداع الملفـــــت

وقتلـــــتِ أهلـــــك ، لـــــم تكـــــوني فخـــــرهم كنـــــت الظهيـــــر مـــــن الخصـــــوم حليلتـــــي

بـــــل كنـــــتِ عـــــون عـــــدونا ، وســـــلاحه ونســـــيتِ كـــــل عهودنـــــا ، يـــــا فتنتـــــي

ورفعـــــتِ كفـــــكِ للحليـــــل ، نهرتـــــه وهجـــــرت بيتـــــك ، يـــــا لأســـــوأ هجـــــرة!

وشـــــكوتِ زوجـــــك للعميـــــل ، وحزبـــــه ورفعـــــتِ صـــــوتك فـــــي الـــــدنا ، لـــــم تصـــــمتي

عـــــذراً ، إذا صـــــارحتُ ، تلـــــك طبيعتـــــي روحـــــي فـــــدا دينـــــي ، وتلـــــك جبلتـــــي

إنـــــي رأيتـــــك تبصـــــقين علـــــى العهـــــو دِ ، كأنمـــــا مـــــا قلتهـــــا فـــــي حضـــــرتي

أســـــفي علـــــى ســـــاعات أول حبنـــــا عـــــارٌ علـــــيّ النـــــوحُ ، لكـــــنْ محنتـــــي

هـــــي محنتـــــي وحـــــدي ، وإنـــــي صـــــامدٌ والله حســـــبي فـــــي العِـــــدا ومصـــــيبتي

أنـــــا فـــــي الشـــــقا وحـــــدي ، ولســـــت بيـــــائس مـــــن أن نصـــــر الله مـــــؤنس وحشـــــتي

لا تنفـــــري منـــــي ، فـــــإني صـــــادق وكـــــذا فـــــؤادي الحـــــي ، لـــــيس بميّـــــت

أنـــــا قـــــد رأيتـــــك لـــــم تراعـــــي حرمـــــة وعلـــــى جـــــراح بليتـــــي لـــــم تربتـــــي

بـــل كنـــتِ فـــوق الجـــرح نـــاراً تكتـــوي ... روحـــي بهـــا أبـــداً ، وتلفـــح نظرتـــي

خمّشـــت كـــل قصـــائدي ، وفرائـــدي ... وبـــلا هـــوادة آخـــذٍ ، أو رحمـــة

المـــرأة الفضـــلى تعـــين علـــى الهُـــدى ... وإذا رأت مـــن هنـــةٍ لـــم تســـكت

ليســـت تصـــاحب غيـــر فضـــلى مثلهـــا ... وتعـــيش للإســـلام كـــل دقيقـــة

هـــي لا تضـــيّع عمرهـــا فـــي الموبقـــا ... تِ وفـــي الهـــوى ، وكـــذاك لا ، فـــي نـــزوة

هـــي ترقـــب الفجـــر الوليـــد لـــدينها ... وتعـــد أقـــوى ثلـــةٍ وشـــبيبة

هـــي مصـــنعُ الأفـــذاذ ، تبنـــي دولـــة ... وتعـــد للميـــدان أشـــجع زمـــرة

فالطفـــل فـــي يـــدها تـــراه وديعـــة ... مـــاذا فعلـــتِ حليلتـــي بـــوديعتي؟

وتـــرى التبعـــل للحليـــل رســـالة ... وتـــرى لبـــاس الحـــق أجمـــل حُلـــة

يـــا فتنتـــي عـــودي إلـــيّ ، وأجملـــي ... قاربـــت أخـــتم بـــالوداد قصـــيدتي

يـــا ربـــة الحـــب الكبيـــر ، تـــذكري ... عهـــد الإلـــه ، وقـــد جهـــرتُ بحجتـــي

عـــودي ، أمامـــك فرصـــة ذهبيـــة ... والعمـــر ولـــى ، بـــادري بـــالعودة

إنـــي لعَـــودِكِ شـــائقٌ مترقـــب ... أدعـــو المليـــك ، بـــدمعتي وبلفظتـــي

لـــولا أحبـــك فـــي الإلـــه لمَـــا بكيـــ ... ـــتكِ فـــي الـــدجى ، ولمَـــا أبحـــتُ بلـــوعتي

ولكـــان بيـــت أبيـــك مـــأواكِ الـــذي ... تـــأوي اليـــه ، ولســـتِ لـــي بالزوجـــة

للهـــم فاشـــهد أننـــي أشـــكو إليـــ ... ـــك ، وقـــد بـــذلت قريحتـــي ونصـــيحتي

قصة رؤيا

(إن للرؤيا في الإسلام آداباً نصت عليها الكتب. ولا أعلم كِتاباً حواها مجتمعة – حسب اجتهادى – مثل كتاب (منهاج الصالحين في الآداب الإسلامية) للأستاذ / محمد عبد العاطي بحيري حفظه الله. يقول في آداب الرؤيا: (1) أن ينفث عن يساره ثلاث مرات أو يتفل أو يبصق إن هو رأى ما يكره. (2) أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ثلاثاً إن رأى ما يكره. (3) أن يتحول عن جنبه الذي كان عليه تفاؤلاً بأن يغير الله حاله للأحسن. (4) أن لا يحدث بها أحداً حتى يظل طامعاً في كونها أضغاث أحلام. (5) أن يقوم فيصلي ما شاء الله له أن يصلي حتى يذهب عنه ما يجده. وهذه الآداب السابقة كلها إن كانت رؤيا مزعجة تقلقه ، وهو في جزع منها. وأما إن كانت رؤيا صالحة طيبة فآدابها: (1) أن يحمد الله حمداً كثيراً ، ويثني عليه بما هو أهله ، لأنها نبوءة من الله تبشره بخير قادم. (2) أن يحدث بالرؤيا الصالحة من يحب ومن يثق به. (3) أن من قصت عليه إن رأى فيها شراً ، عليه بلباقة أن يؤولها تأويلاً لا يزعج الرائي. (4) أن لا يقصها على حاسد ، لأن الحاسد يكره الخير لمن يحسده).هـ. وكم رأيت من رؤى سبقت وأغلبها حسن. والحمد لله. وأذكر أنني يوم استخرت الله – تعالى – في زواجي من أم عبد الله رأيتُ فيما يرى الرائي جدها الحاج كمال محمد مجاهد – رحمة الله تعالى عليه – فقد عُرف بالصلاح ، ولا نزكيه على الله ، والله حسيبه ، بل نحسبه هكذا ، جاءني في منامي مبتهلاً فرحاناً ، وكنتُ أعرفه جيداً ، وبشرني بأن أتزوج من هذه البُنية. وكان الزواج ولله الحمد ومنه العون والسداد. ونسأله سبحانه أن يكون ذلك كله في طاعته ومرضاته. وكانت أمُّ عبد الله قد رأت رؤيا ، فقصتها علي ، وكنت قد رأيتُ رؤيا تكاد تشبهُها ، فرحتُ أضمّن ذلك شِعراً فأنشدت هذي القصيدة من شعري تعبيراً عن ذلك التضمين.)

لَمحـــــــتُ سَـــــــحَابتكِ الهاتِنَـــــــةْ فهاجَـــــت دُمُـــــوع الجـــــوى الســـــاكِنة

ونـــــام الخريـــــرُ علـــــى مَخـــــدعي وأحسَســـــتُ دِفءَ الـــــدنا الســـــاخِنَة

وجـــــاءت علـــــى الصَّـــــوت أمنيّتـــــي تُـــــذكرُني وَحـــــدتي الطاعنـــــة

وتَمســـــحُ دَمعـــــى ببـــــرد الـــــدَّجى وتمحـــــو أســـــى عثرتـــــي الواهنـــــة

تُصـــــوّرُ لـــــي ، كيـــــف كُنـــــا معـــــاً حبيبـــــيْن فـــــي عـــــزةٍ حاســـــنة

حبيبينِ سارَا ، ولم يِحسِبا حِسابَ القوُلة ، والعائنة

سأحكي منامي لمحبُوبتي وليسَ لعرافةٍ كاهنة

رأيتُ كأنكِ في غابةٍ تسيرين فوق رُباً داكنة

لبستِ من الثوبِ مستورهُ وكُنتِ من المُشتهي آمنة

وسِرتِ - على الأرض - مَزهوةً بدينكِ ، رغم العُرَى الحاتنة

وطِفلاكِ: طفلٌ على راحةٍ وآخر كالدوحة الواتنة

وغَشّى رِداءكِ قطرُ الندى ومرتْ سَحابتُك الهاتنة

وحاولتُ لمسَك ، لمَ أستطعْ لأنَّ الديار غدت عارنة

وغطّى السرابُ حُدود المَدَى ورج السَّحابُ صدى الآونة

ونارٌ وراءكِ تشوى الحِمى وعاتٍ مقالته خامنة

بِضاعتُكِ الحُزن ، ثم البُكا على عُسرِ أحوالنا الراهِنة

وجافٍ تَعقبكُم في الخفا بقوس المعاقبة الآسنة

ونال غَلاماً - لنا - بالأذى وأخفاهُ في غَرفة داكنة

وغلق بالكيد أبوابها وغاب الأقارب ، والحاضنة

وبات الصَّغيرُ ، بلا رضعةٍ وعانى مِنَ الرحم الخائنة

ينامُ ويصحُو على غدرها يعيشُ على الذُل ، كالماهنة

ويمضى أبوه إلى من طغى فيشجُبُ أفعالهُ الشَّاطنة

ويضربه لم يَخفْ بأسَه وفي كفه الدِّرة البائنة

تســـــاءل: كيـــــف تجُـــــرُّ الفتـــــى ... وتفجـــــع أمّـــــاً لـــــه صـــــائنة؟

يمينـــــاً تحرقـــــتُ فـــــي نـــــاركم ... وفـــــي خدعـــــة الـــــرحم الداهنـــــة!

ومهمـــــا فعلـــــتم بأكبادنـــــا ... سنصـــــبر فـــــي الأزمـــــة الطاحنـــــة

فـــــرُدّ الفتـــــى ، وانتظـــــرْ ثأرنـــــا ... ففـــــي صـــــمتنا أســـــهُمٌ كامنـــــة

ســـــيأخذُ ثـــــأرَ الفتـــــى ربُنـــــا ... ولـــــن تنصَـــــر الـــــرحمُ الخائنـــــة

وعُـــــدتُ - بطفلـــــي - عزيـــــز الخُطـــــا ... أفـــــتشُ عـــــن أمّـــــهِ الآينـــــة

أســـــائلُ عنـــــكِ دُمُـــــوع الثـــــرى ... وأبكيـــــكِ فـــــي الليلـــــة الداجِنَـــــة

ومـــــا مـــــن مُجيـــــب علـــــى صـــــرختي ... لأن القلـــــوب هُنـــــا غابنـــــة

إلـــــى أن وجـــــدتُك فـــــوق الرُّبـــــا ... تقـــــولين باللهجـــــة الحاســـــنة

بـــــأنَّ الإلـــــه قـــــويٌ عزيـــــزٌ ... ســـــيحمي الصـــــغير مـــــن الحائنـــــة

بَكيـــــتِ ، وهيجـــــتِ فـــــيّ البُكـــــا ... وكُنـــــتِ العَطوفـــــة والســـــادنة

وكنـــــتِ المُقيمـــــة فـــــي دعـــــوتي ... فـــــنعم المُقيمـــــةَ والظاعنـــــة!

أخـــــذتِ الصـــــغير بتحميـــــدةٍ ... كأنـــــك للملتقـــــى ضـــــامنة

وآتٍ أتـــــاني علـــــى غِـــــرةٍ ... وقـــــال: انـــــجُ مـــــن ســـــكرةٍ ماجنـــــة

فقُمـــــتُ مـــــن النـــــوم مثـــــل الـــــدُمى ... أردد باللفظـــــة اللاحنـــــة

وردَّ الضَّـــــميرُ: ألا لا تثـــــرْ ... لأضـــــغاث أحلامـــــك القاتنـــــة

ولكـــــنّ هـــــذا منـــــامٌ عجيـــــبٌ ... يُعبـــــرُ عـــــن مِحنـــــة كائنـــــة

أثـــــم إذا مـــــا اســـــتُبيح الضـــــنا ... وعُـــــــرّض للفتنـــــــةِ المَارِنَـــــــة

مـــــع العَـــــم ســـــار بكـــــل الصَّـــــفا ... ولـــــم يســـــبر الصـــــلة الضـــــائنة

إذا بالعُمُومـــــــــة ســـــــيفُ العِـــــــدا ... وصَـــــخرةُ غـــــدر كمـــــا الزابِنـــــة

ونـــــارٌ تبيـــــعُ اللظـــــى والـــــردى ... وجمراتهـــــا بالـــــدما راقنـــــة

علينـــــا كمِثـــــل انـــــدلاع اللظـــــى ... فقُبحـــــتِ مـــــن رحـــــم شـــــاحنة

لقـــــد عُقتنـــــي عـــــن بلـــــوغ الـــــذرى ... فمـــــا أنـــــت للمـــــرء بالزائنـــــة

وكـــــم نلتنـــــي بِصُـــــنُوف الأذى! ... لـــــيَ الله ، يـــــا رحِمـــــاً شـــــائنة

وألقيتنـــــي فـــــي مهـــــاوي الـــــبَلا ... عَجبـــــتُ لأمـــــركِ مـــــن ســـــاطنة

ألا إن عِنـــــدي الهُـــــدى ، والضـــــيا ... إذا كُنـــــتِ يـــــا رحمـــــي شـــــافِنة

تعـــــاليْ ، وتـــــوبي إلـــــى ربنـــــا ... وكُفـــــي عـــــن الخيبـــــة الطاحنـــــة

وإن النعـــــيم لفـــــي توبـــــةٍ ... ولـــــيس بـــــأرض ولا داجنـــــة

ولـــــيس النعـــــيمُ بِنيـــــل الغنـــــى ... فـــــإن الغنـــــى فتنـــــة فاتنـــــة

أحبـــــوا ضـــــناكم لِـــــربِّ السَّـــــما ... ولـــــيس لأموالـــــه العاهنـــــة

فـــــلا يشـــــتري حُـــــبكُم بالعطـــــا ... كمـــــا الحـــــالُ فـــــي الفَـــــرس الضـــــاعِنَة

وإن عِيَـــــــالي يُحبُـــــــونكم ... بـــــــرغم تهـــــــائيكُمُ الخابِنَـــــــة

وأم العِيَـــــال لكـــــم تنتهـــــي ... لهـــــا اللهُ مِـــــن زوجـــــةٍ حاصِـــــنَة

رأيـــــت المَكـــــارم أخلاقهـــــا ... وليســـــتْ بكفـــــارةٍ غابنـــــة

تُحـــــبُّ التواضـــــع فـــــي شـــــأنها ... وليســـــتْ بمُختالـــــةٍ رافنـــــة

وفـــي الحـــق ســـيفٌ عتـــي المَضـــا ... وليســـــت بمُحتالـــــة آســـــنة

تميـــلُ إلـــى الجَـــد فـــي أمرهـــا ... وهمتهـــا - فـــي الهُـــدى - فاطنـــة

وتهـــوى الحيـــاة كمـــا قَـــدّرتْ ... وتُشـــبعها اللقمـــة الآبنـــة

تُطيـــع الحَليـــل ، تُحـــب الوفـــا ... وإنْ يـــأسَ كانـــت هـــي الســـادنة

أعِـــدها إلهـــي إلـــى دارنـــا ... فـــإن الحيـــاةَ هُنـــا فاتنـــة

••• بعض معانى المفردات حسب ورودها •••

• سحابةهاتنة: أي التي تهطل بالماء. • غابة المهجنة: أي القوم لا خير فيهم أبداً. • ديار عارنة: أي بيوت بعيدة. •الميجنة: أي المدقة. • الماهنة: هي الأمة أو الخادمة. • الشاطنة: أي الخبيثة. • القحزنة: العصا أو الهراوة. • الآينة: مأخوذة من امرأة آينة أي وادعة رقيقة. • غابنة: أي فاترة عن العمل. • الحائنة: هي الأزمة النازلة المهلكة. • السادنة: التي تهدئ من روع المرء. • الظاعنة: المسافرة الراحلة عن ديارها. • القاتنة: من سوداء قاتنة أي قاتمة. • المارنة: الصلبة. • الملينة: هي لين الجانب. • الزابنة: هي الأكمة تكون في الوادى وهو ينعرج منها. • راقنة: هي الحسنة اللون أو المختضبة. • ساطنة: خبيثة. • شافنة: ذكية عاقلة. • عاهنة: أي فقيرة. • فرس ضاعنة: الفرس لا تجري إلا بالضرب. • الخابنة: الكذابة. • طعثنة: سيئة الخُلق. • رافنة: متبخترة. • فاطنة: زكية. • لينة: مراوغة وخداعة. • اللقمة الآبنة: اليابسة. • المزامنة: المحبة. • مساحنة: معاشرة.

رسالة إلى بَلعام بن باعوراء

(إن الكتابة إلى البلاعيم المرتزقة تُثلج الخاطر المحزون. وهي بشارة ونذارة لهم ، تبشرهم أنهم إن تابوا وأنابوا إلى ربهم ، كانت لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وعاشوا أعزة وماتوا أعزة. وإن ظلوا على ما هم عليه من تطويع الدين كتاباً وسُنة للطواغيت والظالمين ، فما أهونهم على الله تعالى! وسوف يعيشون أراذل أذلة في الدنيا ، ويبعثون يوم القيامة في زمرة المنافقين بما قدمت أيديهم. إن جمال العلم ترجمتُه ، وتكون بالعمل. وما قيمة العلم إن لم يُتوج بعمل في واقع الحياة والأحياء؟ كم كتبتُ عن النفاق والمنافقين ، وكم كتبتُ عن أهل الارتزاق الرخيص ، الذين يأكلون ويشربون على حساب هذا الدين وتلك العقيدة. ولو كانوا ناصحين لأنفسهم لما اختاروا أبداً هذا الطريق الوعر الشاق ، الذي بدايته هي الخزي والعار والشنار في دار الدنيا ، والعذاب الشديد في الدار الآخرة. أليس لديهم عقول تميز بين الحق والباطل ، وبين الهُدى والضلال ، وبين الرشاد والغي؟ أليسوا يعتبرون ببلعام الأكبر ، شيخ طريقتهم عالم بني إسرائيل الجهبذ العلامة؟ أليسوا يعتبرون بالبلاعيم من حولهم ، وقد ابتلاهم الله بموت الضمائر والقلوب؟ أليس منهم رجل رشيد ، يدرك من خطورة الدرب ووعورة الطريق ما لم يدركه غيره فينصح لأهله وأهل طريقته من البلاعيم الأخرى ، الضاربة في التيه ، والممزقة كل ممزق بين أهواء النفس وتسلط الظالمين ورواج الجاهلية؟ لقد ملت البلاعيم لهجتي في الكلام وفضح عقائدهم ونِحلهم في كل ميدان. وها أنذا أذيقهم الهوان بالشعر بعد أن حالوا بيننا وبين الكلمة مقولة منطوقة ، فها نحن أولاء نأوي إلى الكلمة مكتوبة شعراً أو نثراً. وحسبنا الله ، ونعم الوكيل. ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق. إنها رسالة شعرية أرسلها إلى بلعام بن باعوراء ، عالم بن إسرائيل ، والذي نزل فيه: "واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين. ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب: إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون". والحكمة العربية تقول: أصدق الصِّدق الأمَانَة ، وأكذب الكذب الخيانة. وتقول: كذب اللسان أن يقول ما لم يقل ، وأن يقول ولا يفعل ، وكذب القلب أن يعقد النية فلا يفعل. وتقول: يستطيع الكذب أن يدور حول الأرض في انتظار أن تلبس الحقيقة حذاءها. وتقول: الكذب لا يفيد شيئاً فهو لا يخدع إلّا مرة واحدة. وتقول: دع الكاذب يقص عليك أكاذيبه إلى أن يقول الصدق. وتقول: ليس للكذب أرجُل ، لكن للفضيحةِ أجنحة. وتقول: أكثرُ الناس كذباً من يَكثِرُ الكلام عن نفسه. وتقول: في مستنقع الأكاذيب لا تسبح سوى الأسماك الميتة. وتقول: في الحياة رذيلتان اثنتان فقط: أن تكذب على نفسك ، وأن تخاف من إنسان يمرض مثلك ويموت مثلك ، تخلص منهما وكن جريء القلب ، تكن رجلاً فاضلاً. وتقول: الخطابة هي الكفاءة العالية في رفع الكذب إلى مرتبة الطرب ، وفي الخطابة يكون الصدق ذلة لسان. وتقول: الرجل يكره هؤلاء الذين يضطر إلى الكذب أمامهم! وتقول: أي شخص لا يأخذ على محمل الجد الحقيقة في أمور صغيرة لا يمكن الوثوق في أي من الأمور الكبيرة. وتقول: إن الإشاعة والأكاذيب لا يقضى عليها بالرد أو بإشاعة مثلها ، ولكن يقضى عليها بعمل ايجابي نافع يستلفت الأنظار ويستنطق الألسنة بالقول ، فتحل الإشاعة الجديدة وهي حق مكان الإشاعة القديمة وهي باطل. وتقول: لا يمكن لأحد أن يكذب أو يخفي أي شيء ، إذا ما نظر مباشرة في عيني آخر.

وتقول: اجعل الكذبة كبيرة ، أو اجعلها بسيطة ، وكررها ، في نهاية المطاف سوف يصدقونها. وتقول: السواد الأعظم من الناس يسقطون بسهولة أكبر ضحايا لكذبة كبيرة وليس لكذبة صغيرة. وتقول: ليس غباء من الناس إذا صدقوا كذبتك ، فالغباء فعلًا: شعورك بـ (الرجولة) وأنت تكذب عليهم. وتقول: الكذاب والدجال والمتملق يعيشون على حساب من يصغي إليهم. وتقول: يبيعنا بعض المؤرخين وكاتبي سيرتهم الذاتية أكاذيب مشروعة وقصصاً ملفقة يحلو لنا أن نصدقها. وتقول: الكذابون خاسرون دائماً ، ولا سيما أن أحداً لا يصدقهم حتى ولو صدقوا. وتقول: مأساة الكذاب ليست في أن أحداً لا يصدقه ، وإنما في أنه لا يصدق أحداً. وتقول: حبل الكذب قصير. وتقول: إذا عرف الكذاب بالكذب لم يزل لدى الناس كذاباً وإن كان صادقاً. وتقول: الرياء نقيصة تشرع الأبواب على سائر النقائص. وتقول: الكذبة كرة ثلجية تكبر كلما دحرجتها. وتقول: الكذاب والميت سواء ، لأن فضيلة الحي في النطق ، فإذا لم يوثق بكلام الكذاب فقد بطلت حياته. وتقول: من يكذب يسرق. وتقول: أن تصدق نفسك أسوأ من أن تكذب على غيرك. وتقول: إياك وكثرة الاعتذار ، فإن الكذب كثيراً ما يُخالط المعاذير. وتقول: كم نتغنى بدفء العلاقات في الشرق ، يا لَلسخف والكذب! أساس العلاقات للأسف الغيرة والحسد والتلذذ بمصائب الأخرين ، أمّا أن تجد شخصاً يفرح من قلبه لنجاحاتك فهذا شيء نادر. وتقول: من يخدم سيّدين يكذب على أحدهما. وتقول: الخِداع والكذب والغرور ليس عملاً واعياً عند المرأة ، ولا عند الرجل ، إنها الغريزة. وتقول: الكذبة التي يتم تكرارها غالباً ما تصبح حقيقة. وتقول: إذا كذبت العنزة فإن قرنيْها لا يكذبان. وتقول: الصدق جيد لكنه يحرج ، والكذب سيء لكنه يسمن. وتقول: مديح الكذاب لذة الغبي. وتقول: عندما يصدق الكذاب يمرض. وتقول: على الكذاب الاحتفاظ بذاكرة جيدة. وتقول: الكذب كالرمل: يبدو ناعماً عندما نتمدد عليه ، وثقيلاً عندما نحمله. وتقول: كي نخفي خدعة يجب أن نكذب ألف مرة. وتقول: لما استعمل الرواة الكذب ، استعملنا لهم التاريخ. وتقول: الكذب والخداع والغش ثلاثة حُفر ، وإذا سقط القائد في إحداها ، سقطت الثقة من قلوب أتباعه. وتقول: الإيمان أن تؤثر الصدق حين يضرك ، على الكذب حين ينفعك. وتقول: الصدق موجود والكذب اختراع. وتقول: البعض مجبول على الكذب ، لكنه يغفل الدقة في نسج أكاذيبه. ويقول ميكيافيلي: لا يخدع من يعلم أنه خدع ، ومن غش مرة وانكشف أمره لا يصدق ولو صدق. ويقول جبران خليل جبران: من غرابة التبسيط أنني أحياناً أتعرَّض للظلم والخداع ، فأضحك ممَّن يظنُّ أنَّني لا أعرف أنَّني ظُلِمْتُ وخُدِعْت. ويقول أندريه جيد: المنافق الحقيقي هو الذي لا يُدرَك خِداعُه لأنه يكذب بصدق. ويقول سورين كيركغارد: خداع واحد فقط هو الممكن في المطلق ، ألا وهو خداغ النفس. ويقول أرسطو: يسهل خداع السفهاء ، لأنهم يستعجلون الأمل. فإلى بلعام الأول سبب النزول ، وإلى البلاعيم الذين خلفوه إلى يوم الناس هذا أنشد هذه الرسالة الشعرية ، أتغنى بها لعل بَلعاماً منهم يتوبُ ، والانسلاخ من الآيات أهونُ في ميزان العقل والمنطق والفكر وبداهة النظرة الواقعية من تشديد النكير على من يحملون هذه الآيات والسعي في تشريدهم في الأرض! يقول الأستاذ ربيع بن هادي في محاضرته: (الثبات على السنة) ما نصه: (إن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم كان يكثر من قوله: (يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك)! كيف نأمن أن لا ننحرف وتزيغ قلوبنا؟! والله ما يأمنه إلاَّ منافق ولا يخافه إلاَّ مؤمن ، فينبغي أن نخاف الله سبحانه وتعالى ، ولكن لا يطغى هذا الخوف ، بل يكون خوف ورجاء متوازيان متوازنان ، حتى يحضر الموت ، فحينئذٍ يُغَلِّب المؤمن الرجاء وحسن الظنِّ بالله

سبحانه وتعالى. (وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ، وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ)! إلى أهل الظلم الذين يظلمون النَّاس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم. أو يظلمونهم في دينهم بالبدع والضلالات ، وبثِّ الدعايات الخطيرة ضد الإسلام وما شاكل ذلك. لا تركن يا مؤمن إلى أحدٍ من هؤلاء ، لا تنصره ولا تساعده على باطله. إن الآية تشمل كل الأنواع ، كلُّ مبطل ظالم ، كل مبتدع ظالم ، كلُّ منتهك للحرمات ظالم ، فلا تركن إلى أحدٍ من هؤلاء فتمسَّك النَّار ؛ لأنَّك عندما تركن إلى الفاسق ، إلى المبتدع الضال إلى الظالم المجرم ، إلى المنتهك لحرمات النَّاس وحرمات الشريعة ، تكون كأنَّك راضٍ ، كأنَّك مساعدٌ ومُؤيِّد ، فلتحذر من الوقوع في هذا الركون المُهلك).هـ. فإلى كل مرتزق يأكل بالإسلام أقول:)

يـــا أســـيرَ الكِبـــر ، يـــا ذا الداعيـــة ... جـــرِّدِ الســـيف ، ومـــزقْ زاديـــهْ

هـــادن الشـــيطان ، وامـــدحْ فســـقه ... واســـكُب الآيـــات فـــوق الهاويـــة

قـــد عهـــدناك الشِّـــهاب المرتجـــى ... فـــي الـــدياجي ، والريـــاح العاتيـــة

قـــد فرحنـــا أن فينـــا جهبـــذاً ... لـــيس يَخشـــى ضـــربةَ ، أو داهيـــة

قـــد رأينـــا فيـــك خيـــراً يُبتغـــى ... ولمســـنا فيـــك بـــأس الداعيـــة

واســـتمعنا منـــك حقـــاً ســـاطعاً ... فـــي جحـــيم المُغريـــات الواهيـــة

وانتشـــينا فـــوق نُـــور الملتقـــى ... فتلاقينـــا بـــروح صـــافية

وتمنيـــتُ سُـــروري بيـــنكم ... ثـــم خـــاب الظـــن ، يـــا للآصـــية!

أنـــت ضَـــيعت إبـــائي بـــالهوى ... وذبحـــت القلـــب ذبـــح الماشـــية

فـــي مســـاءٍ باهـــتٍ ، مزقتنـــي ... يـــا صـــديقي بالـــدعاوى الغاويـــة

بِـــتُ مـــن أفعـــالكم رهـــن الأســـى ... واعتـــرت نفســـي خُطَـــوبٌ داجيـــة

واحتـــواني المَـــوجُ فـــي هـــذى الـــدنا ... مـــوجُ غـــدر فـــي ظُـــرُوف طاغيـــة

ذقـــتُ مـــن جُـــل البرايـــا حفنـــة ... مِـــن ثمـــار الغـــدر تلـــك الســـافية

ذُقـــتُ مـــن أفعـــال خلـــي حُرقـــة ... بـــددتْ فـــيَّ اللحـــون الضـــاوية

إنني صَمَّمت أنْ لا مُلتقى ... بين ثعبان ، وروح عانية

إنني أقسمتُ أن المنتهِيَ ... عند ربي في حديثِ الغاشية

فاستريحوا من مُحاباة الورى ... مِن تغني قينةٍ أو غانية

يا ابن أمي: عانق الأعداء لا ... تنتظرْ مني صُعَّود الرابية

لا تظَن القلب صخراً في الحشا ... إن قلبي من خلايا دامية

لا تفكرْ فيّ بعض لحيظةٍ ... لا تضيع في التجني ثانية

لستَ مِني ، لستُ منكم ، إنني ... تُبتُ عن حُب الذئاب الباغية

إن ربي قد نهِيَ عن حُبكم ... ودليلي واضحٌ في (الجاثية)

غيرَ أني قد زعمت اللام في ... آي ربي غير لام الناهية

تلك زوجي ما رحمتم ضعفها ... لم تكن في عُرفكم لو جارية

والليالي شاهَداتٌ غدرَكُم ... بِئس غَدرٌ! بل وبئس الحاشية!

يا ابن أمي ، لو سألت الناس لن ... تلقني إلا شُكوكاً خاوية

فالتمسْ عند الأعادي عزتي ... وتظاهرْ بالدعاوى الثاوية

ليس يُجدي الحقُّ شيئاً عندكم ... إنما بُهْمٌ تدير الساقية

يا ابن أَمي: أغمضِ العين ، ومُرْ ... لا تجادل عن أمور بادية

أطبق الأجفان ، واجترّ الريا ... لا تُسائلني - هنا - عن حاليه

أنتَ بالفتنة أشعلتَ اللظى ... مُستعيناً بالأعادي الضارية

أنـــت صُـــغت الغـــدر شـــوكاً فـــي الحشـــا أنـــــت كَسَّـــــرت الصُـــــلُوع الحانيـــــة

هـــل حـــلالٌ مـــا فعلـــتُم؟ صـــارحوا إنمـــــا تُـــــردي اللئـــــيمَ القاضـــــية

والـــــدنايا لـــــيس يَرضـــــى فعلهـــــا غيـــــرُ غِـــــر مُســـــتريب الناصـــــية

إننـــــي حَصـــــنتُ نَفســـــي بالهُـــــدى وأرى فـــــي النـــــاس رُوحـــــي ســـــامية

قَلـــــتُ فـــــيهم كـــــل حـــــق بـــــيِّن لـــــم تُخفنـــــي زمجـــــراتُ الطاغيـــــة

فـــــي قطيـــــع مُعـــــرضٍ قَلـــــتُ الهُـــــدى لـــــم أجـــــرّحْ بـــــالحُرُوف النابيـــــة

لـــــم يكـــــن صـــــدقاً قطيعـــــاً عـــــاقلاً لـــــيس يَســـــعى للمُـــــرُوج العاليـــــة

فـــــي حضـــــيض الأرض يَلهـــــو دائمـــــاً لـــــيس يحيـــــا فـــــي الروابـــــي الشـــــادية

لا تُطـــــلْ عنـــــهُ الجـــــدالَ ، إنـــــه يَســـــتبيح العِـــــرض عِـــــرض الداعيـــــة

يســـــتحلّ الـــــدمّ فـــــي شـــــريانه يســـــتبيحُ قَوتـــــه والآنيـــــة

وحميـــــر أتقنـــــت حبـــــك الهـــــرا ثـــــم باتـــــت فـــــي أذاهـــــا جاســـــية

باليـــــد الشَّـــــلاّء تزجـــــي رفســـــها قَبحَـــــت تلـــــك الحَميـــــرُ الجَافيـــــة

لـــــيس عنـــــد الحُمـــــر فـــــرقٌ لحظـــــةً بـــــين مـــــن يهـــــذي بـــــدعوى هاذيـــــة

ليضـــــل النـــــاس عـــــن عمـــــدٍ وبيـــــ ـــــن الـــــذي يَـــــدعو بـــــرُوح هاديـــــة

يـــــا رفيـــــق الـــــدرب ، هـــــل تبكـــــي الحمـــــى كيـــــف هـــــذي الـــــدُّور باتـــــت باليـــــة؟

بـــــات يشـــــكو الغـــــدرُ مـــــن إنســـــانها باتـــــت الأحقـــــادُ مـــــلء الباديـــــة

بـــــل ، ومـــــلء الأرض ـ كـــــل الأرض فـــــي حاضـــــراتٍ ، أو عُيُـــــون جاريـــــة

هـــــل تريـــــد الصـــــحوةُ الشـــــماءُ أن تقلـــــع الضُـــــلال ، تمحـــــو الطاغيـــــة؟

طالمـــــا الأحقـــــاد تغشـــــى سُـــــوحها ... لـــــن تـــــرى نصـــــراً بـــــأدنى زاويـــــة

إنمـــــا النّصـــــر يـــــواتي عنـــــدما ... يُنصـــــرُ المـــــولى بـــــرُوح راضـــــية

يـــــا صـــــديقي فـــــاعتزل كُـــــل الغُثـــــا ... ثُمـــــسِ فـــــي عـــــز منيـــــع الناحيـــــة

كُلّـــــهُ يَنســـــاقُ فـــــي درب الهَـــــوَى ... إنمـــــا نفســـــي بهـــــذا دارِيَـــــة

لـــــيسَ يَعنـــــيهم عُلُـــــوّ شـــــرعةٍ ... قـــــدْرُ مـــــا يَرجـــــون دُنيـــــا حانيـــــة

إن تردَيْنـــــا ببلـــــوى كربنـــــا ... واعترتْنـــــا نائبـــــاتٌ قاســـــية

لـــــن نـــــرى عـــــزاً يُقـــــوّي شـــــأننا ... ذاك أن القـــــوم صـــــاغوا الداهيـــــة

وأرانـــــي لســـــتُ مِـــــنهمُ ســـــاعةً ... لـــــم أطـــــوّع ديـــــن ربـــــي ثانيـــــة

تاهـــــت الـــــنفسُ مليـــــاً عنـــــدما ... لـــــم تجـــــد أذنـــــاً لِحـــــق صـــــاغية

واشـــــتكى الشـــــعرُ المُعَنـــــى كُربـــــةً ... فمحـــــا الأضـــــراب ، ثـــــم القافيـــــة

فـــــي قرانـــــا راح يختـــــالُ الخنـــــا ... لـــــم يُفـــــارقْ فـــــي البيـــــادي ضـــــاحية

ثـــــم بـــــات الظّلـــــمُ ســـــيفاً فوقنـــــا ... وضـــــبوعاً فـــــي قرانـــــا عاويـــــة

هـــــذه الأوضـــــاعُ ليســـــت تُبتغـــــى ... غيّرُوهـــــا قبـــــل بـــــدء الهاويـــــة

كيـــــف قـــــومِي عايشـــــوها حِقبـــــةً ... واستســـــاغوا كُـــــل بَلـــــوَى خافيـــــة؟

ليـــــت شِـــــعري ، كيـــــف حـــــاكوا حـــــتفهم؟ ... كيـــــف تـــــاقوا للســـــموم الحاريـــــة؟

ويـــــح قَـــــومي مـــــن عـــــذاب واقـــــع ... لا يحـــــابي مَـــــن بَغـــــى فـــــي الفانيـــــة

لعنة الأطلال

(الأطلال ، وما أدراك ما الأطلال! تلك اللافتة التي كتب قصائده عليها غيرُ شاعر في القديم والحديث. وإذا كانت الأطلال عند شاعِر الجاهلية الأول ، تعني بقايا آثار الديار التي كانت المحبوبة لها بها علاقة سُكنى أو سير أو زيارة طارئة أو لقاء حبيب ، فإنها تعني عندي في هذه القصيدة بقايا الجاهلية في القلب والنفس والخاطر والضمير. تلك التي يظل المرء يتذكرها طيلة حياته ، ويحن إليها ويميل ، حتى تغلبه فيصبح امرأ فيه من أمر الجاهلية بحسب ما حن ومال إليه ، أو يغلبه إيمانه عليها فيحتقر هاجسه ويزجر خاطره. ولقد كان من عادة بعض أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – ذكرهم أخبار الجاهلية وما كانوا عليه في هذه الأيام ، وما آلوا إليه فيكونون بذلك قد استيقنوا جيداً منة الله عليهم ، وأدركوا أين كانوا بالأمس ، وإلى أي شئ صاروا اليوم. ولقد صدق ابن الخطاب حيث يقول: (إنما تنقض عُرى الإسلام عروة عروة ، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية. وصدق الشاعر القائل في معرفة الشر ومعرفة أهله وطرقه وكيفية توقيه بالطبع:

عرفــتُ الشــر لا للشــر لكــن لتوقيــهِ ومــن لا يعــرفِ الشــر يقــعْ فيــهِ

وفي مفتاح دار الصحابة لابن القيم 295/1 يقول: (ولهذا كان الصحابة أعرف الأمة بالإسلام وتفاصيله وأبوابه وطرقه ، وأشد الناس رغبة فيه ومحبة له وجهاداً لأعدائه وتكلماً بإعلامه وتحذيراً من خلافه. وهذا لكمال علمهم بضده. فجاءهم الإسلام وكل خصلة منه في الغالب الأعم مضادة لكل خصلة مما كانوا عليه ، فازدادوا له معرفة وحباً ، كما ازدادوا فيه جهاداً بمعرفتهم بضده ، وذلك بمنزلة من كان في حصر شديد وضيق ومرض وفقر وخوف ووحشة ، فقيض الله له من نقله منه إلى فضاء وسعة ، وعافية وأمن وغنى وبهجة وسرور ، لأنه يزداد سروره وغبطته بما نقل إليه بحسب معرفته بما كان فيه)هـ. رحم الله ابن القيم ، وضاعف له الأجر على هذه الكلمات التي حُق لها أن تكتب بماء الذهب! يقول الأستاذ محمد المنجد في محاضرة له بعنوان: (الثبات على الحق) ما نصه: (كان صلى الله عليه وسلم يقول: «من ثابر على اثنتي عشرة ركعة وجبت له الجنة» (سنن الترمذي ، وقال: الحديث حسن أو صحيح ، وهو في صحيح النسائي ، وصحيح الترمذي) ، أي السنن الرواتب. وفي الحديث القدسي: «ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه» (رواه البخاري ، انظر فتح الباري). قال تعالى: {وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ، وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ}. فما نزلت تلك الآيات على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم للتلهي والتفكه ، وإنما لغرض عظيم هو تثبيت فؤاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفئدة المؤمنين معه. فلو تأملت يا أخي قول الله عز وجل: {قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ . قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ. وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ} ، قال ابن عباس: "كان آخر قول إبراهيم حين ألقي في النار: حسبي الله ونعم الوكيل". ألا تشعر بمعنى من معاني الثبات أمام الطغيان والعذاب يدخل نفسك ، وأنت تتأمل هذه القصة؟ لو تدبرت قول الله عز وجل في قصة موسى: {فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ. قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ}. ألا تحس بمعنى آخر من معاني الثبات عند ملاحقة الطالبين ، والثبات في لحظات الشدة وسط صرخات اليائسين وأنت تتدبر هذه القصة؟ لو

استعرضت قصة سحرة فرعون ، ذلك المثل العجيب للثلة التي ثبتت على الحق بعدما تبين. ألا ترى أن معنىً عظيماً من معاني الثبات يستقر في النفس أمام تهديدات الظالم وهو يقول: {قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى}. ثبات القلة المؤمنة الذي لا يشوبه أدنى تراجع وهم يقولون: {قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}. وهكذا قصة المؤمن في سورة يس ومؤمن آل فرعون وأصحاب الأخدود وغيرها ، يكاد الثبات يكون أعظم دروسها قاطبة).هـ. أردت أن أؤدب نفسي وأعطيها درساً عنيفاً حتى لا تعود لما كان منها ، فأنشدت هذي القصيدة.)

يـــا قلـــبُ ، عهـــد التيـــهِ ولـــى وانـــدرسْ! فَلـــم الأســـى؟ ولـــم الوُجُـــومُ المُبتـــئسْ؟

ولـــم البُكـــاء بـــلا انقطـــاع ، والعَنـــا؟ ولـــمَ التعلـــل بالتمـــاوتِ ، والخـــرس؟

ولـــمَ التفـــاخر بالضـــلالة ، والهَـــوَى؟ ولـــم التعـــالي بـــالخراب المُنـــدرس؟

ولـــم الـــتحمُس للجهالـــة والجفـــا؟ ولـــمَ التميّـــع فـــي متاهـــات الشـــرس؟

ولـــم التعلُـــقُ بالضـــلال ، وأهلـــه؟ ولـــمَ التـــردي فـــي الركـــام المُـــنخفس؟

دعْ عَنـــك عهـــد الجاهليـــة ، واســـتفقْ تلـــقَ الحيـــاة عزيـــزة ، ودع الـــدَنَس

دع عنـــك مـــا قـــد فـــات ، واســـمُ إلـــى العُـــلا وارجُ الهدايـــة مـــن إلهـــكَ ، والـــتمس

وابـــكِ المَعَاصـــيَ والخطايـــا والخنـــا وتحـــرّ فـــي الأصـــحاب دومـــاً ، واحتـــرس

قَـــم فاســـمُ للعليـــاء فـــي دنيـــا التُقـــى مـــا فـــاز - فـــي الـــدنيا - ســـوى القـــوم الحُـــنُس

لا ، يـــا خليـــل الـــوهم ، دربُـــكَ بائـــدٌ ثـــم الـــذي تبكيـــه ولـــى وانـــدرس

أصـــحابُ ماضـــيك الـــذي تبكيـــهِ فـــرّ قَ بيـــنكم ديـــنُ الإلـــه ، ولا عـــرس!

فـــالأمر أمـــرُ عقيـــدة ، يـــا صـــاحبي مـــا أنـــت فيـــه - اليـــوم - لـــيس بُملتـــبس

هـــي شِـــرعةُ الـــرحمن لـــيس بهـــا خفـــا إذ كيـــف ديـــنُ الله - يومـــاً - يَلتـــبس؟

فـــي ســـورةِ (اقتربـــت) قرأنـــا آيـــةً تُنبيـــك أن الـــدين لـــيس بـــه غلـــس

قـــد يُسِّـــر القُـــرآنُ ، أصـــبح هينـــاً لِمـــن اتقـــى ، ولمـــن عَصَـــى ، ولمـــن رَكَـــس

لكنمـــــا تيـــــارُ أمـــــر الجاهليـــــ ـــــة جـــارفٌ ، والفجـــر لـــيس بمُنـــبجس

ثَقُلـــــتْ عليـــــك الجاهليـــــةُ فتـــــرةً فتقبلـــتْ خلجـــاتُ رُوحـــك فـــي الـــنجس

وصـــــحبتَ أعفـــــن رِفقـــــة همجيـــــة تئـــدُ الحماســـة فـــي سُـــويداء القـــبس

أخـــــذوك شـــــهماً عبقريـــــاً صـــــاعداً تُقـــري الضـــيُوف ، تُقيـــل عثـــرة مُـــرتكس

قـــادوك نحـــو ضـــلالهم ، يـــا للأســـى! وبقيـــتَ دهـــراً فـــي تلافيـــف الغـــبس

هـــل كـــان ســـهلاً أن يُضـــلوا عـــاقلاً؟ أو كـــان ســـهلاً أن يُصـــيبوا المُختـــبس؟

يـــا ليـــت شِـــعري ، كيـــف لـــم تفطـــنْ إلـــى إفـــلاسِ جيـــل مُســـتنير بالـــدنس؟

أو ليـــت شِـــعري كيـــفَ سَـــهم الجاهليـــ ـــة فـــي ترائبـــك المحَصّـــنة انغـــرس؟

أو ليـــتَ شـــعري كيـــف صغـــتَ الشـــعر فـــي آلام مـــا تلقـــى مـــن التيـــه الشـــرس؟

أو ليـــتَ شِـــعري كيـــف أحببـــت الركـــو ن إلـــى الضـــلالة والجهالـــة والفلـــس؟

أو ليـــتَ شِـــعري كيـــف تُقـــت إلـــى الحضيـــ ـــض وأهلـــه ، يـــا للغـــويّ المُـــنطمس؟

أو ليـــتَ شِـــعري كيـــف قـــد غلبـــتْ ضـــلا لـــتُهم عليـــك ، وأنـــت للرُجعـــى حمـــس؟

أو ليـــتَ شـــعري كيـــف أعجبـــك اللظـــى فمدحتـــــه ، وأراك كُنـــــت المُنخـــــرس؟

أو ليـــتَ شِـــعري كيـــفَ ضَـــيّعتَ السنيـــ ـــنَ تُحـــبهم؟ أواه مـــن رجُـــل تَعِـــس!

أو ليـــتَ شِـــعري كيـــف ســـيق الفَـــذْ نحـــ ـــو متاهـــةٍ؟ بـــل كـــان فيّـــاض الســـلس!

أو ليـــتَ شِـــعري كيـــف مثلُـــك لـــم يفـــقْ؟ بـــل كيـــفَ مثلُـــك ـ بالمذلـــة – يـــأتنس؟

أو ليـــتَ شِـــعري كيـــف يـــا مســـكينُ دا عبـــك الهـــوى ، فأرمـــت مِـــن عَفَـــن الطفـــس؟

أعطيـــتهم مَـــتن الجـــواد ليركبـــوا فتمـــردوا ، والليـــل يُوغـــل فـــي الطـــنس

والمُعـــدم المِســـكين أمضـــى العُمـــر فـــي أهوائـــه ، وكـــذاك فـــي البلـــوى ارتكـــس

كـــم فـــي ريـــاح التيـــه ماتـــت شُـــعلةٌ ثـــم الليـــالي بعـــدها سُـــودٌ عُمُـــس!

وطعـــامُ مُعـــدمنا الهشـــيمُ وشُـــربه ... مـــن علقـــم فـــي المـــاء ذيـــب مـــع الملـــس

ومضـــتْ سِـــني العُمـــر تتـــرى لـــم تقـــف ... والضـــائعُ المطعـــونُ لمّـــا يبتـــئس

مـــا كـــان يشـــعُرُ بالعـــذاب يُذيبـــه ... وكـــذاك لـــم ينظَـــرْ لفجـــر ينـــبجس

يـــا أيهـــا المَخبـــوء فـــي جـــوف الثـــرى ... دع عنـــك ذكـــر التيـــهِ ذاك المُنـــدمس

إذ كيـــف تـــذكُرُ جاهليـــة تافـــهٍ ... بتشـــوق ، مـــا أنـــت بالـــدنيا شـــئس؟

لـــو أن وجهـــك قـــد تبســـم للـــردى ... لرأيـــت دنيـــا النـــاسِ كالرجـــلِ الـــبلس

يـــا صـــاحبي دع عنـــك أحـــلام الصِّـــبا ... إن الصـــبا فـــي بـــرد ظلـــك مُحتـــبس

واهتـــك سُـــتُور الغـــيم إن هـــي أينعـــتْ ... وارجُ الحيـــاة كريمـــةً ، لا تنـــتكس

دع عنـــك أهـــل الجاهليـــة ، إنهـــم ... شـــبحٌ تبـــدى فـــي الشـــبيبة ، وانطلـــس

كالنقطـــة الســـوداء فـــي ثـــوب الســـنا ... عـــادَ الســـنا ، أمـــا الـــدجى فقـــد انطمـــس

هُـــم غيّبُـــوك عـــن الهدايـــةِ فتـــرةً ... قـــد كنـــت تضـــربُ فـــي الضـــلال وتقتـــبس

واليـــومَ لمّـــا يأخـــذوا عنـــك الهُـــدى ... كيـــفَ الغنـــيّ نـــراهُ يُمســـك بـــالفنس؟

يـــا صـــاحبي صُـــبحُ الهِدايـــة مُســـفرٌ ... عـــن وجـــه يَـــوم ضـــاحك الـــذكرى شـــمس

وكـــذاك أمطـــارُ التُقـــى هطلـــتْ وبـــ ... ـــــدّدَ ماؤهـــا عفـــن المُضـــلين الـــنجس

أرأيـــت نفســـك مُســـلماً مُترفعـــاً ... عـــن كـــل رجـــس بائـــد الفحـــوى دنـــس؟

أرأيـــت زوجـــك ، والحجـــاب يَصـــونها ... عـــن عـــين ذؤبـــان القطيـــع المُفتـــرس؟

فـــوق السَّـــحاب تســـيرُ؟ لا بـــل فـــوق أر ... ض الله تُعلينـــا الهِدايـــة والقُـــدس

وكـــذاك يُعلينـــا الكِتـــابُ ، ومـــا روى الـــ ... ـــمِقدادُ أو ســـعدٌ وجُنـــدُبُ أو أنـــس

فَهمـــا دليـــلُ المـــرء فـــي هـــذي الـــدُنا ... ألقاهمـــا لنبينـــا (رُوحُ القُـــدس)

يـــا صـــاحبي ، وجـــهُ الهدايـــةِ باسِـــمٌ ... مُتهلـــلٌ ، ثـــم الفســـاد قـــد انـــدمس

فـــيم التعلـــقُ بالحضـــيض وقـــد أعـــ ـــزك ربنـــا ، ونُشـــلت مـــن قـــاع الـــديس؟

إيـــاك أن تطـــأ الحضـــيض تشـــوقاً مـــن كـــان يَرجـــو الـــذّل فـــي الـــدنيا تعـــس

دع عنـــك دعـــوةَ مُفلـــس مســـتكبر قَـــم ، فـــاقرأ (الأنعـــام) ، ثَـــم اقـــرأ (عَـــبَس)

إذ ، لـــيس فيـــه الخيـــر ، فـــاطرق غيـــرهُ لـــن تَعـــدم الإقبـــال فـــي المـــرء الســـلس

لا ، أن تعـــود إلـــى الضـــلالة والخنـــا أنـــت الـــذي لحقيقـــةِ التقـــوى درس

اصـــدعْ بمـــا تـــؤمر ، وأعـــرضْ عـــن جميـــ ـــع الجـــاهلين الفاســـقين ، فهـــم نجـــس

يومـــاً سَـــيظهر أمـــرُ ربـــك ، لا تخـــفْ والمُجـــرمُ الشـــيطانُ حتمـــاً ينـــتحس

أنـــتَ العَزيـــزُ ، بعـــزةِ الجبـــار ، ثـــرْ لا تخـــشَ مـــن شـــيطان قومـــك والحـــرس

•• بعض معانى المفردات حسب ورودها ••

• القبس: شعلة النار تؤخذ من معظمها. • روح القدس: جبريل عليه السلام. • القُدس: الطُهر. • يوم شمس: ذو شمس. • ينطلس: من ينطلس أثره أي يختفي. • الطَفس: هو قذر الإنسان إذا لم يتعهد نفسه بالنظافة. • الطَنَس: هي الظلمة الشديدة. • العرس: الدهش. • العلس: هو ضرب من البُر. • ليال عمس: حالكات السواد. • الغبس: الظلمة الشديدة. • الغلس: ظلمة آخر الليل. • الفنس: الفقر المدقع. • ينبجس: ينفجر. • الرجل البلس: الذي لا خير فيه. • حمس: متحمس. • الحنس: الورعون المتقون. • المختبس: هو اسم من أسماء الأسد. • الماء المنخفس: المتغير الرائحة. • الدلس: الظلمة. • الديس: جمع ديسة وهي الغابة المتبلدة. • السلس: المنقاد أوسهل الانقياد. • شئس: من فلان شئس أي فرح. • الشرَس: سوء الخلق.

(تذكرتُ وَصية النبي – صلى الله عليه وسلم – لعبدِ الله بن عمر: (كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابر سبيل). وتذكرت معها الزيادة التي قالها ابن عمر: (إذا أصبحت فلا تنتظر المَساء ، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح) ، تلك الزيادة التي ينسبها كثيرون للنبي – صلى الله عليه وسلم – بطريق الخطأ! وبعد ذلك استغرقت في غربتيَّ: والتي أولاهما عن الدار والأهل والعشيرة ، وهي ما يطيبُ لي أن أسميه بالغربة الصُّغرى الهيّنة ، وأما الثانية فهي غربة كل إنسان في دنياه حيث إنه يوماً سوف يُودعها ويرحل عنها شاء أم أبى ، وأما الغربة الكبرى العاتية ، فهي غربة الدين (تلك التي يرى المسلم الموحد القانت فيها نفسه غريباً بين الناس ، إلا من قلةٍ يغتربون غربته ، بعضهم قد فارق الأوطان ، التي تحاربه في دينه ، إلى أخرى أقل منها حرباً ، وبعضهم غيبته المقابر ، وبعضهم في غياهب السجون لا يعرف أحدٌ عنه شيئاً إلا الله. فكتبتُ هذه الفكرة شعراً ، أعطيتُه عُنواناً هو: (مخالب الغُربة) عانياً الغربة الكبرى. والأصل أن يتبع المسلم الشرع المنزل من عند الله ، ولا يتبع هواه! (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـهَهُ هَوَاهُ؟ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا؟). (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ، وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً؟ فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ؟ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ؟). (بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ * فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ، فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ). (وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ، بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ ، فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ). (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ ، وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ). (لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً ، كُلَّمَا جَاءهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ). (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ، وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ، وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ ، وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ، أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ؟) (وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ، قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى ، وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ). (وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ ، وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ، وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ، وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ). (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ، فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ، وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى ، فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ، إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ). (وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ ، وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ). (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ، وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ، ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ). (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ، مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ، فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ ، وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ ، لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ، وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ، وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم ، فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ ، إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ، فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ ، وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ ، وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ ، فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ

ذُنُوبِهِمْ ، وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ؟ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ). (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ، وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً ، وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ). (قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ ، قُل لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ). (قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللّهَ حَرَّمَ هَذَا ، فَإِن شَهِدُواْ فَلاَ تَشْهَدْ مَعَهُمْ ، وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ). (وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ، وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ ، مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ). (فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ ، وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ ، وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ، اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ، لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ، لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ). (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيئًا ، وإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ * هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ). (فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى). (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا). (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهِيَ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى). (أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ). (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ، شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ ، إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ ، فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا). (إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم ، مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى). (وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ ، إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ). (قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا؟ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ ، وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ). (وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا ، إَنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ عَلَيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ). (وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ، وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا). وفي محاضرة له بعنوان (اتباع الهوى) يقول الشيخ الدكتور إبراهيم بن عبد الله الزهراني ما نصه: (الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة ، هو أصل دين الإسلام ، فمن أسلم وجهه لله ووقف عند حدوده ، فقد اهتدى ونال الدرجات العلى. قال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ، وَنَهِيَ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} ، وأما من أتبع نفسه هواها ، فإن عاقبته الهلاك ، والخذلان. وذلك أن المعاصي والبدع ، كلها منشأها من تقديم الهوى على الشرع. قال تعالى: {فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى}).هـ. ومن هنا كان عزاء النفس على التفريط في جنب الله.)

أيهـــا المجنـــوز فـــي نـــار الأســـفْ إنمـــا الـــدُنيا سَـــرابٌ يرتجـــفْ

غربـــة الإنســـان فيهـــا مُـــرةٌ عَبْرهـــا تســـري الرزايـــا والعَجَـــف

غربـــةٌ تُهـــدي لحاديهـــا الـــردى وجَناهـــا مِخلـــبٌ فيـــه الوَكـــف

غَربـــــةَ - فـــــوق فـــــؤادي - ســـــيفَها أدمنـــــتْ عِشـــــقَ الـــــدما دون هـــــدف

حطمـــــتْ عمـــــداً جهـــــاراً خُلتـــــي إن نـــــور العُمـــــر فيهـــــا ينكســـــف

غَربـــــةَ ، والحُـــــرُّ فيهـــــا ضـــــائعٌ والرقيـــــعُ النـــــذلُ موفـــــورُ الثطـــــف

والعَميـــــلُ الوغـــــد فيهـــــا مُكـــــرمٌ ورفيـــــعُ القـــــدر يغشـــــاه الجَنـــــف

غَربـــــةٌ تُعطـــــي لمـــــن يطغـــــى الصـــــوى ثـــــم تُعلـــــي فـــــي الأنـــــام المُنحـــــرف

لســـــتُ أرضـــــى ذلهـــــا بـــــين الـــــورى ذاك ســـــر المُكـــــث فـــــي نـــــار الأســـــف

نـــــال مـــــن عينـــــيَّ تخـــــذيلُ الجـــــوى خِلـــــتُ أن المـــــوت حتمـــــاً قـــــد أزف

بـــــاتَ سَـــــهمُ الكـــــرب يُـــــدمي بســـــمتي ثـــــم راح العَـــــزم حـــــولي ينحســـــف

عـــــاث خَطـــــبُ الغـــــدر فـــــي أمنيّتـــــي إن غـــــدر الوغـــــد يغتـــــالُ الشـــــرف

غـــــار جُـــــرحُ الهـــــول فـــــي إشـــــراقتي ثـــــم راح الجـــــرفُ فـــــوقي ينقعـــــف

كبلـــــتْ عِيـــــرُ النفـــــاق المُرتقـــــى كيـــــف أمضـــــي فـــــي العـــــذاب المُرتصـــــف؟

وانبـــــرى سُـــــم الأفـــــاعي شاخصـــــاً لـــــم أعـــــد أقـــــوى علـــــى هـــــذي الـــــذُعُف

وانطـــــوتْ نفســـــي علـــــى آهاتهـــــا ويـــــحَ قلبـــــي! بـــــت يكـــــويني الـــــدنف

ثـــــم غشّـــــى الـــــدمعُ ســـــلوى صـــــفحتي ودمـــــوعُ العـــــينِ تكـــــوي والشـــــظف

اقـــــرأ الحـــــق ، وصـــــاحبْ أهلـــــه واتخـــــذ صـــــحباً يواقيـــــتَ الصُّـــــحف

صـــــاح: قـــــد تلقـــــى كتابـــــاً صـــــاحباً فبهـــــدْي الكتْـــــب يـــــا صـــــاح التحِـــــف

كتـــــب الحـــــق المبـــــين عُـــــدة تلـــــك نعـــــم الأهـــــل والخـــــل الألـــــف!

إنهـــــا - بعـــــد المليـــــك - عوننـــــا إنهـــــا البحـــــر ، ومنهـــــا نرتشـــــف

غربـــــة طالـــــت ، فزادتنـــــي أســـــىً ضِـــــقتُ ذرعـــــاً بانفعـــــالات الضـــــفف

خمشـــــتْ قلبـــــي ، وشـــــجّتْ خـــــاطري وطـــــوتْني فـــــي تلافيـــــف الأفـــــف

كيـــــف هـــــذا الضـــــيقُ أدمـــــى دمعتـــــي؟ كيـــــف ـ فـــــي تيـــــار وجـــــدي ـ أنجـــــرف؟

كيـــــف لـــــم أحـــــذر دعـــــاوى حاقـــــدٍ؟ كيـــــف ـ مُنـــــذ البـــــدء ـ لمّـــــا ينكشـــــف؟

كيـــــف أســـــعى فـــــي متاهـــــات الـــــدُّجى؟ إن ظلـــــم النـــــاسِ يُـــــردي والغســـــف

غربـــــةَ الإنســـــانِ فـــــي هـــــذي الـــــدنا عُزلـــــةَ ، والمـــــرء فيهـــــا يعتكـــــف

لِكـــــن الشـــــيطان أدمـــــى أرضـــــنا كـــــل شـــــبر ، مـــــن سُـــــهول أو قَـــــذَف

فِســـــقهُ عـــــال بأرحـــــاب القُـــــرى فـــــي البـــــوادي ، كـــــان أو أعلـــــى النجـــــف

دُعـــــرُهُ فـــــي كـــــل وادٍ مُعلـــــنٌ يحتـــــوي الإنســـــان مـــــن كُـــــل الحيـــــف

كيـــــف يُغتـــــال المُريـــــدُ عفـــــة عبـــــرَ هـــــذا الـــــدُعر والهـــــزل الخـــــرِف؟

كيـــــف كـــــادت لـــــرؤاهُ جيفـــــة وغـــــدت أغلالـــــه تِلـــــكَ الجيـــــف؟

جيفـــــةَ تقضـــــي بشـــــرع مـــــن طغـــــى تُـــــتقنُ القـــــانونَ ، تهـــــذي ، تحتـــــرف

جيفـــــةَ تحمـــــي مـــــواخير الخنـــــا هـــــل عـــــن القـــــوّاد هـــــذي تختلـــــف؟

جيفـــــةَ تحـــــت المحاريـــــب انـــــزوت تمـــــدحُ الشـــــيطان مـــــدح المُحتـــــرف

جيفـــــةَ عنـــــد الثغـــــور كـــــالردى تُحكِـــــم الأبـــــواب غلقـــــاً ، والخُنُـــــف

جيفـــــةَ تحتـــــال فـــــي صـــــنع الهـــــوى إنمـــــا نـــــارٌ ـ بـــــدت ـ تِلـــــك الوُظَـــــف

جيفـــــةَ ـ فـــــوق الرقـــــاب ـ ســـــيفها تـــــذبح التوحيـــــد ذبـــــح المُعتســـــف

جيفـــــةَ تكتـــــب هـــــزلاً ماجنـــــاً ... هُـــم - لِمـــا يرجـــو الشـــياطينُ - النصـــف

جيفـــــةَ قِبلتهـــــا مســـــرحُها ... تجعـــل الإفـــلاس مـــن بعـــض الثقـــف

جيفـــــةَ فـــي البحـــر بـــادٍ عُريهـــا ... ثـــم تشـــكو الفقـــر - دومـــاً - والحفـــف

جيفـــــةَ عنـــد الملاهـــي لَغوهـــا ... بـــل تعُـــد الفـــن مـــن أحلـــى الحِـــرف

جيفـــــةَ تنســـاق خلـــف هزلهـــا ... أمـــةَ - عـــن هـــدي ربـــي - تنحـــرف

جيـــفٌ أضـــحتْ تَعُـــوقُ ســـيرنا ... وبهـــذا الحـــال إنـــي أعتـــرف

غَربـــةَ ، والمـــرءُ فيهـــا حـــائرٌ ... مـــن جحـــيم الغـــيظ فيهـــا يَغتـــرف

بـــين قـــومي كنـــت أحيـــا غَربـــة ... حيـــثُ ضَـــلوا فـــي أباطيـــل الصـــلف

قَلـــتُ حقـــي ، مـــا اســـتجابوا للهُـــدى ... لَعنـــةَ المـــولى علـــى ذَل التـــرف

يَحســـبون المـــال أصـــل عيشـــهم ... مـــا أحيلـــى العـــيش فـــي درب الحنـــف!

غيـــر أن القـــوم لمّـــا يُـــدركوا ... غيـــرَ مَـــلء الـــبطن مـــن شـــتى العلـــف

قَلـــتُ: يـــا قـــومي اســـتجيبوا واعقلـــوا ... غيـــرَ أن القـــوم بـــاتوا كـــالتُحف

لـــم يُراعـــوا الله فيمـــا قـــد جنـــوا ... آه مـــن حُمـــق المهازيـــل الصـــلف!

إن درب الظلـــم يُـــردي أهلـــه ... والغبـــيّ الغـــرُّ ، أنـــى يـــأتلف؟

كيـــفَ يعلـــو مَـــن مراميـــه الهـــوى؟ ... إنمـــا الإنســـان تـــوّاقُ الشـــغف

لكـــن النـــوكى متـــى تنظـــرْ لهـــم ... تلقهـــم لمّـــا يُبـــالوا بالقشـــف

غَربـــةَ ، واللهِ ، نالـــتْ مـــن دمـــي ... وأنـــا أشـــتاق فيهـــا للشـــعف

أتـــركُ الـــدنيا ، ومَـــن هـــاموا بهـــا ... ثـــم أرعـــى - فـــي بياديهـــا - الحـــذف

صـــــارت الآمـــــال وحشـــــاً كاســـــراً ... واســـــتحالت كالخيـــــال المنعقـــــف

وعَـــــزا القلـــــب المُعنـــــى أننـــــي ... لـــــم أكـــــن للموبقـــــات المُقتـــــرف

إننـــــي فيهـــــا بـــــرئٌ مخبـــــتٌ ... واقـــــع الأيـــــام بـــــات المعتـــــرف

أثبـــــت الـــــدهر - أخيـــــراً - عِفتـــــي ... إن دهـــــري عـــــادلٌ ، لا يعتســـــف

والزمـــــان العَـــــذب مـــــن فـــــرط الجـــــوى ... داعـــــب الجِســـــم النحيـــــل المُنعجـــــف

يـــــنقش الأحـــــلام فـــــي أنشـــــودتي ... مـــــا أحـــــيلاه! ومـــــا أحلـــــى القُطـــــف!

إن نـــــور الفجـــــر - فـــــي شـــــعري يُـــــرى ... وابتســـــام الـــــروح يســـــمو يلتهـــــف

إن ضـــــوء الشـــــمس عِطـــــرٌ ريحُـــــهُ ... عَطـــــر الـــــذكرى ، وغـــــالى فـــــي الشـــــفف

غيـــــرَ أن الـــــنفس عـــــاتٍ شـــــوقها ... ترقـــــب الأســـــرار فـــــي جـــــوف الصـــــدف

غرّهـــــا نـــــومُ المحـــــار فـــــي الضـــــحى ... نالهـــــا فـــــي التـــــو مـــــا يعـــــرو الكلـــــف

غَربـــــةَ تجتـــــاح فحـــــوى هيبتـــــي ... وتعبـــــي للأحاســـــيس النُجُـــــف

ليـــــت شِـــــعري طـــــال - بالقلـــــب - الأذى ... كيـــــف أنـــــأى عنـــــك يـــــا ذا المُنعطـــــف؟

يـــــا صـــــديقي فـــــي متاهـــــات الجـــــوى ... أدرس التوحيـــــد فـــــي كُتْـــــب الســـــلف

واعتـــــزل أهـــــل التجنـــــي والمِـــــرا ... ثـــــم مـــــن أهـــــل التـــــردي لا تخـــــف

إن تقـــــوى الله كنـــــزٌ ، فارعـــــه ... واذكـــــر المـــــولى نهـــــاراً ، والزلـــــف

والـــــزم الحـــــق الـــــذي أودعتـــــه ... كُـــــن لـــــدين مَـــــن مضـــــى خيـــــر الخَلَـــــف

يـــــا عزيـــــز الـــــنفس ، دنيـــــاك فنـــــا! ... فانـــــأ عنهـــــا ، أنـــــت عنهـــــا مُنصـــــرف

فـــيم تبكـــي فـــي الـــورى هـــذي الـــدنا؟ إن فـــــي الإحســـــاس آثـــــارَ الســـــرف

فاحمـــل الـــنفس علـــى بُغـــض الهـــوى إن مـــــــوت المـــــــرء يجتـــــــاز الأزف

وســـــليم الطبـــــع عنهـــــا معـــــرض لا تغـــــالط ، إنمـــــا العُمُـــــر انتصـــــف

وإذا فكـــــرت فـــــيمن قـــــد مضـــــوْا بـــــاتَ كُـــــلٌ فـــــي مقـــــال مُختلـــــف

فـــــاحفظ المـــــولى ، وحكّـــــم شـــــرعةً تُمْـــــس فـــــي عـــــز ، ويغشـــــاك الغَطـــــف

•• بعض معانى المفردات حسب ورودها ••

• الأسف: أشد الحزن. • العجف: ذهاب الخير. • ينكسف: يحتجب. • الجنف: الظلم. • ينقعف: ينعوج أو ينهار. • الذعف: جمع ذعاف وهو السم. • الشظف: الضيق والشدة. • الألف: الأليف. • الضفف: الشيق والشدة مع الضعف والوهن. • الغسف: الظلمة. • النجف: التل أو المكان المرتفع. • الخرف: فاسد العقل والرأى. • الوُظف: جمع وظيفة وهِيَ ما يقدر لك من رزق. • الثقف: الثقافة والمعرفة. • الصلف: هو الادعاء الأجوف. • الصلِف: المغرور المبالغ في الكذب. • القشف: هو قذر الجلد أو سوء الحال أو هو شيق العيش. • الحذف: الغنم السود الصغيرة. • المنعجف: الهزيل.• الشفف: شدة احمرار وحرارة الشمس. • الأزف: الدنو. • الوكف: الجور والظلم. • الثطف: سعة العيش. • ينحسف: أي يتفتت. • المرتصف: المتراص. •الدنف: المرض المزمن. • يلتحف: يتخذ غطاء. • يرتشف: يشرب بلذة. • الأفف: أي الضجر. • القُذف: جمع قُذفة وهي الشرفة برأس الجبل. • الحيف: جمع حيفة وهي الناحية . •الخنف: جمع خنيف وهو الطريق. • الحفف: عيش سوء وقلة مال. • الحنف: أي الاستقامة. • النجف: جمع نجيف وهو السهم عريض النصل.

من القلب للقلب

(لا يجب على قلب الموحد المؤمن بالله أن يستسلم للوهم طرفة عين أو أقل من ذلك. ذلك أنه على يقين من أن ما يقع في الأرض من أمر أو حدث ، فإن الله – تعالى - قد قدره تقديراً ، وخلقه بقدر. كما أنه يعتقد اعتقاداً جازماً يقينياً ، أن ما شاء الله تعالى كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ويوقن أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وما أصابه لم يكن ليخطأه ، وأن ما ينزل به من خير أو شر ، فإن المليك - عز وجل - قد كتبه له أو عليه. وإذا كان ذلك كذلك ، فلا يتسرب اليأس إلى قلبه أبداً ، كما لا يتسرب الوهم إلى خياله قط. وبين دفتي (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) ، و(إنا كل شئ خلقناه بقدر) ، تكون حياة المؤمن. وصدق من قال يوصي بتقوية الصلة بالله وكفي:

وإذا العنايـــــة رافقتـــــك عيونهـــــا نـــــم ، فالمخـــــاوفُ كلهـــــنّ أمـــــانُ

إنني أهيب بكل مسلم أن يتعهد قلبه ونفسه وجوارحه دائماً ، ويقوي صلته بالله ، ولا يجعل الله أهون الناظرين إليه ، حتى إذا ما خلا إليه انتهك محارمه. ووالله لو فعل أوامر الله ، واجتنب نواهيه وخاف يوم الوعيد ، وأمر بالمعروف نفسه وغيره ، ونهِيَ عن المنكر نفسه وغيره ، ووقف عند حدود الله ، والله ليفلحن في دنياه وآخرته. ولم تكن للأوهام عليه أي سيطرة مهما كثرت. إن الأوهام عندما تحيط بإنسان ما ، فإنها تحيله في أقل من لمح البصر إلى لا شيء ، وذلك عندما لا يكون عنده من رصيد الإيمان وخميرة التوحيد ما يردع به الهواجس ويطعن به الانفعالات ، ولكن عندما يتغلب الإنسان على أوهامه ، بما لديه من العقيده في الله وإخلاص الدين له وكمال التوكل عليه ، فإن هذا يعني انتصاره على الجرح والمصاب ، والقلب الذي يستسلم للوهم ويستكين له ، هو القلب المريض ، بينما القلب السليم هو الذي ينتصر بجدارة على أوهامه ، إن آجلاً أو عاجلاً).

ضـــقتَ بالأوهـــام ، يـــا قلبـــي الـــورعْ! وابتســـــامُ الثغـــــر غطتْـــــه القنُـــــعْ

واليـــــراعُ العـــــذابُ عـــــانى ، واشـــــتكى مـــــن تعـــــابيري ومـــــن بـــــأس الهلـــــع

وقريضـــــي مـــــات فـــــي أشـــــجانه كيـــــف يحيـــــا فـــــي معـــــاريض الهلـــــع؟

أطلـــــب الخـــــلان ، لا ألقـــــى ســـــوى شـــــامتٍ ، أواه مـــــا أقســـــى الوجـــــع!

أنشـــــد الســـــلوى بصـــــحبي كلهـــــم وكـــــأني فـــــي الصـــــحاب المنخـــــدع!

بـــين كـــل الصـــحب ، كنـــتُ المبتغـــى ثـــــم أصـــــبحتُ المُـــــلام المبتـــــدع

كـــــان بيتـــــي للرفـــــاق الملتقـــــى ونظيـــــرُ البيـــــت هـــــذا منقطـــــع

حيـــث نتلـــو - تـــارة - قرآننـــا ثـــم هَـــدْي المصـــطفي ، لا نبتـــدع

لـــيس للترفيـــه نتلـــو ، إنمـــا عاقـــدين العـــزم أنـــا نتبـــع

غيـــر أن الصـــحب لمّـــا شـــاهدوا ســـادنَ الشـــيطان والوغـــدَ اللكـــع

صـــدقوا فـــيّ الوشـــاة ، وبـــدا شـــجبُهم ، يـــا للنفـــاق المُصـــطنع!

ثـــم هـــا هـــم فـــي الـــبلاء افرنقعـــوا! واســـتحلوا غيبتـــي ، يـــا للنطـــع!

إن هـــذا الظلـــم - عنـــدي - كـــالردى هـــل عـــدوٌ خلتـــي ، والمجتمـــع؟

إننـــي - فـــي النـــاس - كنـــتُ خِلكـــم إننـــي عـــن عـــونكم لـــم أمتنـــع

صـــدقوني: إننـــي أحببـــتكم حـــب صـــدق ، لـــيس حـــب المنتفـــع

غيـــر أن القلـــب عـــاتٍ جرحُـــه ضـــاق بالأحبـــاب مـــن تلـــك الخِـــدع

كيـــف تُـــردي القلـــب أنـــاتُ الجـــوى؟ كيـــف هـــذا القلـــبُ - فـــي النـــاس – انختـــع؟

كيـــف لـــم يعـــرفْ صـــديقاً مـــن عِـــدا؟ كيـــف غرتـــه الزوايـــا والبيَـــع؟

لـــيس هـــذا الأمـــر عنـــدي هيّنـــا إنـــه صـــعبٌ علـــى القلـــب الـــورِع

أيهـــا القلـــب تصـــبرْ بـــالتقى إن صـــبر المـــرء يُغنـــي ، والـــوَرَع

إن نـــار الهجـــر تكـــوي ، والنـــوى ثـــم إن القلـــب - فيهـــا - يلتـــذع

فاكســـر القيـــد الـــذي فـــي مِعصـــمي ثـــم فـــارقْ مَـــن علـــى الـــذل انطبـــع

أنـــت قلـــبٌ مـــؤمنٌ مستبصـــرٌ فاســـمُ للعليـــا ، ولا تخـــش الفـــزع

واســـتفد يـــا قلـــب ممـــا قـــد مضـــى وارض بالمقســـوم ، واســـعدْ بالـــدفع

واســـع للطاعـــات ، واســـلك دربهـــا وانتـــق الأصـــحاب كـــيلا تنـــدفع

عُـــد إلينـــا ، حـــاملاً عطـــر المُنـــى فحبـــالُ الـــوهم باتـــت تنجـــزع

واعتـــزل مَـــن - فـــي بلايـــاكَ - ســـعوْا هـــؤلاء القـــوم مـــن أشـــقى الشـــيَع

واتـــرك الأوبـــاشَ ، لا تحفـــل بهـــم ضـــاع مَـــن قـــد يـــأمن القـــوم الـــدنع

وافتكـــر فـــي أســـرةٍ مســـكينةٍ دكّهـــا - فـــي مقتـــل - ضـــبٌ خـــدِع

باعهـــا بيـــعَ الرقيـــق ، مـــا اســـتحى كيـــف بيعـــت - فـــي الـــورى - بَيـــعَ الســـلع؟

مـــا لهـــذا الســـؤل ردٌ يـــا تـــرى؟ هكـــذا الأشـــرافُ فـــي عُـــرف الزمـــع

كيـــف يُرمـــى - فـــي البيـــادي - طفلنـــا؟ كيـــف تـــردي الحـــرّ أنيـــابُ الجشـــع؟

كيـــف ضـــاع الخيـــرُ فـــي هـــذي الـــدنا؟ كيـــف يســـري - فـــي روابينـــا – القـــذع؟

كيـــف يســـري - فـــي نوايانـــا – الهـــوى؟ كيـــف للأوغـــاد قلبـــي يتســـع؟

لـــيس للأنـــذال عنـــدي خـــاطرٌ؟ كيـــف للأنـــذال عقلـــي يســـتمع؟

كيـــف صـــرنا - فـــي البرايـــا – كالـــدمى؟ كيـــف يثـــري غزلَـــه فينـــا الـــزوع؟

أيـــن ديـــنُ الله منـــا ، والهُـــدى؟ كيـــف ســـادت بيننـــا ذاتُ الـــودع؟

آه ، مـــا أقســـى قلوبـــاً فســـقتْ! كيـــف لـــينُ القلـــب منـــا يُنتـــزع؟

آهِ قـــد ضـــاع الإخـــاءُ المُرتجـــى! كيـــفَ تؤوينـــا وتفرينـــا المُتـــع؟

آهِ مـــن ســـحر الخبيـــثِ السَّـــامريْ! كيـــف يُزْكـــي سُـــمَّةَ فينـــا الرَثَـــع؟

آهِ قـــد كنـــا نُضـــحّي للهُـــدى! كيـــفَ تُهنـــا فـــي دهـــاليز البِـــدع؟

صـــاحِ قـــد كُنـــا لَيُوثـــاً فـــي اللقـــا كيـــف عـــادَ القهقـــرى صَـــوتُ البِـــدع؟

صـــــاح قـــــد كُنـــــا فِـــــداءً للحمـــــى كيـــــف نُـــــورُ الحَـــــق مِنـــــا يُقتلـــــع؟

صـــاح عـــانى القلـــبُ مـــن فـــرط الأســـى كيـــف عَبـــر الضَّـــيم تنهـــد القلـــع؟

هـــل حَـــلاَلٌ أن يُـــرى فينـــا الجفـــا؟ كيـــف يُـــؤذي الـــرُّوحَ إعصـــارُ القَفَـــع؟

هـــل خُـــدِعنا فـــي شـــخوص كالـــدُمى؟ كيـــف حـــامى عـــن مخازيـــه الضَـــبُع؟

هـــل أَكِلنـــا ، ثـــم زالـــت دولـــة؟ كيـــفَ مُتنـــا تحـــت أنيـــاب الكشـــع؟

أم قَبِلنـــا العـــيش فـــي نـــار الشَّـــقا؟ كيـــف فـــي الأوهـــام يطوينـــا الجَـــزع؟

كيـــف يَحيَـــا المـــرءُ فـــي هـــذا الـــدجى؟ كيـــف - بَعـــد السِّـــلم - ينـــدكُّ اليفـــع؟

لا تسَـــلنِي يـــا قلبيـــي ، إننـــي لَـــيسَ لـــي - وســـط الخزايـــا - مُنتجـــع

لاحقتنـــي فـــي الـــدُّروب نـــارُهم وأنـــا المِســـكينُ ذو القلـــب الوَجِـــع

ثَـــم أحـــلامُ الشَّـــباب انســـدلتْ! شَـــمسُ آمـــالي خبـــتْ لَـــم تنصـــلع!

كُبِّلـــت - عَبـــرَ الـــدُّجُنّ - فرحتـــي والحنايـــا شـــجَّها النّـــذلُ البَشـــع

والأحاســـيسُ اســـتكانتْ للظـــى وفَـــقَ مـــا تهـــوى لَهَـــا أمّ الجـــذع

لســـتُ أدري- فـــي الخطـــوب - حـــوبتي ثـــم قلبـــي كيـــفَ أضـــناهُ البـــذع؟

مُنـــذُ تـــاب لـــم يَكُـــن مســـتخزياً إنـــه للحَـــقِّ نِعـــمَ المُتبـــع!

كـــم بِقيعـــان الضـــلالات هـــوى! لَـــم يَكُـــن بالمُســـتكين المُنخـــرع

كيـــفَ - فـــي الإســـلام - يَغـــدو خـــائراً يَحتســـي الأســـقام بـــالفمّ الـــدمع؟

كيـــف يـــا قلبـــي تـــردَّ راحتـــي بقليـــل؟ أنـــتَ للجـــوعى الشِـــبع

إنني بالدمعِ ، أحكي صَرختي ... ثم لم ينصتْ لها القَومُ الشُجُع

لَكِنِ الشُّجعان ماتوا كلّهُم ... ما تبقى غيرُ أقوام خُنُع

يا قَليبي ، لا تدعني ماثلاً ... إن بأسي يحرقُ الوغدَ الدَنع

كُنتَ للآمال أندى روضةٍ ... ثمَّ أنت - اليَومَ - قفرٌ من مُلَع

تنشد الأشرافَ لا تلقى سوى ... حفنة الضُلال في هذي الضيَع

تبتغي في النار ظلاً وارفاً ... هل بما ترجوه أنت المقتنع؟

أم تريد العيش سهلاً هيناً؟ ... هل تسير الفلكُ من غير الشرُع؟

جُع ، وأجمل يا فؤادي في الورى ... كيفَ يحلو العيشُ من غير التقع؟

يا فؤادي ، إنك المَقتُول في ... هذه الدُّنيا ، ولست تَرتَدع

إن هذا العَيبَ فيكَ مُثلة ... فاقتل الأوهام ، حتى ينقشع

وارق للعلياءِ ، زدني دَفعةً ... آهِ ، ما أحلى المراقي والدُفع!

أنتَ - في الأغيار - قلبٌ ثابتٌ ... كنت صلداً ، لستَ بالقلب القشع

وأراك الآن تهجو لهجتي ... بلسان - في التشاكي- ينصمع

فلتعُد للرُّشد قَلبي ، والمُنى ... إن في الشريان يَهتاجِ القَلَع

وليَر الأعداء مِني صولةً ... إن تيار الدُّعا لن ينقطع

ولتَمُت في قاع جَوفي آهتي ... حيثُ يأتي في جنى الصَّمت الفَنَع

خابَ من قد رامَ خيراً في العِدا ... إنهم عون الشياطينِ التَّبع

إن تَسَـــــلني عـــــن شـــــياطين الـــــدُنا تلـــــقَ مِنـــــي لَعَـــــنهم ، لا ينبتـــــع

ثـــــم إنَّ القلـــــب مـــــن أفعـــــالهم بـــــات يـــــدعُو الله بالـــــدمع الضـــــرع

ربِّ خُـــــذهم ، والجنـــــودَ والمَـــــلا إن زرعَ الظَلـــــم - فـــــي الـــــدنيا - يَفَـــــع

•• بعض معاني المفردات حسب ورودها ••

• القُنُع: جمع قناع. • اللهع: التشدق في الكلام والتقعر. • النطع: المتشدقون. • البيع: جمع بيعة وهي متعبد يكون للنصارى. • الدقع: الرضا بالدون من المعيشة. • الشيع: هم أنصار الناس. • الزمع: هم رذالة الناس. • القذع هو الخنا والفحش. • الزوع: العنكبوت. • المُتع: جمع متعة. • الكشع: الضجر. • اليفع: التل. • الوجع: المرض والعي. • البذع: الفزع. • الدمع: من رجل دمع أي شديد الدمعة. • القوم الشجع: أي الشجعان. • الرجل الدنع: الذي ليس له لب أو عقل. • الضيع: جمع ضيعة ، وهي القطعة الصغيرة من الأرض عليها سكان. • التقع: الجوع. • الدفع: جمع دفعة. • ينصمع: من قول العرب: فلان ينصمع في غضبه أي يمضي فيه. • ينقفع: ينقطع. • ينبتع: ينقطع. • يفع: من اليفاع إذا هو يشب وينمو. • الهلع: هو أفحش الجزع. • اللكع: اللئيم الأحمق الغر. من الناس. • ينختع: من قول العرب ، ينختع في الأرض أي يذهب في الأرض فلا يبدو له أثر. • يلتذع: يحترق وجعاً. • القوم الدنع: من قول العرب ، رجل دنع أي لا لب له ولا عقل ولا حكمة ولا رأي ، وإذن فالقوم الدنع هم سفلة الناس. • الجشع: أشد الحرص. • ذات الودع: هي الأوثان. • الرثع: الشره والحرص وكذا حب التملك. • القلع: جمع قلعة ، وهي في الأصل كل حجر عظيم ضخم. • لم تنصلع شمس اليوم: أي لم تبزغ. • أم الجذع: الداهية الدهياء أو الكارثة أوالمصيبة. • المنخرع: من ينخرع يعني يضعف ، والمنخرع الضعيف. • الشبع: ضد الجوع. • أقوامٌ خنع: جمع خانع وهو الجبان. • مُلُع: جمع مليع وهي مأخوذة من الأرض التي لا نبات فيها. • الشرع: جمع شراع. • الذرع: الطمع. •القشع: الرجل لا يثبت على حال ، بل متقلب حاد الطبع. • القلع: الدم. • الفنع: الخير والفضل. • الضرع: من قول العرب ، فلان ضرع إذا كان ذليلاً مهاناً!

أطلال المأساة

(قديماً كان الشعراء الجاهليون يبكون على الأطلال ، والتى أغلبها بقايا ديار المحبوب. ولكنني في قصيدتي هذي أبكي أطلال مأساة عشتها وحدي. وسببها الرئيسي الأقربون. وإن كل إنسان ساعة تنزل به نازلة ، ويحاول بكل ما أوتي من طاقة أن يحتويها ، ويتغلب عليها بفضل الله ورحمته ، فإنه يسعد بذلك الانتصار كل السعادة ، ويشعر فعلاً بلذة الغلبة على لواعج الأسى ، التى تنتاب النفس بين الحين والآخر ، ولكن إذا عاوده طيفُ الحنين إلى ذكريات الماضي ، فإنه يعيشُ مع الأطلال التي تُطل بآلامها ، تُحاول أن تنال منه ، وهو ينظر إليها على أنها شئ فاته ، ولقد عشت هذا الشعور المرير وحدي ، فأنشدت هذه القصيدة وأنا أعيشُ مع أطلال مأساة نزلت بي ، وحزنتُ أنني ألفتها بعد ذلك! ولكنها تبقى مجرد ذكرى ، لها مناسبتها وظرفها المواتي!)

مـــــن الوجـــــد بـــــاتَ يـــــئن الفـــــنْ ... وفـــــي حُزنـــــه لوعـــــةً تكـــــتمنْ

وفـــــي الـــــروض أطلالـــــه تكتـــــوي ... بنـــــار الفـــــراق ، وضـــــغط الإحـــــن

وغـــــدر الصـــــحاب بـــــرى عزمـــــه ... وألقـــــى بـــــه فـــــي جحـــــيم الأتُـــــن

لقـــــد خلـــــف الغـــــدرُ فيـــــه الأســـــى ... فبـــــات - علـــــى الـــــوهم - كـــــالمُمتهن

سِـــــهامُ الأباطيـــــل فـــــي جنبـــــه ... تَفُـــــل الحديـــــد ، وتُـــــردي الضـــــنن

علـــــى الكـــــرب أطلالـــــه تنطـــــوي ... وأســـــفلها قـــــد رأيـــــت الشـــــعن

أســـــائل فـــــي النـــــاس أطلالـــــه ... لتُخبرنـــــي عـــــن ظـــــلال الشُـــــغُن

أســـــائل ، أيـــــن حيـــــاة الـــــورى؟ ... وأيـــــن النبـــــاتُ؟ وأيـــــن الصـــــفن؟

وأيـــــن الحبايـــــبُ مـــــن واقعـــــي؟ ... وكيـــــفَ احتـــــوتْهم دُروبُ المِحـــــن؟

وأيـــــن الحَليلـــــةَ فـــــي غربتـــــي؟ ... وأيـــــن الصِّـــــغار؟ وأيـــــن الـــــوَطَن؟

لقـــــد فارقتنـــــا ، وهـــــذا قضـــــا ... وأمـــــرُ الحيـــــاةِ هُنـــــا مُـــــرتجن

ولكـــــن أعـــــذْلٌ تمـــــادي الشـــــقا؟ ... وهـــــل يُـــــذهب الصَّـــــبر هـــــذا الشَّـــــجن؟

ولكـــــنْ أخيـــــرٌ ضَـــــياعُ الوفـــــا؟ ... ويَمضـــــي الثبـــــاتُ ، ويســـــري الـــــدَّخن

وأطـــــــلالُ مأســـــــاتنا تنـــــــزوي ... تُكفكـــــــفُ دمـــــــعَ الأريـــــــب الأرن

وتُغلـــــــق أبوابهـــــــا فجـــــــأةً ... ليرجـــــــع للشـــــــامتين الأمـــــــن

ومـــــا عـــــاد فـــــي بئرهـــــا شَـــــربةً ... فمـــــاءُ الحيـــــاةِ بهـــــا قـــــد أســـــن

وجفـــــــتْ ينـــــــابيع تحنانهـــــــا ... عـــــدِمْنا المُقـــــامَ بهـــــا ، والسَّـــــكن

وماتـــــت مـــــن الغّـــــم أنوارُهـــــا ... ومـــــا ذاك إلا لفـــــرط الـــــوهَن

ونـــــام النفـــــاقُ علـــــى صـــــدرها ... وجَهـــــزَ للصـــــادقين الكفـــــن

ومـــــا عـــــاد خيـــــرٌ بهـــــا يُرتجـــــى ... لأن الفَسُـــــوق بهـــــا مُقتـــــرن

كـــــذا العُهـــــر فـــــي كُـــــل شِـــــبر بهـــــا ... وإن كـــــان فـــــي الســـــر ، أو فـــــي العلـــــن

تُجـــــاهر بـــــالزور رَبَّ الســـــما ... وتعبـــــدُ أصـــــنامها ، والـــــوُثن

وتغمـــــر بـــــالظلم عُبادهـــــا ... وذو الـــــدين فيهـــــا هُـــــو الممـــــتهن

تُـــــروّج للـــــدعر ، لا تســـــتحي ... وتجعـــــل للفاســـــقين السُّـــــدن

يُتـــــاجر فـــــي النـــــاس أوباشُـــــها ... وفـــــي الجاهليـــــة قـــــومٌ عُـــــتُن

أسُـــــودٌ علـــــى مـــــن يبُـــــث الهُـــــدى ... وجَمـــــعٌ بأوحالـــــه مُفتـــــتن

يُحـــــبُّ الشـــــياطين حُـــــبَّ الهـــــوى ... وعـــــن مَـــــدحهم - قـــــط - لا ينهـــــدن

كـــــأني بـــــه راتـــــعٌ فـــــي الـــــردى ... يُحـــــبُّ الضَّـــــلال ، ويهـــــوى العَفـــــن

ويغـــــرقُ فـــــي الـــــزور مـــــن هزلـــــه ... وإنْ فـــــي البـــــوادي ، وإنْ فـــــي المُـــــدُن

لـــــذلك ، أســـــأل أطلالنـــــا ... لمـــــاذا تغشـــــى النُفـــــوس اليســـــن؟

لمـــــاذا الـــــديار تـــــرُد الهُـــــدى؟ لمـــــــاذا يُســـــــلمها (ذو يَـــــــزن)؟

لمـــــاذا ، وقـــــد حازهـــــا بالـــــدما وصـــــارت لكـــــل العبيـــــد الـــــوطن؟

وكيـــــف غـــــزا الجـــــوْرُ أرحابهـــــا؟ أبعـــــد الهُـــــدى يعتليهـــــا الـــــوثن؟

وكيـــــف النفـــــاقُ غـــــزا قومهـــــا؟ وذو يـــــزن بـــــاع أرض الـــــيمن؟

وكيـــــف الصـــــياحُ امتطـــــى متنهـــــا؟ أبعـــــد الصـــــفاء يكـــــون الـــــرنن؟

صِـــــياحُ العميـــــل أمـــــام الـــــورى أيـــــذكر حقـــــاً؟ أيُجلـــــي الســـــنن؟

أيجعـــــلُ غِـــــراً بـــــه يهتـــــدي ويتـــــرك نَهـــــج العُتـــــاة العَفـــــن؟

وإن العميـــــل لفـــــي سَـــــكرةٍ يبيـــــعُ الهُـــــدى بالمتـــــاع النـــــتن

يبُـــــث الشـــــياطين أنباءنـــــا ويمـــــدحُهم بـــــالكلام المَـــــرن

رأى فـــــي الشـــــياطين أعوانـــــهُ إلـــــى رُكـــــنهم لاهثـــــاً يـــــرتكن

وأطـــــلالُ مأســـــاتنا لـــــم تُجـــــبْ كـــــأني بهـــــا أصـــــبحتْ كـــــالجنن

ففـــــي كـــــل شـــــبر لهـــــا طعنـــــةَ ويُشـــــبه لـــــون الطِعـــــان الفـــــدن

وفـــــي كـــــل صُـــــقع صُـــــنُوف الـــــبلا وأقوامُهـــــا فـــــي أتـــــون الوســـــن

وفـــــي كـــــل نـــــادٍ مصـــــاريعُه رســـــالتهم - فـــــي الحيـــــاة - الـــــددن

وفـــــي كُـــــل وادٍ عبيـــــدُ الخنـــــا ويحمـــــي الضـــــلال الخنـــــا بـــــالأرنُ

وفـــــي كُـــــل حـــــي ضـــــروبُ الربـــــا ومـــــا كـــــاد يَســـــلم منهـــــا بـــــدن

وفـــــي كـــــل منحـــــىً كئـــــووسُ الطـــــلا ويشـــــربها الطِفـــــل ، قبـــــل الـــــيفن!

وفـــي كـــل ثغـــر بُيُـــوت الزنـــا ... وصـــار الزنـــا فـــي عِـــداد المِهـــن!

وفـــي كُـــل مَلهِـــيَ تُبـــاع النســـا ... تمامـــاً كبيـــعِ النيـــاق الأَمُـــن

وفـــي كُـــل سُـــوق تـــرى غِيـــدها ... يســـرن بِغيـــر الحيـــا كالبُـــدن

وفـــي كـــل قفـــر رجـــالُ الهُـــدى ... وأطفـــالهم ، والنســـاءُ الحُصُـــن

وفـــي كـــل زنزانـــةٍ زُمـــرةٌ ... مـــن المُحســـنين بهـــا تُمـــتهن

وفـــي كُـــل تربيعـــةٍ فرقـــةٌ ... مـــن المُخلصـــين بهـــا تُمـــتحن

وأطـــلال مأســـاتنا لـــم تَثـــرْ ... وقـــد خالفـــتْ عـــن جميـــع السُّـــنن

وقـــد ســـلّمتْ رأســـها للعمـــى ... وأرخـــتْ سُـــدىً ظهرهـــا للقَطـــن

ونامـــت علـــى جَنبهـــا تنثنـــي ... ويَعبـــثُ فـــي وَجنتيهـــا الخمـــن

تُخبـــئُ فـــي درعهـــا جهلهـــا ... وأقـــدامُها دُقـــدقت بالخُصُـــن

وصُـــقّد فاهـــا بأغلالهـــا ... كـــأني بـــه قـــد عـــلاهُ الكـــتن

وعينـــا المُعانـــاة لـــم تنظَـــرا ... حقيقـــةَ هـــذا الأذى ، والجُـــنُن

وغامـــت بزلاتهـــا أنفهـــا ... فلـــم تـــدر مـــا حجـــم هـــذي الفـــتن!

فأدركـــتُ أنـــي - هنـــا - مُخطـــئٌ ... توســـمت خيـــراً بخضـــرا الـــدمن

فناشـــدت ربـــيَ غَفرانَـــهُ ... فمـــا كـــان لـــي أن أسُـــب الـــزمن

لأن الزمـــانَ وعـــاءُ القَضـــا ... وإنـــي علـــى مِلتـــي مـــؤتمن

ومـــن كـــان يلعـــنُ أيامـــه ... فكيـــف علـــى هديـــه يـــؤتمن؟

إذا كُنـــتُ بالـــدين مُستمســـكاً ... فـــذلك مـــن طيبـــاتِ المِـــنن

وأطـــــــلال مأســـــــاتنا هاهنـــــــا تَضـــــخ الـــــدماء كَسُـــــحب هُـــــتن

وتـــــــؤذى النُفُـــــوس بأوضـــــاعها وإن الـــــــــزوال لأمـــــــرٌ يقِـــــــن

وإن الـــــــدُّموع ســـــــبيلُ الفنـــــــا كمـــــا يأكـــــل المـــــاءُ صِـــــبغ السُـــــفن

لقـــــد بلـــــل الـــــدمعُ أنشـــــودتي وإن الجراحـــــــاتِ لـــــم تَســـــــتكن

وقـــــد كُنـــــت يومـــــاً أغـــــيظَ العـــــدا فمـــــا بـــــاليَ - اليـــــوم - أشـــــكو الغـــــبن؟!

ولـــــــم أكُ قـــــــطَ أخـــــــاف الأذى وكُنـــــــت الشُّـــــجاع ، وكنـــــت الشـــــفن

وكنـــــتُ أحـــــبُّ رُكـــــوب العُـــــلا ولـــــم أكُ - قـــــط - بـــــه أفتـــــتن

هـــــو الطِيـــــبُ فـــــوق الأمـــــاني النـــــدى ومـــــا كنـــــت أحبسُـــــهُ فـــــي الجُـــــؤن

فكُنـــــــت أعطـــــــرُ دَربَ المُنـــــــى بكـــــدح الحيـــــاة العتـــــيّ الخشِـــــن؟

وأحفنـــــــه ، حِفنـــــــةَ حِفنـــــــةَ وأودع قلبـــــــيَ تلـــــــك الحُفـــــــن

وكُنـــــتُ أحطـــــم كُـــــل الـــــدُّمى ومـــــا كنـــــتُ ألهـــــو بعشـــــق البـــــثن

وكـــــان حرامـــــاً علـــــيَ الغـــــرا مُ ، فلـــــم ترمنـــــي فـــــي الغـــــرام الغُســـــن

ولـــــم أكُ أرضـــــى حـــــديث الهـــــوى وإن كـــــــلام الهـــــــوى للخـــــــنن

فمـــــا بـــــاليَ اليـــــوم أهجـــــو النـــــوى؟ وبـــــتُّ أعـــــاني ازديـــــاد الشـــــزن!

فهـــــلا عَلِمـــــتمُ لمـــــاذا البُكـــــا؟ لمـــــاذا مـــــن الوجـــــد أنّ الفـــــنن؟

وأنّ فُـــــؤادي لـــــذاك الفـــــننْ! وأحزانـــــه مـــــن ضـــــياع الغـــــدن

وأطـــــــلال مأســـــــاتنا ضـــــــيعتي وأشخاصُـــــــها وجميـــــــع الـــــــثكن

تلاقـــــوا جميعـــــاً علـــــى شِـــــقوتي وأضـــــحى جَليـــــاً هُنـــــا مـــــا بطـــــن

كـــــأن الكـــــلام علـــــى مَســـــمعي رمـــــاحُ الأعـــــادي بجـــــوف الأذن

ولكنـــــــه أمـــــــرُ دَيّاننـــــــا فسُـــــبحان ربـــــي عظـــــيم المِـــــنن!

وإلا فمـــــاذا يُجلّـــــي الـــــورى ويُظهـــــر مـــــن نافقونـــــا إذن؟!

•• بعض معانى الكلمات حسب ورودها ••

• الفنن: الغصن. • الأتن: جمع أتون وهو أخدود الجيار أو الحصاص. • الشعن: هو ما تناثر من ورق العشب بعد أن يبس. • الصفن: ما فيه السنبلة من الزرع. • الدخن: تغير العقل والدين معاً. • الأمِن: هو المستجير ليأمن على نفسه. • الوثن: جمع وثن ، مرادف الصنم. • القوم العُتُن: جمع عتون أو عاتن ، وهو القوى من الرجال. • اليسن: من أسن البئر إذا تعفن ماؤه. • المرن: فيه مرونة مع يسر. • الفدن: هو صبغ أحمر. • الددن: اللهو واللعب. • اليفن: هو الشيخ الكبير. • البدُنُ: جمع بدنة وهي من الإبل أو البقر. • القطن: الانحناء ، ومنه أقطن أي منحني. • الخُصن: جمع خصين وهي الفأس الصغيرة. • الجُنُن: الجنون. • أمر يقن: يقينى. • رجل شفن: أي هو الكيس العاقل الحصيف. • الحُفن: جمع حفنة وهي ملء كف المرء من الشئ. • الغُسن: جمع ثكنة وهِيَ القلادة أو القبر أو الحفرة. • يستكن: يستتر. • ذو يزن: هو ملك حمير الذي حمى وادى يزن. • الإحن: جمع إحنة وهي الحقد والغضب والكراهية والعداوة مجتمعة. • الضنن: الشجاع الذي لا يغلب بسهولة. • الشُغن: جمع شُغنة وهي الغصن الرطيب. • مرتجن: الأمر المرتجن أي المختلط. • الأرن: من قول العرب فلان أرن نشيط. • الوهن: حب الدنيا وكراهية الموت وذلك بنص حديث النبي – صلى الله عليه وسلم -. • السدن: جمع سادن أو سدين وهو خادم الصنم المخلص. • ينهدن: من قول العرب ينهدن عن عزمه أي يفتر عنه. • الرنن: هو صياح الماء أيام الشتاء. • الجنن: القبر أو الميت أو الكفن. • الوسن: شدة النوم ومنه سنة من النوم. • الأرن: جمع إران وهو السيف. • النياق الأمن: جمع ناقة أمون وهي الناقة الجميلة الخلق. • النساء الحُصُن: جمع امرأة حَصَان وهي المرأة العفيفة المحصنة ذات المعايير التي تليق ببني الإنسان. • الخمن: هو النتن ، وإذن فالكلمة مشتقة فعلا من النتانة والقذارة. • الكتن: الوسخ والسواد بالشفة. • سحبٌ هُتن: أي مُحملة بالماء تعطره. • الغبن: الضعف والنسيان. • الجؤن: جمع جونة ، وهي وعاء الطيب عند العطار.• البثن: جمع بثنة وهي الزبدة ، أو المرأة الحسناء جميلة القد والقوام والمنظر. • اللخن: هو قبح الكلام. • الغدن: النعمة واللين ورغد العيش ويُسر الحياة وسعتها. • الدمن: جمع دمن وهو البعر. • يكتمن: يختفي ويتوارى فلا يظهر.

إكرام الراحلة

(عند زيارتي لإكرام بنت علي سليمان عبد الرحيم (أختي من أبي) – رحمها الله – لمستُ عندها أصالة الصعيد وأخلاقه. فازداد حبي لها. ومن أجلها أنشدت هذا القصيد. والحب بين الأشقاء فطرة طبيعية ، وإنما يحب كل شقيق من أشقائة وشقيقاته الأقرب منهم إلى الحنيفية التي يدين لله بها ، ولقد كانت إكرام من أحب إخوتي حقيقة إلى قلبي – على أنها كانت أختي من أبي ، وذلك لذات السبب الذي ذكرت. وذات يوم فارقت الحياة الدنيا إلى الرفيق الأعلى ، وكان ذلك صعباً علي ، ورحتُ أسطر هذي الأبيات في رثائها وتأبينها ، وكم كنت أتمنى لو شيعتها بنفسي! ولكنها إرادة الله تعالى. عَنِ الْبَرَاءِ بن عَازِبٍ رضي الله عنه قال: خَرَجْنَا مع النبي صلى الله عليه وسلم في جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَانْتَهَيْنَا إلى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ ، فَجَلَسَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ وكأن على رؤوسنا الطَّيْرَ ، وفي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ في الأَرْضِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فقال: اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ من عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ أو ثَلَاثًا ، ثُمَّ قال: إن الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إذا كان في انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ نَزَلَ إليه مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ ، مَعَهُمْ كَفَنٌ من أَكْفَانِ الْجَنَّةِ ، وَحَنُوطٌ من حَنُوطِ الْجَنَّةِ ، حتى يَجْلِسُوا منه مَدَّ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يجئ مَلَكُ الْمَوْتِ عليه السَّلَامُ حتى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فيقول: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ ، اخرجي إلى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ ، قال: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كما تَسِيلُ الْقَطْرَةُ (أي قطرة الماء) من في السِّقَاءِ ، فَيَأْخُذُهَا ، فإذا أَخَذَهَا لم يَدَعُوهَا في يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حتى يَأْخُذُوهَا ، فَيَجْعَلُوهَا في ذلك الْكَفَنِ وفي ذلك الْحَنُوطِ ، وَيَخْرُجُ منها كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ على وَجْهِ الأَرْضِ ، قال: فَيَصْعَدُونَ بها ، فَلَا يَمُرُّونَ - يَعْنِي بها على مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ - إلا قالوا: ما هذا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بن فُلَانٍ ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ التي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بها في الدُّنْيَا ، حتى يَنْتَهُوا بها إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيَسْتَفْتِحُونَ له فَيُفْتَحُ لهم ، فَيُشَيِّعُهُ من كل سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إلى السَّمَاءِ التي تَلِيهَا ، حتى يُنْتَهَى بِهِ إلى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فيقول الله عز وجل: اكْتُبُوا كِتَابَ عبدي في عِلِّيِّينَ ، وَأَعِيدُوهُ إلى الأَرْضِ ؛ فإني منها خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى ، قال: فَتُعَادُ رُوحُهُ في جَسَدِهِ ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ له: من رَبُّكَ؟ فيقول: ربي الله ، فَيَقُولَانِ له ما دِينُكَ؟ فيقول: ديني الإِسْلَامُ ، فَيَقُولَانِ له: ما هذا الرَّجُلُ الذي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فيقول: هو رسول اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - ، فَيَقُولَانِ له: وما عِلْمُكَ؟ فيقول: قرأت كِتَابَ اللَّهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ ، فَيُنَادِي مُنَادٍ في السَّمَاءِ: أن صَدَقَ عبدي ، فأفرشوه مِنَ الْجَنَّةِ ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَافْتَحُوا له بَاباً إلى الْجَنَّةِ ، قال: فَيَأْتِيهِ من رَوْحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفْسَحُ له في قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ! قال: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ فيقول: أَبْشِرْ بالذي يَسُرُّكَ ، هذا يَوْمُكَ الذي كُنْتَ تُوعَدُ ، فيقول له: من أنت؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يجئ بِالْخَيْرِ ، فيقول: أنا عَمَلُكَ الصَّالِحُ! فيقول: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حتى أَرْجِعَ إلى أهلي ومالي! قال: وان الْعَبْدَ الْكَافِرَ إذا كان في انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ ، نَزَلَ إليه مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ فَيَجْلِسُونَ منه مَدَّ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يجئ مَلَكُ الْمَوْتِ حتى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فيقول: يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ ، اخرجي إلى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ ، قال: فَتُفَرَّقُ في جَسَدِهِ ، فَيَنْتَزِعُهَا كما يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ! (وفي رواية لأحمد: فَيَنْتَزِعُهَا تَتَقَطَّعُ مَعَهَا الْعُرُوقُ وَالْعَصَبُ) فَيَأْخُذُهَا ، فإذا أَخَذَهَا لم يَدَعُوهَا في يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ ، حتى يَجْعَلُوهَا في تِلْكَ الْمُسُوحِ ، وَيَخْرُجُ منها كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ على وَجْهِ

الأَرْضِ ، فَيَصْعَدُونَ بها فَلاَ يَمُرُّونَ بها على مَلأٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ إلا قالوا: ما هذا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلاَنُ بن فُلاَنٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ التي كان يُسَمَّى بها في الدُّنْيَا ، حتى يُنْتَهِيَ بِهِ إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُسْتَفْتَحُ له فَلاَ يُفْتَحُ له ، ثُمَّ قَرَأَ رسول اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: {لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَلَا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ}. فيقول الله عز وجل: اكْتُبُوا كِتَابَهُ في سِجِّينٍ في الأَرْضِ السُّفْلَى ، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحاً ثُمَّ قَرَأَ: {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ ، فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ ، أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ}. فَتُعَادُ رُوحُهُ في جَسَدِهِ ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ ، فَيَقُولاَنِ له: من رَبُّكَ؟ فيقول: هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِى ، فَيَقُولاَنِ له: ما دِينُكَ؟ فيقول: هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِي ، فَيَقُولاَنِ له: ما هذا الرَّجُلُ الذي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فيقول: هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِي ، فَيُنَادِى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أن كَذَبَ فَافْرِشُوا له مِنَ النَّارِ ، وَافْتَحُوا له بَاباً إلى النَّارِ ، فَيَأْتِيهِ من حَرِّهَا وَسَمُومِهَا ، وَيُضَيَّقُ عليه قَبْرُهُ ، حتى تَخْتَلِفَ فيه أَضْلاَعُهُ ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ فيقول: أَبْشِرْ بالذي يَسُوءُكَ ، هذا يَوْمُكَ الذي كُنْتَ تُوعَدُ ، فيقول: من أنت؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يجئ بِالشَّرِّ ، فيقول: أنا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ ، فيقول: رَبِّ لاَ تُقِمِ السَّاعَةَ». رواه أحمد وأهل السنن إلا الترمذي! وفي رواية للطيالسي: «فيقول: أنا عملك الخبيث ، والله ما علمتك إلا كنت بطيئاً عن طاعة الله ، سريعاً إلى معصية الله». وفي رواية لأبي داود: «قال: ثُمَّ يُقَيَّضُ له أَعْمَى أَبْكَمُ معه مِرْزَبَّةٌ من حَدِيدٍ ، لو ضُرِبَ بها جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا ، قال: فَيَضْرِبُهُ بها ضربة ، يَسْمَعُهَا ما بين الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إلا الثَّقَلَيْنِ ، فَيَصِيرُ تُرَابًا قال: ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ». وفي حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عند الترمذي قال في المؤمن: «... ثُمَّ يُفْسَحُ له في قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا في سَبْعِينَ ، ثُمَّ يُنَوَّرُ له فيه ، ثُمَّ يُقَالُ له: نَمْ ، فيقول: أَرْجِعُ إلى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ ، فَيَقُولاَنِ: نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الذي لَا يُوقِظُهُ إلا أَحَبُّ أَهْلِهِ إليه ، حتى يَبْعَثَهُ الله من مَضْجَعِهِ ذلك. وَإِنْ كان مُنَافِقًا...يُقَالُ لِلْأَرْضِ: الْتَئِمِي عليه ، فَتَلْتَئِمُ عليه ، فَتَخْتَلِفُ فيها أَضْلاَعُهُ ، فلا يَزَالُ فيها مُعَذَّبًا ، حتى يَبْعَثَهُ الله من مَضْجَعِهِ ذلك». وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أكثروا ذكر هادم اللذات - يعني الموت - فإنه ما ذكره أحد في ضيق إلا وسعه الله ، ولا ذكره في سعة إلا ضيقها عليه). وعن أبي بن كعب - رضي الله عنه - قال: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا ذهب ثلثا الليل ، قام فقال: يا أيها الناس ، اذكروا الله ، اذكروا الله ، جاءت الراجفة * تتبعها الرادفة * جاء الموت بما فيه * جاء الموت بما فيه". وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: كنت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجاءه رجل من الأنصار ، فسلم على النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم قال: يا رسول الله ، أي المؤمنين أفضل؟ ، قال: "أحسنهم خلقاً" قال: فأي المؤمنين أكيس؟ ، قال: أكثرهم للموت ذكراً ، وأحسنهم لما بعده استعداداً ، أولئك الأكياس". وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ("لقد أعذر الله إلى عبد أحياه) (حتى بلغه ستين سنة) (لقد أعذر الله إليه) (أي في العمر). وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين ، وأقلهم من يجوز ذلك". وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "معترك المنايا بين الستين إلى السبعين". وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ("أقل أمتي أبناء السبعين") ، وفي رواية: "أقل أمتي الذين يبلغون السبعين" ، وعن أبي قتادة - رضي الله عنه - قال: (كنا جلوساً عند رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - إذ طلعت جنازة) (فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "مستريحٌ ، أو مستراحٌ منه" ، فقالوا: يا رسول الله ما المستريح والمستراح منه؟ ، فقال: (العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله! والعبد الفاجر يستريح منه العبادُ والبلاد! والشجر والدواب). وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (قال الله تعالى للنفس: اخرجي ، قالت: لا أخرج إلا كارهة) (قال: اخرجي وإن كرهت). وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (قال الله تعالى: ما ترددت عن شيء أنا فاعله ، ترددي عن) (قبْض) (نفس) (عبدي) (المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته) (ولا بد له منه). وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: (إن من نعم الله علي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - توفي في بيتي ، وفي يومي وبين سحري ونحري (وكان بين يديه ركوة فيها ماء ، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول: "لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات"). وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يموت ، وعنده قدحٌ فيه ماء ، فيدخل يده في القدح ، ويمسح وجهه بالماء ، ثم يقول: اللهم أعني على سكرات الموت". وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: (ما رأيت أحداً أشد عليه الوجعُ من رسول الله - صلى الله عليه وسلم -) (وما أغبط أحداً بهون موت (ولا أكره شدة الموت لأحد أبداً) (بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. وعن جابر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "تحدثوا عن بني إسرائيل ، فإنه كانت فيهم الأعاجيب ، ثم أنشأ يحدث ، قال: خرجت طائفة منهم ، فأتوا مقبرة من مقابرهم ، فقالوا: لو صلينا ركعتين ، ودعونا الله يخرج لنا بعض الأموات ، يخبرنا عن الموت ، قال: ففعلوا ، فبينما هم كذلك ، إذ أطلع رجل رأسه من قبر خلاسي بين عينيه أثر السجود ، فقال: يا هؤلاء ، ما أردتم إلي؟ ، فوالله لقد مت منذ مائة سنة ، فما سكنت عني حرارة الموت حتى كان الآن ، فادعوا الله أن يعيدني كما كنت"..... قال الله تعالى: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) ، وقال: (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ) ، وقال: وقال تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ ، وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ، وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ) ، وقال: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ، وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ) ، وهذه الآية هي التي تلاها الصديق أبو بكر – رضي الله عنه - يوم وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما سمعها الناس كأنهم لم يسمعوها قبل.....وقال تعالى: (إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً). ومن هذا المنطلق رحت أبكي أختي (إكرام) معنوناً قصيدتي بـ (إكرام الراحلة) لأشير إلى أنها وإن رحلتْ عن العين ، فليست ترحل عن الفؤاد! ولست الذي يُفضل الغربة والبُعد عن الأهل ، ولكنها والله العظيم ظروفٌ قاهرة خارجة عن الطوع والإرادة والمقدرة. وكانت الغربة حائلاً بيني وبين أقارب لم أودعهم ، ربما كانت إكرام الأولى في سلسلة الراحلين والراحلات. وأسأل الله الرحمة والمغفرة للجميع. كما وأسأله سبحانه أن يتجاوز عن تقصيري في حقهم. إنه عز وجل العليم بما في النفوس والقلوب. وأعرف أن غربة كهذي يمكن أن يفسرها الجهلاء السفهاء من غير الراسخين في معرفتي على أنها ضيق بهم وشُحٌ بالمال عن زيارتهم! ويشهد الله أن شيئاً من ذلك لا يوجد. ولكنه قدر الله الغالب ، ولا شك أن الله صنع بي ذلك

لحكمة لا يعلمها إلا هو. وإذن فكل من عرفني ، علم بكل يقين أنني أحب الوصل والواصلين ، ولكن عندما لا أستطيع إلى ذلك سبيلاً ، فإنه يجب التماس العذر ريثما تُعْلم الأسباب والمبررات!)

ذكرياتُ الأمس مرتْ تجري ... ولهيبُ الحزن مثلُ الجمرِ

خبرٌ هزّ الدموع الحرّى ... ومساءٌ طال مثل الدهر

وفؤادي - في الدياجي - عانى ... وجَوى الروح كموج البحر

والأماني - اليوم - باتت تشكو ... لوعة الأحزان رغم الصبر

وعذاب الكرب أدمى روحي ... واحتواني - في بلائي - قهري

آه ، والأيامُ حولي ثكلى ... وانفعال النفس يشوي شِعري

رفرفتْ حولي طيوف لهفي ... حيّرَ الأطيافَ هذي أمري

قدري أني كسيرٌ ، دوماً ... في هجير الروْع أقضي عمري

والمنايا شاهراتٌ سيفاً ... ولها حلمٌ ينـاغي قبري

ظلمة سادت ، وحلتْ فوقي ... فمتى ينشق عنها فجري؟

ومتى ينزاحُ عنها قيدي؟ ... ومتى ينفك غل الأسر؟

بين غل وانكسار أحيا ... دون ذنب عاقني أو وزر

ومِدادُ الشعر مل الشكوى ... ثم ناجاني: وماذا عذري؟

ونسيم الشوق مل النجوى ... غاب عني اليوم نور البدر

أختُ عفواً ، إنني مُلتاع ... ثم إن الحزن أدمى صدري

كلما جاءتْ طيوفٌ تسعى ... وعليها الزهرُ فوق العِطر

أذكـــــر الأخـــــلاق ، يـــــا أختـــــاهُ! وعليـــــكِ الســـــترُ فـــــوق الســـــتر

تلـــــك إكـــــرام التـــــي مـــــا غابـــــت عـــــن أحاسيســـــي ، ولا عـــــن فكـــــري

أخـــــتُ آذانـــــي فـــــراقٌ يكـــــوي والـــــدموعُ – اليـــــوم - مثـــــل النهـــــر

فـــــي صـــــلاتي ، فـــــي قيـــــامي أدعـــــو بـــــل وفـــــي سِـــــري الـــــدعا ، والجهـــــر

رب فارحمْهـــــا ، وســـــامحْ واغفـــــرْ فلقـــــد كانـــــت مـــــن أهـــــل الخيـــــر

وحّـــــدتْ ربـــــاً ، وصـــــانت وحيـــــاً أحصـــــنتْ فرجـــــاً بجـــــوف الخـــــدر

خمســـــها صـــــلتْ ، وصـــــامتْ شـــــهراً ثـــــم زكّـــــت ، رغـــــم ظلـــــم الفقـــــر

صـــــانت الأولاد ، كانـــــت عونـــــاً أحســـــنتْ فـــــي الجهـــــر ، بـــــل والســـــر

وأحبـــــت أهلهـــــا ، لـــــم تكـــــرهْ بـــــذلتْ معروفهـــــا بالبشْـــــر

جـــــازتِ الكـــــل الجـــــزاءَ الأوفـــــي وإذا حلـــــتْ ضـــــيوفٌ تُقـــــري

وأطاعـــــت زوجهـــــا ، لـــــم تجحـــــدْ لـــــم تكـــــن تهفـــــو لـــــذل الغيـــــر

ثـــــم كانـــــت بالوصـــــايا تزهـــــو لـــــم تكـــــن ترنـــــو لـــــدرْك الكِبـــــر

كابـــــدت فـــــي العـــــيش ، كانـــــت ترعـــــى بعـــــض أغنـــــام بـــــأرض قفـــــر

تنشـــــد الأخـــــلاق فـــــي مَســـــعاها وتقـــــي الإحســـــاسَ ذل الكســـــر

إن سُـــــؤل النـــــاس ذلٌ يُخـــــزي وســـــؤال الغيـــــر أمـــــرٌ يُـــــزري

كـــــم لهـــــا فـــــي كـــــل عـــــز فحـــــوى! ثـــــم نـــــور العِـــــز فيهـــــا يَســـــري

وإذا قالـــــت ، فقـــــولٌ فصـــــلٌ حزمُهـــــا ســـــام رفيـــــعُ القـــــدر

واســـــتهانت بالأمـــــاني دهـــــراً حلقـــــتْ فـــــي الجـــــو مثـــــل الطيـــــر

فـــــاخرت بالصـــــون بعـــــد التقـــــوى إن ديـــــــن الله خيـــــــر الـــــــذخر

نســـــب الإيمـــــان يبقـــــى حقـــــاً فخرُنـــــا بالـــــدين خيـــــرُ الفخـــــر

تلـــك (إكـــرامُ) التـــي مـــا حـــادت عـــن ســـجايا الخيـــر ، بـــل والطهـــر

أســـلمتْ للمـــوت نفســـاً تهفـــو لنعـــــيم الله خيـــــر الـــــذخر

ثـــم غابـــت فـــي الثـــرى ، واحزنـــي زهـــرة ماتـــت بـــأرض الزهـــر

هجرتْنـــا للرفيـــق الأعلـــى آه ، مـــا أقســـى عـــذاب الهجـــر!

تركتْنـــا فـــي العنـــاء العـــاتي لـــم يكـــن بـــالطوْع ، بـــل بـــالجبر

ودعتنـــا للحيـــاة الأســـمى خلفتْنـــا فـــي الســـراب المُـــزري

ثـــم راحـــتْ لليقـــين الأســـمى والخنـــا فـــي دارنـــا يستشـــري

والمنايـــا فـــي قرانـــا تتـــرى وعلـــى الأعنـــاق ســـيف الجـــور

حيـــة (إكـــرامُ) ، نحـــن المـــوتى فمتـــى نصـــحو لأخـــذ الثـــأر؟

ثأرنـــا مـــن كـــل مـــا أوهانـــا فحُرمنـــا مـــن عظـــيم الأجـــر

نحـــن يـــا إكـــرام مـــوتى صـــدقاً وقليـــلٌ – للـــورى – مـــا يَجـــري

فـــاقبلي منـــي العـــزا ، يـــا أختـــي! ولـــك العرفـــان بعـــد الشـــكر

واصـــبري حتـــى تحـــين الرجعـــى لـــيس للميْـــت اتخـــاذ الحِـــذر

كُتـــب المـــوتُ ، فمـــا مـــن بـــاق غيـــرُ مولانـــا ، الـــرحيم البـــر

فـــارحم اللهـــم أختـــاً ماتـــت واغفـــر اللهـــم كـــل الـــوزر

هل تبكي الهوى؟

(يجب على كل مكلف عاقل ، أن يفقه جيداً الفرق الكبير بين الجاهلية بعفنها ودنسها وفساد معتقداتها ، وبين جمال وطهر ونظافة وصحة معتقد الإسلام. وصدق الفاروق عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه – حيث كان يقول: (نحن قوم كنا أذل الناس ، فأعزنا الله بالإسلام ، فمهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله). نعم بدون الإسلام نكون أذل الخلق ، وإذا نحن ابتغينا العز أو الراحة أو الطمأنينة أو الأمان في غير الإسلام ، فلن نرزق إلا الذل والقلق والتعب والنصب والهم والهوان والذعر ، وفوق ذلك كله الخزي في الدنيا والعذاب الأليم الشديد في الأخرة ، وهذا صاحب لي أحب الجاهلية وشغف بها وبأهلها. فكلما قابلته ، وجدته يحن إلى حب جاهلي قديم مضى ، فرحت أقول له: لا تبك هواك هذا ، واستقبل أمرك ، ذلك أن عجلة الحياة تسير ، لا عقل لديها تفكر به ، كما أنه لا أذن لها تسمع بها. وكذا لا عين لها تبصر بها ، ومن ثم لا قلب لديها ترحم به. إنها باختصار تسير على السنن التي هي من وضع المليك المقتدر – تبارك وتعالى - ، ويا صاحبي خيرٌ لكل عاقل مكلف أن يحب ويعشق في ظل هدي الإسلام من أن يحب ويعشق في غياب التصور! فيكون حبه والحال هكذا على غير هدى من الله ولا كتاب منير.)

يـــــا صـــــاحب القلـــــب الغريـــــبْ حتـــــى متـــــى تبكـــــي الحبيـــــبْ

وتـــــذوق مـــــن نـــــار الهـــــوى وتتـــــوه فـــــي شـــــتى الـــــدروب

وتـــــذوب فـــــي شـــــوق الجـــــوى وتطيـــــل دمعـــــك ، والنحيـــــب؟

والحـــــب عـــــاتٍ ، والنـــــوى والوجْـــــدُ قـــــاس ، والكـــــروب

لـــــيلاك فـــــي أحلامهـــــا وأراك فـــــي الـــــوهم الرتيـــــب

ترنـــــو إلـــــى أنســـــامها وتـــــداعب الطيـــــف الأريـــــب

وتـــــدوس أعطـــــاف المُنـــــى وتعرقـــــل الأمـــــل الرطيـــــب

وتهـــــين كـــــل مـــــروءةٍ وتجيـــــد ترجيـــــع النعيـــــب

وتســـــربل الأخـــــلاق فـــــي هـــــذا الضـــــباب المســـــتريب

ولهـــــا جبينـــــك مرتـــــعٌ وفـــــؤادك النعـــــل القشـــــيب

ولهـــــــا دماغـــــــك قلـــــــة! كـــــي تشـــــرب الفكـــــر الخصـــــيب

أنـــــــت المـــــــريض بعلـــــــةٍ وهـــــــي الحبيبـــــــة ، والطيـــــــب

لـــــــيلاك هـــــــزلٌ فـــــــارغ فـــــــي قعـــــــره ســـــــقط الأديـــــــب

وكـــــــذاك كـــــــل روايـــــــةٍ حمقـــــــاء ، تملأهـــــــا الـــــــذنوب

صِـــــيغتْ علـــــى لحـــــن الخنـــــا مـــــن بعـــــد أن غـــــاب الرقيـــــب

وتلقفتهـــــــــا أكلـــــــــبٌ قـــــد أتقنـــــت صـــــنعَ الخطـــــوب

تعـــــوي كمـــــا يعـــــوي الفنـــــا وإذا المهـــــــــازلُ كـــــــــالحروب

لـــــــيلاك كـــــــل ضـــــــلالةٍ كـــــم ذا أضـــــاعت مـــــن شـــــعوب!

غـــــاب الضـــــياءُ عـــــن الحِمـــــى وأطـــــال عـــــن قـــــومي المَغيـــــب

يـــــا صـــــاح ، هـــــل تبكـــــي الهـــــوى فـــــي غَيبـــــة المَجـــــد الســـــليب؟

هـــــوّنْ عليـــــك ، ولا تهـــــنْ واكـــــبحْ جماحـــــاتِ الـــــذنوب

يـــــا قـــــيس كـــــن رجـــــلاً ، ولا تحـــــزنْ فبلوانـــــا نصـــــيب

واصـــــبرْ ، ولا تـــــكُ خـــــائراً هـــــل مثـــــل قـــــيس يســـــتريب؟

فـــــي جـــــوف ليلـــــك لا تـــــنمْ قـــــمْ ، فـــــادعُ عـــــلام الغيـــــوب

واتـــــركْ لليلـــــى هزلهـــــا وأعـــــدّ نفســـــك ، يـــــا لبيـــــب

واعلـــــمْ بأنـــــك راحـــــلٌ! فـــــي هـــــذه الـــــدنيا غريـــــب

حوار مع متعالم

(ليس في الحياة مرض عضال يعدل التعالم في حقارته ومبلغ ضرره. يغلف القلب بغلاف من الحيلولة دون الهداية. إن المتعالم إنسان قد قنع بما هو عليه من الجهل المطبق المتراكب ، الذي يفوق عددُ حباته عددَ حبات الرمل العالج. وصدق الشافعى الإمام حيث يقول: (ما جادلتُ عالماً إلا غلبته ، وما جادلني جاهل قط إلا غلبني). ذلك أن العالم المستنير بنور العلم ، له من علمه قواعدُ تحكم الحوار ، وتضع الأمور في نصابها بكل دقة. كما أن علمه قد هداه إلى الخشية من خالقه الذي آتاه العلم من عنده ، تلك الخشية الخليقة بأنه عندما يكون الحق مع خصمه ، فإنه يعترف له بذلك. فلا مجادلة بالباطل هنالك ولا انتصار لحظ النفس على حساب كل ذرة حق مع الخصم. على حين نجد المتعالم المتوقح المتبجح المتطاول ، لا توجد قواعد تحكم حواره وجداله ، فليس ينطلق في الجدال من أسس وضوابط ، بل يخبط خبط عشواء. كما أنه لا توجد في قلبه ذرة تقوى ، تحجزه عن المكابرة والاستعلاء بالباطل. (إنما يخشى الله من عباده العلماء) ، وليس المتعالمون. ولذا نراه يَغلب كل من يجادله ويستعلي عليه ويستطيل. والسبب هنا هو التعالم المَقيت البغيض المَهيض. وما عانيت من أحدٍ في حياتي كلها أكثر ما عانيت من المنافقين والمرائين والمتخاذلين والمتعالمين الذين يجادلون بالباطل ، وذلك ليدحضوا به الحق. وكم كانت لي معهم صولاتٌ وجولات. وكنت جادلت أحدهم في قضايا بديهية ، وراح بكل قوة جدال يدحض كل البراهين والأدلة ، ويُدافع عن الضالين والظالمين ، ولم يكتف بذلك ، بل هاج وماج أنني أدافع عن نفسي ، فلم يتورع عن تزوير الحقيقة وعن تزييف اليقين ، إمعاناً منه في مجاملة الظالم على حساب المظلوم. وحقيقة أنه عسيرٌ على نفس كريمة أن تناقش في البديهيات والمسلمات ، والعلم نور ، والجهل ظلام. كتبتُ قصيدي هذا أرد هذا المتعالم إلى الصواب لعله يستجيب ، وإذا هو كما هو عاد إليّ بخفي حُنين ، لم يُدرك مما ذكرت سوى بعض القشور ، ولذا راح يُغلفها بتعالمه الممقوت. وعن اتباع الهوى يقول الشيخ الدكتور إبراهيم بن عبد الله الزهراني ما نصه: (• صاحب الهوى ليس له معايير ضابطة ، ولا مقاييس ثابتة ، يردُّ الدليل إذا خالف هواه لأدنى احتمال ، ويستدل به على ما فيه من إشكال أو إجمال ، وإذا لم يستطع ردَّ الدليل لقوته ، حمله على غير وجهه ، وصرفه عن ظاهره إلى احتمال مرجوح بغير دليل. • صاحب الهوى مفرق لكلمة المسلمين ، مبتغٍ لهم العنت والمشقة ، والطعن في الصالحين ديدنه ، والهمز واللمز دأبه ، والحسد طبعه. تراه معتزلاً كل من يخالف هواه ، وإن كان أهدى سبيلاً ، مقرباً لكل من هو على شاكلته وإن كان للشيطان قبيلاً).هـ. قال سعيد بن عنبسة: "ما ابتدع رجل بدعة إلا غلَّ صدرُه على المسلمين ، واختلجتْ منه الأمانة" ، وذلك لأن "جميع المعاصي يجتمع فيها هذان الوصفان ، وهما العداوة والبغضاء ، والصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، فإن التحابّ والتآلف إنما هو بالإيمان ، والعمل الصالح كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً} أي: يُلقي بينهم المحبة ، فيحب بعضهم بعضاً ، فيتراحمون ، ويتعاطفون ، بما جعل الله لبعضهم في قلوب بعض من المحبة". (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ). (فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللّهِ وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ). (وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ

فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ * وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ). (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ). (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ.) ومن هنا كانت هذه القصيدة. يقول محمد المنجد تحت عنوان الثبات على الحق ما نصه: (والطريق الوحيد الصحيح الذي يجب على كل مسلم سلوكه هو طريق أهل السنة والجماعة ، طريق الطائفة المنصورة والفرقة الناجية ، أهل العقيدة الصافية والمنهج السليم واتباع السنة والدليل ، والتميز عن أعداء الله ومفاصلة أهل الباطل. وإذا أردت أن تعرف قيمة هذا في الثبات فتأمل وسائل نفسك: لماذا ضل كثير من السابقين واللاحقين وتحيروا ولمْ تثبت أقدامهم على الصراط المستقيم ولا ماتوا عليه؟ أو وصلوا إليه بعدما انقضى جُل عمرهم وأضاعوا أوقاتاً ثمينة من حياتهم؟ فترى أحدهم يتنقل في منازل البدع والضلال من الفلسفة إلى علم الكلام والاعتزال إلى التحريف والتأويل إلى التفويض والإرجاء ، ومن طريقة في التصوف إلى أخرى... وهكذا أهل البدع يتحيرون ويضطربون ، وانظر كيف حُرم أهل الكلام الثبات عند الممات فقال السلف: "أكثر الناس شكاً عند الموت أهل الكلام" ، لكن فكر وتدبر هل رجع من أهل السنة والجماعة عن طريقه سَخْطَةً بعد إذ عرفه وفقهه وسلكه؟ قد يتركه لأهواء وشهوات أو لشبهات عرضت لعقله الضعيف ، لكن لا يتركه لأنه قد رأى أصح منه أو تبين له بطلانه. ومصداق هذا مساءلة هرقل لأبي سفيان عن أتباع محمد صلى الله عليه وسلم؟ قال هرقل لأبي سفيان: "فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟" قال أبو سفيان: لا. ثم قال هرقل: "وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب". وقد سمعنا كثيراً عن كبار تنقلوا في منازل البدع وآخرين هداهم الله فتركوا الباطل وانتقلوا إلى مذهب أهل السنة والجماعة ساخطين على مذاهبهم الأولى ، ولكن هل سمعنا العكس؟! فإن أردت الثبات فعليك بسبيل المؤمنين وعندما يتعرض المسلم لفتنة ويبتليه ربه ليمحصه ، يكون من عوامل الثبات أن يقيض الله له رجلاً صالحاً يعظه ويثبته ، فتكون كلمات ينفع الله بها ، ويسدد الخطى ، وتكون هذه الكلمات مشحونة بالتذكير بالله ، ولقائه ، وجنته ، وناره. والإمام أحمد رحمه الله ، دخل المحنة ليخرج ذهباً نقياً. لقد سيق إلى المأمون مقيداً بالأغلال ، وقد توعده وعيداً شديداً قبل أن يصل إليه ، حتى لقد قال خادم للإمام أحمد: "يعز عليّ يا أبا عبد الله ، أن المأمون قد سل سيفاً لم يسله قبل ذلك ، وأنه يقسم بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لئن لم تجبه إلى القول بخلق القرآن ليقتلنك بذلك السيف". وهنا ينتهز الأذكياء من أهل البصيرة الفرصة ليلقوا إلى إمامهم بكلمات التثبيت ؛ ففي السير للذهبي 238/11 عن أبي جعفر الأنباري قال: "لما حُمِل أحمد إلى المأمون أخبرت ، فعبرت الفرات ، فإذا هو جالس في الخان فسلمت عليه. فقال: يا أبا جعفر تعنيت. فقلت: يا هذا ، أنت اليوم رأس والناس يقتدون بك ، فوالله لئن أجبت إلى خلق القرآن ليجيبن خلق ، وإن لم تُجب ليمتنعن خلق من الناس كثير ، ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك ، فإنك تموت ، لا بد من الموت ، فاتق الله ولا تجب. فجعل أحمد يبكي ويقول: ما شاء الله. ثم قال: يا أبا جعفر أعِد.. فأعدت عليه وهو يقول: ما شاء الله.."). أهـ. وإذن فالثبات أولى وأحرى!)

الجهـــــل فـــــي شـــــفتيكَ قفـــــرٌ مُجـــــدبُ وأراك ـ فـــــي نـــــار الهـــــوى ـ تتقلـــــبُ

وشَـــكاتُك العجفـــاءُ تَكشـــف خِســـةً ... وحُروفـــك الحمقـــى تـــؤز وتكـــذب

ورُمـــوش عينيـــك اســـتحالت مِـــنجلاً ... وســـماءُ وجهـــك لـــيس فيهـــا كَوكَـــب

أمـــا انفعالُـــك ، فالخـــداعُ يزيـــدهُ ... دجـــلاً ، فقصّـــرْ فـــي الأذى يـــا مُـــذنب

كـــم ذا تصـــنعت الصـــلاح أمامنـــا! ... عجبـــاً أيحتـــرفُ الهِدايـــة عقـــرب؟

وخُـــواء لفظـــك غـــارقٌ فـــي زيفـــه ... واللحـــنُ مـــن كُـــل الحقيقـــة يهـــرب

عَـــرَقُ الخِيانـــةِ مـــن جبينـــك هاطـــلٌ ... والحـــق أنـــك - بـــالأخوة - تلعـــب

قـــد كنـــتُ آمـــلُ فيـــك خيـــراً وافـــراً ... ضـــجّ الفـــؤادُ لمـــا رأى ، والمـــذهب

خيبـــت آمـــالي ، وبـــادت همـــةً ... إذ فـــي ضـــجيج الصَّـــمت مـــاتَ الأشـــهب

والجَهـــلُ ، ويـــح الجهـــل أغـــرق عزمـــةً ... ذهـــب الضِّـــياءُ ، وســـاد بعـــدُ الغيهـــب!

أمـــا الجـــدالُ ، فأنـــت قـــد أتقنتـــهُ ... لكـــنْ أتغلبنـــى ، أيـــا ذا القُطـــرب؟

وأنـــا الـــذي درسَ القطـــارب كُلهـــا ... فأنـــا اللظـــى ، وأنـــا الغمـــامُ الصـــيب

أنـــا لســـت أمـــدحُ عزمتـــي ، لكنمـــا ... فضـــلُ الإلـــه ، فجـــوده لا يُحجـــب

جادلـــتَ فـــي حـــق ، ولـــم تـــكُ مُنصـــفاً ... وضـــربت فـــي البُهتـــان يـــا مـــن تَنـــدب

وشـــفعت فـــي ظَلَـــم ، ولـــم تـــكُ مُقســـطاً ... وجَبُنـــت فـــي هـــذا اللقـــا يـــا أرنـــب

وأراك حرّفـــت الكـــلام جميعـــهُ ... وزعمـــت أنـــك بـــالهُراء ســـتغلب

الله أكبـــرُ مـــن زُيوفـــك هـــذه ... والله أكبـــرُ مـــن أذىً يتشـــعب

واللهُ فـــوق الكيـــد هـــذا كُلـــه ... أإذا صـــدعتك بالحقيقـــة تغضـــب؟

وإذا أطعتـــك فـــي الـــذي تهـــذي بـــه ... ترضـــى ، وتســـعد بالـــذي تترقـــب

حتـــــى إذا طعـــــن الصـــــواب أريـــــذلاً ... طـــــرح الصـــــوابَ ، وقـــــد بـــــدا يتعصـــــب

فغمـــــزتُ نصـــــل الحـــــق فـــــي أحشـــــائه ... فمضـــــى يَـــــروغ كمـــــا يـــــروغ الثعلـــــب

الشـــــمس هـــــل تحتـــــاج أي أدلـــــةٍ؟ ... لنقـــــول مُشـــــرقةً ، ولـــــم تـــــكُ تغـــــرب؟

فكـــــذا تُـــــدافع يـــــا أســـــير حماقـــــةً ... أودت بعقلـــــك ، فانبريـــــت تُخبـــــب؟

عـــــن كـــــل رِعديـــــدٍ تمسَّـــــك بـــــالهوى ... إنـــــي منـــــاظَرُكم ، ولا أتهـــــرب

إن الهـــــروب نقيصـــــةً وخديعـــــةً ... عهـــــداً أواجهكـــــم ، ولا أتغيـــــب

هـــــوّنْ عليـــــك ، فـــــإن بـــــاطلكم غـــــدا ... بالجهـــــل يســـــحب ذيلـــــه ، يتـــــذأب

عمـــــن تُجـــــادل ، قـــــل لنـــــا بصـــــراحة؟ ... أعـــــن العميـــــل وحزبـــــه تتـــــأرب؟

وهـــــو الـــــذي قتـــــل البـــــراءة هـــــازلاً ... ومضـــــى بكـــــل رذيلـــــةٍ يترهـــــب

والقـــــومُ أعجـــــبهم بريـــــقُ لباقـــــةٍ! ... ســـــقط القِنـــــاع وقـــــد تبـــــدى الأودب

طَعـــــن الأبـــــاة ، علـــــى صـــــعيد عمالـــــةٍ ... واصـــــطيد صَـــــقرٌ ، ثـــــم طـــــارت أكلـــــب

أواهُ مـــــن بيـــــع الهُـــــدى لعـــــدوه! ... حتـــــى متـــــى يـــــا وغـــــدُ لا تتـــــأدب؟

رفـــــع النفـــــاق لـــــواءهُ ، ورماحـــــهُ ... حتـــــى متـــــى الإســـــلام جهـــــراً يُضـــــرب؟

تعـــــس النفـــــاقُ ، فكـــــم أبـــــاد ضـــــحيةً! ... والحـــــق فـــــوق الكُـــــل ســـــيفٌ صـــــيهب

إنـــــي عرفـــــتُ ريـــــاءكم ، وفضـــــحته ... وضـــــياعُنا بـــــين الأنـــــام المـــــأرب

مـــــاذا علمـــــت لكـــــي تُحـــــاكم ســـــادةً؟ ... مازلـــــت أكشـــــفُكم بشـــــعر يُكتـــــب

بَلَعـــــامُكم عنـــــدي يُتـــــاجر بالهُـــــدى ... والجهـــــلُ مـــــن أفـــــواهكم يتصـــــبب

أقسمتُ أنك ما سَمعت (مناسكي) وإذا سمعت فإن حُمقك يغلب!

وأراك تقضي في المسائل جَهرةً وأراك تُردي الحقَّ حين تُقرّب

وتُريد صُلحاً بيننا رغم الأذى أتروم إصلاحاً ، وأنت تُخرّب؟

أتودّ تقريب الفَهُوم ، وما بها - يا ذا الرسُول - تَطابقٌ وتشعّب؟

وسُئلتُ: هل أسلمت عند إلهنا فطغى عليك تلعثمٌ وتذبذب

اللهُ أكبرُ ذا سؤالُ مُضلل ولهُ إجاباتٌ تُعدُّ وأثوُب

فاروقُ أمتنا يُسائل هل أنا ممن يُنافق أو يُرائي؟ فاعجبوا

وتُطالب المظلوم أن ينسى الأسى والعَفوُ أقربُ ، ضلَّ من يترهب

والعدلُ أولى يا دعيّ ، وإنني مُتمسكٌ بالحق ، لا أتحزب

أنا ما خُدِعتُ بأن باطلكم نما فالحق في هذي الدُنا ، لا يذهب

هي فترةُ الإملاء ، ثم عقابُكم واللهُ يُمهلكم ، فلا تتعجبوا

للهم نصرك ، إن باطلهم عَلاَ وغدت هُنالك أسرةٌ تتعذب

وهُناك ثمةَ فِتنةٌ بين الورى مَسعورةٌ ، فتولّ مَن لك أقرب

إني فررتُ - إلى المُهيمن - عائذاً في كل عون منه إني أرغب

فاسكُب دَمَ الأعدا ، كما سَكبوا دمي ولأنت من كل البرايا أقرب

خالصة أجرة الشحن

(عندما يأسر حب المال قلب عبد من العباد ، ويسيطر على تفكيره وعقله ، ويسلبه إرادته ووعيه ، ويغتال كل ذرة في كرامته ، ويستولي على عواطفه ومشاعره وحسه ونبض دمه ، فيجري منه مجرى الدم في الوريد ، ويسري في عروقه ، فكأن من بين كريات دمه البيضاء والحمراء توجد كريات دم الدراهم والدنانير ، أقول إن وُجد إنسانٌ هذا وصفه وهذه طبيعته ، فلا تسأل عن دينه ولا عن زوجه ولا عن عِرضه ولا عن ولده ولا عن ابنته. إن مثل هذا ليس يصلح قط لأن يعيش على الأرض كإنسان ، بقدر ما يعيش عليها كحيوان ، بل وأدنى والله من الحيوان. إذ الحيوان له ناموسه الذي سَنه الله له ، فهو يسير عليه ولا يخالف عنه. بينما هذا أراده الله عبداً له – عز وجل - وحده ، فأبى إلا أن يكون عبداً لسواه (للمال). إنني قابلت الكثيرين من هذه النوعية هنا في غربتي من مختلف جنسيات الدنيا. وأكتب (خالصة أجرة الشحن) على عادتي من الواقع (فمن الواقع أستقي جُل قصائدي ، وإلى الواقع أعود بها). وقد أضيفُ إليها من نسج الخيال وصوره ما يكون في أي قصيدة ، مما تتطلبه أصول التأليف وضوابطه. إنها قصيدة واقعية حدثتْ هنا فعلاً ، ومن رجلين يدين كل منهما بالإسلام (اسماً طبعاً)! وبمعنى أدق كل من شارك فيها يدين بالإسلام (وإن كان مسمىً ولافتة وشعاراً فقط). والحقيقة أنني ما كنت لأتصور أن يبيع رجل زوجته لآخر ، أو يتنازل عنها له مقابل ألف ألف دينار! ولولا أن الراوي لهذه القصة الواقعية ثقة تقوم به الحجة ، ما صدقت هذا. والراوي هو الأخ عبد المنعم أبو شحاته ، وأما الشحنة المباعة والتي هي خالصة أجرة الشحن مع التوصيل فهي امرأة تسمى (دلال)! والتي باعها زوجها بيعاً أخس من بيع النخاسة قديماً! وقد دامت قصة حبهما - على ما قال لي أحد عشر عاماً من المودة والمحبة والعشق والعاطفة ، القدر الذي لا يستطيع وصفه قلم كاتب أو لسان راو أو خيال أديب. أما من الأشخاص؟ فإن ذلك لا يهمنا كثيراً. ذلك أن بيع الأعراض سمتُ العصر الذي نعيش ، إلا من عصم ربي ، وإني تعجبت من ذلك ولا زلت أتعجب! من رجل أحب امرأة حباً تحدث به القاصي والداني والقريب والبعيد. وكأن قصة حبهما تلك يجب وضعها بين عنتر وعبلة ، وقيس وليلى ، وجميل وبثينة ، وكُثيّر وعزة ، وروميو وجولييت ، إلى غير ذلك من الأسماء والمسميات التي حفلت بها كتب الأدب في القديم والحديث! وبعد رحلة مع الحب العذري كما يصف الراوي ، تزوجا وعاشا معاً على الحلوة والمرة. وإذا بصديق له يأتي به للعمل في. وعمل في العقارات ، وما أدراك ما العقارات! وذاق طعم المال بعد حرمان دام سنين عدداً. وطلب صاحب العمل منه أن يأتي بطبّاع أو طبّاعة لطباعة الأوراق والعقود. فاختار زوجته ، وأتى بها لتعمل ، فشغف بها صاحب العمل وعشقها ، فساومه عليها كما لو كان يساوم على عقار. فضاعف الزوج ثمن زوجته ، إلى أن وصل إلى مليون دينار. فاتفق الأطراف الثلاثة على ذلك بالتراضي بينهم وأبرم العقد! وضاع الحب يا ولدي. وأوصلها إلى دار العشيق أو الزوج الجديد خالصة أجرة الشحن! فأنشدت تحت هذا العنوان: (خالصة أجرة الشحن) ، هذي القصيدة التهكمية من شعري في ذلك الحدث العجيب المريب. وتحت عنوان: (عبادة المال) ، يقول الأستاذ محمد عبد الكريم ما نصه: (إن هذا المال خضر حلو ، فمن أخذه بحقه بُورك فيه ، ومن لم يأخذه بحقه أو باستشراف نفس ، فإنه لا يُبارك له فيه. هذا مَثَل يضربه الرسول لزهرة الحياة الدنيا ، يضربه للمال الذي نتهافت عليه ، ونقتتل عليه ، ونقطع

الأرحام من أجله ، ونتدابر من أجله ، ونتقاطع من أجله ، هذا المال الذي هو خير لكنه ليس خيرًا مطلقًا ؛ إذ يقول الله عز وجل عن الإنسان الكفور الجحود: {وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ} ، ويقول الله سبحانه وتعالى عن نبي الله سليمان: {إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ} ، فالمال خير لكنه قد يقتل ، ولكنه قد يؤخر عن الدار الآخرة ، ولكنه قد يقهقرك عن جنة عدن ، والرسول يقول لأصحابه: «ما الفقر أخشى عليكم» ، فالرسول لا يخاف علينا من الفقر والمسكنة وتواضع البيوت وقلة الأموال وعدم الرفاهية ، قال: «ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى أن تفتح الدنيا عليكم ، كما فتحت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، فتهلككم كما أهلكتهم» ، وفي رواية قال: «كيف أنتم؟ إذا فتحت خزائن الروم والفرس؟» فقال عبد الرحمن بن عوف: يا رسول الله ، نقول بالحق والذي أُنزل ، فقال رسول الله: «أو غير ذلك ، تنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم». (رواه البخاري ومسلم). فيحذر النبي في هذا الحديث العظيم من خطورة التهافت على المال ، ومن خطورة البخل والشح فيه ؛ فيقول: «إن أخوف ما أخاف عليكم ، ما يخرج الله لكم من بركات الأرض» ، بركات تخرج من باطن الأرض ، فيستفسر الرجل ويستفهم: "يا رسول الله ، وما بركات الأرض؟" فقال: «زهرة الحياة الدنيا» ، {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ. وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ}. فقال: «زهرة الدنيا» ، أي: بركة الأرض هي زهرة الدنيا. قال الرجل: يا رسول الله ، أيأتي الخير بالشر؟ أتأتي البركة بالشر ، فصمت ، وكانت هذه عادته – صلى الله عليه وسلم - إذا سُئل سؤالًا ؛ لأنه ينتظر الوحي من الله ، فهو لا ينطق عن الهوى ، وهو لا يستحضر الأجوبة العقلية ، وإنما يستحضر الأجوبة السماوية التي تنزل عليه ، فيصمت ويصيبه الرُّحَضاء ، ثم يمسح عن جبينه ، ويقول: «أين السائل؟» فيقول الرجل: ها أنا يا رسول الله ، فقال: «لا يأتي الخير إلا بالخير ، لا يأتي الخير إلا بالخير ، لا يأتي الخير إلا بالخير، وإن هذا المال خضرة حلوة» ، هذا المال كالعسل في المذاق ، إذا تذوقت منه شيئًا قليلًا زادت شهيتك لكي تأكل المزيد والمزيد ، فهذا المال خضرة حلوة ، فإذا حصلت على شيء قليل تحب أن تحصل على المزيد.)أهـ. ونعود إلى الوضيع الرذيل الوبش عبد المال بائع زوجته!)

بعهـــا ، فهـــذي خيبـــة متداعيـــة والفطـــرة انتكســـت ، وأضـــحت باليـــة

بعهـــا ، وصـــدّقْ مـــا عليـــك ملامـــة إن الكرامـــة - فـــي أســـاها - داميـــة

بعهـــا ، وآدم منـــك يبـــرأ ، والحيـــا أو تِلهـــا لجبينهـــا والناصـــية

واذبـــحْ ، وقـــدّمها وليمـــة صـــفقةٍ وادعُ الأراذل يـــأكلوا والحاشـــية

ماتـــت حبيبتـــك التـــي تزهـــو بهـــا ولـــك العـــزاء مقـــدماً فـــي الجاريـــة

بعهـــا ، فـــدينار أعـــز عليـــك منـــ ـــها ، والـــتمسْ لـــك فـــي الحظايـــا غانيـــة

مـــا جِـــرتُ - فيمـــا قـــد فعلـــت - لحيظـــة ... مـــــاذا فعلـــــت أيـــــا صـــــريع الهاويـــــة؟

هـــــذا القصـــــيد أمـــــجّ فيـــــه قريحتـــــي ... بـــــدم الوفـــــاء أخـــــط حـــــرف القافيـــــة

بعهـــــا ، فقـــــد بعـــــت الحنيفـــــة قبلهـــــا ... وزهـــــدت فـــــي التوحيـــــد ، هـــــذي القاضـــــية

ورضـــــيتَ أن تحيـــــا بغيـــــر عقيـــــدةٍ ... ورتعـــــتَ فـــــي الـــــدنيا رُتـــــوعَ الماشـــــية

والـــــذئب راود مـــــن تحـــــب ، وبعتهـــــا ... بيـــــع العبيـــــد ، بكـــــل نفـــــس راضـــــية

عشْـــــرٌ مـــــن الســـــنوات مـــــرتْ بعـــــدها ... ســـــنة ، ولـــــم تـــــنكح (دلالاً) ثانيـــــة

حتـــــى إذا كانـــــت ريـــــاحُ نقـــــوده ... بعـــــت الحبيبـــــة فـــــي خِضـــــم الآصـــــية

بـــــالأمس كنـــــت تقـــــول حبـــــي وحـــــدها ... وكتبـــــت شـــــعراً فـــــي المَصـــــون الغاليـــــة

حاربـــــت كـــــل النـــــاس كـــــي تحظـــــى بهـــــا ... وتحققـــــتْ لـــــك أمنيـــــاتٌ غاليـــــة

وقـــــد اغتربـــــت تريـــــد مـــــالاً وافـــــراً ... وتريـــــد أن تحيـــــا حيـــــاة راقيـــــة

وضـــــممتَ للإلـــــف الأليفـــــة جاهـــــداً ... ورزقـــــتَ بـــــالخيرات تتـــــرى زاكيـــــة

وقـــــد ادخـــــرتَ حليلـــــة بالبيـــــت تعـــــ ... ـــــطي أنســـــها ، كانـــــت عليـــــك الحانيـــــة

حتـــــى إذا كـــــان البريـــــق ، وأخـــــذه ... أســـــرعتَ خلـــــف المُغريـــــات الفانيـــــة

وتبعـــــت شـــــيطان الفلـــــوس ، وحزبـــــه ... فوضـــــعتَ نفســـــك فـــــي جحـــــيم الداهيـــــة

أهملـــــتَ دارك والحبيبـــــة والوفـــــا ... وأتـــــاك ذئـــــبٌ مـــــن وراء الرابيـــــة

والله يعلـــــم مـــــا وراء مجيئـــــه! ... وضـــــعَ الحليلـــــة فـــــي ســـــعير الآنيـــــة

وشـــــوى عفـــــاف حيائهـــــا وإبائهـــــا ... أمـــــا الحليـــــل عليـــــه تبكـــــي الباكيـــــة

وكمـــا تـــدين تـــدان فـــي هـــذي الـــدنا ... مـــا شـــئت فافعـــل ســـوف تـــأتي الغاشـــية

بعهـــا ، ومثلـــك فـــي الـــورى مـــلءُ الـــدنا ... والعِـــــرضُ مبـــــذولٌ بـــــأدنى زاويـــــة

والنـــاس تعلـــم ، ثـــم ترضـــى بيعـــه ... هـــــذي ورب النـــــاس بلـــــوى قاســـــية

لكنمـــــا عنـــــد الموحـــــد عرضُـــــه ... أوصـــــت عليـــــه شـــــريعة متعاليـــــة

إن الموحّـــــد مخلـــــصٌ ، إذ لا يفـــــ ... ـــــرّط فيـــــه ، لـــــو كانـــــت خطـــــوبٌ عاتيـــــة

بعهـــــا ، ولا تنـــــدم فقلبـــــك ميـــــتٌ ... بـــــل إن نفســـــك بالبلايـــــا داريـــــة

وادفـــــع لشـــــاريها ضـــــمينة شـــــحنها ... وابـــــكِ الأمـــــانيَ فـــــي الحيـــــاة الماضـــــية

ثـــم اشـــتر الـــدنيا بـــبعض فلوســـها ... وأحـــبّ - مـــن بـــين البغايـــا - غافيـــة

وتـــــزج بـــــالأخرى بـــــألفي درهـــــم ... ليســـــت عليـــــك جديـــــدة يـــــا داهيـــــة

وإذا اشـــــتراها الوغـــــدُ قـــــدّمها لـــــه ... واعقـــــدْ مـــــزاداً فـــــي ســـــياج الباديـــــة

واســـكبْ علـــى الأمـــوال خيبتـــك التـــي ... غرّتـــــك فـــــي دنيـــــاك تلـــــك اللاهيـــــة

وامهـــدْ لنفســـك عنـــد ربـــك زاهـــداً ... وانـــع الكرامـــة فـــي النفـــوس الجاســـية

أنـــت الـــذي قـــدمت (أجـــرة شـــحنِها) ... والصـــفقة الرعنـــاء لـــم تـــكُ خافيـــة

هانـــت عليـــك ، لأنـــك مثلـــك تافـــةٌ ... ولأن روحـــك - مـــن هُـــدانا - خاويـــة

حتـــى تملكـــت الفلـــوس ، وحزتهـــا ... جرّحـــت حبـــك بالـــدعاوي النابيـــة

يـــا رب جنبنـــا انتكـــاس قلوبنـــا ... إنـــا لنســـألك التقـــى والعافيـــة

خرائب الماضي

(ما أحلى الماضي عندما تكون ذكرياته سعيدة في ظل منهج الله الإسلام. ولقد جلستُ إلى رجل أشيب في الثمانين - رحمه الله – ، ولم تسقط له سن ، ولم يضعف له نظر ، ولم تخرف له ذاكرة. وقصدت إلى زيارة خاطفة له في مصر عام 2001م. ولم أكن أعرف له عنواناً ، فلما سألت دُللت عليه. فوجدته ينتظر صلاة الظهر في المسجد. وكتاب الله بين يديه وهو يجدّ في مراجعة القرآن. ولم أشأ أن أقطع عليه تلاوته وخلوته بكلام ربه – عز وجل -. فانتظرت قليلاً حتى فرغ من هذه القراءة العذبة ، وأخذت أتحدث إليه. فأخبرني عن صحته فقال: جوارح صُناها في الشباب فصانها الله لنا في الشيب. فذكرني بمقولة الإمام الطبري رحمه الله. والحقيقة أن لكل إنسان ماضياً يحن إليه كلما تذكره ، وفي كل ماض لحظات سعيدة وأخرى تعيسة. والإنسان ما يلبث أن يتذكرها حتى يحن فوراً إليها ، وإذا كان ماضي المرء كله في الجاهلية فلا ضير أنه أشبهُ بالأرض الخراب الجدباء التى لا خير يُجتنى منها بالمرة ، وعلى صاحبه - والحالة هكذا - أن يبرأ من ذلك الماضي العقيم الذي كلما تذكره صاحبه تذكر معه الشقاء والمرار. وإذن فهناك في قرية (ظفر) من أعمال الدقهلية بمصر ، وفي عام 2000م ، كانت لي وأهلي رحلة إلى ظفر وزيارة إلى بيت الحاج الشبراوي الطنطاوي البنوي – رحمه الله -. واستقبلنا الرجل في داره القريبة من المسجد ، ورحّب بنا أعظم ما يكون الترحيب. وتجاذبنا أطراف الحديث حول موضوعات شتى. ألا ما أحلى الأخوة عندما تكون لله خالصة وعلى هدىً منه سبحانه وتعالى!)

يـــــا أيهـــــا الماضـــــي ، ابتعـــــدْ ... مـــــا عُـــــدت أخشـــــى مِـــــن أحَـــــدْ

واحمـــــل عصـــــاتك ، وارتحـــــلْ ... طَحَـــــنَ الفُـــــؤادَ دُجـــــى الأمـــــد

فـــــيمَ الرُجُـــــوع إلـــــى الـــــورا ... والـــــذكريات كمـــــا الزبـــــد؟

أيحـــــن فَـــــذَ للـــــدجى؟ ... والحُـــــرُّ أعيـــــاه الكمـــــد

يـــــا أيهـــــا الماضـــــي: كفـــــي ... إن الأمـــــانيَ ترتعـــــد

خمّشـــــتني ، وجرحْتنـــــي ... وأراك تصـــــطنعُ الوقـــــد

كـــــي تحـــــرق النّـــــور الـــــذي ... أحيـــــا عليـــــه ، وأجتهـــــد

قـــــد كنـــــتُ مَجنـــــوز الجـــــوى ... أنـــــأى ، ولا ينـــــأى الكبـــــد

فـــــي الجاهليـــــة ضُـــــيعتْ ... آمـــــالُ مَغـــــوار أســـــد

فجنيـــــــت أشـــــــواك الهـــــــوى وحملـــــــت أطنـــــــان السُـــــــهُد

وطرقـــــــت بـــــــاب شـــــــقاوتي والتـــــــف حبـــــــلٌ مـــــــن مســـــــد

حـــــــول الفـــــــؤاد ، فعـــــــاقني عـــــــن كـــــــل خيـــــــر يُعتقـــــــد

وقـــــــد اقتنيـــــــت مصـــــــائبي مِئتـــــــين ـ حقـــــــاً ـ بالعـــــــدد

مـــــــا بـــــــين أغنيـــــــةٍ وبـــــــا طـــــــل فكـــــــرة ، أمـــــــرٌ يُـــــــرد

وكـــــــذا مـــــــن الأصـــــــحاب كـــــــا نـــــــت صُـــــــحبة القـــــــوم الـــــــرُدد

وتصـــــــــــــوراتٌ مُـــــــــــــرةٌ والعـــــــــــيش كَبّلـــــــــــه الوبـــــــــــد

وزعمـــــــتُ أنـــــــي فـــــــي الـــــــذرى رُوحـــــــاً ، وقلبـــــــاً والجســـــــد

ووهمـــــــتُ أنـــــــي مُهتـــــــدٍ مـــــــن خيـــــــر فِتيـــــــان البَلَـــــــد

وأنـــــــا الـــــــذي فـــــــي شـــــــقوتي وضـــــــللتُ ، روحـــــــاً ، والخلـــــــد

يـــــــا صـــــــفحة الماضـــــــي مزقـــــــ ـــــــتكِ بالحســـــــام المُحتفـــــــد

وطويـــــــت دفـــــــة مـــــــا مضـــــــى وفتحـــــــت أيـــــــامي الجُـــــــدد

ورأيـــــــت فيمـــــــا قـــــــد فعلـــــــ ـــــــت صَـــــــواب أمـــــــري ، والرشَـــــــد

والـــــــذكرُ محفـــــــوظَ ، وسُـــــــنةَ (أحمَـــــــدٍ) ، فـــــــيم العُقـــــــد؟

والنـــــــور يُعطـــــــاه الـــــــذي مـــــــن ربـــــــه طَلَـــــــبَ المَـــــــدَد

جراد على الرمال

(إنني أكتب هذه القصيدة لكل فظٍ ، غليظ القلب ، جافي الطباع ، جعظري متغطرس ، يحتمى بجناب الظالمين وجاههم ، ويتسلح بسلاحهم ، ويقتات على موائدهم ، ويحسب على رجالاتهم ، الذين لا رجولة فيهمُ البتة. ومن هنا أخذ يغمز ويلمز ، وينال من أهل الحق ، ويؤلب حفنة من المنافقين من أمثاله ، ويريدها فتنة لا يعلم إلا الله تعالى مداها. إن هؤلاء لا وزن لهم ، ولا اعتداد بهم ولا بجَمعهم ، مهما انتفش ريشهم ، وعلا جؤارهم ، وكثر عددهم ، وخوّلهم العتاة الطغاة الأمر والنهيَ. ألا ما أشبههم بحفنة من أسراب الجراد الذي يغدو ويروح ، في جيوش تغرها كثرتها الكاثرة على البطش بالناس ، والفتك بمُقدراتهم. إنني أقول: إن دوام الحال من المحال أيها الجراد. (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه ، فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون). وهذه حفنة من الجراد تطيرُ هنا وهناك ، زاعمة أنها بالزور والبُهتان ، سوف تُبعثر كثبان الرمال وتنال منها. ولذا راحت تتعدد محاولاتها ، لتحقق ذلك الوهم الشرير المتعطش لتشتيت الناس في الأرض كلها وإذلالهم. وما هي وإن فعلت كل المستحيلات ، بمستطيعة أن تحقق شيئاً لم يكن من قدر الله في هذي الكثبان الرملية فعلاً. وإذا الرمال في النهاية هي الرمال ، بجمالها ورونقها وبهائها وكثبانها: تلٌ فوق تل. وإذا الجرادُ قد أتعب نفسه ، وأهلك قُطعانه وأسرابه سُدى. (ما يفتح اللهُ للناس من رحمةٍ فلا مُمسك لها ، وما يرسل فلا ممسك له من بعده ، وهو العزيز الحكيم) ، (فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك ، وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا ، إنهم كانوا قوما عمين) ، (فأنجيناه والذين معه برحمة منا ، وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا ، وما كانوا مؤمنين) ، ومن هذا المنطلق نعلم ونتبين أن الله ناصر جُنده وأوليائه! ونتهكم من الجراد المستكبر فنقول لأسرابه الطاغية هذا الشعر!)

أتقنتَ فنّ الشيطنة ... وأجدتَ فعْلَ القرصنة

أجهدتَ نفسكَ ، والورى ... وسبكتَ حبك الرهبنة

ثقُلتْ عليك صَراحتي ... فهرعتَ نحو الفرعنة

وظهرتَ مثل جرادةٍ ... بلهاءَ تُزجي الطنطنة

صادت قلوباً كالحصى ... وتمرغتْ في العنعنة

وتكوّن الجيبُ الذي ... يجتاح كل الأمكنة

وغدتْ هُنالك فِتنةٌ! ... نشدَ الجرادُ الهيمنة

وانقاد كلٌ خلفها ... وتفرغتْ للشيطنة

حمقـــــاءُ تلهـــــث فـــــي الثـــــرى ... للـــــــــذل باتـــــــــت مُذعنـــــــــة

وســـــــعى الجـــــــرادُ وراءهـــــــا ... فمَشـــــــتْ تســـــــوق المَســـــــكنة

والقـــــوم قـــــد خُـــــدعوا بهـــــا ... وبأمســـــــــــــــياتٍ ديّنـــــــــــــة

وبصـــــــــوتها ، وكلامهـــــــــا ... وعلـــــــــى المنـــــــــابر عينـــــــــة

كـــــم ذا أثـــــارت مـــــن لظـــــىً ... بمنـــــــــــــاظراتٍ ليّنـــــــــــــة!

وتســـــــــوقُ كُـــــــــل أدلـــــــــةٍ ... بمكاتبـــــــــــــاتٍ مُعلنـــــــــــــة

مـــــن أزّهـــــا فـــــي نُطقهـــــا ... حتـــــــــى تُقـــــــــيم البيّنـــــــــة؟

ووراءهـــــــــا أتباعُهـــــــــا ... صـــــــاحت بهـــــــم مُســـــــتيقنة

والرمـــــــلُ يحتمـــــــلُ الجـــــــرا ... دً ، وبعـــــــدُ هـــــــذي الهَينـــــــة

رفقـــــــاً بنفســـــــكَ يـــــــاجرا ... دُ ، وكُـــــــفّ هـــــــذي المَطعنـــــــة

يومـــــــاً ستســـــــحقُك الرِّمـــــــا ... لُ ، ولـــــــن تـــــــرى لـــــــكَ بهكنـــــــة

ولســـــوفَ يبقـــــى الرمـــــل فـــــي ... حـــــــــال تُغـــــــــرد مِزينـــــــــة

ويبـــــــوءُ بالخســـــــران سَيـــــــ ... ـــــــلُ جَـــــــرادِكُم ، والمَلعنـــــــة

(الشيخ محمد محمود الطبلاوي مدرسة في القراءة غير مسبوقة. ولقد أحببته مذ كنت في الإعدادية. وذلك في سبعينيات القرن المنصرم. والشيخ من أبناء محافظة الجيزة ، فهو بهذا من أعيان الصعيد ، وهو فخر لأهل الصعيد ولا شك. فهنيئاً لأهل الصعيد ذلك المجد: أن يخرج من بينهم أحد فحول القراء ، في زمان يندر أن يجود الزمان بمثله. ولا أزكي على الله أحداً ، والله حسيبه ووكيله. إنْ هو إلا شعوري أسطره نثراً في المقدمة ، وشعراً بعدها. وأسأل الله أن يغفر له ما لا نعلم عنه ، وأن يجعله خيراً مما نظن ، وأن لا يفتنه بما نقول. ومن هنا كتبت هذه القصيدة أحييه! عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال سمعت رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم يقول: (ما أذن اللَّه لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن: يجهر به). مُتَّفَقٌ عَلَيهِ. معنى (أذن اللَّه): أي استمع. وهو إشارة إلى الرضى والقبول. وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قال له: (لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود). مُتَّفَقٌ عَلَيهِ. وفي رواية لمسلم: أن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قال له: (لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة!). وعن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قرأ في العشاء بالتين والزيتون فما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ. وعن أبي لبابة بشير بن عبد المنذر رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قال: (من لم يتغن بالقرآن فليس منا). رَوَاهُ أبُو دَاوُدَ بإسناد جيد. معنى (يتغنى): يُحسّن صوته بالقرآن. وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال ، قال لي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: (اقرأ عليّ القرآن) فقلت: يا رَسُول اللَّهِ أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: (إني أحب أن أسمعه من غيري) ، فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية: {فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً} ، قال: (حسبك الآن) ، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ. وعن أبي سعيد رافع بن المعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: قال لي رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: (ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد؟) فأخذ بيدي ، فلما أردنا أن نخرج قلت: يا رَسُول اللَّهِ إنك قلت لأعلمنك أعظم سورة في القرآن! قال: (الحمد لله رب العالمين ، هي السبع المثاني ، والقرآن العظيم الذي أوتيته). رَوَاهُ البُخَارِيُّ. وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قال في قل هو اللَّه أحد: (والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن). وفي رواية: أن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قال لأصحابه: (أيعجز أحدكم أن يقرأ بثلث القرآن في ليلة؟) فشق ذلك عليهم وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رَسُول اللَّهِ؟ فقال: (قل هو اللَّه أحد اللَّه الصمد ثلث القرآن) رَوَاهُ البُخَارِيُّ. وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ: {قل هو اللَّه أحد} يرددها ، فلما أصبح جاء إلى رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم فذكر ذلك له ، وكأن الرجل يتقالها. فقال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: (والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن). رَوَاهُ البُخَارِيُّ. وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قال في قل هو اللَّه أحد: (إنها تعدل ثلث القرآن) رَوَاهُ مُسلِمٌ. وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أن رجلاً قال: يا رَسُول اللَّهِ إني أحب هذه السورة: {قل هو اللَّه أحد} قال: (إن حبها أدخلك الجنة). رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ. ورَوَاهُ البُخَارِيُّ في صحيحه تعليقاً. وعن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قال: (ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط؟ قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس).

رَوَاهُ مُسلِمٌ. وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: (كان رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان ، فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما). رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ. وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قال: (من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له ، وهي: تبارك الذي بيده الملك). رَوَاهُ أبُو دَاوُدَ التِّرمِذِيُّ ، وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ. وفي رواية أبي داود: (تشفع). وعن أبي مسعود البدري رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قال: (من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه). مُتَّفَقٌ عَلَيهِ. قيل: كفتاه المكروه تلك الليلة. وقيل: كفتاه عن قيام الليل. وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قال: (لا تجعلوا بيوتكم مقابر ؛ إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة). رَوَاهُ مُسلِمٌ. وعن أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: قال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: (يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب اللَّه معك أعظم؟ قلت: {اللَّه لا إله إلا هو الحي القيوم} فضرب في صدري وقال: (ليهنك العلم أبا المنذر). رَوَاهُ مُسلِمٌ. وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: (وكلني رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم بحفظ زكاة رمضان ، فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم. قال: إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة. فخليت عنه ، فأصبحت فقال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: (يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟ قلت: يا رَسُول اللَّهِ شكا حاجة وعيالاً ، فرحمته فخليت سبيله. فقال: (أما إنه قد كذبك وسيعود ، فعرفت أنه سيعود لقول رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم ، فرصدته فجاء يحثو من الطعام ، فقلت: لأرفعنك إلى رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم. قال: دعني فإني محتاج وعلي عيال لا أعود. فرحمته فخليت سبيله ، فأصبحت فقال لي رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: (يا أبا هريرة ما فعل أسيرك؟ قلت: يا رَسُول اللَّهِ شكا حاجة وعيالاً ، فرحمته فخليت سبيله. فقال: (إنه قد كذبك وسيعود ، فرصدته الثالثة ، فجاء يحثو من الطعام ، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم أنك لا تعود ثم تعود! فقال: دعني فإني أعلمك كلمات ينفعك اللَّه بها. قلت: ما هن؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ، فإنه لن يزال عليك من اللَّه حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح. فخليت سبيله ، فأصبحت فقال لي رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: (ما فعل أسيرك البارحة؟ قلت: يا رَسُول اللَّهِ زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني اللَّه بها فخليت سبيله. قال: ما هي؟ قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية: {اللَّه لا إله إلا هو الحي القيوم} ، وقال لي: لا يزال عليك من اللَّه حافظ ولم يقربك شيطان حتى تصبح. فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: (أما إنه قد صدقك وهو كذوب ، تعلم من تخاطب منذ ثلاث يا أبا هريرة؟ قلت: لا. قال: ذلك شيطان). رَوَاهُ البُخَارِيُّ. وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قال: (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال). وفي رواية: (من آخر سورة الكهف). رَوَاهُ مُسلِمٌ. وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: بينما جبريل قاعد عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم ولم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم ، فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة ، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته. رَوَاهُ مُسلِمٌ. (النقيض): الصوت. وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: قال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: (وما اجتمع قوم في بيت من

بيوت اللَّه ، يتلون كتاب اللَّه ، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم اللَّه فيمن عنده). رَوَاهُ مُسلِمٌ. ويكفي أن قراءة القرآن هي العمل الذي كان المسلم يؤديه في الدنيا ينشد عليه الأجر من الله ، ثم يُطلب منه في الآخرة التي هي دار جزاء لا دار عمل. فعن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قال: (يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ؛ فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها). رَوَاهُ أبُو دَاوُدَ التِّرمِذِيُّ ، وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيح. وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: سمعت رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم يقول: (اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه). رَوَاهُ مُسلِمٌ. وعن النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: سمعت رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم يقول: (يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران ، تحاجان عن صاحبهما). رَوَاهُ مُسلِمٌ. وعن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: قال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه). رَوَاهُ البُخَارِيُّ. وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنها قالت: قال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: (الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران). مُتَّفَقٌ عَلَيهِ. وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: قال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ، ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة ، لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ، ليس لها ريح وطعمها مر). مُتَّفَقٌ عَلَيهِ. وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قال: (إن اللَّه يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين). رَوَاهُ مُسلِمٌ. وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قال: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه اللَّه القرآن ، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه اللَّه مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار). مُتَّفَقٌ عَلَيهِ. (الآناء): الساعات. وعن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: (كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط بشَطَنَيْن فتغشته سحابة فجعلت تدنو وجعل فرسه ينفر منها ، فلما أصبح أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم فذكر له ذلك ، فقال: (تلك السكينة تنزلت للقرآن). مُتَّفَقٌ عَلَيهِ. (الشطن) بفتح الشين المعجمة والطاء المهملة: الحبل. وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: قال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: (من قرأ حرفاً من كتاب اللَّه فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ألم حرف ، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف). رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ ، وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيح. وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: قال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: (إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب). رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ ، وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيح. عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قال: (تعاهدوا هذا القرآن ؛ فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتاً من الإبل في عقلها). مُتَّفَقٌ عَلَيهِ. وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قال: (إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعَقَّلَة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت). مُتَّفَقٌ عَلَيهِ. والحمد لله تعالى أنني رزقت أباً وأماً حرصا منذ نعومة أظفاري على تعليمي القرآن الكريم ، وتم ذلك على يد الشيخ (الشحات محمد الشيخ) من أهالي (كفر سليمان البحري) ، من أعمال دمياط ، في الفترة من 1971 : 1975م. وكانت فترة مباركة من عمري ، حيث تفيأت ظلال القرآن الكريم ، وإن لم أكن أعلم

دلالات الكلمات! وواصلت بعد ذلك مدارسة القرآن وقراءته! وكان أغلب أصفيائي وأحبائي ومعارفي من أهل قراءة القرآن أمثال: (الشيخ فهمي عبد الرحيم درويش – الشيخ حامد كحلة – الشيخ عبد اللطيف السرطاسي – الشيخ محمود الليثي – الشيخ محمد عبد المعطي – الشيخ عبده أبو عيوشة – الشيخ الدكتور الشربيني أبو طالب – الشيخ الأستاذ أبو الفتوح المنسي – الأستاذ جمال العزبي – الأستاذ مصطفي عون – الأستاذ عزمي فتحي عُليمي – الأستاذ محمد عبد الحافظ الأستاذ أحمد عبد الهادي – الشيخ الدكتور محمد عبد البديع شريف – الشيخ إبراهيم البغدادي). وغيرهم الكثير ممن لم أتذكر. ومن هنا أمدح الطبلاوي ، وإن لم أتتلمذ على يده ، لكني استمعت.)

بلبـــلٌ يشـــدو ، فأنصـــتْ واعتبـــرْ ... إن آي الـــذكر نـــورٌ مزدهـــرْ

يأســـر القلـــبَ بصـــوتٍ خاشـــع ... ويَمُـــد الـــروح مـــداً بالـــدرر

ويســـر الـــنفس بـــالنور ســـرى ... مـــن معـــين الآي مـــن نبـــع الســـور

يُـــبهج الخـــاطر ، يُشـــجي مـــن ثـــوى ... ثـــم يهـــدي مـــن تـــدنى وانحـــدر

والقـــراءاتُ تجَلـــي جهـــده ... عـــاطرَ الترجيـــع بالصـــوت الأغـــر

كـــم تمتعنـــا بأنغـــام الهُـــدى! ... صـــاح مـــا أحلـــى كـــلامَ المقتـــدر!

ذلـــك العِـــز ، وهـــذا دربُـــه ... أيهـــا النـــاس ، فهـــل مـــن مـــدكر؟

لـــم يُقلـــد غيـــره فـــي نبـــرةٍ ... إنمـــا التقليـــدُ عجـــزٌ وخـــور

رفـــعَ القـــرآنُ فينـــا شـــأنه ... هكـــذا القـــرآن يُعلـــي مـــن شـــكر

قـــارئُ القـــرآن مفضـــالُ العطـــا ... ولـــه فضـــلٌ علـــى كـــل البشـــر

إنـــه الرشـــدُ إذا ضـــل الـــورى ... حيـــث يســـقيهم يواقيـــت العِبـــر

إنـــه القـــرآن يســـعى بيننـــا ... إن مـــن يعمـــلُ بالـــذكر يُسَـــر

ربِّ حـــيّ الشـــيخ هـــذا ، واجـــزهِ ... كـــل خيـــر ، وأعـــن مَـــن يفتكـــر

يشـــهد الله لقـــد أحببتـــه ... وفـــؤادي لحُـــداه يبتـــدر

وأنـــا بالشـــعر قـــد حييتـــه ... أبتغـــي وجهـــك والأجـــر العطـــر

تحية للشاعر الشهيد / هاشم الرفاعي

(أحيي الشاعر الشهيد / هاشم الرفاعي ، بهذه القصيدة المتواضعة ، حيث أعجبتُ بشعره منذ عقدين مضيا. وإنما يصدق الشاعر عندما يضمخ شعره بالحبر والدم! وأحسب الشاعر الرفاعي واحداً من هذا الطراز. وديوانه الفخم الضخم خير دليل على ما أقول. وعلى صغر سنه وقلة تجربته إلا أن شعره يأخذ طريقه إلى القلوب بطريقة مباشرة. ولا يزال الشعراء يعضد بعضهم بعضاً ويأخذ بعضهم من بعض ، ولا يقدّر الشاعر حق قدره مثل أخيه الشاعر. وحبذا لو كان الشاعران صادقين في التجربة والشعور والهم والقضايا. وأحسب الرفاعي الشاعر كان يحمل هم الأمة المؤمنة ، ومن هنا جند شعره ، وسخر قلمه لقضاياها. فاستحق – رحمه الله - التحية والتقدير! في محاضرة له بعنوان: (الشعر وموقف الإسلام منه) ، قال الدكتور محمد بن سعد الدبل ما نصه بتصرف يسير: (إن الأدب من منظور إسلامي هو أدب العقيدة الإسلامية التي تحثُّ الفرد والمجتمع على اتباع الحق ، وقول الحق ، والشهادة بالحق في كل شيء ، والأدب هو فنُّ العبارة ذات الكلمة الصادقة ، ولذا كان لزامًا على المسلم أن يَلتزم في سلوكه ومُعاملاته وأفعاله وأقواله بما هو خير ، والنقد الأدبي مِن منظور إسلامي يُعنى عناية تامَّة باستجلاء النصوص الأدبية ليضعها تحت المِجهَر النقدي فيُخرج صالحَها مِن خبثِها. ولقد لازم النُّقاد الإسلاميون إدامة النظر في العطاء الأدبي الإسلامي حين أدركوا - عن قناعة تامة - أن الإسلام هو الكفيل بإصلاح الناس مِن خلال معتقداتهم وأخلاقهم وعطائهم الأدبي! ومن خلال هذا المنهج في النقد الأدبي الإسلامي يتعيَّن على كل ناقد واعٍ بصير مُنصِف أن يقول: إن أول مصادر هذا الأدب هو القرآن الكريم ، ذلك الكتاب السماوي الذي غيَّر العقلية العربية ، ورفع النظر مِن الأرض إلى السماء ، وعلَّم الناس أن يَقرأوا كتاب الطبيعة في فصوله المختلفة مِن إنسان ونبات وجبال ونجوم وأرض وسماء ، وأن يقرأوا ما بعد الطبيعة مِن إلهٍ فوق العالَمين هو نور السموات والأرض. وبذلك كشف القرآن عن العيون غطاءها فأصبح بصرها حديدًا فنظرت إلى العالم مِن أعلى ، ورأته وحدة مُتناسِقة الأجزاء تخضَع كلها لإرادة الله - تعالى - وأعلنَ القرآن الكريم الثورة على النظرة المادية الأرضية التي كان يَنظر بها الجاهِلون وغيرهم مِن أمم الأرض ، فكانت ضربة المعول في الأصنام دعوةً إلى النظر الجديد فدوَّت كلمة "لا إله إلا الله" في جزيرة العرب مُعلنةً ضياع الوثنية وعبادة المادية ، كان هذا في القرآن وأكثر مِن هذا ، وكان لزامًا أن تتغيَّر نظرة الأدب ، وخاصة نظرة الشِّعر والشعراء ، ليرتفع نظر الشاعر الإسلامي ارتفاعه في عقيدته ، وأن يكون له جانب روحي - كجانبه المادي - يرى القرآن يدعو إلى العزة ، ليكف الشاعر عن المبالغة في المدح ، ويدعو إلى عفَّة اللسان ، ليكفَّ الشاعر ويتحرَّج عن الإقذاع في الهجاء ، ويرفع القرآن من شأن المرأة لتعظم في قصيدة الشاعر ، فيتسامى في الكلام عن جسدها إلى الكلام عن رُوحها أمانة وعفَّة وخلُقًا. ولكن الشعر الإسلامي في الحقبة الزمنية من تاريخ الأدب في العصر الأموي لم يتخذ له إمامًا غير الشعر الجاهلي ؛ فقالبه قالبه ، وموضوعاته هي ذات الموضوعات ، ومادته مادته ، وإن كان هناك جديد فجدة في العَرض لا في الجوهر ، في الشكل لا في المضمون ، جدة لا تتجاوَز رقَّة اللفظ بدل خشونته ، وتحوير المعنى بدل ابتكاره ، وهذا الحكم حكم ليس عامًّا ، وإنما يخصُّ الكثير مِن شعراء العصر الأموي ؛ لأن واقع ذلك العصر يشهد بوجود عدد من الشعراء ، انفردوا باتجاه جديد نحو العقيدة الإسلامية

يُعبِّر عن شِعر الجهاد الإسلامي ، فيُصوِّر معارك الفتوح الإسلامية ، ويزن الفضائل الإسلامية بميزان الإسلام ، داعيًا إلى الفداء بكل غالٍ ونفيس ، داعيًا إلى كريم الأخلاق وسموِّ الروح ، وعفَّة النسيب ، وسماحة الأريحة ، وسخاء اليد ، ولنقف على كل شيء مِن هذه الخصائص في هذه المقطوعة مِن الشعر الإسلامي المعاصر الذي وَرِث الفضائل الإسلامية مِن إلهامات الشعراء في مختلف العصور الإسلامية التي اتخذت القرآن والسنة محرابًا لشِعرها وشُعورها).هـ. والآن نواصل الحديث شعراً عن الشاعر الشهيد – إن شاء الله – هاشم الرفاعي.)

رجّعْ قصيدكَ للغدِ المنشودِ ... واقرأ - على الأسماع - عذب نشيدِ

يا (هاشمَ) الخيرات شعرُكَ نابضٌ ... حيّ السريرة عاطرٌ كورود

حاز المآثر والمناقب غضة ... وسعى ببُردٍ مُخْمَل محمود

روّيته دمَك الطهور ، فصانه ... ثم انبرى ليبوح بالمقصود

لم تألُ جهداً - قط - في تنقيحه ... وصبغته بطلاوة الترديد

يا أيها الفذ اللبيب تحية ... والقلب يُهدي الشعرَ خيرَ شهيد

علمتنا نظم القوافي حية ... والشعر ينهلُ من مَعين الصِيد

وأعرتنا قلماً تنير حروفه ... دربا تبعثر في ديباجي البيد

وأبَنت كيف الشعر يُرْوَى بالدما ... حتى يرى غرداً بفرحة عيد

وتركت ديواناً يفيض طلاوة ... ويجود بالأخلاق أعذب جود

أبياتهُ تختال في ثوب التقى ... مثلَ اختيال الفاتنات الخُود

والحكمة انبثقتْ تضمّخ عطرها ... مثلَ القلائد في صُدور الغِيد

وقصائد الديوان فاح أريجُها ... أكرمْ بأطيب شاعر وقصيد!

إن (الرفاعيَ) الأديبَ لشاعرٌ ... يحيا بشعر - في الأنام - سديد

بيراعهِ قد صاغه ودمائه ... من نزف قلب مخبتٍ ووريد

واستغفري لذنبك

(إن موقف الفضيلة واضحٌ بيّن ، ذلك أن الله يتولى أهل الحق وينصرهم - ولو بعد حين –. وأما الرذيلة فالله يخذلها ويخذل أهلها:(ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا ، وأن الكافرين لا مولى لهم)! (ياأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، والذين كفروا فتعساً لهم وأضل أعمالهم ، ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم). ألا وإن موقف يوسف - عليه السلام – واضح. وكل الذي يخاف عليه العزيز ، ككل عزيز هو المكانة والمنزلة والكرسي. ولو على حساب الحق والفضيلة ، ولو حتى بظلم الأبرياء وإدانتهم بالباطل ، وأما العِرض فهو لا يدور بخلده ولا بخلد أمثاله. ومن أراد الوقوف على حقيقة ذلك الأمر فليطالعْ معنا ما سجل صاحب الظلال – رحمه الله – في التعليق على ذلك المشهد من سورة يوسف. يقول في ظلاله وبالنص: (تبين لعزيز مصر حسب الشهادة المبنية على منطق الواقع أن زوجته هي التي راودت ، وهي التي دبرت الاتهام. وهنا تبدو لنا صورة من "الطبقة الراقية" في الجاهلية قبل الآف السنين ، وكأنها هي هي اليوم شاخصة. رخاوة في مواجهة الفضائح الجنسية ، وميل إلى كتمانها عن المجتمع ، وهذا هو المهم كله! قال:إنه من كيدكن. إن كيدكن عظيم. يوسف أعرض عن هذا ، واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين)! هكذا إذن! إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم! فهي اللباقة في مواجهة الحادث الذي يثير الدم في العروق. والتلطف في مجابهة السيدة بنسبة الأمر إلى الجنس كله ، فيما يشبه الثناء. فإنه لا يسوء المرأة أن يقال لها: إن كيدكن عظيم! فهو دلالة في حسها على أنها أنثى كاملة مستوفية لمقدرة الأنثى على الكيد العظيم! والتفاتةإلى يوسف البريء: (يوسف أعرض عن هذا)! فأهمله ، ولا تعره اهتماماً ، ولا تتحدث به. وهذا هو المهم! محافظة على الظواهر! وعظة إلى المرأة التي راودت فتاها عن نفسه ، وضبطت متلبسة بمساورته وتمزيق قميصه: (واستغفري لذنبك ، إنك كنت من الخاطئين). إنهاالطبقة الأرستقراطية ، من رجال الحاشية ، في كل جاهلية. قريب من قريب!)هـ . رحمك الله يا صاحب الظلال. والله لكأنك تنظر إلينا اليوم من قريب! وتشخص واقعنا المزري البغيض المريض! أنشدت هذه القصيدة لأضرب على ذات الوتر!)

عزيـــــــز القـــــــوم لا يـــــــدري ... بمـــــا فـــــي القصـــــر مـــــن أمـــــر

ومِـــــــن أدهِـــــــيَ غرائبـــــــه ... يظـــــن الخَطـــــب فـــــي الســـــر

وكانـــــــت فتنـــــــة عمّـــــــتْ ... وأضـــــــحى شـــــــرها يســـــــري

ألا يـــــــا عابثـــــــاً يهـــــــذي ... تعقـــــــبْ ربّـــــــة القصـــــــر

ولا تعـــــــدمْ ، ولا تســـــــجنْ ... وحـــــــاذرْ نقمـــــــة الجـــــــوْر

ولا تـــــــدَع البـــــــرئ بهـــــــا ... وكـــــــن فطنـــــــاً لمَـــــــا يجـــــــري

عجيـــــــبٌ منـــــــكَ مـــــــا تـــــــأتي ... وأعجـــــــبُ منـــــــه مـــــــا تـــــــدري

وإن الظلـــــــــــــم كارثـــــــــــــة! قـــــــــرينُ الهـــــــــدم والخســـــــــر

بـــــــــرئٌ (يوســـــــــفُ الصديـــــــــ ـــــــــقُ) مِـــــــــن ذنـــــــــب ومِـــــــــن وزر

شـــــــــريفٌ (يوســـــــــفُ الصديـــــــــ ـــــــــقٌ) ، عـــــــــالي العـــــــــزم والقـــــــــدر

رفيـــــــــعٌ (يوســـــــــفُ الصديـــــــــ ـــــــــقُ) ، ســـــــــامي العـــــــــز والطهـــــــــر

عظـــــــــيمٌ (يوســـــــــفُ الصديـــــــــ ـــــــــقُ) ، فـــــــــي يُســـــــــر وفـــــــــي عُســـــــــر

وصـــــــــاحبُ (يوســـــــــفَ الصديـــــــــ ـــــــــق) بـــــــــرّأهُ علـــــــــى الفـــــــــور

وقـــــــــد شـــــــــهد العزيـــــــــز ، ولـــــــــم يُحَـــــــــوّل دفـــــــــة الثـــــــــأر

وبجّلـــــــــــــه ، وأكبـــــــــــــره وغطـــــــــــــى الأمـــــــــــــر بالســـــــــــــتر

وقـــــــــال: اســـــــــتغفري ، وبـــــــــدا بقلـــــــــب فـــــــــاض بـــــــــالنكر

وخاطـــــــــب يوســـــــــف الصديـــــــــ ـــــــــق: لا تخبـــــــــر ، لكـــــــــم شـــــــــكري

وعـــــــــاد فأدخـــــــــل الصديـــــــــ ـــــــــق ســـــــــجناً ظـــــــــالم الأســـــــــر

مضـــــــــتْ- فـــــــــي الســـــــــجن - أعـــــــــوامٌ تـــــــــذيبُ الـــــــــروحَ فـــــــــي القِـــــــــدر

ويوســـــــــف فـــــــــي اللظـــــــــى بطـــــــــلٌ مَجيـــــــــدُ الســـــــــاح والفخـــــــــر

وأمّـــــــــا زوجُ ســـــــــيّدهم تريـــــــــد الأمـــــــــر بـــــــــالجبر

عجيـــــــــبٌ أمـــــــــر ســـــــــيدهم يُحيـــــــــل الأمـــــــــر مـــــــــن ســـــــــر

ومِـــــــــن ســـــــــر إلـــــــــى جهـــــــــر بلـــــــــوم مـــــــــائع الزجـــــــــر

يقـــــــــول: (اســـــــــتغفري) ، وكفـــــــــي مـــــــــن الآثـــــــــام والـــــــــوزر

جريدة الوحدة العربية - 24 / أبريل / 1996م

الآمال الذابلة

(رأيتُ فيما يرى النائم أنني في شئ وفير من النعمة ، وأن أملاً كان يُداعب خاطري بالأمس ، فإذا به يتحقق اليوم. فلما أصبحتُ وجدتُ واقعي الذي أعيش ، كما هو بذات المعاناة وذات الشقاء ، وأدركتُ ساعتها أنني كنت أحلُم ، فصار حُلمي ذابلاً كزهرة ذابلة ، بل ربما بقيَ في الزهرة الذابلة بقيةٌ من أريج وأثر من رائحةُ رحيق ، وأدركتُ أن حياتي مجموعةٌ من الزهور الذابلة ، تلك التي قد يبقى فيها شئٌ من اليُنوعة رغم الذبول ، وقد تنعدم فيها الحياة! وقلتُ لنفسي: لا تنظر إلى غيرك من طلاب الدنيا ، ولا تتمنى ما ابتلى ربُك به غيرك ، وإن قوماً لم ينافسوك في آخرتك الباقية الخالدة ، فلا يجبُ عليك أبداً أن تنافسهم في دنياهم الزائلة! وإن أمور الحياة لا تؤخذ أو تستلهمُ من الأحلام ولا المنامات ولا الرؤى! بل يسعى المرء وليس عليه إدراكُ النجاح. والتوفيق يأتي من الله تعالى ثمرة كدٍ وسعي وكفاح وجهادٍ في الحياة! ولكل مجتهدٍ نصيبٌ كما يقول العوام! فلا تكون الرؤيا أملاً ذابلاً إلا إذا كان صاحبها لا تستهويه الرؤى ابتداء! ويكاد الواقع المُعاش يفرض نفسه على صاحبه. ومن هنا فنراه يستسلم لضغط الواقع ولثقله بكل ما تعنيه الكلمة من معان!)

الحُلمُ كالذهب السبيكْ ... والأمرُ قدّرهُ المليكْ

فاسعدْ بحُلمك يا فتى ... واهنأ برُؤيا تحتويك

حُلمٌ كأنسام الهوى ... يسطو على القلب الضحوك

وتبسّم البدرُ الذي ... هُو لليواقيت الألوك

حُلمٌ تعطر بالمُنى ... صدقاً هو الذهبُ السبيك

حُلمٌ ، وربي ، نادرٌ ... في العُمر ليس له شريك

أحيا الفؤاد ، وما به ... شئٌ حقيرٌ ، أو ركيك

فلطالما انتظر الفتى ... حُلماً يُزيلُ أسى الأفوك

مقهورُ يا من تشتكي ... أودى بمركبك الهُلُوك

والموجُ عاتٍ وقعُهُ ... مَن مِن ، ضياعك يَشتريك

ذبُلت أمانيك التي ... بالأمس كانت تجتبيك

فِـــــيمَ انفعالـــــك فـــــي الـــــدُّجى؟ عجبـــــــاً لِقولـــــــك والسُّـــــــلُوك!

أضـــــــــــغاث أحـــــــــــلام إذن رُؤيـــــــا تُعرقلهـــــــا الشُّـــــــكوك

أتُـــــــراك تَســـــــعد بالرَّخـــــــا؟ أخُـــــــدعت بـــــــالحلم الضـــــــريك؟

والفجـــــــر قـــــــد شَـــــــق الفضـــــــا أســـــــمعت تصـــــــييح الـــــــدُّيوك؟

أســـــــألت ربَّـــــــك فضـــــــلهُ؟ والنّـــــــورُ مُنتشـــــــرٌ يَليـــــــك

دُنيـــــــاك هـــــــذي جِيفـــــــةً دمُهـــــــا علـــــــى الهَلكـــــــى سَـــــــفيك

دعهـــــــا لِكـــــــل مُعربـــــــدٍ يَجترهـــــــا مِثـــــــلَ العُلُـــــــوك

أنـــــــت الكَـــــــريم ، فـــــــلا تَهـــــــن لا تـــــــركنن إلـــــــى الصُـــــــكوك

فـــــــي نِعمـــــــة أنـــــــتم إذن لـــــــو كـــــــان يَـــــــدريها المُلُـــــــوك

مَـــــا عـــــاشُ مِثلـــــك فـــــي الـــــدنا ولَشـــــجّ قَلبـــــك والمُسُـــــوك

ولَـــــئن تحقـــــق مـــــا تـــــرى ســـــتعيش فـــــي كـــــرب ضـــــنيك

ويُســـــــربل اليُســـــــرُ التقـــــــى وتَكـــــــون فـــــــي أمـــــــر رَبيـــــــك

أنـــــــت العَزيـــــــز بـــــــلا رخـــــــا ولقـــــــاء مولانـــــــا وشـــــــيك

فأعـــــــد نفســـــــك للقضـــــــا! والقـــــــوتُ قَـــــــدرهُ المَليـــــــك

جريدة الوحدة العربية -- 17 / إبريل 1996م.

خرير الأوراق

(بينما كانَ الشافعيّ يُدرس العلمَ لطلابه ، أتتِ امرأة معها تفاحةٌ حمراء وسِكين وطبق ، ووضعتهم أمامَ الشافعي ، ثم انصرفتْ إلى حال سبيلها ، فأخذ الشافعي التفاحة ، وشقها إلى نصفين بالسكين ، ووضع الجميع في الطبق ، فلما عادت المرأة أخذتهم وانصرفت. فسأل طلابُ العلم أستاذهم الشافعي عن هذا التصرف والسلوك. فكان جوابهُ بكل سُهولة أن المرأة أتتهُ فاستفتتهُ وأفتاها. فقالوا: عن أي شئ كانت فتواك لها؟ فقال: أتت تسأل عن علامة الطُهر من حيضتها ، وأفتيتها بأنها إن رأت القصة البيضاء. وكان احمرار التفاحة من الخارج علامة على الدم ، فلما شققتها إلى نصفين ، كان اللون الأبيض الذي يُشير إلى القصة البيضاء الذي هو علامة الطهر من الحيض! فذهبوا إليها ، ومن بينهم أحد أقربائها ، وسألوها فقالت: إنما أتيت اسأل الإمام عن الطُهر من الحيض ، وأفتاني أن الطهر يكون برؤية القصة البيضاء. فأخذني- كشاعر - جَلالُ هذا الموقف الذي يدل دلالة قاطعة على فِراسةُ الشافعي! فأنشدت هذه القصيدة أطري بها الشافهي ذلك الفقيه الذكي العبقري ، وأوْبنه وأبكي لرحيله عن دنيانا. وأعلم أنه لم يكن من المعقول أن يعيش ليُدرك زماننا. ولكنني حزين أشد الحزن أن الزمان لم يجُد بمثله في أيامنا تلك. وإلا فالكل ميتٌ لا مَحالة ولا مُشاحة في ذلك. ولا أزكّي على الله أحداً. ورحم الله الشافعي ، وتجاوز عن سيئاته ، وغفر له ذنوبه ، وأدخله الجنة مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.)

يـــراعُ الشـــوقِ - فـــي القِرطـــاس - فـــائرْ ... علـــى مـــتن التقـــى بـــاتَ المُغـــامرْ

ليبكـــيَ جَهبـــذاً - فـــي العلـــم - فـــذاً ... ويَغمـــــر باليواقيـــــت الســـــرائر

ويبكـــــيَ ألمعيـــــاً ، لا يُبـــــارى ... وإن (الشـــــافعي) لفـــــي الضـــــمائر

عظـــيمٌ فـــي مُعالجـــة القضـــايا ... رفيـــعُ القَـــدر جَيّـــاشُ المَشـــاعر

لـــه فـــي الفقـــه مَدرســـةً وفحـــوى ... وكـــم أزكـــى المجـــالسَ والمنـــابر!

وكـــم كانـــت لـــه فـــي القـــوم ذكـــرى! ... وكـــم خـــاض المعـــامعَ والمخـــاطر!

وكـــم أجلـــى عـــن القُـــرآن جَـــوْراً! ... وكـــم أجلـــى عـــن التقـــوى ديـــاجر!

وكـــان (الشـــافعي) السَّـــيف يُحصـــي ... رقـــاب الجهـــل ، يَجعلهـــا نحـــائر

وأعطـــى لـــم يَكـــن - يومـــاً - بخـــيلاً! ... وبَـــذلُ العِلـــم مـــن أنـــدى المَفـــاخر

ودوّن عِلمَـــــــهُ خَلـــــــقٌ كثيـــــــرٌ ... وجـــــفّ الحبـــــرُ فـــــي قلـــــبِ المحـــــابر

ونـــــاظرَ لـــــم يكـــــن أبـــــداً جبانـــــاً ... وضـــــجّ الخصـــــمُ مـــــن حُجـــــج المُنـــــاظر

ألا يـــــا شـــــافعيّ: لكـــــم ســـــلامي ... مِـــــنَ الأعمـــــاق ، مـــــن جـــــوف المجـــــامر

فإنـــــك لـــــم تَمـــــت ، بـــــل نحـــــنُ مـــــوتى ... وقـــــد سَـــــكنتْ هويتنـــــا المَقَـــــابر

وَضِـــــعنا فـــــي دهـــــاليز الخطايـــــا ... ومـــــاتَ الفقـــــهُ فـــــي شـــــتى الحواضـــــر

وحققتنـــــا كلامـــــك ، لـــــم نُقصـــــرْ ... ونقّحنـــــا ، وحبّرنـــــا الـــــدفاتر

ولكـــــنْ لـــــم نُطبّـــــق منـــــه حرفـــــاً ... وبـــــالإفلاس لازلنـــــا نُجـــــاهر

وأنـــــت تُجيـــــب ســـــائلةَ بصـــــمتٍ! ... فقيـــــهٌ فـــــي الشـــــرائع والشـــــعائر

وفقهُـــــك فـــــي منازلنـــــا فصـــــيحٌ ... تحـــــنطَ فـــــي القـــــراطيس الغـــــوابر

وقـــــد بلغـــــتَ مـــــا حُملـــــتَ حقـــــاً ... وأشـــــبعتَ الأوائـــــل والأواخـــــر

وقَلـــــت الشِّـــــعر فـــــواحَ المُحيـــــا ... فقيـــــهٌ أنـــــت نِحريـــــرٌ وشـــــاعر

مناقِبـــــكَ العديـــــدةُ فـــــي فـــــؤادي ... كمـــــا المَرجـــــان فـــــي أيـــــدى الحرائـــــر

وعِلمـــــك - فـــــي ســـــماء - الكـــــون بـــــدرٌ ... وفقهُـــــك - فـــــي بيادينـــــا - غـــــدائر

ولســـــتُ مُزكيـــــاً إيـــــاك يومـــــاً ... علـــــى الـــــرحمن ، ذي عنـــــدي أوامـــــر

ولكـــــن حَســـــبُك الـــــرَّحمنُ صِـــــدقاً ... لكـــــم فـــــي جنـــــة المـــــأوى البشـــــائر

ومـــــا هـــــذي المَشَـــــاعرُ غيـــــر ذكـــــرى ... أمـــــاط السِّـــــتر عنهـــــا مـــــن يُغـــــامِر

جريدة الوحدة العربية -- 28 أبريل 1996م

المخرج من دياجير التيه

(أكتب للجيل البائس المعاصر ، ذلك الجيل الذي يتمرغ في ظلمات التيه الجاهلي ، وأصف المخرج! والله المستعان. ولا عذر لذلك الجيل ، والحجة ولا شك قد أقيمت عليه ، وكان عليه أن يلتمس دينه وعقيدته وشريعته. بدلاً من أن ينشغل بالترّهات والأباطيل والأحجيات والأحاجي ، التي وضعها في طريق هدايته حكماء صهيون وسدنتهم في الداخل والخارج ، بقصد وبغير قصد! وهذا الجيل بين خيارين لا ثالث لهما: إما أن يعيش في هذه الحياة عبداً لله تعالى يأتمر بأوامره وينتهي عن نواهيه ، أو عبداً لغير الله يأتمر بأوامر ذلك الغير ، وينتهي كذلك عن نواهيه! كما يقول صاحب الظلال – رحمة الله تعالى عليه -: (فإن الإنسان في هذه الأرض إما أن يكون عبداً لله تعالى وحده ، ينفذ أوامره ويبتعد عن نواهيه لكي يسعد في الدارين ، وإما أن يكون عبداً لغير الله تعالى من أهواء وشهوات وطواغيت وغيرها مما لا ينفع ولا يضر ، وفي ذلك خسارته في الدارين. قال تعالى: {أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ، قُلْ سَمُّوهُمْ! أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ؟ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ ، وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ، لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ ، وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ}. وقال: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ ، هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا؟ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}. يضرب الله المثل للعبد الموحد والعبد المشرك بعبد يملكه شركاء يخاصم بعضهم بعضاً فيه ، وهو بينهم موزع ولكل منهم فيه توجيه ، ولكل منهم عليه تكليف ، وهو بينهم حائر لا يستقر على نهج ، ولا يستقيم على طريق ، ولا يملك أن يرضي أهواءهم المتنازعة المتشاكسة المتعارضة ، التي تمزق اتجاهاته وقواه! وعبد يملكه سيد واحد ، وهو يعلم ما يطلبه منه ، ويكلفه به ، فهو مستريح مستقر على منهج واحد صريح. «هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلًا؟» إنهما لا يستويان. فالذي يخضع لسيدٍ واحدٍ ينعم براحة الاستقامة والمعرفة واليقين. وتجمّع الطاقة ووحدة الاتجاه ، ووضوح الطريق. والذي يخضع لسادةٍ متشاكسين معذب مقلقل لا يستقر على حال ، ولا يرضي واحداً منهم فضلاً على أن يرضي الجميع! وهذا المثل يصوّر حقيقة التوحيد وحقيقة الشرك في جميع الأحوال. فالقلب المؤمن بحقيقة التوحيد هو القلب الذي يقطع الرحلة على هذه الأرض على هدى ، لأن بصره أبداً معلق بنجم واحد على الأفق فلا يلتوي به الطريق. ولأنه يعرف مصدراً واحداً للحياة والقوة والرزق ، ومصدراً واحداً للنفع والضر ، ومصدراً واحداً للمنح والمنع ، فتستقيم خطاه إلى هذا المصدر الواحد ، يستمد منه وحده ، ويعلق يديه بحبل واحد يشد عروته. ويطمئن اتجاهه إلى هدف واحد لا يزوغ عنه بصره. ويخدم سيداً واحداً يعرف ماذا يرضيه فيفعله ، وماذا يغضبه فيتقيه. وبذلك تتجمع طاقته وتتوحد ، فينتج بكل طاقته وجهده وهو ثابت القدمين على الأرض متطلع إلى إله واحد في السماء. إنَّ الإسلام هو منهج الحياة الوحيد ، الذي يتحرر فيه البشر من عبودية البشر. لأنهم يتلقون التصورات والمبادئ ، والموازين والقيم ، والشرائع والقوانين ، والأوضاع والتقاليد ، من الله - سبحانه - ، فإذا أحنوا رؤوسهم فإنما يحنونها لله وحده! وإذا أطاعوا الشرائع فإنما يطيعون الله وحده ، وإذا خضعوا للنظام فإنما يخضعون لله وحده. ومن ثم يتحررون حقاً من عبودية العبيد للعبيد ، حين يصبحون كلهم عبيداً لله بلا شريك.)هـ. ومن هنا كانت هذه القصيدة بشيراً لمن عبد الله تعالى ، ونذيراً لمن عبد سواه قبل فوات الأوان. فليدرك

المقصر المفرط أمره ، وليبصر طريقه قبل فوات الأوان. وقبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ، يومئذ يصدعون. اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل. ولذلك فمن كمال العقل والرشد التخلص من كل مظلمة تخص العباد اليوم قبل غد! وليحاول المسلم أن يتفقد أحواله مع الله تعالى ، فليبك كثيراً على ما فرط في جنب الله تعالى.)

جيـــلٌ تمـــزقَ بـــين التيـــه والظلَـــم ... ويَـــركنُ - اليـــوم - للإفـــلاس والعـــدَم

يهـــوى الضـــياع بـــلا داع ولا ســـبب ... وغيـــرُه ســـاقهُ كالشـــاة والـــنعم

يختـــال إن شـــجّتِ الـــدنيا عزيمتـــه ... ولـــيس يبكـــي علـــى التوحيـــد والقـــيم

يبكـــي دمـــاءً إذا ماتـــت مغنيّـــة ... فـــذا يُشـــيّعها بالوجـــد والألـــم

وذاك فـــي حســـنها يتلـــو قصـــيدته ... وتلـــك - فـــي صـــوتها - تزيـــد فـــي الـــنغم

حـــاكَ اليهـــودُ لـــه أشـــقى مـــؤامرةٍ ... لكـــي تكـــون لـــه معيشـــة الغـــنم

أكـــلٌ وشـــربٌ وأحـــلامٌ محنطـــة ... لكـــي يعـــيش ســـعيداً ســـادنُ الصـــنم

لعْـــبٌ ولهـــوٌ وأفـــلامٌ مســـممة ... لكـــي يســـير الـــورى فـــي حالـــك الظلـــم

نـــومٌ تقـــود لـــه فوضـــى مفخخـــة ... وأغنيـــاتٌ تصـــيب القـــوم بالصـــمم

ثقافـــة خبثـــتْ فـــي كـــل حاضـــرة ... وقـــد أصـــابت شـــقيَ النـــاس بـــالبَكم

وكـــل فســـق لـــه - فـــي الـــدار- شـــرذمة ... تيـــهٌ يمـــوجُ بنـــا فـــي غايـــة الســـأم

كيـــف الخـــروج أيـــا جـــيلاً يعـــذبنا ... مـــا يعتريـــه مـــن الأوجـــاع والســـقم؟

هـــذي الـــدياجير أردتنـــا شراســـتُها ... حتـــى ابتلينـــا بهـــذا المـــأزق العـــرم

ويهـــدمُ التيـــه مـــا نبنيـــه مـــن أسُـــس ... عمـــداً ، ويـــذهبُ بـــالخيرات والـــنعم

أيـــن الطريـــق ، وقـــد عمـــت بنـــا لجَـــجٌ؟ ... وكيـــف نســـعى ، وهـــذا الغـــل فـــي القـــدم؟

كيـــف المســـير ، ولا بُشـــرى تلـــوحُ لنـــا؟ ... وقـــد بعُـــدنا عـــن الغايـــات والقِمـــم

مَـــن يـــزرع الشـــيح يغـــرقْ فـــي مرارتـــه ... ومـــن يـــزرّ الشـــقا - فـــي الكـــون - ينهـــزم

جيـــلٌ تمـــرغ فـــي أوحـــال خيبتـــه ... وتـــوّجَ الأمـــلَ المنشـــود بـــالأكم

وظـــــاهرَ الزيـــــف ، واســـــتجدى براثنـــــه ... ولـــــم تـــــراوذْه - يومـــــاً - وخـــــزة النـــــدم

تُـــــراه يُفلـــــح إن آل القيـــــادُ لـــــه؟ ... وهـــــل لأبكـــــمَ بعـــــضُ القـــــول والكلـــــم؟

تُـــــراه يُصـــــلح مـــــا فـــــي النـــــاس مـــــن ســـــفهٍ؟ ... تُـــــراه يحقـــــن للإســـــلام بعـــــض دم؟

تُـــــراه يقمـــــع مـــــا فـــــي الخلـــــق مـــــن شـــــبَهٍ؟ ... وهـــــل ســـــيدحض مـــــا فـــــيهم مـــــن الـــــتهم؟

تُـــــراه يُخمـــــد نيرانـــــاً تحرّقنـــــا؟ ... وهـــــل يصـــــد العِـــــدا بالســـــيف والقلـــــم؟

إن الخـــــــروج لمَيســـــــورٌ لســـــــالكهِ ... مهمـــــا جثـــــا الجيـــــلُ فـــــي إغوائـــــه العَمـــــم

مهمـــــا تعقـــــب أهـــــلُ البغـــــي صـــــحوتنا ... مهمـــــا اســـــتعانوا بكيـــــدٍ ضـــــارب القـــــدم

مهمـــــا علـــــت - فـــــي الـــــدنا - أصـــــواتُ بـــــاطلهم ... مهمـــــا اســـــتهانوا بـــــوحي الله والحُـــــرُم

مهمـــــا اســـــتطالوا ضـــــحىً فـــــي الأرض وارتكبـــــوا ... أعتـــــى الفـــــواحش فـــــي غـــــل وفـــــي وَضَـــــم

فســـــوف نســـــحقهم فـــــي كـــــل معتـــــركٍ! ... نـــــذيقهم صـــــولة الإحســـــان والســـــلم

يـــــا موكـــــب الكفـــــر فـــــي أصـــــقاع أمتنـــــا ... يـــــا ذل رهطـــــك بـــــالرمح التقـــــي رُمِـــــي!

فقطـــــع الـــــرمحُ شـــــريـاناً يُســـــمّنكم ... وعـــــاد غـــــض الثنايـــــا فـــــي يمـــــين كمـــــي

يومـــــاً ســـــندفع للتـــــدمير مـــــوكبكم ... وســـــوف نعلنهـــــا: إن الـــــوطيس حَمِـــــي!

خروجنـــــا مـــــن ســـــراب التيـــــه موعـــــدُنا ... وعزمُنـــــا قـــــائمٌ فينـــــا علـــــى دِعَـــــم

إن الخـــــروج مـــــن القـــــرآن مبـــــدأه ... كالبـــــدر فـــــي طـــــوره المســـــتعطر الـــــتمم

واللهُ ناصـــــرُ مـــــن لدينـــــه غضـــــبوا ... وربُنـــــا خيـــــر قهـــــار ومنـــــتقم

استعلاءٌ في دنيا البهتان

(ذهب ليدرس التربية الإسلامية ، فابتلي بالنساء ، وكان يأمل أن تتحقق أمنيته ، فيدعو ويربي وينشئ ويعلم ، وخاصة أن هؤلاء النسوة أغلبهن أمهات أولاد. فكانت الكارثة التي هي قاصمة الظهر ، عندما وجد الشرط الذي أخذ عليهن قد بدأ في التغير شيئاً فشيئاً. ذلك أنه اشترط الحجاب الكامل ، واشترط أن لا تكون هناك عطور ولا ميوعة ولا خضوع بالقول بالمرة! لكن سرعان ما انتفضت هذه الشروط ، فوجد نفسه الأستاذ أمام مفاتن وحرمات وروائح وزينات. وزاد حبات الطين بلة طلبُ البعض بأن يحكي الأستاذ بعض الحكايات (والسوالف) فأبى ، فكانت منهن التعليقات السخيفة والاستهزاء به وبلحيته وبأسلوبيته وحزمه وتمسكه. مما حدا به - في النهاية وبعد أيام عدة من استلام الوظيفة - أن يصر على الاستقالة رغم حاجته للمال. فساومته المديرة سائلة إياه الصبر والاحتساب ، وأفهمته أن وجوده أفضل من وجود غيره من الذين يسيل لعابهم لمثل هذا المكان. فاستعصم استعصام الصديق يوسف بن يعقوب - عليه وعلى أبيه وعلى نبينا محمد صلوات الله وسلامه – وعقب بقوله: وماذا أكسب إن خسرت آخرتي وعمّرت دنياي هذه؟ فقبلت المديرة استقالته آسفة. وخرج كأنه ولد في هذه اللحظة فقط على حد تعبيره لي. خرج من هذا المأزق لأنه يخشى على نفسه الفتنة والميل إلى الجاهلية والركون إلى ساقطات قد تؤدي التساهلات معهن إلى السقوط في أتون الرذيلة! وبخاصة أنه لا زاجر من دين أو عقيدة ، ولا رادع من أهل وعشيرة ، ولا وازع ديني قوي يحول دون ذلك! بل السمت العام هو الانحطاط والتردي والسقوط! وكان ذلك الترفع من هذا المعلم شيئاً تستهجنه الفطر الغوية والهمم الحقيرة والنوايا الخبيثة بالطبع! والحقيقة أن المعلم كان واهماً في تشخيصه للحالة: حيث إنه كان يزعم أن المرأة عندما تكون أم أولاد تكون أحرص على العلم والتعلم والفقه والتفقه في العموم والغالب. فإذا به يكتشف أن الفتاة في مقتبل العمر في الغالب الأعم أحرص على العلم والتعلم والفقه والتفقه. فكانت مفاجأة عجيبة ، أربكت المشهد ، وسربلت الحسابات! فكتبت أحيي المعلم الشيخ عبد المنعم عبد المبدي عام 1996م على اعتصامه بالله سبحانه وتعالى ، وعلى ترفعه عن الرضوخ للإغواء وتأبّيه عن الركون إلى الإغراء هذه القصيدة ، فلقد حكى لي قصته هذه بنفسه.)

يـــا ســـراجاً أردى غمـــوم الطريـــقِ ... يـــا وفيّـــاً وفـــي بعهـــدٍ وثيـــقِ

إنـــه الاســـتعلاءُ يرفـــع قومـــاً ... عـــن حضـــيض البُهتـــان رغـــم الضـــيق

كـــم يـــذرّ الأنـــاتِ كـــل عفيـــفٍ! ... ويُقاســـي - فـــي العـــيش - كـــل شـــفيق

كـــم يلـــوكُ الـــويلاتِ كـــل تقـــي! ... ويُعـــاني مـــن عاديـــات الطريـــق

ويُقاســـي - فـــي الجاهليـــة - عبـــدٌ ... قـــد رأى - فـــي القـــرآن - خيـــر صـــديق

هكـــذا الـــدنيا بالنقيضـــين عجّـــتْ ... لتّهـــا حـــالُ النـــاس لـــتّ الســـويق

جـــاهليٌ يحيـــا بكـــل انحـــلال ... وعلـــى التقـــوى عـــاش كـــل صـــدوق

هـــازلاتٌ يـــبعْن دينـــا وتقـــوى ... كـــل أنثـــى تهـــوى اصـــطحاب الرفيـــق

وتقيّـــاتٌ سَـــمتُهن التســـامي ... عـــن دنايـــا تجـــري دمـــاً فـــي العـــروق

أيهـــا الخـــل المســـتبين طريقـــاً ... شمسُـــه لاحـــتْ بعـــد عـــذب الشـــروق

مـــا يُـــردن الغـــاداتُ غيـــرَ التـــدني ... ولهـــن فـــي الأســـر بعـــضُ بريـــق

قـــد جعلـــن الإســـلام خلـــف ظهـــور ... وجـــريْنَ خلـــف الســـراب العميـــق

لـــم تـــذق إحـــداهن طعـــمَ التـــزام ... ولهـــذا ذاقـــتْ لهيـــب الحريـــق

جـــرّهن نحـــو الضـــياع رقيـــعٌ ... بغنـــاءٍ عـــذب الأداء رقيـــق

ورياضـــيٍّ بـــالفجور تحـــدى ... باعتـــدادٍ - يَســـبي العيـــون - رشـــيق

وكـــذا للفنـــان أخـــذٌ وجـــذبٌ ... فحـــلا للســـاقطات طيـــفُ المُـــروق

فانـــدفعنَ - نحـــو الهـــوان - ســـبايا ... وانحـــدرنَ إلـــى الضـــلال الســـحيق

وســـخرنَ مِـــن الرشـــاد طـــويلاً ... وفـــررنَ مـــن الصـــلاح الوريـــق

والتمســـنَ فـــي التيـــه كـــل كمـــال ... فـــانجررنَ إلـــى الســـقوط الأنيـــق

فـــاقمَعنْ شـــوقَ المفلســـاتِ ، وجاهـــدْ ... واجعـــل الـــذكر العـــذب خيـــر شـــقيق

واذبـــح الـــدينار الـــذي لا يســـاوي ... ذرة ثكلـــى مـــن هـــواء الشـــهيق

إن عبـــداً يعبـــدُ الهـــوى لـــذليلٌ! ... بـــئس هـــذا مـــن مســـتريب غريـــق!

المرتزقة والتطويع

(إن الإنسان يعيش مرة. فلتكن هذه المرة في عزة الإيمان بالله تعالى. وإنه لن يموت إلا مرة. فلتكن في سبيل الله عز وجل! فهل وعى ذلك المُرتزقة الذين يأكلون بـ (لا إله إلا الله)؟ هل وعى ذلك الذين هوائياتُ أصنامهم أعلى من منارات مساجدهم؟ هل وعى ذلك العلماء العملاء الذين يطوعون الدين كتاباً وسنة لأهواء ساداتهم ، الذين لن يُغنوا عنهم من الله شيئاً يوم القيامة؟ هل وعى ذلك المعلمون الذين هم في غيهم سادرون يقولون: لا علينا ، لنا الفلوس فقط؟ هل وعى ذلك الموظفون الذين لا يخلصون في وظائفهم التي لا توافق هُدى الإسلام في الكسب والارتزاق؟ هل وعى ذلك خطباء الفتنة الذين يتقعرون في الكلام ، يلوكونه ويجترونه إذ يقرأونه على الناس من الأوراق المأجورة ، فلا يؤثرون فيهم بشئ قط؟ هل وعى ذلك الشعراء المرتزقة ، الذين يُقصّدون القصائد في تأليه غير الله تعالى ، من أجل عرض من الدنيا حقير ، ويفسدون في الأرض وهم على ذلك كله شهداء؟ هل وعى ذلك الكُتاب والروائيون والقصاصون ، الذين يصدون عن سبيل الله من آمن ويبغونها عوجاً ، فيكتبون قصص الدعارة ، ويروجون للفساد والإفساد بكل صورهما؟)

كـــم يَعقـــر الهَـــذْيَ مـــأجورٌ ومُحتـــرفُ! وكـــــم يُضِـــــل عبيـــــدَ الله مُنحـــــرفُ!

وكـــم ينـــال - مـــن التوحيـــد – مُرتـــزقٌ! وبُغيـــةَ النـــذل مـــن تحريفـــه العلـــف

وكيـــف تصـــدع بالتبيـــان حنجـــرة مـــن العمالـــة للطـــاغوتِ تَغتـــرف؟

تُرصّـــع اللفـــظ بـــالترخيم تُلبِسُـــهُ ثـــوبَ العفـــاف ، فـــلا تلقـــاه يَنكشـــف

تَكسّـــبٌ وهنـــتْ أوتـــادُ حبكتـــه ولا يـــزال - علـــى جدرانـــه - صَـــلَف

وفـــي التحـــدّي رؤى آفاقِـــه اهتـــرأتْ ولـــيس بالخيبـــة النكـــراء يَعتـــرف

ولـــيس يَركبـــه يومـــاً (أبـــو لهـــب)! وأهـــلُ نحلتـــه لمـــن طغـــى خَلَـــف

يُـــدجّلون - علـــى الـــدنيا - ببـــاطلهم ولا طمـــوحَ لهـــم يســـمو ، ولا هـــدف

ويَصـــرفون الـــورى عـــن نـــور شِـــرْعتهم! وخـــائرٌ العـــزم عـــن تقـــواه يَنصـــرف

لهـــم عمـــائمُ قـــد لُفـــت علـــى دخـــن ولـــيس فـــي ظلهـــا عِلـــمٌ ولا شـــرف

ولـــــيس يَـــــردعهم عـــــن غـــــيهم ورعٌ ... لأنهـــــم عـــــن سَـــــنا قـــــرآنهم صَـــــدفوا

والارتـــــــــزاق بـــــــــآي الله مَخبثـــــــــة ... يـــــأبى الركـــــونَ لهـــــا مَـــــن للهـــــدى عرفـــــوا

ولا يبيـــــــــعُ ولـــــــــيُ الله شِـــــــــرعته ... ولا تـــــــراه - مـــــــع التيـــــــار - يَنجـــــــرف

لكـــــنّ أهـــــلَ الهـــــوى توحّـــــدوا زُمـــــراً ... وفـــــي صـــــفوف طغـــــاة العصـــــر قـــــد وقفـــــوا

وأشـــــــهروا فـــــــي ولاء البغـــــــى بيعـــــــتَهم ... وطوعـــــــوا الآي للأهـــــــواء ، واعتســـــــفوا

وجَمّعـــــوا مِـــــن عَطـــــا الفرعـــــون أرصـــــدة ... وبالعمالـــــــة - فـــــــي أصـــــــقاعِه - التحفـــــــوا

وحـــــاربوا الحـــــق فـــــي ســـــرٍ وفـــــي علـــــنٍ ... وعـــــززوا الكيـــــد ، خـــــاب الجـــــورُ والجنـــــف!

وضـــــللوا النـــــاس فـــــي فتـــــوى متلفـــــزة ... وضـــــمنتْ زيفهـــــم - بـــــين الـــــورى- الصـــــحُف

وأمســـــكوا برحـــــى التحريـــــف ، وانطلقـــــوا ... وعـــــن يهـــــود الـــــردى - بـــــالله – مـــــا اختلفـــــوا

وأعلنوهـــــــــا أبـــــــــاطيلاً منمقـــــــــة ... يَقودهـــــــا مُجـــــــرمٌ مســـــــتكبرٌ خـــــــرف

الله أكبـــــــر ، مـــــــاذا خلـــــــفَ هجمـــــــتهم؟ ... لا بـــــــد أن يغلـــــــب الهتافـــــــة الحَنَـــــــف

مهمـــــا تواطـــــأ أهـــــل الشـــــر قاطبـــــة ... فســـــوف يســـــحقهم - فـــــي المحنـــــة - الشـــــظف

فـــــلا تقـــــوم لهـــــم - فـــــي الـــــدار - قائمـــــةً ... ولا يكـــــون لهـــــم - فـــــي الأرض - مُنعطـــــف

فهـــــم ذبـــــابُ الـــــورى ، يـــــأوي لمَزبلـــــةٍ ... تشـــــوقَه - عبرهـــــا - الأرجـــــاسُ والجِيـــــف

وهـــــم دهاقنـــــةً شـــــادُوا خنـــــادقهم ... تلـــــك التـــــي فـــــي ذرى أركانهـــــا اعتكفـــــوا

وســـــوف تغـــــدو بهـــــم قبـــــراً يمـــــوج بهـــــم ... ولا يكـــــون - علـــــى تشـــــريدهم - أسَـــــف

صور من ركام الجاهلية

(لم نكن ندري ما الجاهلية ولا الجاهليون ، حتى طالعنا كتابات ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب قديماً ، والمودودي وسيد ومحمد قطب وأحمد شاكر أنور الجندي حديثاً. والجاهلية هي كل ما يخالف كتاب الله وسُنة رسوله من الاعتقاد أو السلوك أو الأفعال أو الأعمال الأقوال الظاهرة والباطنة! ولقد مرتِ الأمة بجاهليتين: جاهلية أولى سبقتْ بعثة النبي – صلى الله عليه وسلم - ، وجاهلية معاصرة هي أعتى من الأولى! وعلى هذا فالجاهلية سادت ، ثم بادت ، ثم عادت!)

ويـــح داري ، كـــم أرجحتْهـــا الكـــؤوسُ! وطواهـــــا هـــــذا الهـــــوانُ البئـــيسُ

وانطلـــــتْ أفكـــــارُ اليهـــــود عليهـــــا! واســـــتكانت لمَـــــا افتـــــراه المَجـــــوس!

مُوبقـــــاتٌ فـــــي كـــــل وادٍ وصُـــــقع وانحـــــلالٌ يَفـــــري الحِمـــــى ونكـــــوس

وضـــــــياعٌ لا يحتويـــــــه خيـــــــالٌ وانحـــــدارٌ لمّـــــا تُطقـــــه الـــــرؤوس

وابتـــــــذالٌ أودى بكـــــــل جـــــــلالٍ وانحطـــــاط ملـــــتْ صـــــداه الكـــــؤوس

وانتكـــــاسٌ فيـــــه الأنـــــام حيـــــارى وعبـــــاداتٌ - فـــــي الـــــديار - طَقـــــوس

وديـــــارٌ مـــــن التقـــــى خاليـــــاتٌ مُقفِـــــراتٌ ، كـــــأنهن رُمـــــوس

وشـــــبابٌ - فـــــي المُغريـــــات - حبـــــيسٌ فمتـــــى يَجتـــــث القيـــــودَ الحبـــــيس؟

وصـــــبايا - فـــــي العُـــــري - بـــــتن ســـــبايا كـــــل أنثـــــى يُغـــــري صـــــباها الأنـــــيس

وركـــــامٌ - فـــــي كـــــل بيـــــتٍ - تمـــــادى كيـــــف حنّـــــت إلـــــى الركـــــام النفـــــوس؟

كيـــف هـــذي الأوضـــاع صـــارت مصـــيراً؟ ولمـــــاذا ليســـــتْ تَـــــزول النحـــــوس؟

كـــــم وُعِظنـــــا ، فمـــــا اعتبرنـــــا قلـــــيلاً! فلمـــــاذا ليســـــت تُفيـــــد الـــــدروس؟

كـــــم أخِـــــذنا بالعائـــــداتِ نـــــذيراً وعـــــلا منهـــــا كالهـــــدير الـــــوطيس

لـــــم يُغيّـــــر هـــــذا انحرافـــــاً غزانـــــا شـــــغلتنا عـــــن الرشـــــاد الفُلـــــوس

ألهـــــذا الســـــعي الحقيـــــر خلِقنـــــا؟ ألهـــــذا التضـــــليل تخبـــــو الشـــــموس؟

كيـــــف تحيـــــا بالجاهليـــــة داري وبهـــــا فرعـــــونُ البغـــــيضُ يســـــوس؟

كيـــف ترضـــى هـــذي الحيـــاةَ فِئـــامٌ ... وعليهـــا أمســـى يَســـودُ (أبـــيسُ)؟

وتقاليـــــدُ الجاهليـــــة ســـــادتْ ... وعلينـــا - نحـــن الكـــرامَ - تـــدوس

ومـــــوازينُ الجاهليـــــة راجـــــتْ ... ولهـــا تحيـــا - فـــوق أرضـــى - تُيـــوس

وقـــــوارينُ الجاهليـــــة عـــــادوا ... وعلينـــا نحـــن الأبـــاة المُكـــوس

وهـــــوامينُ الجاهليـــــة شـــــادوا ... دار ذلٍ ، والهـــــازلون جُلـــــوس

وفـــــراعينُ الجاهليـــــة قـــــادوا ... ولهـــم جُنـــدٌ فـــي الـــديار تجـــوس

وأباطيـــــلُ الجاهليـــــة عمّـــــتْ ... ولهـــا فـــنٌ فـــي الربـــوع يمِـــيس

أهـــو الكيـــدُ يمـــلأ الـــنفس غيظـــاً؟ ... أم شـــعورٌ - عبـــر القصـــيد - يـــؤوس؟

أم رمـــاحٌ - فـــي جـــوف قلبـــي - ترامـــت؟ ... أم ســـــهامٌ منهـــا الفـــؤاد تعـــيس؟

أم بـــــلاء - بالجاهليـــــة - يَغشـــــى ... خـــاطري؟ فـــالبلاء بـــئس الجلـــيس!

صـــورة هـــذي مـــن ركـــام مَقيـــتٍ ... لـــم يُقمهـــا إلا المضـــلُّ الخســـيس

زخرفتْهـــا مـــن الشـــياطين عِيـــرٌ ... فســـرى المكـــر والخنـــا والمَسِـــيس

أخبرتْنـــا أن المُجـــونَ حيـــاةٌ! ... ومجافـــاة الـــدين نهـــجٌ نفـــيس

فانجرفنـــا - فـــي التيـــه - نجنـــي الخطايـــا ... واكتأبْنـــا حتـــى طوانـــا العُبـــوس

فلمـــاذا لا تـــدرك الـــنفسُ هـــذا؟ ... إن نفســـي - بالصـــالحات - عَـــروس

أيـــن منهـــا أمـــسٌ تـــوارى بعيـــداً؟ ... ولمـــاذا ليســـتْ تعـــود الأمـــوس؟

ولمـــاذا ليـــلٌ طويـــل مريـــر؟ ... فـــي مجالينـــا قـــد طـــواه الـــدَّموس؟

ربِّ ســـلم مـــن فتنـــةٍ وشُـــرور ... فإليـــك يـــا رب تعنـــو النفـــوس

تحية للشاعر / كمال عبد الرحيم الوحيدي

(إن ديوان (الباسمات الغاليات) للشاعر / كمال عبد الرحيم الوحيدي ، ليستحق هذه التحية الشعرية لإعجابي به جداً! وكم أتوق إلى مطالعة ودراسة الدواوين الشعرية الرصينة!)

دعني أحيّي الشعر والإنشادا ... وأعطرُ الآفاق والآمادا

وأصوغ بالشعر الأصيل تحية ... تستلفتُ الشعراءَ والنقادا

بخواطر نُسجتْ بأشحذ همةٍ ... ويراعةٍ فيها القريضُ تهادى

كانت على وعدٍ مع الشعر انقضى ... ومشاعر تستعجل المِيعادا

و(كمالُ) أحرى بالتحية والصدى ... إذ إنه بجنى القريحة جادا

والباسمات الغاليات قلائدٌ ... فاض القريضُ بساحهنّ ، ومادا

درٌ من اليواقوت عاطرةُ الشذى ... والشعرُ ينضح عِفة ورشادا

للقانتات تخط درب طهارة ... وتصد مَن في غيه يتمادى

قد رُصِّعت بالدر ينتظم البها ... والشعرُ يُحْيي العز والأمجادا

والشعر بالتوحيد عذبٌ سائغٌ ... وإذا تدنى فرّخ الإلحادا

هذا (الوحيديّ) امتطى قِممَ الهُدى ... وقريضه يستنطق العُبّادا

زُبدٌ يُرضِّعها البديع لبانه ... قد أبدأ الذكرى بها ، وأعادا

وجواهرٌ بلغتْ من النصح الذرى ... و(كمالُ) حَبّر لحنها ، وأفادا

مَن طالعَ الديوان أدرك دعوتي ... من أن شاعره القدير أجادا

لِبناتِ حواءٍ (كمالٌ) صاغه ... وحنينُهن - إلى القريض - تنادى

شاعرٌ يدافع عن نفسه

(اتهم ذلك الشاعرُ في شعره ، من أنه يصوغه تكلفاً ، فراح يدافع عن شعره بهذه الأبيات ليثبت عكس ذلك. والحقيقة أن أي شاعر يُتهم في شعره يجب أن يُدافع عن نفسه ليُظهر الحقيقة!)

إن شِـــعري ترنيمتـــي بعـــضُ نفسِـــي ... مثـــلُ فلّـــكٍ فـــي البحـــر تجـــري وترسِـــي

فيـــه بُحْـــتُ بكـــل سِـــرّي وفِكـــري ... عشـــتُ فيـــه غـــدي ويـــومي وأمســـي

وبـــذلتُ فـــي نظمِـــه كـــلّ غـــالٍ ... لتـــراه الـــدنيا بموكـــب عُـــرس

ليكـــون سِـــلماً لمـــن قـــد أنـــابوا ... وجحيمـــاً يغتـــال أخبـــث رجـــس

وانتقيـــتُ ألفاظـــه فـــي اعتـــزاز ... واصـــطفيتُ الأوزان مـــن كـــل جـــرس

واستشـــرْتُ أهـــل الصـــناعة حتـــى ... لا أكـــون يومـــاً ثـــأرتُ لنفســـي

واطلعـــتُ علـــى قـــديم تُـــراثٍ ... واستضـــأتُ بكـــل نجـــم وشـــمس

ونهلـــتُ مـــن طيّبـــات مَعـــين ... واضَّـــلعتُ مـــن كـــل شِـــرب وغـــرس

وارتويـــتُ مـــن زادِ مَـــن سَـــبقوني ... كنـــتُ أضـــحِي - لـــدى القـــريض - وأمســـي

ثـــم ســـجّلتُ بـــالقريض حيـــاتي ... خلجـــاتي وسَـــكنتي ، بـــل وهمســـي

وانتُـــدبتُ لكـــي أبيـــع قريضـــي! ... وحقيـــرٌ مـــن بـــاع شـــعراً بفلـــس

كـــم ســـهرتُ لكـــي أنقـــح شِـــعري ... ويراعـــي خـــلا طـــويلاً بطِرســـي!

كـــم أزلـــتُ مـــن القـــريض غموضـــاً ... وطعنـــتُ بحربتـــي كـــل لـــبس!

أبتغيـــهِ شـــعراً فصـــيحاً مُبينـــاً ... يُـــبهج القلـــب ، مـــا احتـــوى أي نحـــس

ليُضـــيف عُمـــراً جديـــداً لعُمـــري ... يـــومَ يُلقـــى - فـــوقي التـــرابُ - برمســـي

ترانيم من وحي العيد

(إنه عيدُ الجراح والأحزان لمَا يحدث للأمة المسلمة. لكنّ السنة الفرح بالعيد. وأنا هنا واقعي أبكي الحال! وهنا تكون الفرحة بالعيد خجلى ، يتخللها الأسى على آلام الأمة الجريحة المبتلاة!)

وعيـــــدٍ أتانـــــا بالـــــدجُناتِ يلهَـــــجُ ... فـــــأين تـــــولى فـــــرْحٌ عيـــــدٍ ومَـــــبْهَجُ؟

جـــــراحٌ وآلامٌ وسُـــــحقٌ ومحنـــــة ... وهجمـــــة غـــــرب مـــــا لـــــه قـــــط مـــــنهج

ومحـــــقُ ديـــــار ، أهلهـــــا لـــــم يُعربـــــدوا ... كمـــــا عربـــــد الغـــــربُ الكفـــــورُ المُهَـــــرّج

وتشـــــريدُ أطفـــــال ، وهـــــدْمُ مـــــدائن ... ألا إنمـــــا الغـــــربُ الصـــــليبيُ أهـــــوج

وحـــــرقُ زروع أبهجتنـــــا ثمارهـــــا ... يُنوعتهـــــا مـــــن طلعـــــة الصـــــبح أبلـــــج

وفتنـــــة صِـــــيدٍ عـــــن تعـــــاليم ديـــــنهم ... ونيرانهـــــا فـــــي كـــــل صُـــــقع تـــــأجج

وجيـــــل - مـــــن الهيجـــــاء - فـــــرّ تخوفـــــاً ... فأمســـــى بقايـــــا بالـــــدما تتضـــــرج

ألا أيهـــــا الجيـــــلُ المُعَنّـــــى ألا انتبـــــهْ! ... لمَـــــا أنـــــت فيـــــه البـــــيضُ والخيـــــلُ تســـــرَج

فجابـــــهْ عـــــدواً كيـــــدُه اليـــــومَ عـــــارمٌ ... قـــــد اقـــــتحم الهيجـــــا ، وأمســـــى يُعَجعِـــــج

ألا تســـــتحْيي أن يأســـــر القـــــومَ مُشـــــركٌ؟ ... أو ان يغتصـــــب النســـــوانَ علـــــجٌ مُغـــــنج؟

ألا إن يـــــوم العيـــــد يُشـــــرق فجـــــره ... إذا أنـــــتمُ ثـــــرتم ، ولـــــم تتحرجـــــوا

وكنـــــتُ أريـــــد العيـــــد فرْحـــــاً وبهجـــــة ... ومُتعـــــة قلـــــب - فـــــي الـــــدجُنات - يَـــــرهج

وعـــــذبُ تحايـــــا وانطـــــلاقٌ ورحمـــــة ... وذكـــــري وتـــــذكيرٌ وشـــــعرٌ مُـــــدَبّج

ولكـــــنْ تـــــرانيم الأســـــى خلفـــــتْ جـــــوىً ... وحزنـــــي بحبـــــري والقـــــراطيس يُمْـــــزج

لأنـــــي صـــــريحٌ واقعـــــيٌ منـــــافحٌ ... ويكرهنـــــي الشـــــعر الكـــــذوبُ المـــــدبلج

لا أعرفُ الآمال الذابلة

(متفائل بطبيعتي ، تفاؤلاً لا حدود له. ومن هنا أعلن أنني لا أعرف أبداً الآمال الذابلة ، التي لا معنى لها ولا قضية تحملها. وإن كنت أكتب ذلك اليوم ، فإنما هذا ليس من باب الفخر بالنفس معاذ الله ، إنما هو من باب التحدث بنعمة الله عز وجل.)

لكـــل هُمـــام يبسُـــمُ الفـــرْحُ والســـعدُ! وكـــل شـــجاع للعُـــلا والهنـــا يغـــدو!

يُعلـــلُ بالآمـــال أطـــلالَ واقـــع وعُدتـــه التقـــوى ، يتوّجهـــا الجـــد

يصـــارعُ بالإقـــدام كـــل بليـــةٍ ولـــيس يعـــوق الشـــهم عـــن بذلـــه الحقـــد

تفـــرّس فـــي الـــدنيا ، فلـــم يهـــوَ مجـــدها ففـــي جنـــة المـــأوى التفاضـــلُ والخلـــد

وعامـــلَ مِـــن خلـــق المليـــكِ مَعادنـــاً: فهـــذا الفتـــى حُـــرٌ ، وهـــذا الفتـــى عبـــد

وهـــذا جســـورٌ يحقِـــر الليـــثُ بأسَـــهُ وهـــذا جبـــانٌ فـــي نذالتـــه قِـــرد

وهـــذي عفـــافُ المحصـــناتِ شـــعارُها وهاتيـــكَ فـــي أفعالهـــا دُعرُهـــا يبـــدو

وقـــومٌ علـــى الإســـلام عاشـــوا حيـــاتهم وقـــوم غفـــوْا ، لا بعـــضُ علـــم ، ولا رُشـــد

وعبـــر عُبـــاب البحـــر تجـــري ســـفينتي وباســـم المليـــك الحـــق فـــي جريهـــا تشـــدو

ذبـــولُ الأمـــاني يجعـــلُ القلـــبَ خـــائراً وتبْرَحُـــه الأفـــراحُ والشـــوقُ والســـعد

سَـــبَرتُ تصـــاريف الحيـــاة ، وجُبتهـــا فألفيتهـــا مفتوحـــة مـــا لهـــا حـــد

رضِـــيتُ بأقـــدار المليـــك جميعهـــا تبـــارك ربـــي القـــادرُ الصـــمدُ الفـــرد

فأحســـنتُ أعمـــالي ، وجـــددتُ همتـــي ومـــا ردَّنـــي تخـــذيلُ صـــحبي ولا الجُهـــد

وحـــدّدتُ آمـــالي ، وجمّلـــتُ عزمتـــي وعاهـــدتُ مولانـــا ، ومســـئولٌ العَهـــد

وأســـعى وحيـــداً نحـــو تحقيـــق مَطمحِـــي ولـــي جســـرُ أحـــلام لـــه بـــات يمتـــد

القاريء الصغير

(اعتاد ذلك الغلام الصومالي ذو السنوات العشر ، أن يفتتح الإذاعة المدرسية ، بمدرسة أم القرى الخاصة ، بأم القيوين بدولة الإمارات العربية المتحده ، بالقرآن الكريم. فكان يأخذني منه الصوتُ العذبُ المعطرُ بجلال الآداء ، وحسن التلاوة ، وتأثير النبرات الموحية ، وروعة التقسيم ، وجمال الوقف والابتداء! وكان يُشعرنا كمعلمين بجمال الآيات ، لنتدبر فيها بعد ذلك. وكأني بهذا الفتى – إذ يحبّر القرآن تحبيراً ويرجّعه ترجيعاً – قد أوتي مزماراً من مزامير آل داوود! فأنشدت من شعري هذه القصيدة للفتى / عباس عبد النور ، مُطرياً إياه وداعياً له بالخير والبركة!)

بصـــوتكَ قـــد أبنـــتَ لنـــا الصـــوابا ... كمثـــل الشـــهد مُؤتلقـــاً مُـــذابا

وأشـــجيتَ القلـــوب بـــلا مَـــلالٍ ... وأحييـــتَ الشـــعور المُســـتطابا

وأعجـــزتَ الطيـــور إذا تغنـــتْ ... لأنـــك سُـــقتَ ألحانـــاً عِـــذابا

بآيـــاتٍ كمثـــل الـــورد فاحـــتْ ... تعطـــر بالهُـــدى مَـــن قـــد أنابـــا

تمتعنـــا بترتيـــلٍ بـــديع ... قـــد امتـــزج الأداءُ بـــه فطابـــا

بأنغـــام لهـــا لحـــنٌ جميـــلٌ ... فـــلا تلقـــى لرقتهـــا اضـــطرابا

حبـــاكَ الله - فـــي القـــرآن - صـــوتاً ... جـــزاءً مِـــن عطـــا المـــولى حِســـابا

أيـــا (عبـــاسُ) قـــد أرهفـــتُ ســـمعي ... لأســـمع مـــا ترتلـــه احتســـابا

حنانيـــكَ القـــراءةُ أطربتنـــي ... بصـــوتٍ مـــا ظننـــتُ بـــأن يُعابـــا

مَعـــاذ الله أن أنســـاك عمـــري ... ســـأدعو مـــا حييـــتُ بـــأن تثابـــا

وأن تـــؤتى الهدايـــة فـــي البرايـــا ... وأن تـــؤتى الـــدعاء المســـتجابا

وقـــاكَ الله فتـــة مَـــن يُرائـــي ... بمـــا يتلـــوه ، ضـــل هـــوىً وخابـــا

لينفعْنـــا المليـــك بمـــا اســـتمعنا ... وعُلّمنـــا الحنيفـــة والكتابـــا

الظلم ظلمات يوم القيامة

(إن الحديث عن الظلم لا ينتهِيَ أبداً ، أما الظالمون فقد باعوا دينهم بدنيا غيرهم ، وغرتهم الحياة الدنيا. وأنا هنا أرسل رسالة شعرية لمظلوم ، بلغ الظالمون به مدىً ليس يعلم – إلا الله – حقيقته. وعلى الله جزاء الظالمين. وأما المظلومون فلهم الله ، الذي وعدهم بنصرة دعائهم. فماذا عليهم لو جدّوا في التصبر والاحتساب والدعاء؟ فإلى المظلوم سبب القصيدة ، وإلى كل مظلوم مؤمن موحد أهدي قصيدتي هذي ، آملا أن تُبصره بالطريق ، وتعطيه الأمل! والسبب في ذلك أن المظلوم يطول به الأمد ، فيظن من اليأس أن الظالم قد أفلتْ من عقاب الله الجبار! والأصل ليس كذلك ، بل الظالم يعيش فترة الإملاء والإمهال التي أعطاه الله إياها رجاء أن يتوب ويُنيب إليه.)

عينـــانِ باكيـــةَ ، وأخـــرى ترقَـــبُ ... وحقـــوقُ مظلـــوم تُبـــادُ وتُغصـــبُ

ويـــدان: واحـــدة تكفكـــفُ عَبـــرة ... ويـــدٌ بأســـياف الأقـــارب تُضـــرب

والوجنتـــان: فوجنـــةٌ تشـــكو اللظـــى ... والوجنـــة الأخـــرى تُشـــجُّ وتُســـلب

حتـــى الجبـــينُ عليـــه مـــن فـــرط الأســـى ... غَصَـــصٌ تمـــوجُ ، وحيـــرةٌ تتقلـــب

وفـــؤادُ مبتـــئس يغالبـــه الجـــوى ... ومشـــاعرٌ بـــدموعها تتخضَّـــب

وعواطـــفٌ تبكـــي رجـــوع حقوقهـــا ... ومطـــامحٌ آمالهـــا تترقـــب

حتـــى الأحاســـيس اســـتكانت للعنـــا ... وتجمّـــد الـــدمُ فـــي عـــروق تنـــدب

والقلـــب دَفـــتْ بالشـــقا نبضـــاته ... فغـــدا - علـــى أشـــواقه - يتلهـــب

والأمســـياتُ تمُـــرّ عاصـــفة الضـــنا ... حتـــى الليـــالي أزهـــنّ الغَيهـــب

والـــنفسُ دامعـــة ترجّـــع نـــدْبها ... وتصـــوغه شـــعراً جناهـــا يَخطـــب

وضـــميرُ مظلـــوم يُصـــارع مَـــن طغـــى ... والشـــمسُ - مـــن كبـــد - الفجيعـــة تَغـــرب

والحـــق يخنقـــه التجنـــي عامـــداً ... وحقيقـــة المظلـــوم - جهـــراً - تُســـكب

ونحيـــــبُ أســـــئلة يُصـــــارعُ لُبـــــه ... ولـــــهُ بمحنتـــــه زئيـــــرٌ يُرعـــــب

ونشـــــيج أحـــــوال تُبـــــارز عزمـــــه ... فيـــــئنّ - تحـــــت حُســـــامها - يتعـــــذب

والفجـــــرُ مبتئســـــاً يمُـــــج بزوغـــــه ... والحـــــزنُ - خلـــــف الليـــــل - داجٍ يَرقـــــب

والنـــــور تحـــــت الكـــــرب يذبحُـــــه الـــــدجى ... ويســـــوق مُديتـــــه الفنـــــاءُ ويشـــــرب

وأســـــيرُ أهـــــواءٍ تـــــذرّع بالحيـــــا ... ويُشـــــعُّ مـــــن عينيـــــه بَـــــرقٌ خُلـــــب

ومُغلـــــبٌ مـــــا يفتريـــــه تشـــــفياً ... وتـــــراه - إن عجـــــز الـــــورى - يســـــتكلب

عـــــارٌ عليـــــه الصـــــدقُ عنـــــد شـــــهادةٍ ... وهـــــو الـــــذي فـــــي كـــــل أمـــــر يَكـــــذب

ويـــــرى حرامـــــاً أن يُـــــرى متعففـــــاً ... وتـــــراه - دون هـــــوادةٍ - يتـــــذأب

أواه مـــــن هـــــذا المصـــــير وهولـــــه ... والظلـــــم يخفـــــض مـــــن عـــــلا ويُخيـــــب

والقهـــــرُ يســـــحق بالســـــنابك بأســـــه ... وجـــــراحُ هـــــذا البـــــأس ليســـــت تُشـــــعب

وتُـــــديلُ دولتهـــــا عليـــــه معيشـــــةَ ... يســـــخو - بمـــــا تحويـــــه - دهـــــرٌ صَـــــيب

وتمُـــــر فـــــي صـــــلف متاهـــــاتُ الأذى ... وعشـــــيرُ صـــــاحبنا يتيـــــه ويلعـــــب

يـــــا أيهـــــا المظلـــــوم ، هـــــذي جولـــــةَ ... ولهـــــا أوانٌ للرحيـــــل ومـــــذهب

يومـــــاً ســـــتنتحر الـــــدغاول كلهـــــا ... ويعـــــود حـــــق كـــــان - قســـــراً - يُنهـــــب

يومـــــاً ســـــيَنحر كـــــلَ فرعـــــون طغـــــى ... وبغـــــى حســـــامٌ فـــــي النـــــزال مُـــــذرب

وتُـــــرى دمـــــاءُ المجـــــرمين علـــــى الثـــــرى ... مِـــــن كـــــل فـــــجٍّ دفقُهـــــا يتحلـــــب

فكمـــــا لبـــــاطلهم رجـــــالٌ فـــــي الـــــوغى ... فلِحَقنـــــا صِـــــيدٌ رُبـــــوضٌ وُثـــــبُ

وكمـــا لبـــاطلهم جميـــعٌ فـــي المضـــا ... فجنودُنـــا ـ فـــي الملتقـــى ـ تتكوكـــب

وإذا لظلمهـــــمُ تجبـــــرُ أخـــــذةٍ ... فلَأخـــــذ فيلقِنـــا أشـــــدّ وأصـــــلب

وإذا تفـــــاخر ظـــــالمٌ بعتـــــاده ... ومضـــــى يُرجّـــــع بـــــالكلام ، ويخطَـــــب

واغتـــــر بالـــــدنيا وبـــــأسِ عشـــــيره ... أو غـــــرّه ـ بـــــين الأنـــــام ـ المنصـــــب

وتحققـــــتْ للغِـــــر كـــــل ميولـــــه ... وأتـــــاه طوعـــــاً كـــــلُّ شـــــئ يَرغـــــب

ولـــــه الفـــــوارس ـ خـــــاب ـ طـــــوعُ بنانـــــه ... ولـــــه حســـــامٌ فـــــي اللقـــــاء مُشـــــطب

واســـــتعذب المطعـــــوم مـــــن مغصـــــوبه ... فرحـــــاً ، وطـــــاب لناظريـــــه المَشـــــرب

فلـــــه ـ وربِّ النـــــاس ـ يـــــومٌ فاصـــــلٌ ... يـــــومٌ لمـــــا اقتـــــرفَ الظلـــــومُ عصبصـــــب

وعليـــــه ســـــوف تضـــــيق أرضُ مليكنـــــا ... ويُعَـــــز فيهـــــا المتلقـــــى والمَقـــــرب

ويـــــذوق ممـــــا كـــــال منـــــه لغيـــــره ... فالســـــوط مُرتصِـــــدٌ ، وبعـــــدُ المِشـــــجب

وتشـــــقّ حفرتـــــه التـــــي يُرمـــــى بهـــــا ... وبكـــــل بارقـــــةِ القضـــــيض سيُحصـــــب

وســـــيُحرم الخيـــــراتِ ، كـــــم حِيـــــزتْ لـــــه ... كـــــيلا يكـــــون لـــــه بخيـــــر مـــــأرب!

ويُـــــدكُ صـــــرحُ غـــــرورهِ وشـــــرورهِ ... ويُنـــــال قصـــــرُ علـــــوه ، ويُخـــــرّب

وتـــــزولُ حاشـــــيةَ تزخـــــرف ظلمـــــهُ ... هـــــو أفعـــــوانٌ ، والبطانـــــة أذؤب

يـــــا أيهـــــا المظلـــــوم: هـــــذي سُـــــنة ... مَـــــن كـــــان يطغـــــى ـ فـــــي الـــــورى ـ فسيُغلـــــب

وكـــــلامُ ربـــــك ـ فـــــي القـــــران ـ مفصـــــلٌ ... وكـــــلامُ (أحمـــــدَ)ـ فـــــي الـــــدياجي ـ كوكـــــب

مـــــن أن عُقبـــــى الظـــــالمين مريـــــرةٌ ... ولهـــــم ـ بـــــرغم الأنـــــف ـ يـــــومٌ أشـــــهب

ونهايـــــةَ المتجبـــــرين وشـــــيكةٌ ... فـــــي غمضـــــة للعـــــين ، أو هـــــي أقـــــرب

يـــا أيهـــا المظلـــومُ: أبشـــرْ واصـــطبرْ ... فالنصـــرُ قـــد يحنـــو عليـــك ويحـــدب

لا تبتـــــئسْ أن الفـــــراعن أمهلـــــوا ... فلســـــوف ينـــــدحر العتـــــو ويـــــذهب

وتـــرى بريـــقَ النـــور يختـــرقُ الـــدجى ... ويعـــود صـــحبٌ بانتصـــارك غَيـــب

ويعـــم نصـــرُ الله كـــل مضـــيّق ... وتـــرى الطـــواغي فـــي الجنـــادل كُبكبـــوا

ويُنـــوّر الأصـــقاعَ نـــورُ عدالـــةٍ ... حقـــاً كمـــا ضـــاءتْ بأحمـــدَ يَثـــرب

فـــادعُ المليـــك بدمعـــةٍ ملتاعـــةٍ ... إن الـــدعاء ـ مـــع البُكـــاء ـ ليَعْـــذب

وتمَـــنّ نصـــراً للحنيفـــة عـــاجلاً ... وارجُ الهدايـــة للـــذي يتنكـــب

واجـــأرْ لربـــك ، والـــتمسْ عـــز الهُـــدى ... فـــالعز للإســـلام ، نعـــم المَكســـب!

واعـــزمْ ، ولا تـــكُ فـــي المعـــالي واهنـــاً ... لا يرتقـــي بـــالحق مَـــن يتذبـــذب

وامخـــرْ عُبـــاب المـــوج فـــي بحـــر الـــدجى ... واصـــمدْ ، فلـــيس يفـــوز مَـــن يتهيـــب

واحـــذرْ تملـــق صـــاحب متميـــع ... يُبـــدي الأســـى ، وفـــؤادُه يتلهـــب

يلقـــاك يبســـم ثغـــرُه متظـــاهراً ... بالحـــب ، هـــذا جـــدُّ أفعـــى تلسُـــب

لا تُعـــطِ ســـرك مـــن يُـــذيع علـــى الملا ... مـــا قـــد بـــدا منـــه ، ومـــا هـــو يعـــزب

والـــزمْ مغـــاوير الرجـــال ، ولا تجِـــد ... واهجـــرْ مليـــاً تافهـــاً يتثعلـــب

واتـــركْ صـــعاليك الـــورى وفعـــالهم ... عـــارٌ عليـــك إذا إلـــيهم تُنســـب

وابخـــلْ بوقتـــك أن تُضـــيّعه سُـــدىً ... تشـــقى إذن ، وجميـــعُ أمـــركَ يُعطـــب

واربـــأ بنفســـك أن يُمـــس عرينهـــا ... كيـــف الغضـــنفرُ يزدريـــه الأرنـــب؟

واحمـــلْ حســـام المـــوت إن رُمـــت العـــلا ... مـــن غيـــر ســـيفك إن عيشـــك مُجـــدب

مَـــن يحمـــل الزيتـــون فـــي دنيـــا الضـــوا ... ري عـــاجزٌ ، لـــو خـــاض حربـــاً يَهـــرب

لا عـــيشَ كـــلا للحَمـــام لحيظـــة ... مـــع مـــا لـــه نـــابٌ يُهـــاب ومِخلـــب

والـــدارُ زاحمهـــا الفســـادُ وأهلهـــا ... ويُـــلام مَـــن مِمـــا يُشـــاهد يَغضـــب

والظلـــمُ أودى بالمعاقـــل والقـــوى ... وســـطا علـــى أَسْـــد الإبـــاء الجُنـــدب

والعيـــرُ تطـــرب إذ تـــرى قَطعانهـــا ... تشـــقى ، ويُفقـــدها الكرامـــة ثعلـــب

والنـــاسُ هـــذا يســـتبد برأيـــه ... وأخـــوه - مـــن بـــين الـــورى - يتمـــذهب

يضـــعون آلاف الحلـــول ، وعنـــدما ... صـــرخ الطـــواغي فـــالجميع تخشـــبوا

خـــاب الطغـــاة ، فهـــم أضـــلُّ خليقـــةٍ ... إن الـــدعاء علـــيهمُ لمُحبـــب

المـــوتُ أفضـــل مـــن حيـــاة مَذلـــةٍ ... والعـــيش بـــين الظـــالمين الأصـــعب

تعـــس الطغـــاة ومـــن يُحـــب حيـــاتهم ... ومـــن اســـتباحوا ظلمهـــم ، وتعصـــبوا!

أولـــيس يســـرق نـــومَهم أخـــذ المليـــك ... جُمـــوعَهم ، وقيامـــةً تترقـــب؟

أولـــيس يـــردعُهم ســـعيرُ جهـــنم ... ووجـــوههم فـــي النـــار ، يـــومَ تُقلـــب؟

أولـــيس يَزجـــرهم دعـــاءُ ضـــحيّة ... دومـــاً علـــيهم؟ والـــدعاءُ مُصـــوّب

أولـــيس يمنـــع ظلمهـــم سُـــننٌ خلـــتْ ... فـــي الغـــابرين ، ووعظهـــا يتصـــبب؟

أولـــيس يُـــرهبهم لقـــاءُ ملـــيكهم؟ ... لا يســـتوي البطـــاش والمُتقـــرب!

هـــل مـــن رجـــوع للإلـــه وتوبـــةٍ؟ ... أولا يحـــب التـــوبَ مَـــن هـــو يُـــذنب؟

هـــل مِـــن حســـاب للنفـــوس ومـــا أتـــت؟ ... إنـــي أناصـــح مَـــن طغـــوْا: أن جرّبـــوا

ذكـــرُ القبـــور يقـــض مضـــجع تائـــب ... فيعـــد مـــا اقترفـــتْ يـــداه ويحســـب

وســـؤاله فـــي القبـــر يَحرمـــه الكـــرى ... وبكـــل ســـعدٍ أو حبـــور يـــذهب

والصـــحبُ أيـــن؟ وأيـــن خُلـــة مجـــرم؟ ... والأم أيـــن؟ وأيـــن مـــن ذاك الأب؟

والقصـــر أيـــن؟ وأيـــن أنـــدى جوقـــةٍ؟ ... كيـــف النعـــيمُ اليـــومَ أمســـى يُحجـــب؟

والخادمـــاتُ اليـــوم أيـــن ورفقـــة؟ ... وبخـــورُ قصـــر بـــالورود مُطيّـــب؟

أيـــن الطعـــامُ علـــى الخِـــوَان مقـــدّماً؟ ... و(الجـــيمس) أيـــن؟ اليـــوم مـــاذا يركـــب؟

وسينشـــر الـــديوانُ فـــي ســـمع الـــورى ... وكـــذلك الميـــزانُ فـــيهم يُنصـــب

وتفـــوح رائحـــة المظـــالم بيـــنهم ... وكـــأن طاغيـــة الأنـــام العقـــرب

ويعـــيش دهـــراً فـــي الفضـــائح مُكْمَـــداً ... وجـــراحُ مَـــن ظلمـــوا الـــورى لا تُشـــعب

والنـــارُ - ويـــحَ النـــار - تقـــدحُ بـــاللظى ... أضـــحتْ تُطالـــب بالطغـــاة ، وترقـــب

وتقـــول للـــرحمن: زدنـــي مـــنهمُ ... ومِـــن الحجـــارة ، إننـــي أتلهـــب

يـــا أيهـــا المظلـــوم: إن عزاءنـــا ... أنْ كـــل شـــئ - فـــي الصـــحيفة - يُكتـــب

لا يظلـــمُ الـــرحمنُ - حاشـــا - خلقـــه ... بـــل يغفـــر الـــزلاتِ إن هـــم أذنبـــوا

إن شـــاء يمحـــو ســـيئاتِ عبـــاده ... أو شـــاء يُوبـــق مـــن طغـــى ويُعـــذب

•• بعض معانى المفردات غير المطروقة ••

• تُبـاد: تـذهب سـدى بـدون فائـدة. • عبـرة: دمعـة. • الجـوى: هـو أنـين القلـب وحزنـه.

• الغيهـب : الظـلام. • التجنـي: الادعـاء بغيـر الحـق. • اللـب: العقـل.

• الزئيـــر: صـــوت الأســـد. • داجـــي: شـــديد الســـواد والحلكـــة. • الحســـام: الســـيف.
• مُديته : سِكينه. • تذرع : تسلح. • بَرْقٌ خلب : أي برق خادع خاطف لناظري من يراه ، ويضرب مثلا للشئ أو الشخص الخادع . • يستكلب: يأتي صنيع الكلب. • يتذأب: يأتي ما يأتيه الذئب.
• أواه : لفظ توجع. • صلف: غرور. • يتيه: يفخر. • الدغاول: المصائب والمحن.
• الحسام المذرب: أي السيف المسنون الحاد. • يتحلب: يسيل مسيل كل حليب.
• فرسان ربوض وُثب: أي لهم بأس في الحرب لا مثيل له. • تتكوكب: تتجمع.
• طوع بنانه: رهن إشارته. • حسام مشطب: أي مسنون حاد. • ناظريه: عينيه اللتان بهما ينظر.
• يوم عصبصب: يوم شديد عصيب. • المَقرَب: الطريق.
• المشجب: ما يصلب عليه الضحية للتنكيل به. • مأرب: حاجة وإربة.
• أذؤب: ذئاب. • الدياجي: جمع دجىً ، وهو الظلام الحالك. • عقبى: نهاية.
• يُعرب: يفصح و يفسر ويوضح. • وشيكة: قريبة. • يحدب: يعطف ويرفق.
• الفراعن: هم العتاة الفراعنة. • غيب: غائبون عن الحدث يجري.
• ملتاعة: حزينة. • المعالي: عظائم الأمور. • يتهيب: يخاف.
• أفعى تلسب: أي تلسع وتلدغ أشد ما يكون اللسع. • يعزب: يخفي فلا يظهر.
• يتثعلب: يأتي صنيع الثعالب وفعالهم. • العرين: هو بيت الأسد.
• مجدب: مُمْحل. • يزدريه: يحتقره. • الجندب: الفراش.
• العير: الحمير. • يتمذهب: يدعي المذهبية واتباع مذهب بعينه ، وهو ليس على شئ منه.
• الديوان: أي ديوان الأعمال التي قد سطرت فيه. • جوقة: الجماعة من الناس اجتمعت على رأي أو أمر معين. • مُطيّب: معطر بالطيب أي العطر الفواح. • تقدح: تستعر وتلتهب.
• تفوح: تنتشر منه الرائحة في أرجاء المكان. • ماثلا: شاخصا.
• الجيمس: نوع من السيارات التي تصنع في أمريكا (إشارة إلى رغد العيش ورفاهيته).
• لا يشعب الجرح: أي لا يلتئم. • رفقة: صحبة (مجموعة الرفاق). • يوبق: يعاقب ويحاسب.
• الزلات: الخطايا.

رسالة إلى (سيف الإسلام)

(إنه في يوم 3 / 5 / 2004م ، جاد الله علينا بسادس أولادنا الذي أسميته سيف الإسلام ، وذلك لحاجة إسلامنا الحبيب اليوم إلى سيوف. وأذكر أنني قلت لموظفة تسجيل المواليد بالمستشفي الكويتي هنا في عجمان وقد استغربت الاسم: أليس الإسلام محتاجاً إلى سيف؟! فقالت: بل سيوف! جعل الله تعالى ذلك الغلام سيفاً من سيوفه في الأرض. ألا إن السيف يُفيد في عِلل ليس ينفع فيها سواه. روى الترمذي عن جُندب موقوفاً أو مرفوعاً أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (حد الساحر ضربة بالسيف). وروى مسلم عن ثوبان – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (إن الله زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها. وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُويَ لي منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض. وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسَنة بعامة ، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم. وإن ربي قال: يا محمد ، إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يُرّد ، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسَنةٍ عامة ، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم ، فيستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليها مَن بأقطارها ، حتى يكون بعضهم يُهلك بعضاً ، ويَسبي بعضهم بعضاً). وروى البرقاني مثله في صحيحه ، وزاد: (وإنما أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلون ، وإذا وقع عليهم السيف لم يُرفع إلى يوم القيامة. ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين ، وحتى تعبد أمتى الأوثان. وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون ، كلهم يزعم أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين ، لا نبي بعدي ، ولا تزال طائفة من أمتي ، على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى). وروى مسلم في صحيحه ، عن أبى بكر بن أبي موسى الأشعري قال: (سمعت أبي وهو بحضرة العدو يقول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف). فقام رجل رث الهيئة ، فقال: يا أبا موسى ، أنت سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم - يقول هذا؟ قال: نعم. فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام ، ثم كسر جفن سيفه فألقاه ، ثم مشى بسيفه إلى العدو ، فضرب به حتى قتل). وروى النسائي من حديث راشد بن سعد ، عن رجل من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – أن رجلاً قال: يا رسول الله ما بال المؤمنين يُفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: كفي ببارقة السيوف على رأسه فتنة. وروى الطبراني بإسناد حسن عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: إذا وقف العباد للحساب ، جاء قوم واضعي سيوفهم على رقابهم تقطر دماً ، فازدحموا على باب الجنة فقيل: من هؤلاء؟ قيل: الشهداء كانوا أحياء مرزوقين. وروى الإمام أحمد وابن حبان بإسناد صحيح عن عُتبة بن عبد الله السُّلمي – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (القتلى ثلاثة: رجل مؤمن جاهد بماله ونفسه في سبيل الله ، حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يقتل ، فذلك الشهيد الممتحن ، في جنة الله تحت عرشه ، لا يفضله النبيون إلا بفضل درجة النبوة. ورجل فرق على نفسه من الذنوب والخطايا ، جاهد بماله ونفسه في سبيل الله حتى لقي العدو ، قاتل حتى يقتل ، فتلك ممصمصة محت ذنوبه وخطاياه ، إن السيف محّاء للخطايا ، وأدخل من أي أبواب الجنة. وبعضها أفضل من بعض ، ورجل منافق جاهد بنفسه وماله ، حتى إذا لقي العدو ، قاتل في سبيل الله – عز وجل – حتى يقتل ، فذلك في النار ، إن السيف لا يمحو النفاق). وطبعاً بعد هذه الطائفة العطرة من أحاديثه – صلى الله عليه وسلم – ،

يطيب لي أن أبشر ولدي ، بأن اسمه اسم مبارك حقاً ، ولعل الله ينفع به الإسلام والمسلمين ، فيكون سيفاً من سيوف الحق ، مسلولاً على الكفر والكافرين. وآثرتُ هذه المرة أن تكون قصيدتي له معارضة لأبي تمام في بائيته الشهيرة الجهيرة في مدح المعتصم بالله العباسي. غير أني جعلت القافية مرفوعة بدلاً من خفض أبي تمام لها. وكما أقول في كل مرة: لي شرف محاولة المعارضة ، وإن لم أبلغ شأو أبي تمام الشاعر بعدُ. وأما عن المناسبة عندي فتسمية ابني السادس (سيف الإسلام) ، وأما عن المناسبة عند أبي تمام ، فملخصها أن إمبراطور الروم كان قد هاجم بلدتي (زبطرة) و(ملطية) ، فاحتلهما وأعمل فيهما القتل والسبي. ويُروى أن مسْلمة عربية أسيرة من السبايا صاحت مستغيثة: (وامعتصماه) ، فبلغ الخبرَ المعتصم ، فقال: لبيك يا أختاه. ثم هاجم المعتصم عمّورية ، واحتلها واستباحها هدماً وإحراقاً وقتلاً وسبياً ، بعدما أرسل إلى امبراطور الروم أن يطلق سراحها قائلاً في رسالته: (من المعتصم بالله أمير المؤمنين إلى كلب الروم ، أما بعد إذا جاءتك رسالتي ، فأطلق سراح المرأة المسلمة ، وإلا تفعل أرسلت لك جيشاً ، أوله عندك وآخره عندي! فأنشد أبو تمام قصيدته المشهورة في مدح المعتصم والتي مطلعها:

السيف أصدق إنباءً من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف في ... مُتونهن جلاءُ الشك والرِّيب

وغير خافٍ على الدارسين لقصيدة أبي تمام ، أن بعض الرواة كان قد ضبط (أنباءً) التي هي جمع نبأ وهو الخبر ، (إنباءً) أي إخباراً وتحدثاً. وكلا المعنيين صحيح ، وله بلاغته المعتبرة. وإنما كان التجديد مني في رفع القافية بدلاً من خفضها ، لوناً من ألوان التجديد لمَا ألفه القراء من أبي تمام ومن الذين عارضوه. فآثرت أن أعارض أبا تمام ولكن برفع القافية. وإلا فمَن مثلُ أبي تمام اليوم في بلاغته وفصاحته ومَلكته الشعرية؟! وها أنذا أهدي بائيتي إلى ولدي السادس سيف الإسلام ، وإنه لا يعي منها اليوم شيئاً ، فعسى الله تعالى أن يُدرك في مستقبل أيامه ما كنتُ أنوي من ورائها. ويذكر أباه يومها إن شاء الله بدعوة صالحة نافعة (أو ولدٍ صالح يدعو له) . كما وأرجو أن ينفع الله بالقصيدة إخوته وكل المسلمين. ولنتابع معارضتي التي أطلت الكلام عنها ، أقول فيها:).

السيفُ تحسُده - على المضا - الكتبُ ... إذ ليس - في حَدّه - هزلٌ ولا لعبُ

بيضُ الصفائح ، لا سُودَ الصحائف من ... تهويلهن تنـي الشكوكُ والريب

لم تُحْنِ هامتها الدنيا برُمّتها ... يوماً ، ولم تُثنها عن بأسها النّوب

فكم أقامتْ - على الآماد - ملحمة ... فار السعيرُ بها ، وكشّر اللهب!

وكم رؤوسٍ جنتْ في ساح خَندمةٍ! ... وكم دماءٍ أراقتْ بِيضُها الصُّيُب!

وكم دهاقنةٍ دكّتْ ، تُلقنُهم ... درس الإباء ، وما في حقهم يَجِب!

تُحـــق حقـــاً ، وترســـي عـــز مَعدلـــة ... وتقمـــعُ الظلـــم ، تُعلـــي شـــأن مَـــن غَلبـــوا

كـــم مـــن عُتـــل زنـــيم لـــيس يردعُـــه ... إلا الفـــوارسُ فـــي أيـــديهم القُضُـــب!

تُبيـــد بالســـيف جَـــوْراً زرْعُ باطلـــه ... نمـــا ، ونـــادى الـــذي بالســـيف يَقتصـــب

ســـيفَ الحنيفـــة: خضّـــبْ كـــل قافيـــةٍ ... بطيّـــب المِســـك ، أنـــت الفـــارسُ الضَّـــرب

وادرأ بســـيف التحـــدي فتنـــة عظَمـــتْ ... فيهـــا الـــدماءُ علـــى الإســـلام تنســـكبُ

إنـــي احتســـبتك فيهـــا رأس حربتهـــا ... ولا يَخيـــب الـــذي فـــي الله يحتســـب

ألســـتَ تُبصـــر مـــا فـــي الأرض مـــن جنـــفٍ ... مِـــن هولـــه الحُـــر - رغـــم الأنـــف – ينتحـــب؟

ألا يروعـــك مـــا فـــي الـــدار مـــن محـــن؟ ... ألا يَهـــزك هـــذا الـــذلُّ والـــوَدَب؟

ألســـتَ تحـــزن للآهـــات ضـــارعة ... إلـــى المليـــك ، وفيهـــا الـــدمعُ يَلتهـــب؟

ألســـت تُبصـــر بالأشـــلاء ضـــاق بهـــا ... هـــذا الفضـــاءُ ، وقـــد ضـــجتْ بهـــا التُّـــرب؟

ألســـت ترثـــي لحـــال المســـلمين هنـــا ... وقـــد تجمعـــتِ الأعـــداءُ والعُصُـــب؟

ألســـت تبكـــي لمـــا قـــد نـــال أمتنـــا ... مـــن الـــبلاء؟ وكـــم طمـــتْ بهـــا الكُـــرب!

ألســـت تأســـى لليـــلٍ فـــي دجـــاه جثـــا ... ضـــاقت بـــه الـــدارُ والأقـــوامُ والحِقَـــب؟

ألا تـــرى الأرض فـــي أفـــواه أغربـــةٍ ... ومـــن علـــى الأرض فـــي أيـــديهمُ خُشُـــب؟

ســـيفَ الهدايـــة ، فـــادحرْ كـــل كارثـــةٍ ... ولا يُخيفـــك تخـــذيلٌ ولا جلـــب

الـــذخر أنـــتَ لمَـــا أعـــداؤنا اجترحـــوا ... وأنـــت عُـــدتنا لكـــل مـــا نهبـــوا

تـــداعتِ الأمـــمُ الرعنـــاءُ مـــا رحِمـــتْ! ... وجنـــدُها مـــن حقـــوق الشَّـــم كـــم غصـــبوا!

تظـــاهروا ، وأديـــمُ الأرض يلعـــنهم ... وأشـــعلوا الحـــرب مـــا كلـــوا ، ومـــا تعبـــوا

وأمطـــروا الخلـــق بـــالنيران مُوقـــدة ... وجـــيشُ كفـــرهمُ - فـــوق الثـــرى - لجـــب

دكّـــوا الحصـــون ضُـــحىً ، والنـــاسُ أســـفلها ... والـــدورُ دمّرهـــا التتبيـــرُ والتَّبـــب

وروّعـــوا مَـــن علـــى قيـــد الحيـــاة بقِـــيْ! فكـــل قلـــب غـــدا مـــن فعلهـــم يَجـــب

وبعـــدها ســـرقوا الخيـــراتِ أجمعَهـــا والعـــز حِيـــزَ لهـــم ، كأنـــه السَّـــلبُ

واستبســـلوا ، وقَـــوى أعـــوانهم جمعـــوا وأشـــعلوا الحـــربَ ، والكفـــارُ تكتتـــب

ومثـــلُ (بغـــداد) لا يُنبيـــك مـــن أحـــدٍ إذ لا يـــزالُ هنـــاك الكفـــرُ يَحتـــرب

بـــالأمس كانـــت منـــاراً لا يُطاولـــه شـــئٌ ، وعـــن مجـــدها كـــم خُطـــتِ الكتـــب!

(دار الســـلام) ، فـــلا دارٌ تضـــارعها لأنهـــا مـــن سَـــنا الجـــوزاء تقتـــرب

أرســـى (الرشـــيدُ) بهـــاءَ الحســـن يُتحفهـــا ودجلـــةَ الخيـــر فـــي أصـــقاعها صَـــبب

والنخـــلُ يُبهجهـــا فـــي كـــل باديـــةٍ والتـــينُ والمـــوزُ والرُّمـــانُ والعنـــب

كانـــت لهـــا هيبـــة يَرعـــى مخاطرَهـــا كـــل القياصـــر: مَـــن شـــطوا ومَـــن قربُـــوا

واســـأل عـــن البـــأس (نقفـــوراً) وجوقتـــه يـــوم اعتـــراه الهـــوى والحِنـــقُ والغضـــب

فـــأنقص الجِزيـــة المُثلـــى التـــي فَرضـــتْ وتـــابع الـــوزراء الأمـــر ، واعتصـــبوا

ثـــم البريـــدُ أتـــى (بغـــداد) مـــرتحلاً وأهلُـــه فتحـــوا الأكيـــاس ، واحتجبـــوا

وثـــار (هـــارون) مـــن صـــوت الكفـــور عـــلا! فقـــال: كلـــبٌ علـــى شـــرع الســـما كلِـــب

وأعلـــن الحـــربَ ، لـــم يرهـــبْ مَغبتهـــا لأن (هـــارون) - فـــي ســـاح الـــوغى - حـــرِب

ليـــثٌ يصـــول إذا نيلـــتْ شـــريعته لأنـــه لهُـــدى الإســـلام ينتســـب

لـــم تسْـــقه زمـــرُ الماســـون خمرتهـــا ولـــيس يـــأوي لمـــن فـــي كفـــرهم رَسَـــبوا

مـــن أجـــل ذلـــك كـــان الكفـــر يَرهبُـــه وإن تـــذكرَهُ أودى بـــه الرَّهـــب

واليـــومَ (بغـــدادُ) لـــم ترعـــد كتائبهـــا حتـــى الفـــوارسُ للـــرحمن مـــا غضـــبوا

حتـــى أتـــى الكفـــرُ مختـــالاً بقوتـــه يقـــود حربـــاً لـــه فـــي أوجهـــا غَـــرب

وأهـــل (بغـــداد) فـــي بيـــدائهم قَتُلـــوا وبعضـــهم عـــن رُبـــا (بغـــداد) يَغتـــرب

والإنجليـــز دمـــاءَ الصـــيد كـــم ســـفكوا! وكـــم علـــى ألـــم الآهـــات كـــم طربـــوا!

توحّـــد الـــرومُ: كـــلٌ يشـــتهي طبقـــاً مـــن الفريســـة ، هـــذا مرتـــعٌ خصِـــب

تقاســـموا الـــدَوْر فـــي (بغـــداد) دون حيـــا وشـــارك الـــروم صـــدقاً جارُهـــا الجُنُـــب

عِصـــابةَ تحـــرق العِمـــران عامـــدة والنـــارُ فـــي يـــدها كأنهـــا الشُّـــهب

وجَوقـــةَ مكثـــتْ فـــي خيمـــةٍ خبُثـــتْ شُـــدتْ علـــى سِـــترها الأشـــطانُ والطنـــب

كـــم خـــرّب الـــرومُ فـــي (بغـــداد) مـــن مُـــدنٍ! وكـــم علـــى بائـــد الأشـــلاء كـــم لعبـــوا!

هـــذي (العـــراقُ) - علـــى التـــدمير - شـــاهدة وأهلهـــا كـــم - علـــى أحـــوالهم - نـــدبوا

و(أمُّ قصـــر) لقصـــفِ الكفـــر نـــاظرةٌ تشـــكو الهـــوانَ ، وجُنـــدُ البغـــي تســـتلب

لـــم يَسْـــلم الطفـــلُ ، كـــلا ، مـــن مـــدافعهم! ولا النســـاء ، فمَـــنْ فـــرتْ ستُغتصـــب

أقـــلُّ ظلمـــاً تتـــارُ الأمـــس ، إذ نزلـــوا هـــذي الـــديار ، وإن دكّـــوا ، وإن ســـلبوا

فبعضُـــهم دخلـــوا فـــي ديننـــا ، فهـــمُ سِـــهامُ نصـــر علـــى أعـــدائنا صُـــيُب

أمـــا النصـــارى وهـــودُ اليـــوم مـــا دخلـــوا فـــي ديننـــا ، بـــل هـــمُ فـــي كفـــرهم رســـبوا

ســـيفَ الحنيفيـــة الســـمحاء ضـــاق بنـــا هـــذا العـــذابُ ، وســـاءَ - اليـــومَ – مُنقلـــب!

وانظـــر إلـــى القـــدس غصـــتْ فـــي مُصـــيبتها فمِـــن دماهـــا يهـــودُ الســـوء كـــم شـــربوا!

وكـــم أذلـــوا كِـــرام الخلـــق فـــي شَـــره! وجمعُهـــم بـــدماء الصِـــيد يَختضـــب

وكـــم أبـــادوا القُـــرى ، والـــدَّورَ كـــم جرفـــوا! وفـــي مـــؤامرة التطبيـــع كـــم صـــلبوا!

وكـــم أزالـــوا ســـنا مَســـرى محمـــدنا! حتـــى غـــدا المســـجدُ المأســـورُ يَرتعـــب

كـــم ذبّحـــوا الشـــعب فـــي ســـر وفـــي علـــن! و(ديـــرُ ياســـينَ) لـــم تـــذهبْ بهـــا الحُجُـــب

و(كفـــرُ قاســـمَ) لـــم تبـــرحْ ضـــمائرنا والقـــدسُ تشـــهد ، والأردنّ ، والنقـــب

و(خـــانُ يـــونُس) فـــي نيرانهـــا احترقـــتْ والشـــعبُ فـــوق ربـــا (جينـــين) يضـــطرب

أنـــى اتجهـــتَ إلـــى صُـــقع لَقيـــت لظـــىً ... يشـــوي الوجـــوه ، ونـــاراً بعضُـــها اللهـــب

ســـيفَ البطولـــة ، والأعـــرابُ مـــا ســـألوا ... كـــلا ، ولـــم يعبـــأوا يومـــاً ، ولا غضـــبوا

كـــأنهم لهـــوى أعـــدائهم ركنـــوا ... طَـــراً ، وبـــات لهـــم بالمُعتـــدي نســـب

قـــد اكتفـــوْا بعبـــاراتٍ منمقـــةٍ ... مـــن البيـــان ، ويَكفـــي أنهـــم شـــجبوا!

يســـتنكرون ، ومَـــن يعنـــو لمـــنطقهم؟ ... ويُنكـــرون ، وهـــم فـــي مقتـــل ضُـــربوا!

ويُشـــتمون العِـــدا ، وهـــم عســـاكرُهم ... ويلعنـــون العِـــدا ، وهـــم لهـــم رُقـــب

مـــا نفـــعُ ألـــف بيـــانٍ ، والعِـــدا فجـــروا؟ ... وهـــل ذليـــلٌ لـــهُ علـــى العِـــدا عَتـــب؟

وهـــل يُعيـــد لنـــا الإنكـــارُ عزتنـــا؟ ... وهـــل ســـيُرجع مَـــن - بـــين الـــورى - اغتربـــوا؟

هـــذي المعـــامع هـــل تُصـــغي للهجتنـــا؟ ... وهـــل يكـــون لنـــا فـــي شـــجْبنا الغَلـــبَ؟

هـــذي الصـــوارخ ، هـــل تخشـــى شـــتائمنا؟ ... لا يســـتوي الجـــد - عنـــد الحـــرب – واللعـــب!

هـــذي القنابـــل هـــل تخـــاف مَـــن شـــجبوا؟ ... وهـــل تُعيـــرُ - إذن - أذنـــا لمـــن عَتبـــوا؟

أيـــن الغطـــاريف مـــن فرســـان أمتنـــا؟ ... وهـــل - مـــن الزحـــف - خيـــرُ الجُنـــد تنســـحب؟

أيـــن الأشـــاوس لا تطـــوي عـــزائمُهم؟ ... أيـــن الحُســـام؟ وأيـــن الـــرُّمحُ واليَلَـــب؟

أيـــن الأســـاطين ، والأجيـــادُ ضـــابحة ... تـــرد بالبـــأس مـــا أعـــداؤنا اغتصـــبوا؟

أيـــن الأماجـــد مـــن أمثـــال (خالـــدنا) ... ســـيف المليـــك وأجنـــادٌ لـــه نُجُـــب؟

وأيـــن منـــا (صـــلاحُ الـــدين) محتســـباً؟ ... أعظِـــمْ بـــه بطـــلاً! ونعـــم مُحتســـب!

أيـــن الحجافـــلُ فـــي أم لهـــا (قَطَـــزٌ) ... يُـــردي العِـــدا ، ولنصـــر الشُـــم يرتقـــب؟

أيـــن الكتائـــبُ قـــد صُـــفتْ ضـــراغِمها؟ ... تســـتقبلُ المـــوتَ ، لـــم يلعـــب بهـــا الهـــرب؟

أيـــن الجهـــادُ ، يصـــد المعتـــدين لكـــي ... تؤسَـــى الجـــراحُ ، وتمضـــي الآه والنُـــدُب؟

أيـــن الجهـــادُ ، يُـــداوي جُـــرحَ خيبتنـــا؟ ... أيـــن الجهـــادُ ، يُعيـــد اليـــوم مـــا ســـلبوا؟

سيفَ الرجولة ، يا نبراسَ صحوتِنا ... أنتَ الحسامُ ، فلا تشغلك ذي اللّعب

أعدّ نفسك للهيجاء ، كن أسداً ... يغشى العَجاج ، فلا يَردّه اللجب

أبوك ليس يرى إلاكَ قائدَها ... أما الجنودُ فللمِصاع قد وثبوا

النصلُ أنت ، فأوغل في مُداعسةٍ ... وخل غيركَ تشوي عزمَه الخُطب

شتان يا سيف بين المُدية انبجستْ ... والمشرفيّ بقان الدمّ يختضب!

ديارنا يا (أبا الأسياف) كم شهدتْ ... من الدغاول ، منها القلبُ يكتئب!

وكم على أرضها الراياتُ باسقة! ... لكنه الاسمُ والشاراتُ واللقب

هل يستوي الصارمُ الهنديّ يُشهره ... عبدٌ له - من حديث المُصطفي - سَبب

وخائفٌ أعزلٌ في جُبنه فرِقٌ؟ ... لا يستوي قائدُ الهيجا ومُنسحِب!

صَمصامةَ الحق تُجْلي كل غاشيةٍ ... ولا يُهدّدها التدجيلُ والشَّغب

أسميتك السيف للإسلام ، أقصدُها ... اسمٌ هو الفخر والأمجاد والحَسب

اسمٌ تسود به في عالم أسنتْ ... فيه المعاييرُ والأوزانُ والنسب

اسمٌ هو الشرفُ المذخورُ سُؤدَدُهُ ... فالبدرُ يحسُده ، والنجمُ والذهب

فالسين سُؤدَدُنا إن عز مَحْتِدنا ... هو الخشيبُ بدتْ في نصله الشَّطَب

واليراع يُسر إذا صالت صوارمُنا ... على الأعادي بجمع ليس يرتهب

والفاء فوزٌ بجنات المليك غداً ... ولا يَمَس الألى فازوا بها نصب

أما أبوك ، فحمْدُ الله خالقنا! ... لا يغلبُ الحمدَ إيلامٌ ولا وَصب

وأمك العِز في إسم لها صفةً ... هو الشموخ سَما ، والجودُ واللبب

سيفَ الإباء أعدْ ذكرى معاركِنا ... وحقّق اليوم أمجادَ الألى ذهبوا

إن الجهادَ سِنام السلم ، يا ولدي ... بالأمس قام به أماجدٌ نُخب

شـــتان بـــين فتـــىً: حياتـــه قَـــرَّبٌ ... وآخـــر مـــا لـــه فـــي عمـــره قَـــرب!

أبـــا ســـليمان: إن الســـاحة انتفضـــتْ ... حتـــى العَجـــاجُ طـــوتْ آفاقـــه السُّـــحُب

فخـــذ مكانـــك فـــي صـــدر الخمـــيس ، وكُـــنْ ... صـــلداً إذا حمـــيَ الـــوطيسُ والثَغـــب

واعلـــمْ بأنـــك مخلـــوقٌ لـــه أجـــلٌ ... فمُـــت كريمـــاً ، فـــذا للحُـــرّ يُطلـــب

والســـيفُ ســـيفٌ ، وإن ضـــنت جـــواهرهُ ... عـــن البريـــق ، وإن فاضـــتْ بـــه الشِّـــعب

روِّ الأديـــمَ بأشـــلاء الألـــى كفـــروا ... وأســـقهم كـــأس مـــا طَغـــاتُهم كســـبوا

واغمـــز جـــوادك كـــي يجتـــاح ملحمـــة ... لا يســـتوي الضَّـــبح - نحـــو الخُلـــد – والخبـــب!

اليـــوم حـــان جهـــادُ الكفـــر ، فـــاجرِ بـــهِ ... أم قـــد تعقبـــه الهُـــزال والحَـــدَب؟

أمســـى يحـــيصُ ، ولـــم يبـــرح محلتـــه ... فهـــل ألـــمّ بـــه - فـــي المحنـــة - الجَـــرب؟

ســـيفَ المكـــارم ، لا تحفـــلْ بمـــن رصـــدوا ... لـــك المصـــائب ، لا تعبـــث بـــك الرّيـــب

هـــمُ الســـرابُ غفـــتْ فيـــهِ دجاجلـــةٌ ... لا يســـتوي الصـــدْعُ بالتصـــديق والعَكـــب!

هـــمُ الزيـــوف إذا قـــالوا ، وإن فعلـــوا ... لا يســـتوي اللـــبَن الوســـنان والصـــرب!

ســـيفَ المناقـــب: عُـــذراً منـــكَ مُلتمســـاً ... إذ القصـــيدة يشـــكو حزمَهـــا الأدب

شـــط القـــريضُ ، فصـــيغتْ منـــه ملحمـــة ... كانـــت صـــوارمُها فـــي الغِمـــد تكتئـــب

كـــم كنـــتُ آمـــلُ أن اخـــط مرحمـــة ... مـــن القـــريض ، ومـــا فـــي ظلهـــا صَـــخب!

قصـــيدةً يَغـــبط الإحســـاسُ رونقهـــا ... قصـــيدة صـــاغها مـــن الفـــؤاد أب

قصـــيدة حِبرُهـــا مِـــن نـــور عـــاطفتي ... فيهـــا الجمـــالُ زهـــا ، والفـــن والأرب

يراعـــة الشـــعر مـــا خطـــت مثيلتهـــا ... ولـــيس فـــي لفظهـــا لحـــنٌ ولا عِيَـــب

جلـــتْ عـــن الهـــزل ، مـــا زلـــتْ ولا انحـــدرتْ ... يَحـــارُ فيهـــا النَّهِـــيَ ، والحـــس والعَجَـــب

فاقـــت خيـــالاً أهـــازيجَ الـــذين مضـــوا ... إذا رأوْهـــا فمـــن تصـــويرها عجبـــوا

فـــي حُـــب ســـيف الهُـــدى لـــم تـــدخر ألقـــاً ... مـــن حُســـنها أظهـــرتْ مـــا كـــان يُحتجـــب

جـــــديرةٌ بـــــاحترام الحِـــــب يقرأهـــــا ... ونصـــــلُ صـــــارمِها قـــــد زانـــــه الحَبَـــــب

أنقـــــى مـــــن الشـــــهد أبيـــــاتٌ تُعطرهـــــا ... يَغـــار مـــن سَـــبكها فـــي ضِـــرعه الحَلَـــب

يُحِـــس بالصـــدق فـــي الأبيـــات مَـــن صـــدقوا ... ولا يتـــــوقُ لهـــــا قـــــط الألـــــى كـــــذبوا

ســـيفَ المحبـــة خـــذها مـــن أبيـــكَ ، فقـــدْ ... أزكـــــى ترائبهـــــا الإحســـــاسُ والعَصَـــــب

وهبتُـــك الحُـــبّ فـــي أبياتهـــا طربـــاً ... كالغيـــث يَغبطَـــه - علـــى الثـــرى - السَّـــكب

وبُحـــتُ بالنصـــح ، لـــم أبخـــلْ بتجربتـــي ... والنصـــحُ أخلـــصُ مـــا أعطـــي ومـــا أهـــب

وكنـــتُ أُشـــعلتُ مصـــباحَ البيـــان بهـــا ... حتـــى أفـــيض علـــى ألفاظهـــا الصَّـــهب

والكـــاتبون إذا مـــا طـــالعوا ذهِلـــوا ... ويَحقـــرون إلـــى هاتيـــك مـــا كتبـــوا

فأنـــت أغلـــى مـــن الأشـــعار ، أنســـجها ... مكانـــك القلـــبُ ، والأشـــعارُ فالكتـــب

ســـيفَ القـــريض تقبّـــل بعـــض تهنئتـــي ... قصـــيدة زادُهـــا الإخـــلاصُ والشَّـــبب

وقـــاكَ ربـــك مـــا عِشـــناه مـــن مِحـــن ... قِوامهـــا الطـــيشُ والتدشـــينُ والخَـــدب

وعـــش عزيـــزاً ، لـــك العليـــاءُ منزلـــةً ... لا يســـتوي الـــرأسُ - فـــي الأقـــوام - والـــذنب

وخلـــلِ القلـــبَ بـــالقرآن تســـمُ بـــه ... وإن قـــلاه ، فقلـــبٌ مُقـــرفٌ خَـــرب

وكـــن أبيّـــاً إذا مـــا نلـــت مرتبـــة ... كـــم مـــن خلـــوق سَـــبَت أخلاقـــه الرُّتـــب!

واشـــكرْ لربـــك إن كانـــت بُلهنيـــة ... مـــن الحيـــاة ، وُجـــدْ علـــى الألَـــى سَـــغِبوا

وابـــذلْ خُيـــورك للمحتـــاج محتســـباً ... عنـــد المليـــك ثوابـــاً ، حبـــذا الحِســـبُ

وعُـــد لربـــك إن قارفـــت معصـــية ... فـــالفخرُ بالـــذنب والســـوآى هـــو العَطَـــب

واللهِ مـــا اســـتويا عَـــفٌّ ومُـــرتكسٌ! ... لا تســـتوي عنـــدنا الآســـادُ والعُكُـــب!

ســـبيلُ ربـــك يـــا ســـيفاه واحـــدة ... ودربُ إبلـــيسَ يـــا ســـيف الهُـــدى شُـــعَب

ضـــدان مـــا اجتمعـــا تقـــوى ومخبثـــةً ... هـــل تســـتوي الحُفَـــرُ الصَّـــماء والقُلَـــب؟

إمـــا النجـــاة وإمـــا عيشـــة لُعنـــتْ! ... هـــل يســـتوي الحنظـــلُ البَـــرِّيُ والقُصُـــب؟

واذكـــر مفارقـــة الـــدنيا ومَـــن جمعـــتْ ... مَـــن اســـتراحوا بهـــا ردحـــاً ومَـــن نصـــبوا

الكـــل عنهـــا - بـــرغم الأنـــف - مرتحِـــلٌ ... والفـــائزُ الحـــق مَـــن للســـوء يجتنـــب

إنـــي تمرســـتُ فـــي الـــدنيا وجوقتهـــا ... ومَـــن علـــى فوْتهـــا تـــراهمُ اكتـــأبوا

وكـــم رأيـــتُ لهـــا صـــرعى مناوشـــةٍ ... حتـــى تغمّـــدهم مـــن أرضـــها سَـــرَب!

أيـــن الأكـــابرُ مَـــن ســـادوا ممـــالكهم ... ومَـــن إذا انطلقـــوا للحـــرب مـــا هربـــوا؟

أيـــن الأكاســـرُ مَـــن دكّـــوا شـــعوبهمُ ... ومَـــن - علـــى النـــاس - نـــارَ الـــرِّق كـــم ســـكبوا؟

أيـــن الفـــراعين فـــي الأمصـــار إذ وقـــدوا ... نـــارَ التشـــفي ، وفـــي جمهـــورهم خطبـــوا؟

أيـــن الشـــعوبُ ، لمـــاذا لا زئيـــر لهـــا؟ ... أيـــن الألـــى لجنـــود الباطـــل اصـــطحبوا؟

أيـــن الشـــعوبُ لهـــا فـــي الجـــوع ملهبـــة؟ ... أيـــن الـــذين - علـــى الإســـلام - قـــد حُســـبوا؟

كيـــف اســـتناختْ لمـــن أودى بعزتهـــا ... ومَـــن علـــى أظهُـــر الأشـــراف قـــد ركبـــوا؟

كيـــف اســـتبد بهـــم مَـــن دك سُـــؤدَدُهم ... وأعمـــلَ الســـيفَ حتـــى أهـــدرَ الشَّـــخب؟

كيـــف اســـتكانوا لـــه حتـــى أذلهـــمُ؟ ... والعِـــز مـــنهم - بـــرغم الأنـــف - ينســـلب؟

وكيـــف هـــم ركعـــوا ذُلاً لمُهلكهـــم؟ ... وكيـــف تحملهـــم لـــذلك الرُّكـــب؟

يـــا ليـــت شـــعري ، فهـــل زالـــت كـــرامتُهم ... حتـــى - إلـــى مســـتوى البهـــائم - انقلبـــوا؟

هـــل المذلـــة تُحيـــي مَيْـــتَ عـــزتهم؟ ... هـــل اســـتوى عنـــدنا الكُـــراث والرُّطـــب؟

لـــم يَفرقـــوا بـــين عـــيش فيـــه مَحْتِـــدُهم ... والنـــاسُ إن وطئـــوا ديـــارهم رهبـــوا

هـــل القُشـــور تُســـاوي بعـــض مـــا حفظـــتْ؟ ... هـــل يســـتوي اللّـــبُّ يـــا ســـيفاه والشـــذب؟

سَفاسِـــفُ الأمـــر هـــل دكـــت عزائمـــه؟ ... هـــل الحديـــدُ اســـتوى يـــا ســـيفُ والخَشَـــب؟

فهـــل قـــلا أمتـــى معيـــارُ حكمتهـــا؟ هـــل الأسُـــود اســـتوتْ - فـــي البـــأس - والـــدَّبب؟

حتـــى متـــى ذِ لـــة تُـــردي ومَهلكـــة؟ حتـــى متـــى تحتـــوي أســـيافنا الجُـــرُب؟

يـــا ســـيفُ حقَّـــقْ لهـــا مـــا اســـطعتَ مِـــن أمـــلٍ ولـــيس يُـــرفض - عنـــد القـــادر - الطَّلَـــب

كـــن مـــا اســـتطعتَ لأهـــل الســـلم خـــادمهم! وذاتَ بيـــــنهمُ أصـــــلحْ إذا احتربـــــوا

أخـــو العقيـــدة مَـــن أعلـــى شـــريعتنا ضـــمّته مكـــة أو بـــاريسُ أو حَلـــب

صـــحتْ عقيدتـــه فـــي الله مهتـــدياً مَعينـــه الـــوحيُ والقـــرآنُ والأدب

يـــدعو المليـــك ، وفـــي الحـــالين يعبـــده ولا يتـــوق لمـــن تـــؤويهم القِبَـــب

فـــاحرص عليـــه ، وقـــم دومـــاً بواجبـــه وإن تعبـــتَ فـــذا يحلـــو لـــه التعـــب

واستصـــفِ خِلـــك ، فـــالخلانُ أوديـــة وكـــل قـــوم إلـــى خِلانهـــم نُسِـــبوا

واحـــرصْ علـــى العلـــم فـــي مهـــدٍ وفـــي كبـــر نُـــوق هـــي الكتْـــب فـــي أصـــقاعنا حُلُـــب

إن الكثيـــر مـــن العلـــوم مَفخـــرةٌ والبـــذلُ فيهـــا لمـــن قـــد آمنـــوا دَأَبُ

هـــل الألـــى علمـــوا يومـــاً كمـــن جهلـــوا؟ هـــل اســـتوى الســـيفُ -عنـــد الطّعـــن- والـــذرب؟

هـــذا الختـــام ، فكـــن بالنصـــح منتفعـــاً إن الأريـــبَ إلـــى النّصـــاح يَنجـــذب

واللهُ أعلـــم بالنيّـــات ، يـــا ولـــدي عســـى أكـــون بـــذلتُ – الآن - مـــا يجـــب

ودُمـــتَ قـــرة عـــينٍ للألـــى رشـــدوا ومَـــن معاصـــي المليـــك الخـــالق اجتنبـــوا

وعِشـــت ســـيفاً علـــى الأعـــداء منتبهـــاً لمَـــا يُحـــاك بنـــا ، تَـــرُد مـــا اقتضـــبوا

وسُـــدْت داعيـــة تَهـــدي الألـــى كفـــروا وتبـــذل الحـــق فـــيمن فيـــه قـــد رغبـــوا

مَـــن يرغـــب النـــور يبحـــثْ عـــن منابعـــه نعـــمَ المطالـــبُ والغايـــاتُ والرَّغـــب!

ولا تُطـــوّعْ لطـــاغوتٍ شـــريعتنا وإن فعلـــتَ عليـــك الســـوءُ ينقلـــب

وأشـــهرِ الحـــق ســـيفاً لا اهتـــراءَ بـــه وبـــئس حـــقٌ علـــى الجُهـــال مُقتضـــب!

وأدْن كتْبـــــك كـــــي تمـــــتص زُبـــــدتها ... فيهـــا الحِـــلابُ ، فمـــن يســـعى ويَحتلـــب؟

وأدْن أذنـــــك للأفـــــذاذ مَـــــن علمـــــوا ... لا يســـتوي البُعـــدُ عـــنهم قـــطّ والكثـــب!

واعمـــدْ إلـــى أســـس العلـــوم تدرسُـــها ... لا يســـتوي الجـــذعُ فـــي النخيـــل والخُلـــب

ســـــلامُ ربـــــك منـــــي دائمـــــاً أبـــــداً ... عليـــــكَ مـــــا رُفعـــــتْ لربنـــــا القُـــــرب

وصـــــلّ رب علـــــى الرســـــول مـــــا بقيـــــتْ ... نفـــسٌ لـــدينك - بـــين النـــاس - تنتســـب

وصـــــلّ رب علـــــى آل لـــــه نجُـــــب ... فـــآلُ (أحمـــدَ) - فـــي هـــذي الـــدنا - النّجـــب

وصـــــلّ رب علـــــى أزواجـــــه أبـــــداً ... هـــــن الطهـــــارة والإحســـــانُ والأدب

وصـــــلّ رب علـــــى أنصـــــاره الحُنفـــــا ... مَـــــن - بالصـــــورام أعـــــداءً لـــــه - ضـــــربوا

وصـــــلّ رب علـــــى مَـــــن هـــــاجروا معـــــه ... مَـــــن فـــــارقوا الأهـــــلَ والأمـــــوالَ ، واغتربـــــوا

وصـــــلّ رب علـــــى الأصـــــحاب قاطبـــــة ... مَـــــن دينَـــــه اتبعـــــوا ، وشخصَـــــهُ صَـــــحِبوا

بعض معاني الكلمات غير المطروقة

هامتها: رأسها. • النوب: جمع نائبة وهي المصيبة العظيمة. • بيضها الصيب: أي السيوف الماضية الصائبة. • القضب: أي القضبان. • جور: ظلم. • يقتصب: يقتطع بالسيف. • الفارس الضرب: شديد الطعن للأعداء. • الودب: القحط والتضييق. • ضارعة: خاشعة. • الأشلاء: بقايا الجسم. • التُّرب: جمع تربة ، وهي القبر. • ترثي: تأسف وتحزن. • العصب: الجماعات. • الدجى: الظلام. • جلب: أي ضوضاء. • أديم الأرض: وجه الأرض الظاهر من الثرى. • جيش لجب: ذو بأس شديد. • التبب: التدمير والهلاك. • السلب: الشئ المسلوب. • تكتتب: أي تساهم وتشارك.

• يحترب: يقاتل. • تضارعها: تماثلها. • صبب: أي كثير الماء. • القياصر: جمع قيصر وهو لقب حاكم الروم. • الحنق: شدة الغضب. • اعتصبوا: اجتمعوا على أمر ما. • الكلْب الكِلب: أي المجنون العقور. • الوغى: الحرب. • زمر: جمع زمرة وهي الجماعة من الناس. • غرب: جمع غراب. • مرتع خصب: أي أنه خصيب غني بالمرعى. • الشهب: جمع شهاب. • الأشطان: الأحبال. • الطنب: أوتاد الخيمة التي تثبتها بالأرض. • يستلب: يُسلب. • رسبوا: سقطوا. • يرتعب: ينتفض ويرتعش. • الحجب: جمع حجاب. • النقب: صحراء في أرض فلسطين. • رُقب: رُقباء ، جمع رقيب. • عتب: عتاب ولوم. • المعامع: المعارك. • اليلب: الدرع. • خالدنا: أي خالد بن الوليد – رضى الله عنه -. • الندب: جمع ندبة وهي التوجع. • العجاج: غبار الحرب الثائر. • اللجب: صوت الحرب. • المُدية: السكين الصغيرة الماضية. • التدجيل: الدجل. • المعايير: جمع معيار وهو المقياس. • اللبب: الذكاء. • الشطب: السيف فيه الشطب كناية عن كونه حاداً ماضياً. • إيلام: ألم. • الوطيس: شدة القتال. •الشغب: الطعن الشديد في المعركة. • الخبب: ضرب من العدو مثل الرمل وهو تقارب الأقدام مع قصر الخطا. • الحدب: خروج الظهر ودخول البطن من شدة النحافة. • ملحمة: معركة. • العكب: هو عدم الإفصاح عياً أو قصداً. • الصرب: هو اللبن الحقين الحامض. • عيب: جمع عيب وهو الخلل في الشئ أو القول أو الفعل. • الحبب: تنضد أسنان ليكون ماضياً. • الصهب: الحمرة أو الشقرة في الشعر. • الشبب: ارتفاع الشئ. • الخدب: أي الهوج والتسرع بلا تخطيط أو روية. • الرتب: الوظائف التي يتقلدها المرء بين الناس. • بُلهينة: سعة العيش. • الحِسبَ: جمع حسبة وهي من الاحتساب أي ارتقاب الأجر والمثوبة عند الله – تعالى -. • العُكُب: العناكب ووحداتها عنكبوت. •القصب: هو قصب السكر المعروف. • القُلُب: جمع قليب وهو البئر. • السرب: الحُفيرة تحت الأرض. • الشخب: الدم السائل من الجرح. • الشذب: قشور لحاء الشجر. • الجُرب: جمع جراب. • القبب: القباب ووحداتها قبة. • حلب: نوق حلب أي هي كثيرات الحليب وغزيراته. • الذرب: إزميل الإسكافي. • الكثب: القرب. • الطاغوت: كل ما عبد من دون الله وهو راض بالعبادة. • الحِلاب: الحليب. • أسس العلوم: أي أصول وقواعد وضوابط هذه العلوم.

حقيقة الإسراء

(إن الإسراء في حقيقته توحيد لله رب العالمين. وليس يُدرك ذلك إلا من حاط هذا الدين من جميع جوانبه. وما هو بالسرادقات والاحتفالات والأغاني وما شابه ذلك. أشير هنا إلى حقيقة إسراء نبينا – عليه الصلاة والسلام – على أثر خطبة جمعة سمعتُها هنا في الشارقة. وكنتُ أسأت الظن في بدايتها بالخطيب ، زاعماً أنه واحدٌ من المرتزقة ليس إلا. فإذا به خطيبٌ مصلقٌ موحدٌ شجاع لا يعبد إلا الله – ولا أزكي على الله أحداً – بل أحسبه هكذا والله حسيبه ووكيله! ويحسن بنا أن نورد باباً في (ذكر الأحاديث الورادة في الإسراء) وذلك من تفسير الإمام ابن كثير – رحمه الله تعالى -: (رواية البخاري من طريق أنس بن مالك رضي الله عنه). قال الإمام أبو عبد الله البخاري: حدثني عبد العزيز بن عبد الله ، حدثنا سليمان - هو ابن بلال - عن شريك بن عبد الله قال: سمعت أنس بن مالك يقول ليلة أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة: إنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم ، فقال آخرهم: خذوا خيرهم ، فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه - وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم - فلم يكلموه حتى يحتملوه فوضعوه عند بئر زمزم ، فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره إلى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه ، فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه ، ثم أتى بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشو إيماناً وحكمة فحشا به صدره ولغاديده - يعني عروق حلقه - ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا ، فضرب باباً من أبوابها ، فناداه أهل السماء: من هذا؟ فقال: جبريل ، قالوا: ومن معك؟ قال: معي محمد ، قالوا: وقد بعث إليه؟ قال: نعم ، قالوا: فمرحباً به وأهلاً ، يستبشر به أهل السماء لا يعلم أهل السماء بما يريد الله به في الأرض حتى يعلمهم ، فوجد في السماء الدنيا آدم فقال له جبريل: هذا أبوك آدم فسلم عليه ، فسلم عليه ورد عليه آدم فقال: مرحباً وأهلاً بابني نعم الابن أنت ، فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان فقال: «ما هذان النهران يا جبريل؟» قال: هذان النيل والفرات عنصرهما. ثم مضى به في السماء فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد ، فضرب بيده فإذا هو مسك أذفر فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي خبأه لك ربك ، ثم عرج به إلى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل ما قالت له الملائكة الأولى: من هذا؟ قال: جبريل. قالوا: ومن معك؟ قال: محمد صلى الله عليه وسلم. قالوا: وقد بعث إليه؟ قال: نعم. قالوا: مرحباً به وأهلاً ، ثم عرج به إلى السماء الثالثة فقالوا له مثل ما قالت الأولى والثانية ، ثم عرج به إلى السماء الرابعة فقالوا له مثل ذلك ، ثم عُرج به إلى السماء الخامسة ، فقالوا له مثل ذلك ، ثم عرج به إلى السماء السادسة فقالوا له مثل ذلك ، ثم عرج به إلى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك ، كل سماء فيها أنبياء قد سماهم فوعيت منهم إدريس في الثانية وهارون في الرابعة وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه ، وإبراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله تعالى ، فقال موسى: رب لم أظن أن يرفع علي أحدٌ ، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله عز وجل حتى جاء سدرة المنتهِيَ ، ودنا الجبار رب العزة فتدلى ، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى الله إليه فيما يوحي خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة ، ثم هبط به حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال: يا محمد ماذا عهد إليك ربك؟ قال: «عهد إليّ خمسين صلاة كل يوم وليلة»

قال: إن أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم. فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل كأنه يستشيره في ذلك فأشار جبريل أن نعم إن شئت ، فعلا به إلى الجبار تعالى وتقدس فقال وهو في مكانه: «يا رب خفف عنا فإن أمتي لا تستطيع هذا» فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع إلى موسى فاحتبسه ، فلم يزل يرده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات ، ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال: يا محمد والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا فتركوه ، فأمتك أضعف أجساداً وقلوباً وأبداناً وأبصاراً وأسماعاً ، فارجع فليخفف عنك ربك ، كل ذلك يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل ، فرفعه عند الخامسة فقال «يا رب إن أمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم وأبدانهم فخفف عنا» فقال الجبار تبارك وتعالى: يا محمد. قال: «لبيك وسعديك» قال: إنه لا يبدل القول لدي كما فرضت عليك في أم الكتاب ، فكل حسنة بعشر أمثالها فهي خمسون في أم الكتاب ، وهي خمس عليك ، فرجع إلى موسى فقال: كيف فعلت؟ فقال «خفف عنا أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها» قال موسى: قد والله راودت بني إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه ، فارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضاً. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا موسى قد والله استحييت من ربي عز وجل مما أختلف إليه» قال: فاهبط باسم الله. قال: واستيقظ وهو في المسجد الحرام. هكذا ساقه البخاري في كتاب التوحيد ، ورواه في صفة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن إسماعيل بن أبي أويس عن أخيه أبي بكر عبد الحميد عن سليمان بن بلال. ورواه مسلم عن هارون بن سعيد عن ابن وهب عن سليمان قال فزاد ونقص وقدم وأخر ، وهو كما قال مسلم فإن شريك بن عبد الله بن أبي نمر اضطرب في هذا الحديث وساء حفظه ، ومنهم من يجعل هذا مناماً توطئة لما وقع بعد ذلك والله أعلم. وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي في حديث شريك زيادة تفرد بها ، على مذهب من زعم أنه صلى الله عليه وسلم رأى الله عز وجل يعني قوله ، {ثم دنا} الجبار رب العزة {فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى}. قال وقول عائشة وابن مسعود وأبي هريرة في حملهم هذه الآيات على رؤيته جبريل أصح ، وهذا الذي قاله البيهقي رحمه الله في هذه المسألة هو الحق ، فإن أبا ذر قال: يا رسوله الله هل رأيت ربك؟ قال: «نورٌ أنى أراه» وفي رواية: «رأيت نوراً» أخرجه مسلم ، وقوله: {ثم دنا فتدلى} إنما هو جبريل عليه السلام ، كما ثبت ذلك في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين ، وعن ابن مسعود ، وكذلك هو في صحيح مسلم عن أبي هريرة ، ولا يعرف لهم مخالف من الصحابة في تفسير هذه الآية بهذا. وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهىَ طرفه ، فركبت فسار بي حتى أتيت بيت المقدس ، فربطت الدابة بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء ، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فأتاني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن ، فاخترت اللبن فقال جبريل: أصبت الفطرة. قال: ثم عرج بي إلى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل له من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: قد أرسل إليه. ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرح بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل له: من أنت. قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: قد أرسل إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة يحيى وعيسى فرحبا بي ودعوا لي بخير ، ثم عرج بي إلى السماء الثالثة ، فاستفتح

جبريل فقيل: من أنت قال: جبريل فقيل: ومن معك؟ فقال محمد فقيل: وقد أرسل له؟ قال قد أرسل له ففتح لنا فإذا أنا بيوسف عليه السلام ، وإذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل ، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. فقيل: ومن معك؟ قال: محمد. فقيل: وقد أرسل إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحب بي ودعا لي بخير. ثم يقول الله تعالى: {ورفعناه مكاناً علياً} ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة ، فاستفتح جبريل فقيل من أنت؟ قال جبريل ، فقيل: ومن معك؟ قال: محمد. فقيل: قد أرسل إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بهارون ، فرحب بي ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل من أنت؟ قال جبريل. قيل ومن معك؟ قال: محمد. فقيل: وقد بعث إليه؟ قال قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بموسى عليه السلام ، فرحب بي ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من أنت؟ قال: جبريل. قيل ومن معك؟ قال: محمد. فقيل وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام ، وإذا هو مستند إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه ، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهِيَ فإذا ورقها كآذان الفيلة ، وإذا ثمرها كالقلال ، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع أن يصفها من حسنها. قال: فأوحى الله إليّ ما أوحى ، وقد فرض علي في كل يوم وليلة خمسين صلاة. فنزلت حتى انتهيت إلى موسى ، قال ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة في كل يوم وليلة ، قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فإن أمتك لا تطيق ذلك وإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم ، قال فرجعت إلى ربي فقلت: أي رب خفف عن أمتي فحط عني خمساً ، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فقال: ما فعلت؟ فقلت: قد حط عني خمساً. فقال: إن أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، قال فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى ويحطّ عني خمساً خمساً حتى قال: يا محمد ، هن خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر ، فتلك خمسون صلاة ، ومن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن علمها كتبت عشراً ، ومن هم بسيئة فلم يعلمها لم تكتب ، فإن عملها كتبت سيئة واحدة ، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته ، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد رجعت إلى ربي حتى استحييت». ورواه مسلم عن شيبان بن فروخ عن حماد بن سلمة بهذا السياق ، وهو أصح من سياق شريك. قال البيهقي: وفي هذا السياق دليلٌ على أن المعراج كان ليلة أسري به عليه الصلاة والسلام من مكة إلى بيت المقدس ، وهذا الذي قاله هو الحق الذي لا شك فيه ولا مرية ، وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بالبراق ليلة أسري به مسرجاً ملجماً ليركبه ، فاستصعب عليه فقال له جبريل: ما يحملك على هذا فوالله ما ركبك قط أكرم على الله منه؟ قال: فارفض عرقاً ، ورواه الترمذي عن إسحاق بن منصور عن عبد الرزاق ، وقال غريب لا نعرفه إلا من حديثه. وقال أحمد أيضاً: حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان ، حدثني راشد بن سعيد وعبد الرحمن بن جبير عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما عرج بي إلى ربي عز وجل مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم ، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم». وأخرجه أبو داود من حديث صفوان بن عمرو به ، ومن وجه آخر ليس فيه أنس ، فالله أعلم ، وقال أيضاً: حدثنا وكيع ،

حدثنا سفيان عن سليمان التيمي عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مررت ليلة أسري بي على موسى عليه السلام قائماً يصلي في قبره». ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن سليمان بن طرخان التيمي وثابت البناني ، كلاهما عن أنس ، قال النسائي: هذا أصح من رواية من قال سليمان عن ثابت عن أنس ، وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده: حدثنا وهب بن بقية ، حدثنا خالد عن التيمي عن أنس قال: أخبرني بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به ، مر على موسى وهو يصلي في قبره ، وقال أبو يعلى: حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرعرة ، حدثنا معتمر عن أبيه قال: سمعت أنساً أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به مر بموسى وهو يصلي في قبره ، قال أنس ذكر أنه حمل على البراق فأوثق الدابة أو قال الفرس. قال أبو بكر: صفها لي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هي كذه وذه» فقال: أشهد أنك رسول الله. وكان أبو بكر رضي الله عنه قد رآها ، وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو البزار في مسنده: حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا الحارث بن عبيد عن أبي عمران الجوني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بينا أنا نائم إذ جاء جبريل عليه السلام فوكز بين كتفي فقمت إلى شجرة فيها كوكْري الطير ، فقعد في أحدهما وقعدت في الآخر ، فسمتْ وارتفعت حتى سدت الخافقين ، وأنا أقلب طرفي ولو شئت أن أمسّ السماء لمسست ، فالتفت إلى جبريل كأنه حلس لاط فعرفت فضل علمه بالله علي ، وفتح لي باب من أبواب السماء فرأيت النور الأعظم ، وإذا دون الحجاب رفرف الدر والياقوت وأوحيّ إلي ما شاء الله أن يوحى» ثم قال ولا نعلم من رواة هذا الحديث إلا أنس ولا نعلم رواه عن أبي عمران الجوني إلا الحارث بن عبيد ، وكان رجلاً مشهوراً من أهل البصرة. ورواه الحافظ البيهقي في الدلائل عن أبي بكر القاضي عن أبي جعفر محمد بن علي بن دحيم عن محمد بن الحسين بن أبي الحسين ، عن سعيد بن منصور فذكره بسنده مثله ثم قال وقال غيره في هذا الحديث في آخره ولط دوني ، أو قال دون الحجاب رفرف الدر والياقوت ، ثم قال هكذا رواه الحارث بن عبيد ورواه حماد بن سلمة عن أبي عمران الجوني عن محمد بن عمير بن عطارد ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في ملإ من أصحابه فجاءه جبريل فنكت في ظهره ، فذهب به إلى الشجرة وفيها مثل وكْري الطير ، فقعد في أحدهما وقعد جبريل في الآخر فنشأت بنا حتى بلغت الأفق ، فلو بسطت يدي إلى السماء لنلتها فدلي بسبب وهبط النور فوقع جبريل مغشياً عليه كأنه حلس ، فعرفت فضل خشيته على خشيتي فأوحي إلي: نبياً ملكاً أو نبياً عبداً وإلى الجنة ما أنت ، فأومأ إليّ جبريل وهو مضطجع أن تواضع. قال قلت لا بل نبياً عبداً ، قلت وهذا إن صح يقتضي أنها واقعة غير ليلة الإسراء ، فإنه لم يذكر فيها بيت المقدس ولا الصعود إلى السماء فهي كائنة غير ما نحن فيه ، والله أعلم وقال البزار أيضاً: حدثنا عمرو بن عيسى حدثنا أبو بحر ، حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس أن محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل ، وهذا غريب. وقال أبو جعفر بن جرير: حدثنا يونس ، حدثنا عبد الله بن وهب ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن الزهري عن أبيه عن عبد الرحمن بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص عن أنس بن مالك قال: لما جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق فكأنها حركت ذنبها ، فقال لها جبريل: مه يا براق فوالله ما ركبك مثله ، وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو بعجوز على جانب الطريق فقال: «ما هذه يا جبريل؟» قال: سر يا محمد ، قال فسار ما شاء الله أن يسير فإذا شيء

يدعوه متنحياً عن الطريق فقال هلم يا محمد ، فقال له جبريل: سر يا محمد فسار ما شاء الله أن يسير ، قال فلقيه خلق من خلق الله فقالوا: السلام عليك (يا أول) ، السلام عليك (يا آخر) ، السلام عليك يا حاشر ، فقال له جبريل: اردد السلام يا محمد فرد السلام ، ثم لقيه الثانية فقال له مثل مقالته الأولى ثم الثالثة كذلك ، حتى انتهِيَ إلى بيت المقدس ، فعرض عليه الخمر والماء واللبن ، فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن ، فقال له جبريل: أصبت الفطرة. ولو شربت الماء لغرقت وغرقت أمتك ، ولو شربت الخمر لغويت ولغوت أمتك ، ثم بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء عليهم السلام ، فأمّهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة. ثم قاله له جبريل: أما العجوز التي رأيت على جانب الطريق فلم يبق من الدنيا إلا كما بقي من عمر تلك العجوز. وأما الذي أراد أن تميل إليه فذاك عدو الله إبليس أراد أن تميل إليه ، وأما الذين سلموا عليك فإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، وهكذا رواه الحافظ البيهقي في دلائل النبوة من حديث ابن وهب. وفي بعض ألفاظه نكارة وغرابة. (طريق أخرى) عن أنس بن مالك ، وفيها غرابة ونكارة جداً وفي سنن النسائي والمجتبى ولم أرها في الكبير قال: حدثنا عمرو بن هشام ، حدثنا مخلد هو ابن الحسين عن سعيد بن عبد العزيز ، حدثنا يزيد بن أبي مالك حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أتيت بدابة فوق الحمار ودون البغل خطوها عند منتهِيَ طرفها ، فركبت ومعي جبريل عليه السلام فسرت فقال: انزل فصلّ. فصليت ، فقال: أتدري أين صليت؟ صليت بطيبة وإليها المهاجر ، ثم قال: انزل فصل فصليت. فقال: أتدري أين صليت؟ صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى ، ثم قال: انزل فصل. فصليت ، فقال: أتدري أين صليت؟ صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام ، ثم دخلت بيت المقدس فجمع لي الأنبياء عليهم السلام فقدمني جبريل عليه السلام حتى أممتهم ثم صعد بي إلى السماء الدنيا ، فإذا فيها آدم عليه السلام ، ثم صعد بي إلى السماء الثانية ، فإذا فيها ابنا الخالة عيسى ويحيى عليهما السلام ، ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فإذا فيها يوسف عليه السلام ، ثم صعد بي إلى السماء الرابعة فإذا فيها هارون عليه السلام ، ثم صعد بي إلى السماء الخامسة فإذا فيها إدريس عليه السلام. ثم صعد بي إلى السماء السادسة فإذا فيها موسى عليه السلام ، ثم صعد بي إلى السماء السابعة فإذا فيها إبراهيم عليه السلام ، ثم صعد بي فوق سبع سموات وأتيت سدرة المنتهِيَ فغشيتني ضبابة فخررت ساجداً فقيل لي: إني يوم خلقت السموات والأرض فرضتُ عليك وعلى أمتك خمسين صلاة ، فقم بها أنت وأمتك. فرجعت بذلك حتى أمر بموسى عليه السلام ، فقال: ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة ، قال فإنك لا تستطيع أن تقوم بها لا أنت ولا أمتك ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فرجعت إلى ربي فخفف عني عشراً ، ثم أتيت موسى فأمرني بالرجوع فرجعت فخفف عني عشراً ثم ردت إلى خمس صلوات ، قال فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإنه فرض على بني إسرائيل صلاتين فما قاموا بهما ، فرجعت إلى ربي عز وجل فسألته التخفيف ، فقال: إني يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة ، فخمس بخمسين فقم بها أنت وأمتك قال: فعرفت أنها من الله عز وجل صرّي ، فرجعت إلى موسى عليه السلام فقال: ارجع فعرفت أنها من الله عز وجل صرّى ـ يقول أي حتم ـ فلم أرجع». وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما كان ليلة أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس أتاه جبريل بدابة فوق الحمار ودون

البغل ، حمله جبريل عليها ينتهي خفها حيث ينتهي طرفها ، فلما بلغ بيت المقدس وبلغ المكان الذي يقال له باب محمد صلى الله عليه وسلم ، أتى إلى الحجر الذي ثمة ، فغمزه جبريل بأصبعه فثقبه ، ثم ربطها ثم صعد فلما استويا في صرحة المسجد قال جبريل يا محمد هل سألت ربك أن يريك الحور العين؟ فقال: «نعم». فقال: فانطلق إلى أولئك النسوة ، فسلم عليهن وهن جلوس عن يسار الصخرة ، قال: «فأتيتهن فسلمت عليهن ، فرددن عليّ السلام. فقلت: من أنتن؟ فقلن: نحن خيرات حسان نساء قوم أبرار نقوا فلم يدرنوا. وأقاموا فلم يظعنوا ، وخلدوا فلم يموتوا ، قال: ثم انصرفتُ فلم ألبث إلا يسيراً حتى اجتمع ناس كثير ، ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاة ، قال: فقمنا صفوفاً ننتظر من يؤمنا فأخذ بيدي جبريل عليه السلام فقدمني فصليت بهم ، فلما انصرفت قال جبريل: يا محمد أتدري من صلى خلفك؟ قال: قلت: لا. قال: صلى خلفك كل نبي بعثه الله عز وجل. قال: ثم أخذ بيدي جبريل فصعد بي إلى السماء ، فلما انتهينا إلى الباب استفتح فقالوا: من أنت؟ قال: أنا جبريل ، قالوا ومن معك؟ قال: محمد. قالوا: وقد بعث إليه؟ قال: نعم. قال: ففتحوا له وقالوا: مرحباً بك وبمن معك ـ قال ـ فلما استوى على ظهرها إذا فيها آدم ، فقال لي جبريل: يا محمد ألا تسلم على أبيك آدم؟ قال: قلت: بلى. فأتيته فسلمت عليه فرد عليّ وقال مرحباً بابني الصالح والنبي الصالح. قال: ثم عرج بي إلى السماء الثانية ، فاستفتح فقالوا: من أنت؟ قال جبريل. قالوا: ومن معك؟ قال محمد ، قالوا: وقد بعث إليه ، قال نعم ، ففتحوا له وقال مرحباً بك وبمن معك فإذا فيها عيسى وابن خالته يحيى عليهما السلام. قال: ثم عرج بي إلى السماء الثالثة فاستفتح! قالوا: من أنت؟ قال جبريل ، قالوا: ومن معك؟ قال: محمد ، قالوا: وقد بعث إليه؟ قال: نعم ، ففتحوا له وقالوا: مرحباً بك وبمن معك ، فإذا فيها يوسف عليه السلام ، ثم عرج بي إلى السماء الرابعة فاستفتح قالوا: من أنت؟ قال: جبريل ، فقالوا: ومن معك؟ قال: محمد قالوا: وقد بعث إليه؟ قال: نعم. قال: ففتحوا له وقالوا: مرحباً بك وبمن معك فإذا فيها إدريس عليه السلام. قال: فعرج بي إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل ، فقالوا: من أنت؟ قال: جبريل. قالوا: ومن معك؟ قال محمد ، قالوا: وقد بعث إليه؟ قال: نعم. قال: ففتحوا وقالوا: مرحباً بك وبمن معك. وإذا فيها هارون عليه السلام. ثم عرج بي إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقالوا: من أنت؟ قال: جبريل. قالوا: ومن معك؟ قال: محمد. قالوا: وقد بعث إليه؟ قال: نعم. قال ـ ففتحوا وقالوا: مرحباً بك وبمن معك ، وإذا فيها موسى عليه السلام. ثم عرج بي إلى السماء السابعة ، فاستفتح جبريل فقالوا: من أنت؟ قال: جبريل. قالوا: ومن معك؟ قال: محمد. قالوا: وقد بعث إليه؟ قال: نعم. ففتحوا له وقالوا: مرحباً بك وبمن معك وإذا فيها إبراهيم عليه السلام. فقال جبريل: يا محمد ألا تسلم على أبيك إبراهيم؟ قلت: بلى ، فأتيته فسلمت عليه فرد علي السلام وقال: مرحباً بابني الصالح والنبي الصالح. ثم انطلق بي على ظهر السماء السابعة حتى انتهِيَ بي إلى نهر عليه خيام اللؤلؤ والياقوت والزبرجد ، وعليه طير أخضر أنعم طير رأيت ، فقلت: يا جبريل إن هذا الطير لناعم. قال: يا محمد آكله أنعم منه ، ثم قال: يا محمد أتدري أي نهر هذا؟ قال: قلت: لا. قال: هذا الكوثر الذي أعطاك الله إياه ، فإذا فيه آنية الذهب والفضة يجري على رضراض من الياقوت والزمرد ماؤه أشد بياضاً من اللبن. قال: فأخذت من آنيته آنية من الذهب ، فاغترفت من ذلك الماء فشربت فإذا هو أحلى من العسل وأشد رائحة من المسك. ثم انطلق بي حتى انتهيت إلى الشجرة فغشيتني سحابة فيها من كل لون (فرفضني) جبريل وخررت ساجداً لله عز وجل فقال الله لي: يا محمد إني يوم خلقت السموات

والأرض افترضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة ، فقم بها أنت وأمتك. قال: ثم انجلت عني السحابة فأخذ بيدي جبريل فانصرفت سريعاً ، فأتيت على إبراهيم ، فلم يقل شيئاً ، ثم أتيت على موسى ، فقال: ما صنعت يا محمد؟ فقلت: فرض ربي علي وعلى أمتي خمسين صلاة. قال: فلن تستطيعها أنت ولا أمتك فارجع إلى ربك فاسأله أن يخفف عنك ، فرجعت سريعاً حتى انتهيت إلى الشجرة فغشيتني السحابة ورفضني جبريل وخررت ساجداً وقلت: ربي إنك فرضت عليّ وعلى أمتي خمسين صلاة ولن أستطيعها أنا ولا أمتي فخفف عنا ، قال وضعت عنكم عشراً. قال: ثم انجلت عني السحابة وأخذ بيدي جبريل. قال: فانصرفت سريعاً حتى أتيت على إبراهيم فلم يقل لي شيئاً ، ثم أتيت على موسى فقال لي: ما صنعت يا محمد؟ فقلت: وضع عني ربي عشراً. قال: فأربعون صلاة لن تستطيعها أنت ولا أمتك فارجع إلى ربك فاسأله أن يخفف عنكم. فذكر الحديث كذلك إلى خمس صلوات وخمس بخمسين ثم أمره موسى أن يرجع فيسأله التخفيف فقال: «إني استحييت منه تعالى». قال ثم انحدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل: «ما لي لم آت أهل سماء إلا رحبوا بي وضحكوا لي غير رجل واحد فسلمت عليه فرد علي السلام ورحب بي ولم يضحك لي»؟ قال: يا محمد ذاك مالك ، خازن جهنم ، لم يضحك منذ خلق ولو ضحك إلى أحد لضحك إليك ، قال ثم ركب منصرفاً فبينا هو في بعض الطريق مر بعير لقريش تحمل طعاماً ، منها جمل عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء ، فلما حاذى بالعير نفرت منه واستدارت وصرع ذلك البعير وانكسر ، ثم إنه مضى فأصبح فأخبر عما كان ، فلما سمع المشركون قوله أتوا أبا بكر فقالوا: يا أبا بكر هل لك في صاحبك؟ يخبر أنه أتى في ليلته هذه مسيرة شهر ورجع في ليلته ، فقال أبو بكر رضي الله عنه: إن كان قاله فقد صدق وإنا لنصدقه فيما هو أبعد من هذا ، لنصدقه على خبر السماء. فقال المشركون لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ما علامة ما تقول؟ قال: مررت بعير لقريش وهي في مكان كذا وكذا فنفرت الإبل منا واستدارت وفيها بعير عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فصرع فانكسر. فلما قدمت العير سألوهم فأخبروهم الخبر على مثل ما حدثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ذلك سمي أبو بكر الصديق. وسألوه وقالوا: هل كان فيمن حضر معك موسى وعيسى؟ قال: نعم. قالوا: فصفهم لنا قال: «أما موسى فرجل آدم كأنه من رجال أزد عمان ، وأما عيسى فرجل ربعة سبط تعلوه حمرة كأنما يتحادر من شعره الجمان». هذا سياق فيه غرائب عجيبة. وأما رواية أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة فقد جاء فيها: قال الإمام أحمد: حدثنا عفان ، حدثنا همام قال: سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك أن مالك بن صعصعة حدثه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسري به قال: «بينما أنا في الحطيم ـ وربما قال قتادة في الحجر ـ مضطجعاً إذ أتاني آت ، فجعل يقول لصاحبه الأوسط بين الثلاثة ـ قال ـ فأتاني فقدّ ـ سمعت قتادة يقول فشق ـ ما بين هذه إلى هذه» وقال قتادة فقلت للجارود وهو إلى جنبي: ما يعني؟ قال: من ثغرة نحره إلى شعرته ، وقد سمعته يقول من قصته إلى شعرته قال: «فاستخرج قلبي. قال: فأتيت بطست من ذهب مملوء إيماناً وحكمة فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض» قال: فقال الجارود: هو البراق يا أبا حمزة؟ قال: نعم يقع خطوه عند أقصى طرفه. قال: «فحملت عليه فانطلق بي جبريل عليه السلام حتى أتى بي إلى السماء الدنيا فاستفتح ، فقيل: من هذا؟ قال جبريل ، قيل ومن معك؟ قال محمد. قيل: أوَقد أرسل إليه؟ قال نعم فقيل: مرحباً به ولنعم المجيء عليه. قال: فتح لنا فلما خلصت فإذا فيها آدم عليه السلام ، قال هذا

أبوك آدم فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح فقيل من هذا؟ فقال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال محمد قيل أو قد أرسل إليه؟ قال نعم قيل: مرحباً به ولنعم المجيء جاء قال ففتح لنا ، فلما خلصت فإذا عيسى ويحيى وهما ابنا الخالة ، قال هذان يحيى وعيسى فسلم عليهما. قال: فسلمت عليهما فردا السلام. ثم قالا: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد حتى أتى السماء الثالثة فاستفتح فقيل من هذا؟ فقال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أو قد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به ولنعم المجيء جاء. قال: ففتح لنا ، فلما خلصت فإذا بيوسف عليه السلام. قال: هذا يوسف. قال: فسلمت عليه فرد السلام ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبريل ، قيل ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أو قد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به ولنعم المجيء جاء. قال: ففتح لنا فلما خلصت فإذا إدريس عليه السلام ، قال هذا إدريس. قال: فسلمت عليه فرد السلام ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. قال: ثم صعد حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبريل ، قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل أو قد أرسل إليه؟ قال: نعم ، قيل: مرحباً به ولنعم المجيء جاء ، ففتح لنا فلما خلصت فإذا هارون عليه السلام قال: هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. قال: ثم صعد حتى أتى السماء السادسة فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال جبريل! قيل ومن معك؟ قال محمد. قيل: أو قد أرسل إليه؟ قال: نعم ، قيل: مرحباً به ولنعم المجيء جاء ، ففتح لنا فلما خلصت فإذا بموسى عليه السلام قال: هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. قال: فلما تجاوزته بكى قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي. قال: ثم صعد حتى أتى السماء السابعة فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال محمد. قيل: أو قد بعث إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به ولنعم المجيء جاء ، ففتح لنا فلما خلصت فإذا إبراهيم عليه السلام فقال: هذا إبراهيم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. قال: ثم رفعت إلى سدرة المنتهِيَ فإذا نبقها مثل قلال هجر ، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة ، فقال: هذه سدرة المنتهِيَ ، قال وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان ونهران ظاهران ، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات. قال: ثم رفع إلى البيت المعمور». قال قتادة: وحدثنا الحسن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألفاً ثم لا يعودون فيه ، ثم رجع إلى حديث أنس قال: «ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل. قال: فأخذت اللبن. قال هذه الفطرة أنت عليها وأمتك. قال: ثم فرضت عليّ الصلاة خمسين صلاة كل يوم. قال: فنزلت حتى أتيت موسى ، فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قال: فقلت: خمسين صلاة كل يوم ، قال إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة وإني خبرت الناس قبلك ، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال: فرجعت فوضع عني عشراً. قال: فرجعت إلى موسى فقال: بمَ أمرت؟ قلت بأربعين صلاة كل يوم ، قال: إن أمتك لا تستطيع أربعين صلاة كل يوم ، وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال: فرجعت فوضع عشراً أخر ، فرجعت إلى موسى فقال بمَ أمرت؟ فقلت أمرت بثلاثين صلاة ، قال إن أمتك لا تستطيع ثلاثين صلاة كل يوم

وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال: فرجعت ، فوضع عشراً أخر ، فرجعت إلى موسى ، فقال: بمَ أمرت؟ فقلت: أمرت بعشرين صلاة كل يوم ، قال إن أمتك لا تستطيع عشرين صلاة كل يوم ، وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال: فرجعت فوضع عشراً عني أخر ، فرجعت إلى موسى فقال بمَ أمرت؟ فقلت: أمرت بعشر صلوات كل يوم ، قال: إن أمتك لا تستطيع لعشر صلوات كل يوم ، وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال: فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، فرجعت إلى موسى فقال: بم أمرت قال أمرت بخمس صلوات كل يوم. قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال: قلت قد سألت ربي حتى استحييت ، ولكن أرضى وأسلم ، فنفذت فنادى مناد قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي». وأخرجاه في الصحيحين من حديث قتادة بنحوه. (وأما رواية أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري فجاء فيها): قال الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب دلائل النبوة: حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أبو بكر يحيى بن أبي طالب ، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، حدثنا أبو محمد راشد الحماني عن أبي هارون العبدي ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال له أصحابه: يا رسول الله ، أخبرنا عن ليلة أسري بك فيها. قال: قال الله عز وجل {سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً} الآية: قال: فأخبرهم ، قال: «فبينما أنا نائم عشاء في المسجد الحرام إذ أتاني آت فأيقظني ، فاستيقظت فلم أر شيئاً ، فإذا أنا بكهيئة خيال فأتبعته بصري حتى خرجت من المسجد الحرام ، فإذا أنا بدابة أدنى شبهاً بدوابكم هذه ، بغالكم هذه ، غير أنه مضطرب الأذنين يقال له البراق وكانت الأنبياء تركبه قبلي ، يقع حافره عند مد بصره ، فركبته ، فبينما أنا أسير عليه إذ دعاني داع من يميني: يا محمد انظرني أسألك ، يا محمد انظرني أسألك ، يا محمد انظرني أسألك ، فلم أجبه ولم أقم عليه ، فبينما أنا أسير عليه إذ دعاني داع عن يساري: يا محمد انظرني أسألك ، فلم أجبه ولم أقم عليه ، فبينما أنا أسير إذا أنا بامرأة حاسرة عن ذراعيها وعليها من كل زينة خلقها الله ، فقالت: يا محمد ، انظرني أسألك ، فلم ألتفت إليها ولم أقم عليها حتى أتيت بيت المقدس. فأوثقت دابتي بالحلقة التي كانت الأنبياء توثقها بها. ثم أتاني جبريل عليه السلام بإنائين: أحدهما خمر والآخر لبن ، فشربت اللبن وأبيت الخمر ، فقال جبريل: أصبت الفطرة! أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك ، فقلت: الله أكبر الله أكبر ، فقال جبريل: ما أريت في وجهك هذا؟ قال: فقلت: بينما أنا أسير إذا دعاني داع عن يميني: يا محمد انظرني أسألك فلم أجبه ولم أقم عليه ، قال: ذاك داعي اليهود ، أما إنك لو أجبته أو وقفت عليه لتهودت أمتك. قال: فبينما أنا أسير إذ دعاني داع عن يساري قال: يا محمد انظرني أسألك فلم ألتفت ولم أقم عليه ، قال: ذاك داعي النصارى أما إنك لو أجبته لتنصرت أمتك. قال: فبينما أنا أسير إذا أنا بامرأة حاسرة عن ذراعيها عليها من كل زينة خلقها الله تقول: يا محمد انظرني أسألك فلم أجبها ولم أقم عليها ، قال: تلك الدنيا ، أما إنك لو أجبتها أو قمت عليها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة. قال: ثم دخلت أنا وجبريل بيت المقدس ، فصلى كل واحد منا ركعتين ، ثم أتيت بالمعراج الذي كانت تعرج عليه أرواح بني آدم فلم ير الخلائق أحسن من المعراج أما رأيت الميت حين يشق بصره طامحاً إلى

السماء ، فإنما يشق بصره طامحاً إلى السماء عجبه بالمعراج ، قال: فصعدت أنا وجبريل ، فإذا أنا بملك يقال له إسماعيل وهو صاحب السماء الدنيا وبين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك جنوده مائة ألف ملك ، قال: قال الله عز وجل: {وما يعلم جنود ربك إلا هو} قال: فاستفتح جبريل باب السماء ، قيل: من هذا؟ قال جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: نعم. فإذا أنا بآدم كهيئته يوم خلقه الله عز وجل على صورته ، فإذا هو تعرض عليه أرواح ذريته من المؤمنين ، فيقول: روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها في عليين ، ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار ، فيقول: روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها في سجين ، فمضيت هنيهة فإذا أنا بأخونة عليها لحم مشرح ليس يقربها أحد ، وإذا أنا بأخونة أخرى عليها لحم قذْ أروح وأنتن عندها أناس يأكلون منها ، قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء من أمتك يأتون الحرام ويتركون الحلال ، قال: ثم مضيت هنيهة ، فإذا أنا بأقوام مشافرهم كمشافر الإبل ، قال: فتفتح أفواههم فيلقمون من ذلك الجمر ، ثم يخرج من أسافلهم فسمعتهم يضجون إلى الله عز وجل فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء من أمتك {الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً} قال: ثم مضيت هنيهة ، فإذا أنا بنساء تعلقن بثديهن ، فسمعتهن يضججن إلى الله عز وجل قلت: يا جبريل من هؤلاء النساء؟ قال: هؤلاء الزناة من أمتك. قال: ثم مضيت هنيهة ، فإذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خر فيقول: اللهم لا تقم الساعة. قال: وهم على سابلة آل فرعون ، قال: فتجيء السابلة فتطؤهم ، قال فسمعتهم يضجون إلى الله ، قال: قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء من أمتك {الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس} قال: ثم مضيت هنيهة ، فإذا أنا بأقوام يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمونه ، فيقال له: كل كما كنت تأكل من لحم أخيك ، قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الهمازون من أمتك اللمازون. قال: ثم صعدنا إلى السماء الثانية ، فإذا أنا برجل أحسن ما خلق الله عز وجل قد فضل الناس في الحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، قلت: يا جبريل من هذا ؟ قال: هذا أخوك يوسف ومعه نفر من قومه. فسلمت عليه فرد عليّ. ثم صعدنا إلى السماء الثالثة ، واستفتح فإذا أنا بيحيى وعيسى عليهما السلام ، ومعهما نفر من قومهما ، فسلمت عليهما وسلما عليّ ، ثم صعدنا إلى السماء الرابعة ، فإذا أنا بإدريس قد رفعه الله مكاناً علياً ، فسلمت عليه فسلم عليّ. قال: ثم صعدنا إلى السماء الخامسة فإذا أنا بهارون ونصف لحيته بيضاء ونصفها سوداء تكاد لحيته تصيب سرته من طولها ، قلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا المحبب في قومه ، هذا هارون بن عمران ومعه نفر من قومه ، فسلمت عليه وسلم عليّ. ثم صعدت إلى السماء السادسة ، فإذا أنا بموسى بن عمران رجل آدم كثير الشعر ، لو كان عليه قميصان لنفذ شعره دون القميص ، فإذا هو يقول: يزعم الناس أني أكرم على الله من هذا ، بل هذا أكرم على الله مني. قال: قلت يا جبريل من هذا؟ قال: هذا أخوك موسى بن عمران عليه السلام ومعه نفر من قومه ، فسلمت عليه وسلم عليّ. ثم صعدت إلى السماء السابعة ، فإذا أنا بأبينا إبراهيم خليل الرحمن ، ساند ظهره إلى البيت المعمور كأحسن الرجال ، قلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا أبوك إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ومعه نفر من قومه ، فسلمت عليه فسلم عليّ. وإذا أنا بأمتي شطرين: شطر عليهم ثياب بيض كأنها القراطيس ، وشطر عليهم ثياب رمد قال: فدخلت البيت المعمور ، ودخل معي الذين عليهم الثياب البيض وحجب الآخرون الذين عليهم الثياب السود وهم على خير ، فصليت أنا ومن

معي في البيت المعمور ، ثم خرجت أنا ومن معي. قال: والبيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى يوم القيامة. قال: ثم رفعت إلى سدرة المنتهِيَ ، فإذا كل ورقة منها تكاد تغطي هذه الأمة ، وإذا فيها عين تجري يقال لها سلسبيل فينشق منها نهران (أحدهما) الكوثر (والآخر) يقال له نهر الرحمة ، فاغتسلت فيه فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر. قال إني رفعت إلى الجنة فاستقبلتني جارية ، فقلت: لمن أنت يا جارية؟ قالت: لزيد بن حارثة ، وإذا بأنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفي ، وإذا رمانها كالدلاء عظماً. وإذا أنا بطيرها كأنها بختكم هذه ، فقال عندها صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى قد أعد لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ـ قال ـ ثم عرضت علي النار ، فإذا فيها غضب الله وزجره ونقمته ، لو طرحت فيها الحجارة والحديد لأكلتها ثم أغلقت دوني. ثم إني رفعت إلى سدرة المنتهِيَ فتغشاني فكان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنى. قال: وينزل على كل ورقة منها ملك من الملائكة. قال: وفرضت علي خمسون صلاة ، وقال: لك بكل حسنة عشر ، فإذا هممت بالحسنة فلم تعملها كتبت لك حسنة ، فإذا عملتها كتبت لك عشراً ، وإذا هممت بالسيئة فلم تعملها لم يكتب عليك شيء ، فإن عملتها كتبت عليك سيئة واحدة. ثم رجعت إلى موسى فقال بم أمرك ربك؟ فقلت: بخمسين صلاة. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فإن أمتك لا تطيق ذلك ، ومتى لا تطيقه تكفر ، فرجعت إلى ربي فقلت: يا رب خفف عن أمتي ، فإنها أضعف الأمم ، فوضع عني عشراً وجعلها أربعين ، فما زلت أختلف بين موسى وربي كلما أتيت عليه قال لي مثل مقالته ، حتى رجعت إليه ، فقال لي: بم أمرت؟ فقلت: أمرت بعشر صلوات. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فناداني عندها تممت فريضتي وخففت عن عبادي وأعطيتهم بكل حسنة عشر أمثالها. ثم رجعت إلى موسى فقال: بم أمرت؟ فقلت بخمس صلوات. قال: ارجع إلى ربك فإنه لا يؤوده شيء ، فاسأله التخفيف لأمتك ، فقلت: رجعت إلى ربي حتى استحييت. ثم أصبح بمكة يخبرهم بالأعاجيب: إني أتيت البارحة بيت المقدس وعرج بي إلى السماء ، ورأيت كذا وكذا ، فقال أبو جهل يعني ابن هشام: ألا تعجبون مما قال محمد؟ يزعم أنه أتى البارحة بيت المقدس ، ثم أصبح فينا وأحدنا يضرب مطيته مصعدة شهراً ومقفلة شهراً ، فهذه مسيرة شهرين في ليلة واحدة ، قال: فأخبرتهم بعير لقريش لما كنت في مصعدي رأيتها في مكان كذا وكذا ، وأنها نفرت ، فلما رجعت وجدتها عند العقبة ، وأخبرهم بكل رجل وبعيره كذا وكذا ، ومتاعه كذا وكذا ، فقال أبو جهل: يخبرنا بأشياء ، فقال رجل منهم: أنا أعلم الناس ببيت المقدس ، وكيف بناؤه وهيئته ، وكيف قربه من الجبل ، فإن يك محمد صادقاً فسأخبركم وإن يك كاذباً فسأخبركم ، فجاء ذلك المشرك فقال: يا محمد أنا أعلم الناس ببيت المقدس فأخبرني: كيف بناؤه ، وكيف هيئته ، وكيف قربه من الجبل؟ قال: فرفع لرسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المقدس من مقعده ، فنظر إليه كنظر أحدنا إلى بيته. قال: بناؤه كذا وكذا ، وهيئته كذا وكذا ، وقربه من الجبل كذا وكذا ، فقال الآخر: صدقت ، فرجع إليهم فقال: صدق محمد فيما قال أو نحواً من هذا الكلام. وإذا حصل الوقوف على مجموع هذه الأحاديث صحيحها وحسنها وضعيفها ، يحصل مضمون ما اتفقت عليه من مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس وأنه مرة واحدة ، وإن اختلفت عبارات الرواة في أدائه ، أو زاد بعضهم فيه أو نقص منه! فإن الخطأ جائز على من عدا الأنبياء عليهم السلام ، ومن جعل من الناس كل رواية خالفت الأخرى مرة على

حدة ، فأثبت إسراءات متعددة فقد أبعد وأغرب ، وهرب إلى غير مهرب ، ولم يتحصل على مطلب. قال موسى بن عقبة الزهري: كان الإسراء قبل الهجرة بسنة ، وكذا قال عروة. وقال السدي: بستة عشر شهراً ، والحق أنه عليه السلام أسري به يقظة لا مناماً من مكة إلى بيت المقدس راكباً البراق ، فلما انتهِيَ إلى باب المسجد ، ربط الدابة عند الباب ودخله ، فصلى في قبلته تحية المسجد ركعتين ، ثم أتى بالمعراج وهو كالسلم ذو درج يرقى فيها فصعد فيه إلى السماء الدنيا ثم إلى بقية السموات السبع فتلقاه من كل سماء مقربوها وسلم على الأنبياء الذين في السموات بحسب منازلهم ودرجاتهم ، حتى مر بموسى الكليم في السادسة ، وإبراهيم الخليل في السابعة ، ثم جاوز منزلتهما صلى الله عليه وسلم وعليهما وعلى سائر الأنبياء حتى انتهِيَ إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام أي أقلام القدر بما هو كائن ، ورأى سدرة المنتهِيَ وغشيها من أمر الله تعالى عظمة عظيمة من فراش من ذهب وألوان متعددة وغشيتها الملائكة ورأى هناك جبريل على صورته وله ستمائة جناح ورأى رفرفاً أخضر قد سد الأفق ، ورأى البيت المعمور، وإبراهيم الخليل باني الكعبة الأرضية مسند ظهره إليه ، لأنه الكعبة السماوية يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يتعبدون فيه ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة. ورأى الجنة والنار فرض الله عليه هنالك الصلوات خمسين ثم خففها إلى خمس رحمة منه ولطفاً بعباده ، وفي هذا اعتناء عظيم بشرف الصلاة وعظمتها. ثم هبط إلى بيت المقدس وهبط معه الأنبياء فصلى بهم فيه لما حانت الصلاة ، ويحتمل أنها الصبح من يومئذ ، ومن الناس من يزعم أنه أمهم في السماء ، والذي تظاهرت به الروايات أنه ببيت المقدس ، ولكن في بعضها أنه كان أول دخوله إليه. والظاهر أنه بعد رجوعه إليه لأنه لما مر بهم في منازلهم جعل يسأل عنهم جبريل واحداً واحداً ، وهو يخبره بهم وهذا هو اللائق لأنه كان أولاً مطلوباً إلى الجناب العلوي ليفرض عليه وعلى أمته ما يشاء الله تعالى ، ثم لما فرغ من الذي أريد به اجتمع به هو وإخوانه من النبيين ثم أظهر شرفه وفضله عليهم بتقديمه في الإمامة ، وذلك عن إشارة جبريل عليه السلام له في ذلك. ثم خرج من بيت المقدس فركب البراق وعاد إلى مكة بغلس! والله سبحانه وتعالى أعلم وأما عرض الآنية عليه من اللبن والعسل أو اللبن والخمر ، أو اللبن والماء أو الجميع فقد ورد أنه في بيت المقدس وجاء أنه في السماء. ويحتمل أن يكون ههنا وههنا لأنه كالضيافة للقادم ، والله أعلم. ثم اختلف الناس: هل كان الإسراء ببدنه عليه السلام وروحه، أو بروحه فقط؟ على قولين ، فالأكثرون من العلماء على أنه أسري ببدنه وروحه يقظة لا مناماً ، ولا ينكرون أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى قبل ذلك مناماً ثم رآه بعد يقظة ، لأنه كان عليه السلام لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، والدليل على هذا قوله تعالى: {سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله} فالتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام ، فلو كان مناماً لم يكن فيه كبير شيء ، ولم يكن مستعظماً ، ولما بادرت كفار قريش إلى تكذبيه ، ولما ارتدت جماعة ممن كان قد أسلم ، وأيضاً فإن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد ، وقال تعالى {أسرى بعبده ليلا} وقال تعالى: {وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس} قال ابن عباس: هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به ، والشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم ، رواه البخاري ، وقال تعالى: {ما زاغ البصر وما طغى} والبصر من آلات الذات لا الروح ، وأيضاً فإنه حمل على البراق وهو دابة بيضاء براقة لها لمعان! وإنما يكون هذا للبدن لا للروح لأنها لا تحتاج في حركتها إلى مركب تركب عليه ، والله أعلم).هـ.

رحم الله الإمام ابن كثير ، فلقد اجتهد اجتهادا عظيما في نقل هذه الروايات وتحقيقها والتأليف بينها. وكان دوري بعد النقل عنه هو إيراد الروايات والتصرف اليسير في اختصار العنعنات والمكرر من الأخبار في كل رواية جهد المستطاع! وأبكي كما يبكي ملايين المسلمين على أن يكون المسجد الأقصى مسرى النبي – صلى الله عليه وسلم – في أيدي يهود وتحت إمرتهم!! وأسأل الله تعالى أن يحرر المسجد الأقصى الأسير وكل مسجد أسير هيمن عليه طواغيت الأرض لتكون الكلمة فيه كلمتهم يرددها فيه مرتزقتهم! وفي خطبة له بعنوان: (انتفاضة الأقصى ومصير الأمة) يقول الأستاذ صالح بن حميد ما نصه: (منذ أن ظهرت الحضارات الإنسانية وميزان القوى لا يستقر على حال ، أممٌ تكون في الصدارة ، ثم تمسي فإذا هي في غير القافلة ، وأخرى لم تكن شيئاً مذكوراً ، فإذا هي تترقى في أوج العظمة وقمم المجد. إنها أيام الله يداولها بين الناس ، هذا التداول بإذن الله وأمره يخضع لسُنن من الله شتى: (وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً). إن حركة التاريخ في السنن والنواميس تعطي أُفُقاً واسعاً للنظر والتأمل والتدبر ، أسبابٌ تجتمع بإذن الله ، فيكون باجتماعها انتصار وقوة ، ثم تجتمع بطريقة أخرى ليكون بها التشرذم والانحسار والضعف ، لا مفر من سنن الله العاملة في التاريخ ، فهي لن تحابي أحداً: (أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ). ومن منظور هذه السنن ، وبتأمل هذه النواميس شاء الله سبحانه أن يجعل بيت المقدس مسرى نبيه محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، ومنطَلَق المعراج إلى السماء في رحلة النبي الأكرم محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، ولأمرٍ حكيمٍ شاء سبحانه أن يجعل بيت المقدس قِبلة المسلمين الأولى منذ فُرضت الصلاة في العهد المكي وثمانية عشر شهراً من العهد المدني ، وهو ما يزيد على نصف سِنِيِّ البعثة المحمدية. ثم لأمرٍ حكيم وحكمة عظيمة تسلَّم العبقري الملهم الخليفة الراشد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه مفاتيح بيت المقدس من دون سائر المدائن التي فتحها الله على المسلمين ، إنه التمييز الواضح ، والخصوصية الخاصة ، والإعلان الصريح لهذه المدينة المقدسة. لما لهذه المدينة المقدسة من منزلة كبرى في دين الإسلام وتاريخ المسلمين. للمسجد الأقصى وقصة الإسراء خبرٌ خاص ، وسورة كاملة في قلب مصحفنا ، إنها سورة الإسراء: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ). رباطٌ قرآني محكم بين هاتين المدينتين المقدستين ، واتصالٌ ديني وثيق بين مكة المكرمة والقدس الشريف ، ورباطٌ مقدس بين أقدس بقعتين فيهما الكعبة المشرفة والمسجد الأقصى ، رباطٌ إلهي وثيق وما وصله الله لا ينقطع. بيت المقدس ربوة مباركة ذات قرار ومعين ، أرضٌ مقدسة ، قبلة الأمة المسلمة ، وبوابة السماء ، وميراث الأجداد ، ومسئولية الأحفاد ، معراج محمدي ، وعهدٌ عمري ، دار الإسلام ، بها يُجَسَّد تراث الأمة ، ويُحَدَّد مستقبلها ، ويثبت وجودها. إلى مسجدها تُشَدُّ الرحال ، ومن قبله تشد الأبدان والنفوس والأفئدة. فتحه المسلمون بعد وفاته عليه الصلاة والسلام بست سنوات ، وحكموه قروناً طويلة ، ثم احتله الصليبيون تسعين عاماً ، فأخرجهم صلاح الدين رحمه الله. وهذه الأيام يحتله يهود ، ولن يخرجوا والله إلا بصلاح الدين! لقد حَكَم المسلمون هذه المدينة المباركة هذه الأحقاب الطويلة ، فما هدموا بيتاً لساكن ، ولا معبداً لمتعبد ، التزموا بتعاليم دينهم ، احترموا كل ذي عهدٍ وعقدٍ وذمة ، وفاءً للعهد العمري ، استمعوا رعاكم الله إلى هذا النص من هذا العهد العمري: (بسم الله الرحمن الرحيم ـ هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان ، أعطاهم أماناً

لأنفسهم ، وأموالهم ، وكنائسهم ، وصلبانهم ، سقيمها وبريئها ، وسائر ملتها ألا تسكن كنائسهم ، ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا مِن حيزها ، ولا مِن صليبهم ، ولا مِن شيءٍ مِن أموالهم ، ولا يُكرَهون على دينهم ، ولا يضارَّ أحدٌ منهم ، على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم ، شهد على ذلك: خالد بن الوليد ، عمرو بن العاص ، عبد الرحمن بن عوف ، معاوية بن أبي سفيان ، عمر بن الخطاب ، سنة خمس عشرة من الهجرة ، شهد على ذلك وكتب وحضر.) رضي الله عنهم جميعاً وأرضاهم ، ورضي عن جميع صحب محمد صلى الله عليه وسلم. لقد تضمن العهد العمري حرية المعتقَد ، وحرية السكنى ، وحرية التنقل ، وهو عهدٌ منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة ، لم يكن متأثراً بشعارات حقوق الإنسان المنافقة في عصرنا ، ولكنها كانت تطبيقاً لمنهج الإسلام في التعامل الراقي المقسط مع أهل الأديان الأخرى. لقد أصبحت القدس الشريفة وسكانها من مختلف الديانات في حماية المسلمين ، يحافظون عليها ، ويدافعون عنها وعمن فيها ، هذا حديث أهل الإسلام ، وحكمهم ، وتاريخهم ، هذا حديثنا ، وحكمنا ، وتاريخنا أما اليوم فبيت المقدس يجري فيه ما لم يحدث على أيدي أي غزاة في تاريخ البشرية كلها ، ولم يجرِ ذلك في تاريخ بيت المقدس الممتد آلاف السنين ، لم يفعل غازٍ أو محتل مثلما فعله ويفعله اليهود اليوم ، وليس بعد شهادة التاريخ من شهادة ، وليس مَن رأى كمَن سمع على ما تشاهدون في هذه الأيام ، بل في هذه الساعات. احتلوا القدس الشريف منذ أكثر من ستين عاماً ، فأحرقوا المسجد الأقصى ، ونسبوا ذلك إلى معتوه مختل العقل ، وكأن المجانين لا يخرجون إلا على مقدسات المسلمين. أما أعمال الحفر والهدم والتخريب حول المسجد فهي متواصلة منذ أن وطئت أقدامُهم قدسَنا ولا تزال. انبعث باعثٌ منهم ليحصد المصلين من المسلمين وهم يصلون في مسجد الخليل، فقتلهم وهم ركعٌ سجود. ومنذ أيام والمسلمون في صلاة الجمعة أُطْلِقَت النار على المصلين وهم في رحاب المسجد الأقصى ؛ ليسقط العديد من القتلى والجرحى. هُدِّمت الأبنية والآثار الإسلامية في سعي دائمٍ وحثيث لإزالة المعالم وتغيير الهوية. وفي هذه الأيام يخطر تصرفٌ استفزازي يُوصَف بأنه شاذ ، مع أنه مدعومٌ من جهاتهم الرسمية ، تصرفٌ أسال الدماء ، وفجَّر الحرب ، وأزهق الأرواح ، إنه ليس تصرفاً من مختل العقل ، وليس تصرفاً فردياً ، ولكنه تصرف متكرر يتمثل في اعتداءاتٌ وانتهاكاتٌ في صورٍ فظيعة ، تجعل من حق المظلوم أن يستخدم كل سلاحٍ ممكن لحماية نفسه ، مظلومٌ احتلت أرضه يقابل جيشاً مدججاً بكل أنواع الأسلحة والآليات الفتاكة ، يقابله أطفال وشباب أحداث ، ليس لهم حيلة إلا العصي والحجارة والصراخ ؛ ليدافعوا عن أنفسهم ومقدساتهم وأرضهم ومنازلهم. كلٌّ يدعي التسامح ، وكلٌّ يزعم الديمقراطية ، وكلٌّ يتشبث بحقوق الإنسان في هذا القرن ، قرن التحضر ، وقرن المدنية ، قرن المواثيق الدولية والقرارات الأممية ؛ ولكن العمل والواقع والأرض والتاريخ هو الذي يصدِّق ذلك أو يكذِّبه. دماءٌ تراق ، وحصدٌ للأرواح من المدنيين العزل في أماكن العبادة والشوارع والطرقات والساحات العامة ، بل صواريخ وقنابل داخل المنازل والشقق وحربٌ من الأرض والبحر والسماء).هـ. شكر الله للأستاذ صالح بن حميد غيرته على المسجد الأقصى! والآن لنتابع قصيدتنا ونعتذر عن المقدمة الطويلة!)

متـــى يُـــدرك الأعـــرابُ مُعجـــزة الإســـرا؟ ويَحيَـــوْن فـــي آمـــال عزتهـــا الكبـــرى؟

متـــى يُعمِلـــون الفكـــر فـــي كُنـــه رحلـــةٍ ... لَكَـــم مَحّصـــتْ قلبـــاً ، وكـــم حيّـــرتْ فكـــرا؟

متـــى يعلمـــون القصـــد منـــه حقيقـــة ... ويســـتقرئون الفهـــم والـــزاد والخُبْـــرا؟

متـــى يَعرفـــون الحـــق فـــي غيـــر شُـــبهةٍ ... ويَســـتلهمون الـــدرسَ والهَـــدْيَ والخَيـــرا؟

متـــى يفهمـــون الكيـــد يُـــودي بعيشـــهم ... ويســـتأنفون الجـــدّ والعـــزم والســـيرا؟

متـــى يَحْطمـــون الجهـــلَ يُـــزري بشـــأنهم ... ويســـتنبطون النّهـــي فـــي الشـــرع والأمـــرا؟

وكيـــف ، ونـــارُ الفســـق تشـــوي ديـــارهم ... وأصـــقاعهم تســـتعذب القُـــبح والشـــرا؟

وكيـــف يُفيـــق اليـــومَ جيـــلٌ مُضـــلّلٌ ... أضـــاع - علـــى اللـــذات - فيمـــا أرى العُمـــرا؟

وكيـــف لعقـــل أن يفكـــر لحظـــة ... وإن علـــى أبوابـــه الحَـــوْب والـــوِزرا؟

وكيـــف لكســـلانٍ تحقـــقُ مـــأربٍ ... وأمســـى خُـــواء مِـــن عزائمـــه صِـــفرا؟

وكيـــف لـــدار قـــد تمـــرّق مجـــدُها ... بـــأن تـــدعيْ الأمجـــادَ والعِـــز والفخـــرا؟

ألا إن شـــرع الله - فـــي الـــدار - مُهـــدرٌ ... ومعظـــم أهـــل الـــدار يَســـتهجنُ الـــذكرا

ومـــا حـــرّم الـــرحمنُ فـــي الـــدار مُعلـــنٌ ... أحلـــوا الزنـــا والنهـــب والقتـــلَ والخَمـــرا

ويُهجـــرُ قـــرآنُ المليـــك ودينـــه ... لنسترضـــيَ الظلـــمَ المُعـــاديَ والكُفـــرا

ويُســـجَن مَـــن يـــدعو لخيـــر وقيمـــةٍ ... ويُعفـــى الـــذي يُعلـــن الـــدعارة والعُهـــرا

فيـــا ليـــت شـــعري ، هـــل نتـــوق لنهضـــةٍ؟ ... وهـــل نرتجـــي يومـــاً علـــى المُعتـــدي نصـــرا؟

ويـــا ليـــت شـــعري هـــل ســـنعلو لقمـــةٍ؟ ... وهـــل يـــا تـــرى يبقـــى لنـــا الشـــأنُ والـــذكرى؟

تعالـــت هتافـــاتُ الـــدعاة ألا انهضـــوا ... وســـيروا وراء الحـــق والصـــحوة الكبـــرى

وعمّـــتْ كتابـــاتُ الأماجـــد أرضـــنا ... ولكـــنّ جـــيلاً ضـــائعاً جِـــدّ لا يقـــرا

وفـــي كـــل صُـــقع صـــرخة ونصـــائحٌ ... ولكنهـــا لـــم تلـــق ســـمعاً ولا فكـــرا

وفـــي كـــل نـــادٍ شـــاعرٌ وقصـــيدة ... وأعرابُنـــا قـــد خاصـــموا العلـــم والشـــعرا

وفـــــي كـــــل وادٍ قصـــــة وروايـــــة ... وأعرابُنـــــا مَلـــــوا الحِكايـــــة والنثـــــرا

وقـــد يُعـــذر الجهـــالُ إذ لـــم يعلمـــوا ... ولكـــنّ أهـــل العلـــم قـــد عِـــدموا العُـــذرا

وكـــم مـــن نـــذير فـــي الأنـــام يَـــردّهم! ... ولكـــنّ ميّـــتَ القلـــب يحتقـــر النّـــذرا

وكـــم مـــن بشـــير رجّـــع الـــدهرُ جهـــره! ... ولكـــنْ خبيـــث الـــنفس يســـتثقل البُشـــرى

حنانيـــكَ يـــا هـــذا القطيـــعُ ، ولا تثـــرْ ... ولا تحتقـــرْ يـــا عبـــدُ فـــي دارنـــا الحُـــرا

خَـــدَعتَ الـــورى فـــي كـــل حفـــل منمّـــق ... بإســـراء مولانـــا ، وضـــمّخته عطـــرا

ويبـــرأ مـــن تغريـــركم ذاك (أحمـــدٌ) ... وهـــل بالأغـــاني تلـــك يُفتكـــر الإســـرا؟

ففـــي كـــل عيـــدٍ للحنيفـــة محفـــلٌ ... ورقـــصٌ وتمثيـــلٌ يزيـــد الـــورى دُعـــرا

ومَســـرى النبـــي اليـــوم فـــي قبضـــة العـــدا ... متـــى يـــا ديـــار العُـــرب ينطلـــق المَســـرى؟

لقـــد طـــال ليـــلُ القـــدس فـــي غيهـــب الـــدجى ... وأحبابُنـــا فـــي دارهـــم أصـــبحوا أســـرى

يُـــذبّح أطفـــالُ الغطـــاريف عُنـــوة ... وتُســـبى نســـاءُ الصِّـــيد: كارثـــةً كبـــرى!

وتُهـــدم دُورُ الشَّـــم فـــي كـــل مَعقـــل ... مُسلســـلُ هُـــودٍ يمـــلأ المنتـــدى غَـــدرا

وإفســـادُهم فـــي الأرض عـــاتٍ مـــدمرٌ ... تمـــادى ، فلـــم يتـــرك - بـــلا مســـرح - شـــبرا

ففـــي كـــل صُـــقع مَســـبحٌ وشـــواطئ ... وإن لهُـــودٍ فـــي حيـــاة الـــورى مَكـــرا

وفـــي كـــل دار لليهـــود مصـــارفٌ ... ومـــالٌ وفيـــرٌ يُتقنـــون بـــه الـــدوْرا

وفيهـــا مـــلاهٍ لليهـــود وحانـــةٌ ... ومـــن ذا الـــذي يـــدري لهـــا فـــي الـــدنا حَصـــرا؟

تعـــددتِ الأســـماءُ ، والكيـــدُ مُشـــهرٌ ... وباطـــلُ هـــودٍ فـــي مرابعنـــا استشـــرى

فهـــم ســـرقوا المَســـرى بعلـــم رجالنـــا ... وكـــم ذبّحـــوا الأبطـــال! واستشـــهِدوا (صـــبرا)!

وننســـى المآســـيْ فـــي مناســـبة الإســـرا! ... ومســـجدُنا الأقصـــى بأيـــدي العِـــدا دهـــرا

حنانيـــكَ يـــا مســـرى الحبيـــب ، فـــإنني ... أنـــاقش تاريخـــاً - بالـــذي قلتُـــه - أدرى

فبـــالأمس كانـــت للـــديار مكانـــة ... وكـــل تَقـــي كـــان يستســـهل العُســـرا

وكنـــا نجـــوب المُـــذْلهمّاتِ فـــي ثُقـــىً ... وكـــل شـــجاع كـــان يســـتعذب الصَّـــدرا

ولـم نخـش مـا يخشـى الـورى فـي كريهـةٍ ... ولكـنْ جِـلادٌ يحتـوي فـي الـوغى الصَّـبرا

فإمـــا انتصـــارٌ يرفـــع الـــدين عاليـــاً ... وإمـــا ممـــاتٌ ، نحـــن نلتحـــفُ القبـــرا

وكانـــت جيـــوشُ الفـــاتحين منيعـــةً ... تصـــول كبحـــر صـــارعَ المَـــدّ والجَـــزرا

تَـدكُّ حصـون الكفـر لـم تخـش بأسهـا ... وتُمســـي تُـــذيق المعتـــدى الأســـر والنحـــرا

تَكِـــرُّ علـــى الأعـــداء فـــي كـــل موقـــع ... وحـــقَّ لهـــا أن تُـــتقن الضَّـــرب والكـــرا

وتَفـــــتح باســـــم الله دُوراً بأهلهـــــا ... وأجنادنـــا بالعـــدل - فـــي حـــربهم - أحـــرى

ســـلامٌ علـــى مَـــن مـــات مـــنهم موحّـــداً ... فكـــم نـــوّروا الـــدنيا ، وكـــم جبَـــروا الكســـرا

ويَشـــهد (قســـطنطينُ) بالعـــدل شِـــيمة ... ويَشـــهد بـــالأخلاق - فـــي جنـــدنا - (كِســـرى)

وتاريخُنـــا غـــضُ الصـــحائف شـــاهدٌ ... وبـــالبغي - دون الحـــق - لـــم يشـــتمل ســـطرا

عففنـــا عـــن الـــدنيا وأغـــراض أهلهـــا ... وللجنـــة الزهـــرا جعلنـــا التّقـــى مَهـــرا

وجُـــدْنا لأهـــل الأرض بـــالخير فائضـــاً ... ولـــم نخـــش إقـــلالاً يُـــذل ولا فقـــرا

وفـــي الحـــرب لـــم نقتـــل صـــغاراً بهـــا ولا ... نســـاءً ، وأحســـنّا معاملـــةَ الأســـرى

وفـــي الســـلم لـــم نهـــدم صـــوامعهم ولا ... كنائســـهم ، كـــلا ، ولـــم نُســـقهم قهـــرا

ولـــم نحـــرق الـــزرع البهـــيج بأرضـــهم ... دُحـــوراً ، ولـــم نـــردمْ مُحيطـــاً ولا بحـــرا

ولـــم نشـــترع فـــي الحـــرب شـــرعاً مخالفـــاً ... هُـــدانا ، ولـــم نهـــدمْ بنـــاءً ولا جســـرا

ولـــم نتســـورْ حائطـــاً لجماعـــةٍ ... ولـــم نكـــو بـــالنيران بطنـــاً ولا ظهـــرا

وكنـــا نُـــداوي كـــل جُـــرح وطعنـــةٍ ... ونبـــذل مـــا بالوســـع ، نشـــقى لكـــي يبـــرا

ونحمِـــل عـــن أعـــدائنا مـــا يُضـــيرُهم ... إذا ســـالمونا ، بـــل ونغـــدو لهـــم ذُخـــرا

ونـــردعُ مَـــن يســـعى لفوضـــى وفتنـــةٍ ... ونُعمِـــل فـــي أعوانـــه ســـيفنا دحـــرا

ونقمـــع مَـــن يحيـــا لتوطيـــد شُـــبهةٍ ... ونشـــبعه دحضـــاً ، ونُلقِمُـــه الصَّـــخرا

ونَكبـــتُ مَـــن أبـــدى علـــى النـــاس بدعـــةً ... ونغمُـــر بالإقنـــاع بدعتـــه جَمـــرا

ونضـــربُ مَـــن يســـعى لإيجـــاد منكـــر ... ولا نمهـــل البـــاغين عامـــاً ولا شـــهرا

ونُـــرخص - فـــي الله الجليـــل - نفوســـنا ... وإن فَقـــدتْ فـــي الله ، لا لـــم تكـــن خُســـرا

ونجعـــل قـــرآن المليـــك دليلنـــا ... ويجعـــل هـــذا - فـــي البرايـــا - لنـــا قَـــدرا

وسُـــنة خيـــر الخلـــق أيضـــاً مَعينُنـــا ... ويقصـــدها - فـــي النـــاس - مَـــن ينشـــد الخيـــرا

ولا نبتغـــي غيـــر الحنيفـــة منهجـــاً ... ويَنهجُـــه - فـــي الأرض - مَـــن ينشـــر البِّـــرا

ومَـــن يلـــتمسْ - فـــي الكـــون - دينـــاً خِلافـــه ... يَضِـــل الهُـــدى عمـــداً ، ويَتبـــع الكُفـــرا

وربُّ البرايـــا أنـــزل الـــذكر هاديـــاً ... وفصَّـــل للإنســـان آياتـــه الغُـــرا

فقـــومٌ هـــدى اللهُ القـــديرُ نفوسَـــهم! ... قليـــلٌ هُـــمُ - فـــي النـــاس – مـــا بلغـــوا النّـــذرا

وقـــومٌ أزاغ الله ربـــي قلـــوبهم! ... وقـــد مُلئـــت آذانهـــم بـــالهوى وقـــرا

ولـــم يشـــعروا أن الهـــوان حليـــفُهم ... ولـــم يبـــذلوا - فـــي الكـــرب - مِـــن آهـــةٍ حَـــرى

فيـــا ويحهـــم ، ضـــلوا وضـــاعتْ ديـــارُهم ... وأمســـى عـــذابُ المفتـــري مـــنهمُ نُكـــرا

فهـــلا يُفيـــق الأتقيـــاءُ لـــدورهم ... وينتشـــلون النـــاس مـــن طامـــةٍ كُبـــرى

وهـــل ينبـــري كـــل الـــدعاة لغـــزوةٍ ... يُعيـــدون فيهـــا - رغـــم ضـــعف القُـــوى - بـــدرا؟

وهـــل تغمـــر النـــاس الجهولـــة دعـــوةٌ ... تُبصّـــر أعمـــىً -عـــن هُـــدى المصـــطفي- غِـــرا؟

وهـــل يَلمـــس العُبـــدانُ - فينـــا - إباءنـــا ... ويَرقـــبُ ضُـــلالُ الـــورى ســـادةً غَـــرا؟

وهـــل نقتفـــي آثـــار صـــحب نبينـــا ... وأخبـــارهم ، يـــا أهـــلُ فـــي الكتـــب الصَّـــفرا؟

وهـــل نغمـــر الـــدنيا بعـــدل شـــريعةٍ؟ ... وقـــد مُلئـــت - مِـــن خـــذلنا للـــورى - جَـــوْرا

وهـــل نُتحِـــف الآدابَ بالشـــرع حِســـبةً ... ونُـــوفي بـــإخلاص لأخلاقنـــا النّـــذرا؟

فنســـلكها دربـــاً ، ونـــدعو لنهجنـــا ... ونجعلهـــا نهجـــاً ، وقـــد أصـــبحتْ حِبـــرا

وهـــل نعتنـــي باللـــب يومـــاً لنســـتمي؟ ... أمَ انـــا سنقضـــي العُمـــر نقتلـــع القِشـــرا؟

أمـــا زال بعـــضُ النـــاس يُبـــدي عيوبنـــا ... ويَحفـــر قبـــراً للســـجايا هنـــا حفـــرا؟

ويصـــرعُ فكـــراً مســـتنيراً وسُـــمعة ... ويصـــهر ألبابـــاً - نبـــاهي بهـــا - صَـــهرا

ويـــزعُمُ أن الحـــق يعلـــو لأفقـــهِ ... ذبابـــاً غـــدونا ، ثـــم هـــذا غـــدا نســـرا

ولا تفقـــه النـــاسُ الكثيـــرة فقهـــه ... ولا نصـــفه ، كـــلا ، ولا فقهـــوا العُشـــرا

ويُقنـــع مَـــن يلقـــاه بـــالأمر يُمضِـــهِ ... ويُحيـــي مـــع الهَلكـــى مناســـبة الإســـرا

ويَمقـــتُ إســـراءُ الرســـول ســـلوكَه ... أيـــأتي فعـــال الليـــث مَـــن غـــدا هِـــرا؟

وهـــل بابتـــداع يُنصـــر الـــدينُ لحظـــة؟ ... ألا باتبـــاع المصـــطفي نُـــرزَق النصـــرا

وهـــل يُـــرزقُ النصـــرَ المبـــينَ مُخـــادعٌ؟ ... وهـــل يُـــرزقُ التمكـــينَ مَـــن يَحبـــك الختـــرا؟

وهـــل عبقـــريٌ مَـــن يجِـــنّ إلـــى الثـــرى ... حنينـــاً ، ويُلقـــي أســـفل النعـــلِ الـــدُّرا؟

وهـــل طـــائعٌ لله عبـــدٌ مفـــتنٌ ... وخمرتـــه نشـــوى لتُغرقـــه سُـــكرا؟

ويُثنـــي علـــى نـــذل أعـــان علـــى هـــوىً ... ويَلقـــاه جَـــزلاً ، ثـــم يُوسِـــعُه شُـــكرا

وهـــل ألمعـــيٌ مَـــن يُحـــامي عـــن الغُثـــا ... وقـــد أصـــبح المـــأفون -فـــي ســـاحهم- عَيـــرا؟

حنانيـــكَ يـــا مســـرى النبـــي ، فـــإنني ... أغالـــب - فـــي شـــعري - الكآبـــة والقهـــرا

تســـاميتُ حتـــى قيـــل ذا متكبـــرٌ ... وقصَّـــدتُ حتـــى قيـــل لا يُحســـن الشِّـــعرا

مُنـــاخ التـــداجي بعثـــرَ الآن فكرتـــي ... فلملمتُهـــا حتـــى أبَلغهـــا النّشـــرا

وعُـــذراً رســـول الله عـــن أخطائهـــا ... فلـــو كنـــتَ - بـــين النـــاس - تَعـــذرني عُـــذرا

فلعلك باخع نفسك!

(أحسن ذلك الرجل الطيب المبارك الظن بقوم يلعبون به عقدين من الزمان. وظل هذا المحسنُ الظن يلعب بالنار حتى احترق. وبقدر ما أحسن الظن أخذ يلوم نفسه لوماً عاتياً! فقلتُ له: لعلك باخع نفسك من فرط اللوم. فهوّن عليك ، واستفد من الدرس ، واستدرك أمرك ، واهجر الأوباش. واعلم بأن هذا كله لرفع الدرجات وتكفير السيئات. وكن كما أنت ، على عطائك وبذلك ، وعلى جودك وكرمك ، ولا تحسن الظن بمن بدتْ جلية علامات هزله وعبثه ، وظهرت واضحة للعيان أمارات نذالته وخسته ، بغير مبرر ولا إكراه! ولا تهلك نفسك ، بل استقبل ما استدبرت من أمرك!)

كيف تطوي إباءك الضراءُ؟ ... يا أبياً أودى به الأدعياءُ؟

كنتَ أحسنتَ بالمناكيد ظناً ... فإذا هم مصائبٌ وبلاء

وبنيتَ اليقينَ - فيهم - سراباً ... فتهاوى بما ظننتَ البناء

كيف ترجو من الغفاة رشاداً؟! ... صاح إن الأوباش فعلاً غثاء

لا يلامُ الأنذالُ ، أنت ملومٌ ... فتحمّل صرعى إليك أساؤوا

وتسلح بالصبر إن رُمت نُصحاً ... يعشق الصبرَ في الأذى الحكماء

وتجلدْ في المُعضلاتِ ، وأكثرْ ... من دعاء الرحمن ، نعم العزاء!

أنت أولى بكل سمتٍ جميل ... فاحتمل ، لا يلعبْ بك السفهاء

دعك منهم ومن فعالٍ أتوْها ... كن أبياً ، لا يُثنك اللؤماء

خفف اللوم ، آهةَ القلب ثَكلى ... والعتابُ يختال فيه الشقاء

باخعٌ أنت النفسَ قهراً وحزناً ... وتُدمّي فؤادك الشحناء

كجوادٍ مُكبلٍ بقيودٍ ... تتمنى نضاله الهيجاء

فاعقل الدرس ، واستمع نُصح شعري ... والقريضُ يعنو له الشعراء

رُبّ شعرٍ منه النصيحة فاحتْ ... فتفطنْ لِمَا أتى الأعداء

عاملة ناصبة

(حدثني أحد النصارى ، أنه كتبَ بريشته ما يزيد على مائتي لوحة قرآنية وأحاديث نبوية. فلما عرض عليه من عهد إليه بذلك أجره قال: لا أريد مالا على القرآن والحديث ، إنني قد رسمتُ وكتبتُ ابتغاء وجه الله. فرثيتُ لهذا المنطق المشفق على القرآن والسنة ، وإن كان صاحبه من غير أهلهما. وتذكرتُ عمر الفاروق – رضي الله عنه – عندما مر على راهب في صومعته ، وبعد السؤال عنه ، تبين لعمر أنه يجهد نفسه في العبادة والذكر والتنسك على دين قومه. فقال عمر: (عاملة ناصبة). فقلت: ما أشبه راهب عمر برسام قصيدتي! ورحت أتخذ الآية عنواناً لقصيدتي.)

على جهده راح يرثي الضميرْ ... ويبكي الفؤادُ لسوء المصيرْ

يخاطبُ فيه الضميرُ النّهِيَ ... يقول: أما لك عقلٌ بصير؟

أما لك فكرٌ تقيسُ به؟ ... أقول: أما لك قلبٌ خبير؟

ألست تُحس بما تدّعي؟ ... غلامٌ وصاحبةٌ للقدير؟

تعالى المليكُ ، فليس له ... وليدٌ ولا زوجةٌ أو ظهير!

ولا يُشبه اللهَ شيءٌ ، وما ... له - في المخاليق - قط نظير

وجلّ المسيحُ ، فليس ابنه ... وليس إلهاً ، ولكنْ بشير

نبيءٌ يُبلغ عن ربه ... وعبدٌ رسولٌ ، وبعدُ نذير

و(مريمُ) جلتْ عن وصفكم ... وسُمعتها كالسراج المنير

وردّ الدعيّ: كذاك أبي ... وجدي وقومي وجيلٌ كبير

فرد الضمير: ألا تستحي؟ ... جوابُك هذا ادعاءٌ خطير

لماذا تُصر على كُفرهم ... ويُدخلك الكفرُ جوفَ السعير؟

نصحتك إما أردتَ الهُدى ... دع الكفر ، واسمعْ عتاب الضمير

دعوتك لستُ أريد سوى ... ثواب النصيحة يوم النّشور

فبهت الذي كفر!

(سأل بعض الأساقفة القاضي أبا بكر الباقلاني – رحمه الله – وذلك بحضرة ملك الروم ، فقال: ما فعلت زوجُ نبيكم؟ وما كان من أمرها فيما رُميت به من الإفك؟ فقال الباقلانى: امرأتان ذكرتا بسوء: مريم وعائشة فبرّأهما الله عز وجل. وكانت عائشة ذات زوج ولم تأت بولد. وأتت مريم بولد ولم يكن لها زوج. وكلاهما بريئة مبرّأة مما قيل فيهما. فإن تطرّق في الذهن الفاسد احتمالُ ريبة إلى هذه (أي عائشة) فهو إلى تلك (أي مريم) أسرع ، وهما بحمد الله تعالى منزهتان من السماء بالوحى. (يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) ، (إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم...) فبُهت الذي كفر وخاض. أقول: إن كنت أنسى فلا أنسى أبداً الأم العظيمة حنة بنت فاقوذ (امرأة عمران) عندما نظرت طائراً يزق فرخاً له ، فاشتهت الولد ، فدعت الله فاستجاب لها. وسمتها (مريم) في نفس اليوم. (وهذا شرع الذين قبلنا ، يؤيده من شرعنا ما ثبت عند البخاري ومسلم – قال: (وُلد لي الليلة ولدٌ سميته باسم أبي إبراهيم) وفي البخاري أن رجلاً قال: يا رسول الله ، ولد لي الليلة ولد ، فما أسميه؟ قال: سمه عبد الرحمن. ثم أردفت امرأة عمران وقد ولدت بنتاً: وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم. أكتب أحيي القاضي الباقلاني ذلك الإمام المجاهد الفذ العبقري ، وأحيي العظيمتين البريئتين مريم وعائشة! وشكرَ الله للباقلاني دفاعه وذوده عن البريئتين الطاهرتين! (إِنَّ الَّذِينَ جَآؤُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلّ امْرِىءٍ مِّنْهُمْ مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىَ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ.) قال ابن كثير في تفسيره: (هذه العشر آيات كلها نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والفرية التي غار الله عز وجل لها ولنبيه صلوات الله وسلامه عليه ، فأنزل الله تعالى براءتها صيانة لعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى: {إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم} أي جماعة منكم يعني ما هو واحد ولا اثنان بل جماعة ، فكان المقدم في هذه اللعنة عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين ، فإنه كان يجمعه ويستوشيه ، حتى دخل ذلك في أذهان بعض المسلمين فتكلموا به ، وجوزه آخرون منهم ، وبقي الأمر كذلك قريباً من شهر حتى نزل القرآن ، وسياق ذلك في الأحاديث الصحيحة. ونهايته أن رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر ، فدخل فقال: يا عائشة «إن الله تعالى قد أنزل عذرك». فقالت: بحمد الله لا بحمدك ، فقال لها أبو بكر: تقولين هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: نعم. قالت: فكان فيمن حدث هذا الحديث رجل كان يعوله أبو بكر فحلف أن لا يصله ، فأنزل الله: {ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة} إلى آخر الآية ، فقال أبو بكر: بلى فوصله. تفرد به البخاري دون مسلم من طريق حصين).هـ. والحقيقة أننا اليوم بحاجة ماسة إلى أمثال الباقلاني لمواجهة الهجمة الشرسة الضارية التي طالت ثوابت الإسلام فضلاً عن دقائقه! تلك الهجمة التي ليس يصمد لها ملايين المرتزقة اليوم! ذلك أن المرتزقة ليس يهمهم إلا ما يدخل جيوبهم من المال والثراء. ومن هنا كان عطاؤهم على قدر ما يحصلون عليه من المال. أما قضايا الإسلام والذود عنه وعن شعائره وشرائعه ، فهم أبعد ما يكونون عنه لثقل التكاليف عليهم من جهة ولجهلهمُ المطبق من جهة أخرى. والله المستعان عليهم وعلى من يدفعون لهم. وأراح الله الإسلام وأهله منهم!)

بريئتـــان: فـــذي شـــمسٌ ، وذي قمـــرُ همـــا ـ مِـــن المؤمنـــات ـ الســـمْعُ والبصـــرُ

عفيفتـــان: فـــذي العفـــافُ ديـــدنُها وتلـــك عفتهـــا ـ فـــي الأرض ـ تنتشـــر

نقيتـــــان: فـــــذي النقـــــاءُ طابعُهـــــا وهـــــذه بنقـــــاء القلـــــب تشـــــتهر

حصـــــناوتان: فـــــذي حصـــــانة شـــــمختْ وتلـــــك بالحُصـــــن - بـــــين الخلـــــق - تفتخـــــر

كريمتـــــان: فـــــذي جـــــودٌ يلـــــي كرَمـــــاً وبـــــذلُ تلـــــك لنشـــــر الخيـــــر مُـــــدّخر

شـــــريفتان: فـــــذي قـــــد عـــــزّ مَحتِـــــدُها وأصـــــلُ هاتيـــــك فـــــي البُطـــــون مُعتبـــــر

فقيهتـــــان: لـــــذي فـــــي الفقـــــه مدرســـــة وتلـــــك يســـــألها مَـــــن بـــــالتقى ظفـــــروا

بهيتـــــان: فـــــذي البهـــــاءُ طلعتُهـــــا وهـــــذه حســـــدتها الأنجـــــمُ الزهُـــــر

ذكيتـــــان: فـــــذي الـــــذكاءُ يغبطهـــــا وعِلـــــمُ تلـــــك لـــــه الـــــرواة والســـــير

صـــــبورتان: لـــــذي صـــــبرٌ تتيـــــهُ بـــــهِ وتلـــــك - فـــــي شـــــدة الـــــبلاء - تصـــــطبر

تقيتـــــان: فـــــذي التقـــــوى ســـــجيتها وقلـــــبُ تلـــــك بتقـــــوى الله مُعتمـــــر

صـــــوامتان: فـــــذي – بالصـــــوم - عابـــــدة وتلـــــك غَمتهـــــا بالصـــــوم تنجبـــــر

قوامتـــــان: فـــــذي تبيـــــت قائمـــــة وتلـــــك دمعتهـــــا - فـــــي الليـــــل - تنهمـــــر

وحيّتـــــان ، وإن صـــــاح الـــــردى بهمـــــا وشـــــاهدي - فـــــي كتـــــاب الله - يبتشـــــر

رضـــــيتان: فـــــذي الرضـــــا جبلتُهـــــا وهـــــذه - برضـــــا الـــــرحمن - تـــــأتمر

حييّتـــــان: فـــــذي الحيـــــاءُ منهجُهـــــا وهـــــذه بالحيـــــا تســـــمو وتنتصـــــر

وقمّتـــــان: فـــــذي الجـــــوزاءُ مســـــكنُها وبعـــــض إيـــــوان تلـــــك الشـــــمسُ والقمـــــر

مَـــــن مثـــــل (مـــــريم) فـــــي ديـــــن ، وفـــــي ورع؟ قـــــد صـــــح عنهـــــا الصـــــدى والخُبـــــر والخَبـــــر

مَـــــن مثلهـــــا فـــــي أريـــــج الطهـــــر صـــــائنةً عِرضـــــاً تحِـــــنّ لـــــه الأصـــــدافُ والـــــدُّرر؟

مَـــن مثلهـــا ، وســـنا التقـــوى يُزينهـــا ... وتشـــهد الآي فـــي القـــرآن والسُّـــور؟

صِـــدّيقةَ فـــي بنـــي إســـريل مـــا عملـــتْ ... بمثـــل طاعتهـــا بـــدوٌ ولا حضـــر

عظيمـــةَ مَجّـــدَ التـــاريخُ ســـؤدَدُها ... جلـــت مناقبُهـــا فـــي كُتْـــب مَـــن ذكـــروا

جليلـــةَ القـــدر فـــي طبـــع ، وفـــي نســـب ... كأنهـــا دوحـــة يلْفهـــا الثَمـــر

لله قـــد نُـــذِرتْ فـــي بطـــن والـــدةٍ ... وأمـــرُ نشـــأتها علـــى التَّقـــى قَـــدرُ

و(بنـــت فـــاقوذ) - فـــي الإســـلام - رائـــدةٌ ... ويُســـتجاب الـــدعا ، والـــذنبُ يُغتفـــر

وأهلهـــا - فـــي اتبـــاع الحـــق - قـــد نشـــطوا ... قـــومٌ - علـــى ملـــة التوحيـــد - قـــد فَطـــروا

لمّـــا رأت طـــائراً يـــزقّ فرخـــاً لـــه ... دعـــت مليـــك الـــورى ، ولفظهـــا عَطـــر

هـــبْ لـــي غلامـــاً ، ومَـــن ســـواك يرزقنـــي؟ ... يكـــون سِـــلماً لنـــا ، وحـــربَ مَـــن كفـــروا

مُحَـــرراً عابـــداً فـــي بيـــت خالقـــه ... وقـــد نـــذرتُ ، وأوفـــي مِثـــلَ مَـــن نـــذوا

و(حنـــةَ) ولـــدت أنثـــى ، لـــذا ســـألت: ... هـــل تســـتوي البنـــتُ - فـــي الميـــزان - والـــذكر؟

وزوجُ عمـــران سَـــمّتْ (مريمـــاً) ، ودعـــتْ ... ربـــاً فضـــائله تُرجـــى وتُنتظـــر

أعيـــذها ، وأعيـــذ كـــل مَـــن ولـــدتْ ... بـــالله ، فهْـــو علـــى مـــا رُمـــتُ مُقتـــدر

جـــل المليـــكُ ، تعـــالى ، لـــيس يعجـــزه ... شـــيئٌ ، وكـــل الـــورى – إليـــه - تفتقـــر

تقبّـــل الله - فـــي الأســـحار - دعوتهـــا ... وزال - عـــن بنتهـــا - الإعســـارُ والضـــرر

وأنبتـــتْ مـــريمُ العـــذراء فـــي سَـــعة ... مثـــل البـــذور إذا مـــا عمهـــا المطـــر

ونـــورتْ ظلمـــة المحـــراب ســـجدتُها ... والـــرزقُ فـــاض ، وفاضـــت عنـــدها العِبـــر

الله أكبـــرُ ، والبتـــولُ تُعلنهـــا ... مـــن عنـــد ربـــيَ ، خيـــرٌ لـــيس يَســـتتِر

والله يـــــرزقُ مَـــــن يشـــــاء تكرمـــــة ... وعنـــــده جنـــــة مِـــــن تحتهـــــا النّهـــــر

عقبـــــى الـــــذين اتقـــــوا بنيـــــةٍ صـــــدقتْ ... وعنـــــده للـــــذين اســـــتكبروا (ســـــقر)

ولـــــيس يظلـــــم رب النـــــاس مِـــــن أحـــــدٍ ... والظـــــالمون هـــــمُ ، وظلمهـــــم أشـــــر

يـــا ليـــت شـــعري إذا مـــا (مـــريمُ) انتبـــذتْ ... مـــن أهلهـــا بُقعـــةً فـــي الأرض تبتشـــر

وبعـــــدها اتخـــــذتْ حجـــــابَ خلوتهـــــا ... يشـــــوقها الـــــذكرُ والتســـــبيحُ والفِكَـــــر

وجاءهـــــا الـــــروحُ لـــــم تشـــــعر بجيئتـــــه ... حتـــــى رأتـــــه ضُـــــحىً ، كأنـــــه البَشَـــــر

قالـــــت: أعـــــوذ بربـــــي منـــــك واثقـــــة ... مـــــن نصـــــره ، إننـــــي والله أختبـــــر

إن كنـــــتَ حقـــــاً تقيـــــاً لســـــتَ تقربُنـــــي ... بســـــوء فعـــــل ، فـــــإن القلـــــبَ ينفطـــــر

فقـــــال: إنـــــي رســـــول الـــــربِّ أرســـــلني ... حتـــــى يكـــــون غـــــلامٌ منـــــكِ مُنتظـــــر

يُكلـــــم النـــــاس فـــــي مهـــــد وفـــــي كِبَـــــر ... يزيـــــده شـــــرفاً علـــــى الـــــورى الكِبـــــر

والمعجـــــزاتُ علـــــى يديـــــه جاريـــــة ... جهـــــراً ، وتشـــــهدها الآصـــــالُ والبُكـــــر

ويلمـــــس الأكمـــــه المحـــــزون يُبْرئـــــهُ ... ويُمســـــك الأبـــــرصَ المكـــــروبَ يزدهـــــر

ويُصـــــبح الطـــــين طيـــــراً إصـــــر نفختـــــه ... يطيـــــر حُـــــراً لـــــه إذ يغتـــــدي صُـــــور

ويَضـــــرب المَيْـــــت كـــــي يحيـــــا يكلّمهـــــم ... ويُنبـــــئُ النـــــاس عمـــــا تحتـــــوي الـــــدُّوَر

وكـــــل هـــــذا بـــــإذن الله خالقـــــه ... وقبلـــــه قـــــد خلـــــت فـــــي العـــــالم النّـــــذر

مســـــيحُ حـــــق لـــــه شـــــأنٌ ومنزلـــــة ... بـــــذكره تُطـــــرَبُ الأســـــماعُ والسِّـــــير

فقالـــــت المـــــريمُ العصـــــماءُ مُنكـــــرةً ... فـــــي لهجـــــةٍ شـــــابها الـــــذهولُ والـــــذعر

أنـــى يكـــون ومـــا مثلـــي بـــداعرةٍ ... كـــلا ، ومـــا مســـني كزوجـــةٍ بَشـــر؟

فقـــال جبريـــل: لا تأسَـــيْ ولا تهنـــي ... أمـــرُ المليـــك ، فهـــل مـــن أمـــره وَزر؟

إن المســـيح لكـــل النـــاس آيـــتهم ... ورحمـــةً ســـاقها للخلـــق مُقتـــدر

والأمـــرُ بُـــت ، فـــلا خيـــار يَعْقبـــهُ ... والحَمْـــلُ كـــان فـــلا حُـــزنٌ ولا كـــدرُ

حتـــى إذا مـــا أتـــى المخـــاضُ جنـــدلها ... والنخلـــة انطلقـــتْ فـــي التـــو تعتـــذر

إذ الجريـــد عـــلا ، والجـــذعُ جلمـــدة ... والظـــل فـــي حِـــزم الأكمـــام مُنحســـر

والليـــفُ يُحْصـــنها ، ولـــيس يبرحُهـــا ... والطلـــعُ عـــال ، وعـــز النفـــعُ والثَمـــر

فقالـــت المـــريم الزهـــراء مشـــفقةً ... يـــا ليـــت قـــومي لإســـمي قبـــلُ مـــا ذكـــروا

ثـــم المســـيحُ أتـــى يقـــولُ: لا تهنـــي ... يومـــاً ، ولا تحزنـــي ، وتحتـــكِ النّهـــر

هُـــزي إليـــك بجـــذع تحصـــدي رُطبـــاً ... هيـــا كُلـــي واشـــربي ليـــذهبَ الخطـــر

قـــولي: نـــذرتُ لربـــي دون مَضـــجرةٍ ... صـــوماً إذا جـــاءتِ الأنثـــى أو الـــذّكر

وأعلمـــي الكـــل أن الصـــوم فائـــدةٌ ... إن اللســـان عـــن الكـــلام مُعتـــذر

وبعـــدُ جـــاءت - إلـــى الأقـــوام - تحملـــه ... قـــالوا: نُكلـــمُ مَـــن فـــي المهـــد مـــؤتزر؟

حتـــى أشـــارت إلـــى (المســـيح) عامـــدة ... فقـــال: إنـــيَ عبـــد الله يـــا بشـــر

فلتعبـــدوا الله ربـــاً واحـــداً أحـــداً ... قـــد اســـتقام بـــذا الطريـــق ، فـــائتمروا

والأم صـــدِّيقةً فـــي أوج عزتهـــا ... كـــم فـــي دروب التَّقـــى تســـعى وتبتـــدر!

يـــا (مـــريمَ) النـــور أنـــت الطهـــر يُتحفنـــا ... وإن شـــانئكِ بالحقـــد ينتحـــر

عليـــكِ مـــن ربـــك الرضـــوانُ أجمعُـــهُ ... ورحمـــة الله والغُفـــران والبُشُـــر

وأرجـــعُ الآن مختـــاراً لـــ (عائشـــةٍ) أروى القصـــيد بمـــا قـــد كنـــتُ أفتكـــر

أعطـــر الشـــعر مزهُـــوّاً بســـيرتها نعـــم التـــذكرُ والتـــذكيرُ والـــذكر!

فـــالطهرُ والجـــودُ والســـراءُ تعرفهـــا والفصـــلُ فـــي القـــول والإقـــدامُ واليُسُـــر

كـــل القبائـــل والأصـــقاع تعرفُهـــا وفضـــلُها أبلـــجٌ ، ولـــيس ينـــدثر

هـــي البريئـــة رغـــم الـــزور يلصـــقهُ بهـــا الـــروافضُ ، بـــئس الجوقـــة الغجـــر!

رغـــم النصـــارى ومَـــن يـــدعو دعـــايتهم هـــي النقـــاءُ زهـــا ، رغـــم الألـــى فجـــروا

يـــا عـــائشَ الطهـــر ، يـــا ســـلوى محمـــدنا يـــا مـــن إليـــك يحـــنُّ النـــور والعُطـــر

فـــداكِ نفســـي ، وروحٌ لســـتُ أملِكُهـــا ولا أرى علمـــكِ الفيـــاضَ يُحتضـــر

أسُـــلُّ عِرضـــكِ مِـــن أضـــغان شـــرذمةٍ تضـــاءلتْ عنـــدها المَغـــول والتتـــر

أراكِ - رغـــم أطـــيط الكيـــد - باســـقةً وتشـــهد الـــدارُ والأجيـــالُ مَـــن غـــدروا

وحـــادثُ الإفـــك فـــي ديـــوان سُـــنتنا تـــاجٌ ترصّـــعُه الأحجـــارُ والـــدُّرر

وســـورةُ (النـــور) تهـــدي مَـــن يلـــوذ بهـــا عنـــد الخـــلاف ، ففيهـــا الـــدرسُ والعِبـــر

إليـــكِ عـــاد الألـــى نبـــيَهم صـــحبوا كـــلٌّ بـــأمركِ يـــا أمـــاه يـــأتمر

أرضـــاكِ ربـــكِ مـــا ناحـــت حمائمُنـــا فـــوق الغصـــون ومـــا جـــاب الســـما قمـــر

وصـــل رب علـــى النبـــي مـــا بزغـــتْ شـــمسٌ ، ومـــا ينـــع النبـــاتُ والشـــجر

وانصـــر شـــريعتك الغـــراء مـــا بقيـــتْ نفـــسٌ تحاربهـــا مِـــن الألـــى كفـــروا

سلاح المودة

(كثرت الردود على الكتاب العظيم – فقه السنة – فكان منها ردودٌ بالحق ، ومنها ما هو بالباطل. أقول: مرحباً بالنقد بالمعروف والأدب القيّم ، ولا مرحباً طرفة عين بالنقد بالهدم والقدح والسب والطعن في النوايا والتجريح الذميم. وهنا أنتصر للكتاب من الذين جرّحوا وسبّوا وعابوا بالتجريح وأقول لهم جميعاً: كونوا منطقيين ، وضعوا أنفسكم مكان المؤلف ، وراعوا فيه مكانته ، وعامِلوه بمثل ما لو كنتم في مكانه كيف تتمنوْن أن يقول فيكم؟ ولا يزال أهل العلم يستدرك بعضهم على بعض! ويأخذ بعضهم من بعض! ويضيف بعضهم إلى بعض! ويصوّب بعضهم بعضاً! ويعذر بعضهم بعضاً! ذلك أن العلم رحمٌ بين أهله! ألا وإن الباعث على كتابة هذه القصيدة هو تلك الحملة الضارية المسعورة على كتاب: (فقه السنة)! ولقد قرأتُ الكتاب ودرسته عدة مرات! ولستُ أدّعي الاختصاص في الشريعة ، كما أنني لستُ أدّعي لنفسي أنني في موقع من العلم أستطيع فيه نقد الكتاب نقداً أصولياً شرعياً! وفي ذات الوقت لا أدعي أن الكتاب حاز العصمة من الأخطاء! ولكن الذي أستهجنه هو النقد الهادم والطعن في النوايا والقدح المتعمد في شخصية المؤلف!)

لا تغـــالط يـــا فـــذ ، واكتـــب بديلـــهْ ... واكفنـــا أوهـــام الشـــوك المَهيلـــة

إن تكـــنْ فـــوق الكـــل ، فـــانقشْ كتابـــاً ... لـــيس فيـــهِ مـــن أي ســـوءٍ فســـيله

لا تحَقـــرْ مـــا دونثْـــه يَمـــينٌ ... لـــم تكـــن - فـــي تـــدوينها - بعليلـــة

وتفكـــرْ فيمـــا تخـــط وتهـــذي ... لا تحـــاول تشـــويه شـــمس جميلـــة

كـــم أمـــدتنا بالضـــياء ، وجـــادتْ! ... لـــم تكـــنْ فـــي إكرامهـــا ببخيلـــة

كتبـــتْ فـــي الفقـــه المُبَسّـــط سِـــفراً ... بعبـــاراتٍ - فـــي الأداء - جليلـــة

مـــا خلـــتْ مـــن بعـــض الأغـــاليط قطعـــاً ... لكـــنِ الإســـقاطاتُ هـــذي قليلـــة

قلـــمٌ فـــي يُمنـــى ابـــن آدم حتمـــاً ... تغلـــبُ الأخطـــاءُ العتيّـــة قيلـــه

إنـــه مهمـــا حـــاول البعـــدَ عنهـــا ... فلهـــا صـــولاتٌ تهـــز وحِيلـــة

كـــل إنســـان كـــم لـــه مـــن خطايـــا! ... وحبـــالُ الآمـــال فيهـــا طويلـــة

وضـــليع فـــي العلـــم لـــيس ملاكـــاً ... آدمـــيٌ منـــه الخطايـــا كليلـــة

مُخطـــئٌ ، والأجـــرُ البهـــيجُ جـــزاءٌ ... هـــل عـــرفتم معنـــى رمـــوزي النبيلـــة؟

إنـــه فـــي ذا الاجتهـــاد مُثـــابٌ ... وظـــلالُ الأغـــلاط منـــه ضـــئيلة

وكتـــابٌ فـــي الفقـــه لـــيس يُبـــارى ... سِـــفرُ علـــم ، والنيْـــلُ منـــه رذيلـــة

إيـــهِ (فقـــه الســـنة) المتســـامي ... يـــا مَعينـــاً يفـــوق حســـن الخميلـــة

يـــا ســـماءً فيهـــا النجـــومُ تســـامتْ ... وأضـــاءتْ للنـــاس كـــل فضـــيلة

فـــارسُ الفقـــه فـــي مَـــداها عُقـــابٌ ... خـــط فيهـــا فـــي كـــل أمـــر دليلـــه

(ســـيدَ) الخيـــراتِ عشـــت رضـــيّاً ... ورزقـــتَ مِـــن كـــل خيـــر جميلـــه

فقهُـــك العـــذبُ كـــم فـــاض نـــوراً! ... كـــم أبـــاد الســـوآى وعُـــرفَ القبيلـــة!

ثـــم يـــأتي - اليـــومَ - الـــذين رمَـــوْهُ ... بالأحـــاجي وبـــالطعون الهزيلـــة

أيـــن كنـــتم مـــن نصـــف قـــرن تمضّـــى؟ ... والكتـــابُ فـــي الســـوق يشـــفي عليلـــه

قلـــتُ: أهـــلَ الأهـــواء رفقـــاً بشـــيخي ... أدعيـــاءَ التحـــديث ، خلـــوا ســـبيله

وبيـــانُ الحـــق المبـــين عظـــيمٌ ... بعبـــاراتٍ فـــي البيـــان كحيلـــة

بـــدليل فيـــه الوضـــوحُ تجلـــى ... ونوايـــا بالمَكرُمـــات وصـــيلة

لا بألفـــاظٍ لا مـــروءة فيهـــا ... أوبـــذاءاتٍ كالجبـــال ثقيلـــة

لا يكـــون الإيضـــاحُ كـــلا هجومـــاً ... أو بـــأن يُشـــفيْ كـــل زيـــدٍ غليلـــه

فارحمونـــا مِـــن فتنـــةِ الســـبّ هـــذي ... وارحمونـــا مـــن كـــل فتيـــا عميلـــة

وفـــروا ألفـــاظ الســـباب لهُـــودٍ ... والنصـــارى ، والموبقـــات الدخيلـــة

دونكـــم أصـــحابَ الضـــلالات كُثـــرٌ ... دونكـــم أصـــحابَ النوايـــا الذليلـــة

بيّنـــوا الحـــق بالبيـــان المُجلـــى ... واقمعـــوا الســـوآى بـــالحلول البديلـــة

وارحمـــوا أهـــل العلـــم يـــا مـــن فقِهـــتم ... أكرمـــوهم بالبُشـــريات الجزيلـــة

لـــيس عيبـــاً أن تكشـــفوا كـــل سُـــوءٍ! ... لكـــنِ العيـــبُ فـــي الطِعـــان الوبيلـــة!

مرة أخرى!

(الحمد لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الحي القيوم الذي له ما في السماوات وما في الأرض. وأشهد ألا إله الله وأن محمداً رسول الله ، صلى الله عليه وسلم. وبعدُ ، فمرةً أخرى التقينا ، وبعد صدور الديوانان الأوليان: (نهاية الطريق ، وعزيز النفس) ، والآن ها قد خرج الديوان الثالث: ديوانُ (سُويعات الغروب) ، إلى القارئ الكريم في حُلته القشيبة هذي ، يَطيبُ لنا أن نقول: لقد شاء اللهُ تعالى لنا لقاءً على ساحة الشعر الهادف البناء من قبل ولا نزال على العهد ما شاء الله لنا لقاء. ومرة أخرى سوف نلتقي إن شاء الله تعالى لنا ، على صفحات الشعر هناك في ديوان القوقعة الدامية ، وديوان: الأمل الفواح ، وشقيقه ديوان: (ترنيمة على جدار الحب). فعلى الأمل الفواح نلقتي وعلى الحب الكريم في الله الكريم نتعاهد ونتحاب ، وكل القلوب تتوق إلى الخير ولا شك ، فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده سبحانه وتعالى ، ونتفيأ ظلال الحنيفية السمحة ، بعد غياب طال وفراق ساد ، وما ذلك على الله مولانا بعزيز. الحمد لله ، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، على أن أعانني على إخراج وصفّ وتشكيل هذا الديوان: (سُويعات الغُرُوب) ، والذي استمر تأليفه سنوات عدة ، كنت أعيشُها مع لُغة العرب الأصيلة ، معشوقة كل مُسلم مؤمن مُوحد من بين لغات العالم المنطوقة والمقروءة والمسموعة. وكنتُ أستمتع كلما أضفتُ إلى ما عندي من رصيد العربية! وإن كنتُ أنسى فلا أنسى (أم عبد الله) زوجتي ، والتي كنتُ أقرأ عليها كل الذي تجود به القريحةُ الشعرية من عطاء الله الخالق العظيم. وكانت تُرْجي من الأبيات والألفاظ ما تشاء ، وكذلك كانت تؤوي إليها ما تشاء ، فكانت تقولُ: هذا اللفظُ يُناسب جداً ، وهذا لا يناسب أبداً ، وها ذاك عوانٌ بين ذلك. وكانت تَدور المناقشات والمناورات بيننا ، فأعترض مرة ، وأوافق أخرى ، فلها الشكرُ بعد الله تعالى حيثُ جادت بما تملك ، وحتى الإخراج النهائى واختيار الغلاف المناسب اللائق بهذا الديوان كان لأم عبد الله البصمة الخاتمة. وإلى لقاء آخر نعيشُ في ظلال الكلمة والشعر. ولا أنسى أن أشكر كل جريدة ومجلة ودورية أفسحتْ ليَ المجال ، فنشرتُ بعض قصائدي عبر صفحاتها! وسبحان الله العظيم ، لقد كنت أعتقد أن مجال التأليف والكتابة مفروش بالورود والرياحين! فإذا به قد حف بالمكاره والمحن والابتلاءات! وقد رُش بالدماء! نعم طريق كله بلاء في بلاء! وتحت عنوان: (الابتلاء) يقول الأستاذ سالم العجمي وقد فصّل كلاماً طيباً لابن القيم ما نصه: (اعلم رحمني الله وإياك أن الدنيا دار بلاء وفتنة ؛ لا تثبت على قدم ولا يدوم لها حال ؛ ولا يطمئن لها بال؛ ومن عرف الدنيا حق المعرفة لم يفرح فيها برخاء ولم يحزن على بلوى. قال ابن القيم رحمه الله: إذا ابتلى الله عبده بشىء من أنواع البلايا والمحن ، فإن ردّه ذلك الابتلاء والمحن إلى ربه وجمعه عليه وطرحه ببابه فهو علامة سعادته وإرادة الخير به ، والشدة بتراء لا دوام لها وإن طالت ؛ فتقلع عنه حين تقلع وقد عوّض منها أجل عِوض وأفضله ، وهو رجوعه إلى الله بعد أن كان مُعرضاً ، وللوقوف على أبواب غيره متعرضاً ، وكانت البلية في حق هذا عين النعمة وإن ساءته وكرهها طبعه ونفرت منها نفسه ، فربما كان مكروه النفوس أن محبوبها سبب ما مثله سبب ، وقوله تعالى في ذلك هو الشفاء والعصمة: {وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون} ، وإن لم يردّه ذلك البلاء إليه بل شرد قلبه عنه ورده إلى الخلق وأنساه ذكر ربه والضراعة إليه والتذلل بين يديه والتوبة والرجوع إليه فهو

علامة شقاوته وإرادة الشرّ به ، فهذا إذا أقلع عنه البلاء ردّه إلى حكم طبيعته وسلطان شهوته ومرحه وفرحه ، فجاءت طبيعته بأنواع الأشر والبطر والإعراض عن شكر المنعم عليه بالسراء كما أعرض عن ذكره والتضرع إليه في الضراء ، فبلية هذا وبالٌ عليه وعقوبة ونقص في حقه ، وبلية الأول تطهير له ورحمة وتكميل. وبالابتلاء يعلم العبد أنه لا يستغني عن تثبيت الله له طرفة عين ؛ فإن لم يثبته وإلا زالت سماء إيمانه وأرضه عن مكانهما! وقد قال تعالى لأكرم خلقه عليه عبده ورسوله: {ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً}. فكلنا ضعيف ؛ ولولا فضل الله جل وعلا على عباده ورحمته بهم لما قويت قلوبهم على ثقل الحمل ، مع ما يمر لهم عليهم في هذه الدنيا من أصناف الهموم والمنغصات. فلا تستطيل البلاء فلعله أن يكون سببا لك في الخير إذا ما اقترن بصدق التوبة واللجوء إلى الله ، وتأمل كم سيعيش المرء في هذه الدنيا وماذا يأمل؟ إن الدنيا طويلها قصير ، وكثيرها حقير ، ومتأمل السعادة فيها إنما يعيش في غرور ، فمن نجا من البلاء ومن سلم من الابتلاء؟ ولكن السعيد من لجأ إلى ربه وخالقه عند حلول الابتلاء ووقوع النقم. قال ابن القيم رحمه الله: إذا أراد الله بعبده خيرا فتح له أبواب التوبة والندم ، والانكسار والذل ، والافتقار والاستعانة به ؛ وصدق اللجأ إليه ودوام التضرع والدعاء له والتقرب إليه بما أمكن من الحسنات ما تكون السيئة به سبب رحمته ، حتى يقول عدوّ الله يا ليتني تركته ولم أوقعه ؛ وهذا قول بعض السلف: "إن العبد ليعمل الذنب يدخل به الجنة ويعمل الحسنة يدخل بها النار. قالوا: كيف؟ قال: يعمل الذنب فلا يزال نصب عينيه خائفاً منه مشفقاً وجلاً باكياً نادماً مستحياً من ربه تعالى ، ناكس الرأس بين يديه ، منكسر القلب له ، فيكون ذلك الذنب أنفع له من طاعات كثيرة ، بما ترتب عليه من هذه الأمور التي بها سعادة العبد وفلاحه ، حتى يكون ذلك الذنب سبب دخول الجنة ، ويفعل الحسنة فلا يزال يمن بها على ربه ، ويتكبر بها ويرى نفسه شيئاً ، ويعجب بها ويستطيل بها ، ويقول فعلت وفعلت ، فيورثه من العُجْب والكبر والفخر والاستطالة ، ما يكون سبب هلاكه. فإذا أراد الله بهذا المسكين خيراً ، ابتلاه بأمر يكسره به ويذلّ به عنقه ويصغر به نفسه عنده ؛ وإذا أراد به غير ذلك خلاّه وعجبه وكبره ؛ وهذا هو الخذلان الموجب لهلاكه ، فإن العارفين كلهم مجمعون على أن التوفيق هو ألا يكلك الله إلى نفسك ؛ والخذلان أن يكلك الله إلى نفسك. فمن أراد الله به خيرا فتح له باب الذل والانكسار ودوام اللجأ إلى الله تعالى والافتقار إليه ورؤية عيوب نفسه وجهلها وعدوانها ؛ ومشاهدة فضل ربه وإحسانه ورحمته وجوده وبره وغناه وحمده. فالعارف سائر إلى الله تعالى بين هذين الجناحين ؛ لا يمكنه أن يسير إلا بهما ، فمتى فارقه واحد منهما فهو كالطير الذي فقد أحد جناحيه ؛ قال شيخ الاسلام: العارف يسير إلى الله بين مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس ، فمشاهدة المنة توجب له المحبة والشكر لولى النعمة ، ومطالعة عيب النفس والعمل توجب له الذل والانكسار والافتقار والتوبة في كل وقت ، وألا يرى نفسه إلا مفلساً).هـ. رحم الله ابن القيم وأستاذه شيخ الإسلام ابن تيمية. وجزى الله خيراً الأستاذ سالم العجمي إذ جلى لنا الابتلاء خير تجلية وفصله خير تفصيل. نعم هكذا وجدت طريق التأليف وخاصة الشعر! طريق عن يمينه البلاء ، وعن شماله البلاء ، وفي وسطه البلاء ومن فوقه البلاء ومن تحته البلاء ، وأمامه البلاء وخلفه البلاء!

نحو شعر هادف

الحمدُ لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين. وبعد ، فإن الشعر الهادف عظيم المبنى والمحتوى والمعنى ، ولا يدرك ذلك إلا من كتب من أجل القيم ، وواجه أهل الجاهلية بخيلها ورجلها وركابها ، ويثبت على الحق ، وينتصر له رغم كل العقابيل والعراقيل والحواجز. إن الشاعر الذي يتصور ويعتقد صدقاً أن الله سائله يوماً ما عن كل الذي صاغته يمينه ، ويستحضر ما أعده الله تعالى للطائعين الموحدين وما أعده الله للعاصين المارقين من أهل الفساد المضلين: لا يمكن أبداً له أن يكتب إلا الشعر الهادف الذي هو وسيلة تربوية من وسائل الذود عن الحق وأهله ، وأسلوب ناجع من أساليب التعبير عن النفس والأمة والواقع. ومن هنا برزت أهميته في مرحلتنا هذي الأخيرة ، ونحن نرى ونلمس هذي الهجمة الأخيرة الشرسة ضد القيم وأصحابها ، ولذا فإنه دعوة إلى كل الشعراء الذين أرادوا بشعرهم وجه الله تعالى أن يكتبوا في سبيل رد هذه الهجمة ، والدفاع عن البيضة ، ورد الباغى المعتدي من أهل الزيغ والشبهات والضلال. ونسأل الله القدير رب العرش العظيم أن يرزقنا الإخلاص في العدل والقول والفعل والنية ، وأن يوفقنا إلى ما يحب! كما نسأل الله السميع القريب المجيب أن يجعل أفئدة من الناس ، تهوى إلى أشعارنا وتنهل من الخير الذي احتوت وتجتنب السوء الذي حوت. كما أنني أعوذ بالله من أن أذكّر بشعري الناس بربهم وشرعه وأنساه. لقد عانيت في شعري ، معاناة لا يعلم إلا الله مداها ، ولست بالنادم عليها. لكنني فقط أسأل الله تعالى أن يكون كل الذي أردت به وجهه يعلم ذلك من نيتي أن ألقاه عند ربي خير الجزاء. ويشهد ربي إن أريد بشعري هذا شيئاً إلا الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. وحسن أولئك رفيقاً. والحمد لله أولا وآخرا! وأسأل الله تعالى أن لا أكون عنده سبحانه من الشعراء الذين قال فيهم في خواتيم سورة الشعراء: (والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون)! كما أسأله تباركت أسماؤه وجلت صفاته أن يجعلني من الشعراء الربانيين المستثنين في قوله: (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا). ويعلق صاحب المعالم والظلال في ظلاله الوارفة على الآية: (والشعراء يتبعهم الغاوون) فيقول ما نصه: (يتبعهم الغاوون ، فلا يأمرون بتقوى ولا يقودون إلى إيمان ، وما هكذا كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم - وهو يدعو الناس بهذا القرآن إلى منهج قويم ، ولقد كانوا يقولون عن القرآن أحياناً إنه شعر ، ويقولون عن النبي – صلى الله عليه وسلم - إنه شاعر ، وهم في حيرتهم: كيف يواجهون هذا القول الذي لا يعرفون له نظيراً ، والذي يدخل إلى قلوب الناس ، ويهز مشاعرهم ، ويغلبهم على إرادتهم من حيث لا يملكون له رداً؟ فجاء القرآن يبين لهم في هذه السورة (سورة الشعراء) ، أن منهج محمد – صلى الله عليه وسلم - ومنهج القرآن غير منهج الشعراء ومنهج الشعر أصلاً! فإن هذا القرآن يستقيم على نهج واضح ، ويدعو إلى غاية محددة ، ويسير في طريق مستقيم إلى هذه الغاية ، والرسول – صلى الله عليه وسلم - لا يقول اليوم قولا ينقضه غداً ، ولا يتبع أهواء وانفعالات متقلبة ، إنما يصر على دعوة ، ويثبت على عقيدة ، ويدأب على منهج لا عوج فيه! والشعراء ليسوا أبداً كذلك ، الشعراء أسرى الانفعالات والعواطف المتقلبة ، تتحكم فيهم مشاعرهم ، وتقودهم إلى التعبير عنها كيفما كانت ، ويرون الأمر الواحد في لحظة أسود وفي لحظة أبيض ، يرضون فيقولون قولاً ، ويسخطون فيقولون قولاً آخر! ثم هم آصحاب أمزجة لا تثبت على حال. هذا إلى أنهم يخلقون عوالم من الوهم يعيشون فيها ،

ويتخيلون أفعالاً ونتائج ثم يخالونها حقيقة واقعة يتأثرون بها ، فيقل اهتمامهم بواقع الأشياء من حولهم ، لأنهم يخلقون هم في خيالهم واقعاً آخر يعيشون فيه! وليس كذلك صاحب الدعوة المحددة الذي يريد تحقيقها في عالم الواقع ودنيا الناس. فلصاحب الدعوة هدف ، وله منهج ، وله طريق ، وهو يمضي في طريقه على منهجه إلى هدفه ، مفتوح العين ، مفتوح القلب ، يقظ العقل ، لا يرضى بالوهم ، ولا يعيش بالرؤى ، ولا يقنع بالأحلام حتى تصبح واقعاً ملموساً في عالم الناس. فمنهج الرسول – صلى الله عليه وسلم - ومنهج الشعراء مختلفان. ولا شبهة هناك ، فالأمر واضح صريح! والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون؟ فهم يتبعون المزاج والهوى ، ومن ثم يتبعهم الغاوون الهائمون مع الهوى ، الذين لا منهج لهم ولا هدف. وهم يهيمون في كل واد من وديان الشعور والتصور والقول ، وفق الانفعال الذي يسيطر عليهم في لحظة من اللحظات ، تحت وقع مؤثر من المؤثرات. وهم يقولون ما لا يفعلون ، لأنهم يعيشون في عوالم من صنع خيالهم ومشاعرهم ، يؤثرونها على واقع الحياة الذي لا يعجبهم ، ومن ثم يقولون أشياء كثيرة ولا يفعلونها ، لأنهم عاشوها في تلك العوالم الموهومة ، وليس لها واقع ولا حقيقة في دنيا الناس المنظورة. إن طبيعة الإسلام وهو منهج حياة كامل معد للتنفيذ في واقع الحياة ، وهو حركة ضخمة في الضمائر المكنونة وفي أوضاع الحياة الظاهرة ، إن طبيعة الإسلام هذه لا تلائمها طبيعة الشعراء كما عرفتهم البشرية في الغالب! لأن الشاعر يخلق حلماً في حسه ، ويقنع به. فأما الإسلام فيريد تحقيق الحلم ، ويعمل على تحقيقه ، ويحوّل المشاعر كلها لتحقق في عالم الواقع ذلك النموذج الرفيع ، والإسلام يحب للناس أن يواجهوا حقائق الواقع ولا يهربوا منها إلى الخيال المهوم. فإذا كانت هذه الحقائق لا تعجبهم ، ولا تتفق مع منهجه الذي يأخذهم به ، دفعهم إلى تغييرها وتحقيق المنهج الذي يريد! (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون). ومن ثم لا تبقى في الطاقة البشرية بقية للأحلام المهومة الطائرة. فالإسلام يستغرق هذه الطاقة في تحقيق الأحلام الرفيعة وفق منهجه الضخم العظيم. ومع هذا فالإسلام لا يحارب الشعر والفن لذاته ، كما قد يفهم من ظاهر الألفاظ ، إنما يحارب المنهج الذي سار عليه الشعر والفن ، منهج الأهواء والانفعالات التي لا ضابط لها ، ومنهج الأحلام المهوّمة التي تشغل أصحابها عن تحقيقها ، فأما حين تستقر الروح على منهج الإسلام ، وتنضح بتأثراتها الإسلامية شعراً وفناً ، وتعمل في الوقت ذاته على تحقيق هذه المشاعر النبيلة في دنيا الواقع ، ولا تكتفي بخلق عوالم وهمية تعيش فيها ، وتدع واقع الحياة كما هو مشوّهاً متخلفاً قبيحاً ، وأما حين يكون للروح منهج ثابت ، يهدف إلى غاية إسلامية ، وحين تنظر إلى الدنيا فتراها من زاوية الإسلام في ضوء الإسلام ، ثم تعبر عن هذا كله شعرا وفنا ، فأما عند ذلك (وعند ذلك فقط) ، فالإسلام لا يكره الشعر ولا يحارب الفن كما قد يفهم من ظاهر الألفاظ! ولقد وجّه القرآنُ القلوب والعقول إلى بدائع هذا الكون ، وإلى خفايا النفس البشرية ، وهذه وتلك هي مادة الشعر والفن. وفي القرآن وقفات أمام بدائع الخلق والنفس ، لم يبلغ إليها شعر قط في الشفافية والنفاذ ، والاحتفال بتلك البدائع وذلك الجمال. ومن ثم يستثني القرآن الكريم من ذلك الوصف العام للشعراء (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا) ، فهؤلاء ليسوا داخلين في ذلك الوصف العام. هؤلاء آمنوا فامتلأت قلوبهم بعقيدة ، واستقامت حياتهم على منهج ، وعملوا الصالحات ، فاتجهت طاقاتهم إلى العمل

الخير الجميل ، ولم يكتفوا بالتصورات والأحلام ، وانتصروا من بعد ما ظلموا. فكان لهم كفاح ينفثون فيه طاقتهم ، ليصلوا إلى نصرة الحق الذي اعتنقوه. ومن هؤلاء الشعراء الذين نافحوا عن العقيدة وصاحبها في إبان المعركة مع الشرك والمشركين على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم - حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم من شعراء الأنصار ومنهم عبد الله بن الزبعرى وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وقد كانا يهجوان رسول الله – صلى الله عليه وسلم - في جاهليتهما ، فلما أسلما وحسن إسلامهما ، مدحا رسول الله ونافحا عن الإسلام. وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لحسان رضي الله عنه: "اهجهم أو قال هاجهم وجبريل معك". وعن عبد الرحمن بن كعب عن أبيه – رضي الله عنهما - أنه قال للنبي – صلى الله عليه وسلم - إن الله عز وجل قد أنزل في الشعراء ما أنزل. فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: "إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه! والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل". رواه الإمام أحمد. والصور التي يتحقق بها الشعر الإسلامي والفن الإسلامي كثيرة ، غير هذه الصورة التي وجدت وفق مقتضياتها. وحسْبُ الشعر أو الفن أن ينبع من تصور إسلامي للحياة في أي جانب من جوانبها ، ليكون شعراً أو فناً يرضاه الإسلام. وليس من الضروري أن يكون دفاعاً ولا دفعاً ، ولا أن يكون دعوة مباشرة للإسلام ولا تمجيداً له أو لأيام الإسلام ورجاله. ليس من الضروري أن يكون في هذه الموضوعات ليكون شعراً إسلامياً! وإن نظرة إلى سريان الليل وتنفس الصبح ممزوجة بشعور المسلم ، الذي يربط هذه المشاهد بالله في حسه ، لهي الشعر الإسلامي في صميمه! وإن لحظة إشراق واتصال بالله أو بهذا الوجود الذي أبدعه الله ، لكفيلة أن تنشئ شعراً يرضاه الإسلام ، ومفرق الطريق أن للإسلام تصوراً خاصاً للحياة كلها وللعلاقات والروابط فيها ، فأيما شعر نشأ من هذا التصور فهو الشعر الذي يرضاه الإسلام!).هـ. ولقد احتدمت معركة كبيرة ، واشتد وطيسها الحامي المشتعل بين المفسرين والفقهاء والمحدثين ورواة السير والأدباء ، في بيان القول الفصل والكلمة الأخيرة في موقف الإسلام من الشعر لأحاديث ظاهرها التعارض! واحتاج الأمر إلى من يوفق بين هذه الأحاديث ، فيرد القوس إلى باريها ويرد الأمر إلى نصابه! ولسوف نزيد الأمر وضوحاً بإيراد ما خطه العلامة القرطبي صاحب (الجامع لتفسير القرآن) حيث يعلق الإمام القرطبي معلقاً على ذات الآيات ما نصه بتصرف فيه محافظة على روح النص مع اختصار لبعض الحواشي والاستشهادات: ({هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ، تنزل على كل أفاك أثيم ، يلقون السمع وأكثرهم كاذبون}. قوله تعالى: "هل أنبئكم على من تنزل الشياطين. تنزل على كل أفاك أثيم" إنما قال: "تنزل" لأنها أكثر ما تكون في الهواء ، وأنها تمر في الريح. "يلقون السمع وأكثرهم كاذبون". "فيلقون السمع" صفة الشياطين "وأكثرهم" يرجع إلى الكهنة. وقيل: إلى الشياطين. {والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون}. قوله تعالى: "والشعراء" جمع شاعر مثل جاهل وجهلاء ؛ قال ابن عباس: هم الكفار "يتبعهم" ضلال الجن والإنس. وقيل: "الغاوون" الزائغون عن الحق ، ودل بهذا أن الشعراء أيضا غاوون ؛ لأنهم لو لم يكونوا غاوين ما كان أتباعهم كذلك. وإن من الشعر ما يجوز إنشاده ، ويكره ، ويحرُم. روي مسلم من حديث عمرو بن الشريد عن أبيه قال: ردفت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوماً فقال: "هل معك من

شعر أمية بن أبي الصلت شيء) قلت: نعم. قال: (هيه) فأنشدته بيتاً. فقال: (هيه) ثم أنشدته بيتاً. فقال: (هيه)! حتى أنشدته مائة بيت. هكذا صواب هذا السند وصحيح روايته. وقد وقع لبعض رواة كتاب مسلم: عن عمرو بن الشريد عن الشريد أبيه ؛ وهو وهم ؛ لأن الشريد هو الذي أردفه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. واسم أبي الشريد سويد. وفي هذا دليل على حفظ الأشعار والاعتناء بها ، إذا تضمنت الحكم والمعاني المستحسنة شرعاً وطبعاً ، وإنما استكثر النبي - صلى الله عليه وسلم - من شعر أمية ؛ لأنه كان حكيما ؛ ألا ترى قوله – عليه الصلاة والسلام -: (وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم)؟ فأما ما تضمن ذكر الله وحمده والثناء عليه ، فذلك مندوب إليه. فإذا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يسمعه ، وأبو بكر ينشده ، فهل للتقليد والاقتداء موضع أرفع من هذا؟ قال أبو عمر: ولا ينكر الحسن من الشعر أحد من أهل العلم ولا من أولي النهي ، وليس أحد من كبار الصحابة وأهل العلم وموضع القدوة إلا وقد قال الشعر ، أو تمثل به أو سمعه فرضيه ما كان حكمة أو مباحاً ، ولم يكن فيه فحش ولا خنا ولا لمسلم أذى ، فإذا كان كذلك فهو والمنثور من القول سواء لا يحل سماعه ولا قوله ؛ وروي أبو هريرة – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على المنبر يقول: (أصدق كلمة - أو أشعر كلمة - قالتها العرب قول لبيد: (ألا كل شيء ما خلا الله باطل). أخرجه مسلم ، وزاد (وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم). وروي عن ابن سيرين أنه أنشد شعرا فقال له بعض جلسائه: مثلك ينشد الشعر يا أبا بكر. فقال: ويلك يا لكع! وهل الشعر إلا كلام لا يخالف سائر الكلام إلا في القوافي والأوزان ، فحسنه حسن وقبيحه قبيح؟! قال: وقد كانوا يتذاكرون الشعر. وكان عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أحد فقهاء المدينة العشرة ثم المشيخة السبعة – رحمه الله - شاعراً مجيداً مقدماً فيه. وللزبير بن بكار القاضي – رحمه الله - في أشعاره كتاب ، وكانت له زوجة حسنة تسمى عثمة فعتب عليها في بعض الأمر فطلقها. وأما الشعر المذموم الذي لا يحل سماعه وصاحبه ملوم ، فهو المتكلم بالباطل ، حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة ، وأشحهم على حاتم ، وأن يبهتوا البريء ويفسقوا التقي ، وأن يفرطوا في القول بما لم يفعله المرء ؛ رغبة في تسلية النفس وتحسين القول. وروى إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عون عن محمد بن سيرين – رحم الله الجميع - عن أبي هريرة – رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (حسن الشعر كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام). رواه إسماعيل عن عبد الله الشامي ، وحديثه عن أهل الشام صحيح فيما قال يحيى بن معين وغيره. وروى الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (الشعر بمنزلة الكلام ، حسنه كحسن الكلام ، وقبيحه كقبيح الكلام). وروى مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لأنْ يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خيرٌ من أن يمتلئ شعراً). وفي الصحيح أيضاً عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه - قال: بينا نحن نسير مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ عرض شاعر ينشد ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (خذوا الشيطان - أو أمسكوا الشيطان - لأن يمتلئ جوف رجل قيحاً خير له من أن يمتلئ شعراً). قال علماؤنا: وإنما فعل النبي - صلى الله عليه وسلم - هذا مع هذا الشاعر لما علم من حاله ، فلعل هذا الشاعر كان ممن قد عُرف من حاله أنه قد اتخذ الشعر طريقاً للتكسب ، فيفرط في المدح إذا أعطي ، وفي الهجو والذم إذا منع فيؤذي الناس في أموالهم وأعراضهم. ولا خلاف في أن من كان على مثل هذه الحالة ، فكل ما

يكتسبه بالشعر حرام. وكل ما يقوله من ذلك حرام عليه ، ولا يحل الإصغاء إليه ، بل يجب الإنكار عليه ؛ فإن لم يكن ذلك لمن خاف من لسانه قطعاً ، تعين عليه أن يداريه بما استطاع ، ويدافعه بما أمكن ، ولا يحل له أن يعطى شيئاً ابتداء ، لأن ذلك عون على المعصية ؛ فإن لم يجد من ذلك بُداً أعطاه بنية وقاية العرض ؛ فما وقى به المرء عرضه كتب له به صدقة. قلت: قوله: (لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتى يريه) القيح الصديد أو المِدّة يخالطها دم. يقال منه: قاح الجرح ، يقيح وتقيح وقيح. و"يريه" قال الأصمعي: هو من الوَرْيُ على مثال الرمي ، وهو أن يدوي جوفه ، يقال منه: رجل موري مشدد غير مهموز. وفي الصحاح: وروي القيح جوفه يريه ورياً إذا أكله. وهذا الحديث أحسن ما قيل في تأويله: إنه الذي قد غلب عليه الشعر ، وامتلأ صدره منه دون علم سواه ولا شيء من الذكر ممن يخوض به في الباطل ، ويسلك به مسالك لا تحمد له ، كالمكثر من اللغط والهذر والغيبة وقبيح القول. ومن كان الغالب عليه الشعر ، لزمته هذه الأوصاف المذمومة الدنية ، لحكم العادة الأدبية. وهذا المعنى هو الذي أشار إليه البخاري في صحيحه لما بوّب على هذا الحديث "باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر". وقد قيل في تأويله: إن المراد بذلك الشعر الذي هُجيَ به النبي - صلى الله عليه وسلم - أو غيره. وهذا ليس بشيء ؛ لأن القليل من هجو النبي - صلى الله عليه وسلم - وكثيره سواء في أنه كفر ومذموم ، وكذلك هجو غير النبي - صلى الله عليه وسلم - من المسلمين محرم قليله وكثيره ، وحينئذ لا يكون لتخصيص الذم بالكثير معني. قال الشافعي: الشعر نوع من الكلام ، حسنه كحسن الكلام ، وقبيحه كقبيح الكلام ، يعني أن الشعر ليس يكره لذاته ، وإنما يكره لمضمناته ، وقد كان عند العرب عظيم الموقع. وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - في الشعر الذي يرد به حسان على المشركين: (إنه لأسرع فيهم من رشق النبل). أخرجه مسلم. قوله تعالى: "والشعراء يتبعهم الغاوون" لم يختلف القراء في رفع "والشعراء" فيما علمت. ويجوز النصب على إضمار فعل يفسره "يتبعهم" وبه قرأ عيسى بن عمر ؛ قال أبو عبيد: كان الغالب عليه حب النصب ؛ قرأ "والسارق والسارقة" و"حمالة الحطب" و"سورة أنزلناها". وقرأ نافع وشيبة والحسن والسلمي: "يتبعهم" مخففاً. الباقون "يتبعهم". وقال الضحاك: تهاجى رجلان أحدهما أنصاري والآخر مهاجري على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع كل واحد غواة قومه وهم السفهاء فنزلت ؛ وقاله ابن عباس. وعنه هم الرواة للشعر. وروى عنه علي بن أبي طلحة أنهم هم الكفار يتبعهم ضُلال الجن والإنس ؛ وقد ذكرناه. وروى غضيف عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: (من أحدث هجاء في الإسلام فاقطعوا لسانه). وعن ابن عباس أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما افتتح مكة رن إبليس رنة ، وجمع إليه ذريته فقال: ايأسوا أن تريدوا أمة محمد على الشرك بعد يومكم هذا ، ولكن أفشوا فيهما - يعني مكة والمدينة - الشعر. قوله تعالى: "ألم تر أنهم في كل واد يهيمون" يقول: في كل لغو يخوضون ، ولا يتبعون سنن الحق ؛ لأن من اتبع الحق وعلم أنه يكتب عليه ما يقوله تثبت ، ولم يكن هائماً يذهب على وجهه لا يبالي ما قال. نزلت في عبد الله بن الزبعرى ومسافع بن عبد مناف وأمية بن أبي الصلت. "وأنهم يقولون ما لا يفعلون" يقول: أكثرهم يكذبون ؛ أي يدلون بكلامهم على الكرم والخير ولا يفعلونه. ثم استثنى شعر المؤمنين: حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وكعب بن زهير ومن كان على طريقهم من القول الحق ؛ فقال: "إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً" في كلامهم "وانتصروا من بعد ما ظلموا" وإنما يكون الانتصار بالحق ، وبما

حده الله عز وجل ، فإن تجاوز ذلك فقد انتصر بالباطل. وقال أبو الحسن المبرد: لما نزلت: "والشعراء يتبعهم الغاوون" جاء حسان وكعب بن مالك وابن رواحة يبكون إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؛ فقالوا: يا نبي الله! أنزل الله تعالى هذه الآية ، وهو سبحانه وتعالى يعلم أنا شعراء؟ فقال: (اقرأوا ما بعدها: "إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات" ـ الآية ـ أنتم "وانتصروا من بعد ما ظلموا") أي بالرد على المشركين. قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (انتصِروا ، ولا تقولوا إلا حقاً ، ولا تذكروا الآباء والأمهات). وقال كعب يا رسول الله! إن الله قد أنزل في الشعر ما قد علمت فكيف ترى فيه؟ فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (إن المؤمن يجاهد بنفسه وسيفه ولسانه ، والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل). وروى الضحاك عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى: "والشعراء يتبعهم الغاوون" منسوخ بقوله: "إلا الذين أمنوا وعملوا الصالحات". قال المهدوي: وفي الصحيح عن ابن عباس أنه استثناء. "وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون" في هذا تهديد لمن انتصر بظلم قال شريح: سيعلم الظالمون كيف يخلصون من بين يدي الله عز وجل ؛ فالظالم ينتظر العقاب ، والمظلوم ينتظر النصرة. وقرأ ابن عباس: "أي منفلتٍ ينفلتون" بالفاء والتاء ومعناهما واحد ذكره الثعلبي. ومعنى: "أي منقلب ينقلبون" أي مصير يصيرون ، وأي مرجع يرجعون ؛ لأن مصيرهم والعياذ بالله إلى النار ، وهو أقبح مصير ، ومرجعهم إلى العقاب وهو شر مرجع. والفرق بين المنقلب والمرجع أن المنقلب الانتقال إلى ضد ما هو فيه ، والمرجع العود من حال هو فيها إلى حال كان عليها فصار كل مرجع منقلباً ، وليس كل منقلب مرجعاً ؛ والله أعلم ؛ ذكره الماوردي. و"أي" منصوب بـ "ينقلبون" وهو بمعنى المصدر ، ولا يجوز أن يكون منصوباً بـ "سيعلم" لأن أيا وسائر أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها فيما ذكر النحويون ؛ قال النحاس: وحقيقة القول في ذلك أن الاستفهام معنى ، وما قبله معنى آخر ، فلو عمل فيه ما قبله لدخل بعض المعاني في بعض).هـ. وإذن فقد أردت بهذا الاستشهاد الطويل المبين المفصل أن أبيّن موقف الإسلام من الشعر والشعراء. وعوّلتُ في هذا على القرطبي – رحمه الله رحمة واسعة ـ كنموذج لأحد علماء السلف الأولين ، كما عوّلتُ على صاحب الظلال – رحمه الله رحمة واسعة ـ كنموذج لأحد علماء الخلف الآخرين. وفي كلامهما غنية ولله الحمد! وأعتقد أنه قد بان الفرق بين شعراء الغواية المفسدين في الأرض الصادين عن سبيل الله إذ يبغونها عوجاً ، الآمرون بالمنكر والناهين عن المعروف ، الداعين إلى التهتك والسفول والسقوط والإباحية والمجون والدعر والعهر ، الموطدين للدجال الأكبر قبل مجيئه ، المرتزقة بالشعر على غير هدىً من الله تعالى ولا كتاب منير! وبين شعراء القيم ، شعراء الأخلاق والمبادئ ، شعراء العقيدة والتوحيد ، الصالحين في ذوات أنفسهم المصلحين لغيرهم من حولهم ، الدالين على سبيل الله تعالى الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، الداعين إلى الاستقامة والسمو والرفعة واتباع منهج الله تعالى وصيانة الأعراض على هدىً من الله وكتاب منير ، المنفرين من الدجال والمحذرين منه قبل مجيئه ، الذين يبتغون بإنشادهم للشعر وبصياغتهم له وجه الله تعالى ورضاء رسوله والفوز في الدار الآخرة ، الذين لم يطوعوا أشعارهم للطغاة والجاهلية ، الذين تذكرنا أشعارهم بالله ورسوله. نسأل الله أن نكون منهم!

ترجمة الشاعر

الشاعر // أحمد على سليمان عبد الرحيم ، وُلد في جمهورية مصر العربية – محافظة بورسعيد – تقاطع شارعي رُوس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م ، تخرج في كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية وآدابها – جامعة المنصورة – دفعة مايو عام 1985م. له اهتمام بالغ منقطع النظير بالأدب الجاد شعره ونثره ونقده. له صفحة يومية بجريدة الوحدة العربية عنوانها: دوحة الوحدة الشعرية ، وهي صفحة تعنى بالشعر في جميع مراحله القديمة والحديثة: نقداً ومتابعةً وتغطية.

• بعض دواوينه الشعرية:-

•• نهاية الطريق: وهوديوان شعري يقع في أربعمائة صفحة من الصفحات ذوات القطع الوسط ، وقصائد هذا الديوان ذات طابع اجتماعي في عمومها.

•• عزيز النفس: وهوديوان شعري يقع في أربعمائة صفحة من الصفحات ذوات القطع الوسط ، وقصائد هذا الديوان ذات طابع وجداني حزين دامع لاعج الألفاظ. ذلك أنها كتبت في مناسبة مريرة هي حادث سير مروري لسيارة كان الشاعر فيها عن يمين صديق له ، وأسفر الحادث عن إصابة الشاعر في عينه اليسرى فأهدى ديوانه إلى عينه اليُسرى ، وكتب فيه على كل بحور شعر العرب ، أصيلها ومولدها ، بل وحتى ما يُعرف بتفعيلة الشعر أو شعر التفعيلة الذي ليس بالشعر.

•• القوقعة الدامية: وهوديوان شعري يقع في أربعمائة صفحة من الصفحات ذوات القطع الوسط ، وقصائد هذا الديوان ذات طابع اجتماعي في عمومها. وتميل قصائده بصفة عامة إلى تشخيص الواقع المُعاش والوقوف على أمراضه ، التي أعراض لمرض أكبر هو غياب العقيدة الربانية ، ثم تشخيص العلاج من هذه الأمراض ، ورسم صورة كبيرة للتفاؤل وإحسان الظن بالله تعالى! والقوقعة التى عناها الشاعر وجعلها عُنوانا للديوان هي قوقعة حية تعيش بيننا ، زين لها الشيطان سوء عملها فرأته حسنا ، وأخذ الشاعر يناقشها ويدعوها ويبين لها ، وعرّض ببقية القواقع الخاوية الدامية الأخرى.

•• الأمل الفواح: وهو ديوان شعري تزيدُ صفحاته كذلك على مئات ستٍ تقريباً ، والأمل الذي عناه الشاعر هو الأمل الكبير في انتصار الحنيفية السمحة وعزتها ، وما ذلك على الله ربنا بعزيز.

•• ترنيمة على جدار الحُب: وهو ديوان شعرى يقع في أربعين ومائتين من الصفحات ذوات القطع الوسط ، وتميل قصائده في معظمها إلى الطابع الرثائى إلا ترنيمة من بينها على جدار الحب.

•• سُويعات الغروب: وهو ديوان شعري يقع في أربعمائة صفحة من القطع الوسط ، وقصائده ذوات طابع اجتماعي وجداني نقدي ، وكلها جميعا من الشعر العمودي الأصيل الموزون المقفي. وكان الشاعر قد زوّد كل قصيدة بمقدمة تفسيرية افتتاحية (على عادته) حتى تكون هذه المقدمة بمثابة المفتاح الذي يفتح لكل قارئ مغاليق الفكرة ويصرف عنه عذابات الالتباس وجحيم سوء

الفهم وهواجس سوء الظن. ولما كانت (ترجمة الشاعر) خاصة بديوان (سويعات الغروب) ها أنذا أقف مع بعض قصائد هذا الديوان بعض الوقفات. فأما قصيدة (القارئ الصغير) فإنني أهديتُها لطالب صومالي هو (عباس عبد النور) في مدرسة أم القرى الخاصة بأم القيوين بدولة الإمارات العربية المتحدة ، حيث إنني كنت أعمل في هذه المدرسة في تدريس اللغة الإنجليزية ، فكنت سعيدا أنني أرى مثل هذا الفتى في مدرستنا ، فكان يأسر الجميع بقراءته العظيمة للقرآن. فرحت أطلق عليه: (القارئ الصغير) ، ولفت ذلك الطالب انتباه الجميع ، وحاز إعجابهم. والصوت الجميل هبة من الله ولا شك ، ومنة منه سبحانه على عبد من عباده ولا ريب. إنني فخور بذلك الفتى ، وأسأل الله أن ينفع به وأن يجعلنا وإياه من الذين يعملون بالقرآن والسنة. وأما قصيدة (فلعلك باخع نفسك) فأهديتها للشاعر نفسه عزاء وتسلية. إنه مهما طال الليل فلا بد من طلوع الفجر ، كما أنه مهما طال العمر فلا بد من دخول القبر. ومهما تأرجح الموج بالسفينة فلا بد لها من نهاية إما بالغرق وأهلها محتسبون أنفسهم شهداء عند الله وكفي بها عُقبى ، وإما بالنجاة فيحققون النصر على الأعداء ويردعونهم بذلك النصر المبين. أقول: لا يجب أن نتمادى مع الشجون ، كما لا يجب التغني بالأمجاد الزائفة والعز الكذوب. بل الحق هو الذي يجب أن يسود ويعرف ، رغم كيد الباطل وغروره. وعلى كل صادق النفس رابض الجأش مخلص العزم واثق الروح أن يواجه من حوله وما حوله ، فهذا خير له من الهروب ، ومن الاستحياء الذي يضيع معه الحق. ذلك الحق الذي كان أحرى بأن يعود إلى أهله. إنه لا يهلك نفسه بما ناله منه أعداؤه إلا عاجز ليس يقوى على اتخاذ القرار. ولكل مخلوق أجل محتوم ولا شك ، كما أن لكل ظالم جائر نهاية ومصرع محتوم يقتص فيه منه! وأما قصيدة (عاملة ناصبة) فصغتُها لذلك النصراني الذي كتب الآيات القرآنية والأحاديث النبوية يبتغي وجه الله على حد تعبيره. وتذكرت عمله ونصبه وهو من أهل النار ، طبعاً إن هو مات على ذلك! وأسأل الله أن يرزقه قبل موته توبة). ومن هنا رحت أنشد هذه القصيدة داعيا الله لنفسي بالثبات وداعياً له بالهداية. وأما قصيدة (الظلم ظلمات يوم القيامة) ، فأنشدتها للذين ظلموني ظلما عليه بدلا من الدليل أربعون ، ومع هذا يستكثر الواحد منهم حتى مجرد الاعتراف بأنه ظلمني وجار على كل حقوقي عنده. وهذا في ظني أقل القليل ، والحال والله كما أنشد أبو فراس الحمداني:

(وجرح ذوى القربى أشد صبابة ** على النفس من وقع الحسام المهند). إننى أوجه هذه القصيدة لكل ظالم اليوم حتى يراجع حساباته قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله ، لا درهم يومها ولا دينار. إن المظلوم دائم الدعاء ، والله عز وجل وعد المظلوم بالانتصار له ولو بعد حين ، والله نصير الحق وولي المظلومين ولا يحب الظالمين. ألا فليتق الله كل من ظلم بأي نوع من أنواع الظلم.

وأما قصيدة (رسالة إلى سيف الإسلام) ، فأوجهها لولدي الذي هو سادس إخوته ، عسى أن يفهم منها ما يريد أبوه يوما ما ولا يضن عليه يومها بدعوة صالحة (أو ولد صالح يدعو له). إنها قصيدة أبوية خالصة أسجلها لله ، ثم للتاريخ ، وذلك لما ينتبانى عندما يرزقنى الله بالولد. فإنني سرعان ما تتوارد عليّ الأفكار والإيحاءات والصور ، وتنفعل العاطفة الجياشة ، وأدخر الولد ذخرا للإسلام والمسلمين ، وآخذ في الدعاء له شعراً ونثراً ، وصوتاً ومعنىً ، وعاطفة وشعورا. وإذن فهي قصيدة الداعي إليها أن لا يقول يوما ما لم يسو أبي بيننا في القصائد. بل إنني سويت وعدلت ما استطعت ، وتركتُ لقلمي العِنان ، فصاغ ما جادت به القريحة من فضل الله تعالى. والحمد لله الذي جعل هد يتي لولدي من الشعر وهو لا يزال في مهده ، ليس يُميّز بين التمرة والجمرة ،

وأحتسب عند الله تعالى ما كتبته ، ومَن يدري لعل ولدا من أولادنا أو لعلهم جميعا يتخصصون في الأدب العربى ونقده. أو يكون لهم بالشعر العربي الأصيل علاقة وشغف وحب وتولع (وهذا علمه عند ربي). وإن كان أملاً منشوداً مخبوءاً في الضمير. عند ذلك يقوم ذلك الابن بدراسة أشعار أبيه وعرضها في صورة قشيبة تتناسب ومعطيات زمانه من جودة الطباعة والتنقيح والتحقيق والتصحيح ، وساعتئذ يفرح أبوه بنصر الله. أن يخرج ذلك الشعر خروجاً جديداً غضاً طرياً ، كما خرج لأول مرة هنا في الإمارات العربية المتحدة. إنني وقد عجزتُ عن الطباعة والنشر والتوزيع لضيق ذات اليد وللقيود والعراقيل الأخرى الخارجة عن إرادتي فإن السوشيال ميديا قد قربت المسافات بين الشاعر والقارئ! يقول الأديب الشاعر محمد سليمان: (الميديا وآلياتها سحبت السجادة من أسفل أقدام الشعر ـ عصر الشاشة)! ويرى الشاعر محمد سليمان أننا نعيش في عصر الشاشة ، «وعلينا أن نتذكر بيان الحركة المستقبلية الصادر عام 1916م ، الذي حمل عنوان «السينما المستقبلية» وجاء في صدارته: «انتهى عصر الكتاب كمصدر وحيد للمعرفة ، وبدأ عصر الشاشة» ، وهو ما يعني إزاحة لبعض الفنون ، وإنعاشًا لفنون ، أخرى كالرواية التي يمكنها أن تتحول إلى فيلم سينمائي». ويشير إلى أن السينما هي التي أدخلت نجيب محفوظ إلى النجوع والقرى ، وأن كبار الكتاب في العالم العربي راجت أعمالهم ؛ بسبب الأفلام والشاشة البيضاء ، ويمكن القول: إن التصوير وأدوات الميديا الجديدة أفادت فنونًا كالمسرح وغيره ، لكن الشعر لم يستفد من هذا العصر ؛ لأنه من الصعب تحويل قصيدة إلى عمل فني يعرض على المسرح).هـ. ويؤكد سليمان أن الجوائز ليست العامل الحاسم في انحسار الأضواء عن الشعر والشعراء ، «لكن الميديا وآلياتها هي التي سحبت السجادة من أسفل أقدام الشعر الذي ظل مهيمنًا طوال النصف الأول من القرن العشرين. ويقول الأديب سامي سليمان ما نصه: (إنه يمكن التمييز بين ثلاثة أنماط رئيسة وعامة ، وهي: الشعر الحر وقصيدة النثر والشعر التقليدي المتطور كالشعر الكلاسيكي والشعر الرومانسي. ومن جانب آخر يذهب أستاذ الأدب العربي في جامعة القاهرة الدكتور سامي سليمان إلى أنه من الصعوبة الحديث عن الشعر على إطلاقه في دوائر التلقي العربية. ويقول: إنه يمكن التمييز بين ثلاثة أنماط رئيسة وعامة ، وهي: الشعر الحر وقصيدة النثر والشعر التقليدي المتطور كالشعر الكلاسيكي والشعر الرومانسي ، ثم شعر العامية. ويضيف قائلًا: «في شكل عام نحن نحيا في العقود التالية لمرحلة الحرب العالمية الثانية في عصر السرد وعصر الصورة ، وكلا التعبيرين دال على مرحلة حضارية تتقدم فيها أنواع أدبية وفنية كالسينما والمسلسل التليفزيوني والرواية والقصة القصيرة على حساب الشعر. ونلحظ أن نمط الشعر الحر وقصيدة النثر يتلقيان في دوائر محدودة. أما نمط الشعر التقليدي المتطور فيتحرك في دوائر تلقي أكثر اتساعًا ، وهي دوائر تسودها أنواع من الجماليات ذات الصلة بالموروث من مسيرة الشعر العربي. ويبقى النمط الأخير ممثلًا في شعر العامية الذي اكتسب ـ في العقود الأخيرة ـ مساحات كبيرة من دوائر التلقي العام ، على الرغم من أن الحركة النقدية المعاصرة له لم تمنحه ما يستحق من اهتمام. ويوضح أن هذه الوضعية هي التي تفسر علاقة وسائل الإعلام بأنماط الشعر العربي ؛ «فرغم محدودية المساحات المخصصة للشعر في تلك الوسائل فإن شعر العامية والشعر التقليدي المتطور لهما حضور أقوى في مساراتهما من الشعر الحر وقصيدة النثر. ولكن في العقد الأخير أخذت تتاح للشعر إمكانيات جديدة للتلقي عبر وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة. وليس ممكنًا التنبؤ بإمكانيات تغير هذه

الوضعية في المستقبل القريب ؛ لأن أشكال التطور في وسائل الاتصال تؤدي دائمًا إلى تقليص المساحات المتاحة للكلمة التي أخذت الصورة تحل محلها وتتحول إلى بديل عنها).هـ. إنني أسجل هذه الكليمات الآن من قبيل الوصية التي أوصي بها أبنائي فأقول: (إن تركتي الحقيقة هي ذلك الشعر الذي كتبته بدمي ، وعانيت فيه الكثير. أيها الأبناء إن كان الشعر ديوان العرب ، الذي حوى مساجلاتهم ووقائعهم وعاداتهم ، ودونت فيه تقاليدهم وأعرافهم وسلومهم ، فإنه كذلك بالنسبة لأبيكم! لقد احتوى ذلك الشعر الكثير الكثير من حياة أبيكم ، وجانباً كبيراً من حقائق لطالما كان يحلم ذلك الأب بخروجها من صدره للدنيا! ألا فلتقرأوه ، ولتعلموا بالحق والعدل والخير الذي احتواه ، ولتعملوا بما فيه من الخير. ولتجتنبوا السوء الذي قد حواه. فما كان فيه من حق وعدل وصواب وخير وبر فمن الله وحده ، ليس لأبيهم فيه نصيب ، وما حوى من سوء أو تطاول أو قبح أو سوء أدب أو تزايد على الشرع الحنيف أو الأدب العربي الأصيل الموافق لروح العقيدة ، فمن الهوى والنفس والشيطان ، وأستغفر الله من كل سوء حواه شعري ، كما أعوذ به أن يكون سببا في إغواء أحد من خلقه. كما وإني لأشكر الله على أن خصني بكتابة الشعر.

••• وللمؤلف قيد الصف والإعداد والإخراج من الكتب والدواوين:

(1) قراءة أسلوبية في شعر عنترة بن شداد العبسي.
(2) قراءة أسلوبية في شعر حسان بن ثابت الأنصاري – رضي الله تعالى عنه.
(3) قراءة أدبية في بعض الدواوين الشعرية (دراسة نقدية).

وهذه القراءات الأدبية التحليلية ، قام الشاعر بنشرها في الدوريات والمجلات والجرائد العربية عبر سنين مضت ، ثم قام بتجميعها وإعادة صفها وإخراجها وتنسيقها والنظر فيها ، إضافة إليها وكذلك حذفا منها وتعديلا لبعض اعوجاجها ، ثم طبعها في كتب ، ولقد كان لجريدة الوحدة الإماراتية النصيب الأكبر من هذه المقالات ، حيث كانت للشاعر بها صفحة يشرف عليها كما أسلفنا.

••

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين
والله ولي التوفيق

فهرست القصائد & مسرد مُوسيقي – سُويعات الغروب

مسلسل	عنوان القصيدة	البحر	القافية	الصفحة
ابـــــــ	ـــــــتـــــــــــــــهـــــــــــــ	ـــــــــــــ	ـــــــــــال	9
شـــــــ	ـــــــــــــــــعـــــــــــــــــــــ	ـاع ضـــــــ	ـــــــــــوء	13
مـــــــ	ـــوضـــــــــــــــــوع الـــــــــــ	ـــــغـــــــ	ـــــــــلاف	17
مـــــــ	ـــــــــــــــقـــــــــــــــــــد	مـــــــــــ	ـــــــــــة	21
الافـــــــ	ـــــــتـــــــــــــــــــتـــــــــــ	ـاحـــــــــــ	ـــــــيـــــــة	25
إهـــــــ	ـــ	ـــــــــــــ	ـــــــــــداء	27
1	القلنسوة	الكامل	الورودْ	31
2	الجبال من القضيض	الكامل	الهوى	33
3	هشيم الخديعة	الكامل	المعترك	35
4	ليس الخبر كالمعاينة	الكامل	كالغريق	37
5	أريج الأحلام	أبقى	الرمل	39
6	أنين الذكريات	والشرف	البسيط	40
7	تعس عبد الدينار	للمماتْ	الكامل	41
8	نعم الإدام الخل!	الشرهْ	الكامل	43
9	عبيد المال	القيودْ	الرمل	45
10	أهداب النصيحة	الغواة	الكامل	48
11	هواجس الأطياف	العدمْ	الكامل	50
12	من لهيب الغربة	اغترابْ	المتقارب	53

13	وخز الضمير	النذيرْ	المتقارب	59
14	(سويعات الغروب)	الغيوبْ	الرمل	65
15	المزاد والذمم	الذممْ	الكامل	73
16	لوعة الرحيل	الجحفلِ	الكامل	75
17	الأصيل	الأدبْ	الرمل	104
18	عميل الشياطين	الذممْ	المتقارب	115
19	الربان والثعبان	الغسقْ	الرمل	126
20	القصيدة العمرية (حبيب القلوب)	يبسمُ	الكامل	136
21	تقاسيم بين الغموض والبيان	الأشواقِ	الكامل	143
22	أم إبراهيم	الأفئدةْ	المتقارب	144
23	هكذا يكون العتاب	محبتي	الكامل	146
24	قصة رؤيا	الساكنة	المتقارب	152
25	رسالة إلى بلعام بن باعوراء	زاديهْ	الرمل	157
26	لعنة الأطلال	المبتئسْ	الكامل	163
27	مخالب الغربة	يرتجفْ	الرمل	168
28	من القلب للقلب	القنعْ	الرمل	175
29	أطلال المأساة	تكتمنْ	المتقارب	181
30	إكرام الراحلة	الجمرِ	الرمل	187
31	هل تبكي الهوى؟	الحبيب	الكامل	193
32	حوار مع متعالم	تتقلبُ	الكامل	195
33	خالصة أجرة الشحن!!	باليهْ	الكامل	200

34	خرائب الماضي	أحدْ	الكامل	204
35	جراد على الرمال	القرصنة	الكامل	206
36	حياك الله أيها الحادي	مزدهرْ	الرمل	208
37	تحية للشاعر الشهيد (هاشم الرفاعي)	نشيدِ	الكامل	212
38	واستغفري لذنبك!	أمرِ	الوافر	214
39	الآمال الذابلة	المليكْ	الكامل	216
40	خرير الأوراق	المغامرْ	الوافر	218
41	المخرج من دياجير التيه	العدمْ	الكامل	220
42	استعلاء في دنيا البهتان	وثيقِ	الخفيف	223
43	المرتزقة والتطويع	منحرفُ	البسيط	225
44	صور من ركام الجاهلية	البئيسُ	الخفيف	227
45	تحية للشاعر كمال عبد الرحيم الوحيدي	والآمادا	الكامل	229
46	شاعر يدافع عن نفسه	وترسي	الخفيف	230
47	ترانيم من وحي العيد	ومَبْهجُ	الطويل	231
48	لا أعرف الآمال الذابلة	يغدو	الطويل	232
49	القارئ الصغير	مذابا	الوافر	233
50	الظلم ظلمات يوم القيامة	وتغصبُ	الكامل	234
51	رسالة إلى سيف الإسلام	ولا لعبُ	البسيط	241
52	حقيقة الإسراء	الكبرى	الطويل	254
53	فلعلك باخعُ نفسك	الأدعياءُ	الخفيف	273
54	عاملة ناصبة	المصيرْ	المتقارب	274

55	فبهت الذي كفر!	والبصرُ	البسيط	275
56	سلاح المودَّة	المهيلة	الخفيف	281
مـــــ	ـــــرة أخـــــ	ـــــ	ـــــرى	283
نحـــ	ـــو شـــعـــر هـــ	ـــ	ـــادف	285
تـــ	ـــرجـــمـــة	الـــشـــا	عـــر	291
فـــ	ـــهـــ	ـــ	ـــرس	295

تم بحمد الله وتوفيقه وعنايته ورعايته!

تنويهٌ هام

حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة للشاعر

باسم (ديوان السليمانيات) بدار الكتب والوثائق القومية
(إدارة الإيداع القانوني)
16004 / 2006 في يوم 6 – 8 – 2006م
بطاقة فهرسة بدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية
800 ، 811

نبذة عن أحمد علي سليمان عبد الرحيم

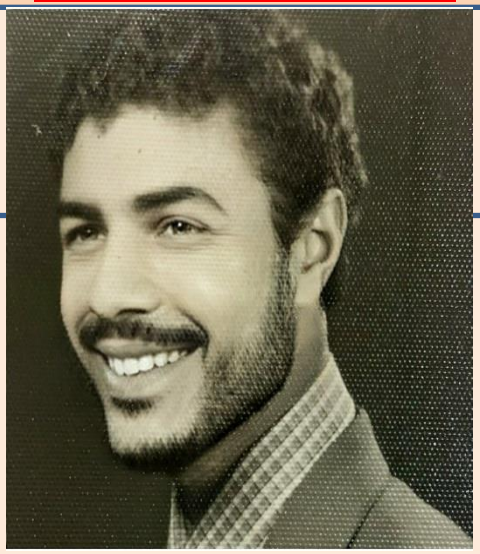

(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية ـ محافظة بورسعيد ـ تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية ـ جامعة المنصورة ـ مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صَعيديٌ قح أباً وجداً وأعماماً من بيت خليفة ـ الكولة ـ مركز أخميم ـ محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية ـ لم يُقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بالحسنى ـ بتوفيق الله – سبحانه وتعالى ـ!

ويمكننا إجمال الدواوين والقصائد والمجموعات الشعرية والكتب في هذه القائمة:

أولاً: الدواوين الشعرية

1 – نهاية الطريق: (ديوان شعر).
2 – عزيز النفس: (ديوان شعر).
3 ـ سويعات الغروب: (ديوان شعر).
4 – القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
5 ـ ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
6 – الأمل الفواح: (ديوان شعر).
7 – من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
8 – الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
9 – ذل الجمال: (ديوان شعر).
10 – ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
11 – دموع التصبر: (ديوان شعر).
12 – عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
13 – فأعِضُّوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
14 – الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
15 – غادة اليمن: (ديوان شعر).
16 – عزة الخير: (ديوان شعر).
17 – منار الخير: (ديوان شعر).
18 – غربة وحَربة وكُربة: (ديوان شعر).
19 – الطبيبتان: (ديوان شعر).
20 – عجبتُ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
21 – أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
22 – كالقابض على الجمر: (ديوان شعر).
23 – من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
24 – خانك الغيث: (ديوان شعر).
25 – الشعر رحمٌ بين أهله: (ديوان شعر).
26 – وداعاً أيها القريض!

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

1 ـ قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
2 – قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية: عنترة بن شداد العبسي.
3 ـ السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
4 ـ ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.
5 – ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم ـ!
6 – إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرتُ بها في حياتي العملية والعلمية)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

1 – الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحياً!
2 – القاتل البطيء (التدخين)
3 – بين شوقي وحافظ!
4 – ثاني اثنين إذ هما في الغار
5 – عُمَير بن وهب الجمحي – رضي الله عنه -.
6 – لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
7 – من أجل زوجي!
8 – هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
9 – فرانك كابريو (القاضي الأمريكي الرحيم)
10 – يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
11 - يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
12 – رباعيات الخيام اليمنية (معارضة لعمر الخيام)
13 – ابتسم! (معارضة لإيلياء أبو ماضي)
14 – إبراهيم مصطفى صديقاً وصهراً
15 – أبو غياث المكي – رحمه الله –
16 – أتيناكم! أتيناكم!
17 – أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحوياً وناقداً
18 – أستاذي قال لي! (عريف الكُتاب – رحمه الله -)
19 – قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
20 – أسماء الله الحسنى
21 – الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
22 – التلون أخو النفاق من الرضاعة
23 – موقع (الديوان) منتجع الشعراء
24 – (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
25 – أبجديات شعرية
26 – الشعر رحِمٌ بين أهله
27 – الله يرحمُ مُزنة
28 – رسالة شعرية إلى أم يوسف
29 – امتَهنوا فما امتُهنوا! (علماء السلف رحمهمُ الله)
30 – تراني عندما أرى لحيتك!
31 – لا فضّ فوك يا دكتور بدر العتيبي!
32 – بُردة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –
33 – بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما –
34 – بردة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –
35 – بردة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –
36 – بردة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –

37 – بردة فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها –
38 - بكائية إسماعيل علي سليم (فقيد التربية والتعليم)
39 – نعم الميّت ، ونعمت المِيتة! (رثاء فقيد الأزهر الشريف)
40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
42 – تغير الحال أم الخال؟!
43 – تلميذي البار شكراً!
44 – تيس يرث نعجة! (جيء به محللاً فورثها)
45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
46 – جاز المعلم وفه التبجيلا! (معارضة لشوقي)
47 – حادي القلوب (ظفر النتيفات)
48 – حبيبتي أقبلتْ! (معارضة لجاءت معذبتي لابن الخطيب)
49 – حرامية الشعر!
50 – حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
51 – حنين بقلبي (معارضة للعشماوي)
52 – خانك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
53 – رثاء الدكتور الشربيني أبو طالب (معارضة لشوقي)
54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد)
55 – رسالة إلى دائنة!
56 – رضيعة الحاوية (رماها أبوها رضيعة فنفعته في كبره)
57 – رفقاً بنفسكِ يا صاحبة الدموع (عائشة – رضي الله عنها -)
58 – رفيدة بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –
59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها –
61 – سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
62 – ضحية تعتب على قاتلها (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
63 – طبت حياً وميتاً يا أبتاه!
64 – طبت حياً وميتاً يا رسول الله!
65 – طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
66 – ظلم الشقيقتين (كفلهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
67 – عاشقٌ عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
69 – عجبتُ للنذل
70 – عجبت من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبتُ لا تنتهي)
71 – غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
72 – وربما حار الدليل!
73 – يا جارة الوادي اليمنية (1 & 2) (معارضة لشوقي)

74 – لصوص القريض
75 – لقاؤنا في المحكمة
76 - لوعة الرحيل
77 - مسألة كرامة (تحويل (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى)
78 – كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
79 – مصابيح الدجى (علماء السلف – رحمهمُ الله -)
80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء
81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
84 – الأطلال اليمنية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
85 – الكائنات الفضائية!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

1 – الغربة سلبيات وإيجابيات
2 – إلى هؤلاء أتكلم!
3 - آمال وأحوال
4 – أمتي الغائبة الحاضرة
5 – أنات محموم وآهات مكلوم
6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)
7 – تحية شعرية والرد عليها
8 – رمضان شهر الخير والبركة
9 – عندما لا نجد إلا الصمت
10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!
11 – بيني وبينك!
12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء
13 – دموع الرثاء وبكاء الحُداء (1 & 2)
14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان
15 – رسائل سليمانية شعرية
16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
17 – شرخ في جدار الحضارة
18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 & 2&3)
20 – عندما يُثمر العِتاب
21 – فمثله كمثل الكلب!
22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)
23 – كل شعر صديق شاعره
24 – مساجلات سليمانية عشماوية

25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –
27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
29 – الصبر تِرياق العلل والداءات
30 – الصعيد مهد المجد والسعد
31 – الضاد بين عدو وصديق
32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى
33 – الغربة دُربة على الطريق
34 – الغيرة غير القاتلة
35 - القصيدة ابنتي
36 – اللغة العربية وصراع اللغات
37 – اللقيط برئٌ لا ذنب له!
38 – المال والجمال والمآل
39 – المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
40 – المعلم صانع الأجيال
41 – الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)
42 – اليُتْم غنمٌ لا غرم
43 – أمومة وأمومة
44 – أهازيج بين الشعر والشاعر
45 – أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 – أهكذا يُعامَل الشقيقُ يا هؤلاء؟!
47 – بين الفتنة والبطنة!
48 – بين هندٍ وزيد!
49 – جيران وجيران!
50 – رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 – عزة الخير (أم عبد الله)
52 – فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)
54 – مدائح إلهية شعرية
55 – اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 – البُردات الشعرية السليمانية
57 – عيون الدواوين السليمانية
58 – معارضات سليمانية شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 – المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء) (1&2&3)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 – من أزاهير الكتب
62 – من الأجوبة المُسكتة المُفحمة
63 – من أناشيد الأفراح

64 – نحويات شعرية
65 – نساء صَقلتهن العقيدة
66 – نساءٌ لعب بهن الشيطان
67 – وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 – أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 – النفس في شعر أحمد علي سليمان
71 – الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 – الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 – الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (2&1)
75 – العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان
76 – المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 – علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 – رسائل شعرية لمن يهمه الأمر
80 – ماذا قال لي شعري؟ وبم أجبته؟
81 – مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 – المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 – التوبة في شعر أحمد علي سليمان
84 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
85 – أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 – نصيب طلابي من شعري
87 – حضارة البِطنة لا الفِطنة
88 – إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 – لا ينبغي أن ننخدع بلحن القول!
90 – الإدمان ذلك الشبح القاتل!
91 – دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 – المرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 – القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 – وترجون من الله ما لا يرجون
95 – قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 – الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 – الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 – صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (3&2&1)
99 – الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 – لماذا؟
101 – (لا) كلمة لها وقتها!
102 – هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان

103 - أخرْتُ عمّنْ هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (3&2&1)
106 – أين؟!
107 – الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 – القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (2&1)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 – أيومة إلى الأبد!
112 – شتان بين البر والعقوق
113 – الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد
115 – الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان
118 – الأميرات الثلاث!
119 – عندما!
120 - تحايا شعرية سليمانية (3&2&1)
121 – القصيدة الزينبية 2

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانية في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة!

سادساً: الكتب الإنجليزية

1. Proofreading Drills (1-12)

2. Reading Drills (1-50)

3. Reading Quizzes (1-111)

4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

6 - Conversation Skills

7 - Correction Exercise (1-100)

8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

9 - Grammar Tasks (1-77)

10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

12. Punctuation Tasks (1-56)

13. Reorder Quizzes (1-34)

14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

15. Writing Practices (1-76)

16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

18. Raymond's Run – Toni Bambara

19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages!